فريد الدين العطار

مدارج العاشقين

"الحب العذري الصوفي في منظومة خسرو نامه"

ترجمة وتعليق: د. منال اليمني عبد العزيز



مدارج العاشقين

فريد الدين العطار النيسَابوريّ

◆ المؤلف : فريد الدين العطار النيسابوري

◆ العنوان : مدارج العاشقين
"الحب العذري الصوفي في منظومة خسرو نامه"

◆ ترجمة : دكتورة منال اليمني عبد العزيز

◆ الطبعة : الأولى 2017م

◆ تصميم الغلاف: هند سمير



رقم الإيداع:
٢٠١٦/٢٦٦٥٦
الترقيم الدولي : ISBN
978-977-765-085-4

Afaq Bookshop & Publishing House

1 Kareem El Dawla st.- From Mahmoud Basiuny st. Talaat Harb
CAIRO- EGYPT- Tel: 00202 25778743- 00202 25779803 Mobile: +202-01111602787
E-mail:afaqbooks@yahoo.com- www.afaqbooks.com

١ شارع كريم الدولة- من شارع محمود بسيوني- ميدان طلعت حرب- القاهرة- جمهورية مصر العربية
ت: ٢٥٧٧٨٧٤٣ ٠٠٢٠٢ - ٢٥٧٧٩٨٠٣ ٠٠٢٠٢- موبايل: ٠١١١١٦٠٢٧٨٧

فريد الدين العطار النيسَابوريّ

مدارج العاشقين

"الحب العذري الصوفي في منظومة خسرو نامه"

ترجمة وتعليق

دكتورة منال اليمني عبد العزيز

آفاق للنشر والتوزيع

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

العطار، محمد بن إبراهيم العطار النيسابوري.

مدارج العاشقين - فريد الدين العطار النيسابوري

ترجمة وتعليق: منال اليمني عبد العزيز

ط١ القاهرة - دار آفاق للنشر والتوزيع - ٢٠١٧م

٦٠٨ ص، ٢٤ سم.

رقم الإيداع ٢٦٦٥٦ / ٢٠١٦

الترقيم الدولي 4 - 085 - 765 - 977 - 978

١ - الشعر الصوفي

أ - عبد العزيز، منال اليمني

ب - العنوان

الفهرس

المقدمة

تعد قصة «خسرو وشيرين» من القصص الإيرانية القديمة المشهورة قبل الإسلام؛ فقد كانت هذه القصة رائجة ومتداولة بين عامة الشعب الإيراني، كما وجدت عدة قصص شعبية متعلقة بها قبل سقوط الدولة الساسانية ٢٢٤م- ٦٥٢م.

وتحكي القصة سيرة عشق خسرو برويز بن كسرى أنوشيروان. ٥٩٠ هـ- ٦٢٧هـ لشيرين- التي عدها البعض من أهل اليونان، وعدها البعض الآخر أرمينية. وقيل كانت من خوزستان أو آذربيجان- وزواجه منها بعد سلسلة من الأحداث.

وكان محمد بن جرير الطبري م٣١٠هـ أول من أشار إلى هذه القصة في كتابه «تاريخ الأمم والملوك». وذكرها أبو منصور الثعالبي م٤٢٩هـ أيضًا في كتابه: «غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم». كما أوردها الفردوسي م٤١١هـ أو ٤١٦ هـ في شاهنامته. ثم نظمها نظامي الكنجوي م٥٩٨هـ على هيئة قصة متكاملة.

وقد استلهم فريد الدين العطار م٦٢٧هـ أحداث هذه القصة، ونظم منظومته «خسرو نامه» أي «سيرة خسرو» في نيف وثمانية آلاف بيت من الشعر.

ويعد فريد الدين العطار أول من أضفى الطابع الصوفي على القصة، واتخذ منها وسيلة للتعبير عن الأفكار والمفاهيم الصوفية.

بدأ فريد الدين العطار منظومته بمقدمة تقليدية تتضمن حمدًا لله تعالى، وتمجيدًا لقدرته في خلق الروح والكون. وأشار فيها إلى فكرة التوحيد. ويعقب تلك المقدمة فصل في نعت سيدنا محمد ﷺ، تحدث فيه العطار عن فكرة النور المحمدي أو الحقيقة المحمدية. ويلي هذا الفصل أربعة فصول في فضائل الخلفاء الراشدين

الأربعة: أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب. ثم تتبعها أربعة فصول أخرى في مناقب الأئمة: الحسن والحسين وأبي حنيفة والشافعي. ويأتي بعدها فصل في مدح سعد الدين أبي الفضل بن الربيب، وبعد ذلك يذكر العطار سبب نظم المنظومة، ثم يسرد أحداث القصة، ويختمها برثاء أمه، والدعاء لكل من يتذكره بالدعاء.

ويختص هذا الكتاب بترجمة المنظومة، أما الدراسة المتعلقة بها فقد سبق نشرها[1].

وقد اعتمدت في هذه الترجمة على النسخة الفارسية للمنظومة التي حققها أحمد سهيلي خوانساري، ونشرت في طهران.

وتعد هذه الترجمة أول ترجمة للمنظومة بالعربية، ويمكن من خلالها إلقاء الضوء على جانب مهم من جوانب إبداع فريد الدين العطار الفكري، ألا وهو تأليف القصص الشعري.

والله ولي التوفيق

---

(١) نشرت هذه الدراسة تحت عنوان: منظومة خسرو نامه لفريد الدين العطار النيسابوري، دراسة تحليلية نقدية مقارنة، للدكتورة منال اليمني عبد العزيز - مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠١٤م.

بسم من اكتنز كنز الجسم والروح

وعمل طلسم كنز أرواح العالمين

مالك العالم، الظاهر والباطن

باطن في الذات، وظاهر في العالم

لما ظهر، كان ظهوره العالم

ولما بطن، كان بطونه نور الروح

حين خلق الروح من بطونه في الباطن

صنع الوجود من ظهوره في الظاهر

أي ظاهر ذلك الذي كان ظهوره من الباطن!

أي باطن ذلك الذي كان أكثر ظهورًا من النور!

جعل السماء سقف إيوان الأرض

الإله الذي وهب الروح، وخلق العالم

حصل الجسد المظلم على نور الروح منه

وآمن العقل القاصر بسببه

لما قرن بين الكاف والنون

خلق كثيرًا من الأبناء من العدم

جعل من بويضة الأم وحيوان الأب

كليهما - في كل وقت - نسلًا آخر

خلق هذا العالم في ستة أيام مثل طفل

وحرَّك السماء كالمهد

جعل الفلك في دائرة

وحركه إلى أسفل وإلى أعلى بقدرته

وهب الحمل لليلة مظلمة

وأضاء الفلك بأطفالها

لما أظهر طلسم الليل في المساء

أرسل كنزًا عند الصباح

لما طلع الصبح الجوهري

نثر عليه الذهب الجعفري

لما سلكت النار الملتهبة طريقه

أسقط ماء وجهه حتى رفع العلم

لما هبت الريح عاصفة بسبب محبته

رفع غبارها، ولو أنه من التراب

لما سلب الماء صفته بسبب شوقه إليه

طهره بالنار

مع أن الأرض بدت ذليلة له

إلا أنه رفع غبارها بفعل الريح

ماذا أقول؟ لو أن الأرض ، ولو أن السماء

إحداهما يابسة الشفة، والأخرى عطشانة الروح

الجميع هائمون في طريقه

عطشى إليه، ريانون به

جاء آدم من حفنة تراب من تراب بابه

وبدا العالم من غبار طريقه

هو رب العالم ونور الروح

وهو خالق العالمين

العالم قطرة من بحر جوده

ولكن الروح غرقة في نور وجوده

أوجد بكلمة من كلمتين

هذه السموات السبع في ستة أيام

بسط الفلك، ونثر النجوم

فنى العالمان في وجوده

لا يجوز لهما الفناء بدونه

ولا يمكنهما البقاء بدونه أبدًا

ليست له حركة قط ولا سكون

ولا إياب ولا ذهاب ولا بداية ولا نهاية!

هو الله من السماء إلى الأرض

ما أحسنه من ملك وكمال ومملكة!

اعلم أنه هو الملك في الحقيقة

وعندي دليلان على ما قلته:

يدل على الوجود الطاهر

ارتفاع السماء، وانخفاض الأرض

إنه في كل مكان، وفارغ من المكان

تعالى الله! وما أطيب نور المعالي!

ما دام ليس له مكان محدد

فيمكنك أن تجده في كل مكان

العالم أوجده الأول والآخر

إذا بطن أو ظهر

لما كان هو العالمين في الأصل

فلماذا يلتبس عليك أصله

لماذا تسأل ما الباطن؟ وما الظاهر؟

ولماذا تقول ما الأول؟ وما الآخر؟

ما دامت ذاته ليس لها باطن ولا ظاهر

فإن صفاته ليست لها أول ولا آخر

يبدو للمكان الباطن والظاهر

ويظهر للزمان الأول والآخر

لو أن العدد ظهر من الأحد في الحقيقة

لكن لا يبدو هناك سوى الأحد صدقًا

اعلم يقينًا هذا الذي جرى، ولا تشك في أن

الألف والواحد والمائة إلا واحد جميعهم سواء

بسط الظل وجودًا بلا نهاية

وأرسى ببسطه عدة أسس

لما أدرك وجود الظل، أراد أن

يظهر نفسه مباشرة في مجال لا نهاية لها

لما جعل طاووس الفلك ناثرًا للذهب

أظهر آلاف الحبات الذهبية

لما ارتدى لباس النور من الكافور

لبس العنبر في الليل المظلم

الليل والنهار خادمان على بابه

فذاك كافوره ، وهذا عنبره

لما جعل مصر جامعة عالم العيان

أجرى نيلًا من الفلك الأزرق

استخلص الفضة من الماء في الشتاء

وأسقط الذهب على الأرض في الخريف بفعل الريح

جعل الهلال صبيًا في بداية كل شهر

وجعل ظهره كالقوس في الطفولة

ارتدى درعًا من النسيم في الماء

ومنح القمر جوشنًا كالفضة

لما اندهش قهرُهُ من الشفق الدامي

جعل الجميع في ذمة الليل زنجي

لما ضحك الزنجي البريء

جعل له أسنانًا بيضاء من الأنجم

جعل من ذرية نوح الطاهر، الكنعاني

خليلًا في الروضة

فجر الماء الزلال من موضع قدمه

فجف بفعل الحرارة في عام

وهب الحمل مِنّة

ومنح طفلًا بدون مَنيٍّ من الروح المحضة

أولد مريم عيسى بدون أب

وجاء بالرُطب من الغصن الجاف

لما منح الملك الصبح الدرع الذهبي

أعطى المظلة الذهبية لشمسه

لما سطعت الشمس

كان وجه عالمه الوضاء يرفع العلم

ألقى الفلك بها إلى الزوال أيضًا

وجعل منها حلقة في الميزان

احذر أيها الينبوع اليابس الجريان

ما دامت هناك عين مشتعلة في الميزان

ما دامت تظهر قوة ساعدك هنا

ترى قيمتك في الميزان

يطوي بساط السماوات السبع

كما يطوي سجلًا على الأرض

يجعل الجبل الحديدي كالحرير

كما إنه يبدل فرش الأرض

يبدل الأرض في الحال

ويجعل ***الأبدال***(١) من أوتاد الجبال

يلهب البحار السبعة مثل النار

ويجعل الأرض ترتعش كمريض بداء الثعلب

يصيب القمر والشمس ***باليرقان الأسود***(٢)

لما يصيب الصبح والسحر بضيق النفس

حين يغرس الجوهر في الصدف في كل ليلة

يضع فص النهار في الذهب

يفتح النرجس من المدر الأسود

ويخلق للعصفور غضروف الأذن

يجعل من النار روضة تارة

ويجعل من البحر صحراء تارة أخرى

يخرج الجمل من الحجر الصوان

ويخرج الدُرّ من الماء

حين يجعل للوردة مهدًا من الصدأ

يصنع الحراب من الشوك حولها

حين تعترض الشقائق طريقه

يحيك لها حزامًا من الأطلس وعمامة

حين ينحني - له - النرجس في شبابه

يمنحه خرقة الخلود في شيخوخته

حين ثرثر السوسن، وذكره

سماه عبده، وحرره

حين ذبل النرجس الضعيف

منحه أوراقًا من الفضة، ومن الذهب أيضًا

حين سلك الياسمين الهندي الطريق إليه

كان يحفظه مسرورًا

لما كان أصله بلا نهاية

طلب الوجود- الذي بلا نهاية - شيئًا

لكنه لا يبلغ غاية ما لا نهاية له

ولا يصيبه من هذا النقصان سوى الاعوجاج

لم تكن له أية حيلة مع الاعوجاج

الخلاصة تمزق إربًا إربًا بسبب النقصان

لما اتجهت كل قطعة إلى ناحية

صارت هكذا وكذلك، وأصبحت كم وكيف؟

لو أنك من أهل حجاب الأسرار

فإنني سوف أشرح لك معنى الأول والآخر

وجود مع زوال الحد والغاية

تجلى في وجود بلا نهاية

لما أضاء بنوره في اليوم الأول

عاد إليه في النهاية

ظهر مثل بعوضة نشوانة بالغرور
وجلس سعيدًا على مفرق جبل قاف
لما نهض من هناك؛ انعدم
سواء ازداد في ذلك الجبل، أو نقص
ومن ثم جاء كل هؤلاء من ذلك المكان مثقلين بالأحمال
وسيعودون إليه في آخر الأمر
يأتي الجميع إلى هنا كل واحد على شاكلته
ولكنهم يذهبون إلى هناك على شاكلة الحبيب
كلام الله هنا له مائة ألف معنى
ولكنه يتجلى هناك بوجه واحد
الجميع هنا يتشكلون بأشكالهم
ولكن الصور هناك تفوق الآلاف
يبدو الجميع هناك على شاكلة واحدة
لأن كل شيء هناك يبدو كما هو
لو أن الجميع واحد أو مائة ألف
فإنهم ليسوا إلا هو، وهذا واضح
من ثم إذا قلت وما العدد في النهاية؟
ومن أجل من الذهاب والإياب في النهاية؟
فالأجوبة عليك كثيرة، وهذه مسألة
متعلقة بالعميان الذين كانوا يلمسون الفيل بأيديهم
فلمس واحد خرطومه، وآخر لمس قدمه
والجميع لمسوا مكانًا واحدًا، وشيئًا واحدًا
لما وصفه كل واحد منهم، كان وصفه مختلفًا عن الآخر
ولكن كان الموصوف في الأصل ذاتًا واحدة
لو تريد إجابة ودليلًا
فالعالم كله مملوء بعميان وفيلة
لو يبدو شيء واحد مختلفًا
فلا عجب! فإنه يبدو مثل ديباج رومي

لو يظهر العالم ، فاعلم يقينًا

أنه التوحيد في عين اليقين

أنت أيضًا شيء واحد، ومائة ألف شيء

ولا تملك دليلًا على هذا أوضح من نفسك

لو ترى العدد في غيرك، فهذا غير جائز

ولكن حين تراه عين ذاتك؛ فليس هناك خطأ

لما تتجمع آلاف القطرات في عيني

ولم أر بحرًا، أشعر بالغضب

لو تسقط قطرة من الأمطار

تبدو بحرًا؛ حين تجري إلى البحر

ولو أنك ترى النار أو الثلج

وإن ترى مائة كلمة، فجميعها القرآن

لو أن على كلّ فلك مائة نوع من الشمع

فجميعها على شاكلة الشمس

مراتب الأرواح الخالدة

مثل مائة شمعة أمام قرص الشمس

إذا كانت هناك روح معيوبة

تبقى كذلك محجوبة

هناك آلاف القطرات من العسل، ولكن

اعلم يقينًا أنها طلاسم وألغاز

كلما تحللت تلك القطرات

اختفى العدد، وصارت عسلًا

نقشت آلاف النقوش على النحلة

ولكنها انمحت جميعًا، ما عدا النحلة

لو أنك لست حجرًا، فانقش على الحجر

وانظر إلى تلك النقوش ذات الوجه الواحد والشكل الواحد

لما كان لكل شيء شكل واحد هنا

فإنك لو تجمع النقوش؛ فهي الحجر هنا

ليس للعالمين شك في تلك الوحدة
فالموجود الحقيقي واحد ليس إلا
هو الله، وليس الخلق إلا نور الله
ولكن نوره غير منفصل عنه أبدًا
هو الحق، ونور الحق ليس شيئًا آخر
يجب قول الحقيقة: ليس هناك سوى الحق
لو أن لذلك النور ألف صورة
ولكن خلف الحجاب صورة واحدة للمعشوق
لو يتجلى في العالم بذاته أو لا يتجلى
يكون الجميع هو ، ولا يكون هناك شيء آخر
لم يكن هناك هذان العالمان، وقد صنعهما
ولم يستفد منهما، أو يضر
هكذا كان، ومع أن هناك مائة عالم
الآن هو على الشاكلة نفسها في ذاك وهذا
في الأول خلق جسدك، ووهبك الروح
ومنحك العقل، وأنعم عليك بالإيمان
في الآخر فصل الروح والجسد عن بعضهما
وجعلك في تراب الطريق مثل التوتياء
لما حل الموت، أدركت أنه معك
فلم تكن تعلم أكان هو أم أنت؟
إذا لم يكن معك إلى هذا الحد؛
لَمَا كانت لك روح وقلب ودين
ما دمت تنعدم بدونه فمن أنت إذن؟ إنك هو
والجميع هو، يا من تعلقت بالمعنى
ما دمت تحظى بالروح والجسد منه دائمًا
فماذا ستفعل بنفسك معه؟
ما دمت باقيًا به؛ فكر في هذا
ويجب عليك التباهي به، لا بنفسك

إنك تقول: أسعد هنا

كيف تكون سعيدًا هنا مع العدو؟

أنت عدو نفسك، فاحذر نفسك

لو أنها تراب، اجعلها ذهبًا في منجمك

ما دمت قلمًا تستطيع البقاء

ففي ذلك النور- الذي هو صورته- شمس

ما دام التراب كله يمكن أن يصبح ذهبًا

فلا يبقى التراب، ولا يحزن الرجل

ما دمت تملك شمسًا، فابسط الظل

ما دام لبن الأم يتوافر، فدعك من المربية

لو أنك في الحساب تساوي ذرة

فإنك محجوب بفعل الشمس الإلهية

لا يملك شخصٌ تابع لك مثقال ذرة من نور

سوى الشمس

ارتكب الشخص الخطأ؛ لأنه غريق

في بحر الشك وتيه الظن

ولكن كل من يملك كعبة في المكان

لا يضل عند الكعبة

الشخص الذي ولد في الكعبة

عرف نواحيها كلها

يكفينا التحقق بنور المعرفة

ويكفينا توفيقه إلى طريق الهدى

بلى، إن القوم الذين ضلوا تلك الذات

قالوا ربنا رب السماوات

ولكن القوم الذين أصابتهم الحيرة في الطريق

عميت أعينهم المبصرة

لو يرى شخص الشمس كثيرًا، يحتار!

فكيف يرى الأغيار؟

ولكن حين تشرق الشمس

لا يبقى قدر من الظل أمام العين

من يعلم ما الشمس الساطعة

التي تشرق على كل ذرة؟

لو تشرق على ذرة زمنًا

تستحوذ تلك الذرة على العالم مثل الشمس

يجوز أن تصدر «أنا الله» من شجرة

فلماذا لا تجوز من سعيد الحظ

الشخص الذي ينمحي في تلك الشمس

يفنى في البقاء الخالد

إن أردت العثور على ذلك الجوهر مرة أخرى

ضحي بوجودك مثل الفراشة

إذا سلك قوم هذا الطريق

لما ضلوا، واكتشفوا ذلك المكان

إن بقاءك بالحبيب فانيًا عن نفسك أفضل لك

ففي فنائك، بقاؤك به

لو تستطيع أن تبقى معه لحظة

فهذا- بحقه- أفضل من العالميّن

تعود عليه دائمًا مثل الرجال

فإنك لن توجد بدونه، ما دام هو موجودًا

ما دام ينبغي عليك البقاء معه دائًما

فلا يجب عليك البقاء بدونه لحظة

صر على شاكلته، ولا تفكر في نفسك

فإن فكرت فيه أفضل لك من أن تفكر في نفسك

ما دامت القطرة لا تفكر في نفسها أبدًا

فاعلم يقينًا أنها صارت بحرًا بالعزة

هكذا ورد عن الحق أن أولئك الموجودين

تحرروا؛ لما ضحوا بأرواحهم في سبيله

كيف نقامر بأرواحنا معه

ونحن لا نتعامل معه

ماذا أقول ما دمت لا أعلم؟ وإذا لم يوجد شيء

فهو موجود، هو موجود ولا شيء آخر غيره

لماذا أقول ليس هناك أحد، ما دام هو موجودًا؟

هو موجود، ولا أحد سواه. يكفيك هذا

لا يظهر الأحد لعينيك

وبدا الأحد عددًا لناظريك

ما دمت ترى على قدر بصيرتك

فإنك ترى الواحد أكثر من مئات الآلاف

من يعلم ما هذا الأمر؟

إنه التعدد، وهو يفوق العدد

لقد قبض أرواح الأتقياء في هذا الطريق؛

لأنه طريق وعر، وأمر عجيب

اضطرب العالم بأسره، الفارغ منه والممتلئ

واختلط التعجب بالتحير

فكر العارفون كثيرًا

وأصيبوا بالعجز والحيرة في النهاية

ما دمت موجودًا يا إلهي! فمن نكون نحن؟

نحن أقل من قطرة في البحر الذي نوجد فيه

أنت الجميع، وكفاك أنت من الجميع

ولا رفيق لك قط

ولأنك لا تصاحب أحدًا

فإنك تحب صنعك

لو أن هناك شخصًا غيرك، فلا أثر له

مهما طال بقاؤه؛ لأنه من صنعك

ما دام استحقاق الوجود لا يحظى به أحد

فيكفيك أنك القيوم والموجود

إن معرفة كمال ذاتك أمر سهل

ولكن النقصان من جانبنا نحن جميعًا

أنت الجميع، ولكننا لا نعلم

ولا نعرف ظهورك؛ بسبب اختفائك

الشمس تشرق على الدنيا بأسرها. وليس هناك ظلم

ولو أن الخفاش ضرير؛ فلا حزن

إذا لم تكن للخفاش عين

فالشمس لا تغضب منه

الشخص الذي يعرفك موجود أمام ستار

وكل من استتر وراء الستار، انعدم

خيال المعرفة عندنا أن

ذلك البحر محجوب عن هذه القطرة

لما صار البحر عين اليقين للقطرة

لم تحتمل، وسرت إلى باطن الأرض

ليس لأحد معرفة بك سواك

ما دمت تدرك العقل والروح، لا يكفيك هذا

أنت العالم، والعالم ليس إلا أنت

من يعرف العقل والروح إلا أنت؟

ما دمت أنت الواحد، وهذا الواحد كامل

فأي واحد آخر هناك سوى هذا الواحد

لو أن الأحد لا يتجلى في العدد للأحول

فالغلط من عينيه. وليس من الأحد

شرب فرعون الماء الزلال، وشعر بالنخوة

لكن العقل يعلم كيف، صار حاله

العالم مغرور بالتغير

وإنك ترى السراب ماء؛ لأنك بعيد

ما دمت ترى دائرة العالم كثيرة الثنايا

فإنك لو تقترب، لا ترى شيئًا

يا إلهي! لقد أفشيت كثيرًا من الأسرار

ماذا أقول؟ ما دمت قد تحدثت كثيرًا!

يا إلهي! إنني أخشاك كثيرًا

لأن أمامي طريقًا بلا نهاية

لقد أتيت بنا من ظلمة

وأنزلتنا في ظلمة

صورتنا في صورة حسنة

وألقيت بنا في التراب أذلة

إن قباء الفهم هذا لا يناسب قدنا

ولا طاقة لشخص بكيف ولماذا؟

إنك تعلم أن عقلي بعيد النظر

وأنا لا أدرك طرف شعرة، وهذا يقين

اجعلني عارفًا مقدار طرف شعرة

أنا بين يديك، فاجعلني كالشمع

لو أنني من أهل النار، أو من أهل الجنة

فإنك تعلم كيف تكون فطرتي

لما رأيتني عدمًا

اشتريت مالي ونفسي

تقبل عيبي الذي تراه

ما دمت قد اشتريتني؛ فلا تتقصى عيوبي، وادفع الثمن

لا تعاقبني، فإنك غفار لذنوبي

ولا تتقصى عيوبي، ما دمت ستار العيوب

ما دمت قد فرضت الزكاة

من أجل العتق

فحرر رقبتي. بأسرار

صدور الأحرار

يا إلهي! لقد قصرت كثيرًا

وجعلت اللبن مثل المرجان الأسود بالمعصية

كل من لا يملك الحرية
لا يقبل العبودية
إنني لا أملك شيئًا سوى العجز
وقد عجزت عن العمل تمامًا
لو تأخذ بيدي، فهذا يليق بك
وإذا لم تعينني؛ فقد ضعت
ما دمت موجودًا بالضرورة يا معيني
فلا تقهرني؛ فلا مفر لي منك
مع أنني أعلم أن ذنوبي كثيرة
ولكنني أعلم أن رحمتك أكثر منها
يا إلهي احفظ قلبي وديني
لقد وهبتني ذاك وهذا، فاحفظهما
في تلك اللحظة التي لا يبقى فيها نحن ولا أنا
لا يبقى فيها زيت سراج العمر
أنر سراج الروح بزيت زيتونة الوادي الأيمن تلك
التي هي لا شرقية ولا غربية
أضئ سراج الروح بذلك الزيت
وأنر عينيّ بدون مَنّ
حين تصعد روحي إلى شفتي، يمكنك
أن تسمعني النداء في تلك اللحظة
حتى أستكين في سباتي- بسبب هذا النداء-
حتى يوم القيامة
إنني حفنة تراب، حين تستحوذ على ترابي الكدر
لا تجعلني ذليلًا تحت الثرى
حين يغلق عليّ باب من التراب والآجر
افتح لي بابًا في القبر من الجنة
حين تسوقني إلى الصراط عاجزًا
امنحني الشيخوخة، وابعد عني الطفولة

مع أنك سوف تمنح الجزاء على قدر العمل
يمكنك أيضًا منح العطاء بدون علة
العمل الذي يصدر مني، يأتي مثلي
ويتصف بالادعاء والأنية
ما دام فضلك بدون علة، يا إلهي!
فماذا تريد مني بجرم العلة؟
ولكن ما دام فضلك قد عمّ بدون علة
فكل من تمتع به، صار صاحب نعمة
كيف يمكنك منح النبوة بدون عمل؟
وإنك تستطيع أن تمنح الأمان بدون عمل
كما جعلتني يقظًا بدون مقابل
اشترني بفضلك بدون مقابل
اخرجني من العالمين أيها المحسن!
وانزلني في مقعد صدق
لا أعرف أحدًا في العالم سواك
ولا أسمي أحدًا الباقي سواك
أدعوك. لو تدعوني، أو لا تدعوني
أعرفك. لو تعرفني، أو لا تعرفني
كثيرًا ما بكت عيني هذه وأنت تعلم
وإنك تستطيع العفو عني، ولو بدمعة واحدة
لو أتحدث كثيرًا أو لا أتحدث
ما دمت تعلم كل شيء، فماذا أقول؟
لقد مللت من نفسي، وتلزمني أنت
من العالميّن كليهما. والله أعلم

في نعت سيد المرسلين خاتم النبيين

ﷺ

الثناء الذي سما فوق العقل والروح

أي حد لشرحه؟ وأي مجال لبيانه؟

كيف يمكن الثناء على صدر ومدحه

وقد أثنى عليه رب العالم

محمد الذي هو الغرض من الخلق

والمراد من الجوهر، وهو الجسم والعرض

محمد المشفق على الدنيا والدين

وشفيع الأولين والآخرين

أطروفة مصنع العالميّن

النبي وسيد أولاد آدم

فارس ميدان الأفلاك المغوار

نظام العالم، وسلطان *لولاك*(٣)

المتحدث بلطائف رمز لا يزال

الباحث عن معارف كنز ذي الجلال

قائد ديوان الرسالة

إمام المسند، وصدر الجلالة

نوره أزلي في العالم حتى خلق آدم

أتباعه من المشرق إلى المغرب

فلك العالم وشمس البصيرة

وقد استظلت المخلوقات بظله

مالك العقل والروح في الأصل والفرع

وليّ نعمة العالم بالروح والقلب

جسده معيار أشباح دار الضرب

قلبه طيار أرواح دار الملك

الملائكة كناسو روضته

والخلائق جامعو سنابل بيدره

تضرعه قاصد طريق قاب قوسين

وصلاته مجلى قرة العين

يذهب العقل أمام حكم شرعه

ويبحث العالم عن نافجة مسك خلقه

إنه عبد الله في الحقيقة

وقد ارتدى لباس الاصطفاء

إنه ذهب خالص من منجم الكبرياء

العالم كله نحاس وهو الكيمياء

لم يكن هناك عالم ولا آدم حين كان

كان هو والله تعالى في تلك اللحظة التي كان فيها

لما سلك طريق *كنت نبيًا*(٤)

عبر العالم في لحظة

لتلك الخطوات في ذلك الطريق عدد

هكذا أعلم أنه تجاوز المائة ألف

بتراب كل خطوة خطاها ذلك الصدر

رفع الله قدر نبيّ

حين عجن تراب طريقه

سجد له مائة ملاك عالم

لو أنك لا تعلم ظاهر ذلك التراب

فإنه لم يكن إلا تراب آدم الطاهر

لم يكن آدم قط ولا سليمان

فقد أمر من قبل ومن بعد

لما جاء ذلك الصدر خاتمًا للأنبياء

حاز سليمان ذلك القدر من ذلك الخاتم

لما ظهر سلطان الدين ذلك

تحطمت آلاف الأصنام في العالم

نصب الخيمة الزرقاء في التسع سماوات

وهدم طاق أنو شيروان بالمضارب

كانت الدنيا مظلمة بكفر الكفار

فأضاءت بنوره مرة واحدة

خرج من خلف الحجاب مثل الشمس

فأضاء القلب والدين إلى الأبد

لما أحاط به اللطف الإلهي

ألقى الغيم الظل على من لا ظل له

لما كانت الشمس ترسل أشعتها من خلف الحجاب

كان الغيم يظلله تمامًا

لماذا أنت كثير الصمت كالأفلاك؟

وفي نطقك رقاص طروب

لماذا أنت دائم الفكر؟ ألا يكفيك أنه

ليس هناك أحد مثلك؛ ما دمت قد تجاوزت نفسك

ما دمت شمس الأنبياء في العالمين

فقد ختمت ذرية آدم بختمك

صارا قوسا قاب قوسين في أول الأمر

قوسًا واحدًا؛ فظهرت تلك الصورة

حين رفع الحقود رأسه بعين السوء

ربما سقط منها عقرب في الطريق

أخرج جبريل رسول الكونين

سهمًا من قوس قاب قوسين

ضرب العقرب، وصوبه نحو السماء

وقد كان القوس محكمًا حتى إن العقرب علق به

بعثرت فقرات ظهره فوق الأفلاك- بسبب الختم-

الخرز كله، وصار الصندوق نظيفًا

لما وجد القمر ذؤابته مثل الدرع

خجل، وحطم الجوشن من الخجل

بمدد الختم الذي تملكه على الظهر

تشق القمر بالإصبع

إذا لم يكن إصبعك في المقابل

لما رأيت منزلة القمر بين المنازل

كل منزل يطوف فيه ليلًا ونهارًا

يدعوك إليه أيها الدر الوضاء

له في كل منزل سلوك طريف

تارة يظهر إكليلًا، وتارة يزداد حجمه

يطوف، ما دام موجودًا

وله في المسلك سعد السعود

نزل قلبه في الطريق

لأنه ذهب شجاعًا، وجاء شجاعًا

أنت روح، والشخص الذي تجاوز عشق الروح

لو ينزل في منزل، يمكنه المضي بشجاعة

لما كان شجاعًا، وكان السبيل إليك بالقلب

جاء الخطاب إلى القلب من حضرتك

لو حطموا أسنانك بالحجر؛

نشعل النار لعدة فراسخ

ولكن لو نصقل الحجر بين الناس

نحرق الصنم الحجري، والقلب القاسي

لما اقتلعت أسنانك بسبب القسوة

أدمى القلب القاسي من الألم، يا للعجب!

ذلك الذي يتعارك معك بالحجر

يكون قلبه أكثر قسوة من الحجر

حين يقذفك أعداؤك التافهون بالحجر

اقذف أنت الظالم بالحجر ذاته أيضًا

احتجب الفلك خجلًا منه

فارتفع تارة، وهوى على الأرض تارة أخرى

لما ظهر خاتمك حجرًا مغناطيسيًا

بدا الحسود الظالم إبليسًا

الشخص الذي يتعارك معك بالحجر والزجاج

ارجمه بالحجارة في لحظة بسبب العداء

تحطم الحجر في قلب حسودك قطعة قطعة

فعانى الجراح مثل حجر النار

بدت روحه مثل الحجر المتصدع وكأنها

آمنت بسبب الحجر

لو كان القرآن يقرأ على حجر

لكان يتصدع

تصدع الجبل الصلد بالقرآن

فامتلأ وجه الأرض بالحجارة بسبب ذلك

قلب خصمك مثل نقش على الحجر

ولا يلين بالقرآن

لا بديل للفظ عن القرآن

ولكن حجره أفضل من حجر *طير أبابيل*(٥)

يملك عدوك صنمًا من الحجر

فلا عجب لو تمطر عليه الحجارة

ما دام خصمك قد بدأ حرب الحجارة

فالق أنت أيضًا الحجارة يا شمع الدين!

عرف السهيل شرعه جيدًا

فألقى الأديم من أجل نعليه

إلق حبل دلو الفلك الدائر

حتى يحمل الماء من أجل البراق

لما رآه جنات الخلد الثمانية من خلف الحجب السبعة

رحبت به، وفعلت السماوات السبع كذلك

وبسبب تلك الذؤابة المجعدة والقامة الممشوقة

قامت أكثر من مائة قيامة على الحوز

علقت مائة روح بكم الفلك

وتأهبت للخدمة

لما اقترن بروحه

بدا مثل الطاق، وافتخر بالخدمة

طلب الفلك كحلًا من طريقه

ووضعه في عين الكواكب ليلة بعد ليلة

لما وجدت السماء غبار تراب قدميه

حصلت الكواكب على حجاب كحلي منه

وأشرق نور الصبح على العالم الذي

صَدَقَهُ الحديث

سماه الحق سراجه؛ فرقصت

قناديل العرش كلها مخلصة

طالع القلم لوحًا أمامه

وكثيرًا ما قرأ العرش آية الكرسي

الخلاصة حين تصدر الطريقة

سبق الأنبياء في الحقيقة

وبُعث من هناك مثل الشمس

فتوارى العالمان منه كالظل

رأى العالم يعج بأمواج المسميات

فمحا العالم والأسماء أيضًا مرة واحدة

مع أن جبريل المنور

ملك الآلاف من ريش الطاووس المعطر

إلا أنه قال للأستاذ وللرسول عندئذ:

أنا فراشة، وشمعي نور الله

إنك تبدو طاووس الملائكة

وأنا فراشة النور الإلهي

لا تجلس أمام الباب؛ ما دمت من أهل الدار

ابسط الجناح؛ ما دمت تلك الفراشة

ما أطيب النور الهادي للعالم الذي حظى به

فقد طأطأ العالَمان رأسيهما أمامه

حين رفع نوره العلم على مسافة بعيدة

تجرع العالمان الكؤوس معًا بسبب ذلك النور

حين وضع القدم في العبودية

منحه الله تعالى مثل هذه الكؤوس ومثل هذا العلم

حين ذهب إلى هناك حيث أصل الأمر

كان نقطة فرجار العالم هناك

مثل رسول الإلهام أمامه

فتحدث بلسان الوحي إلى روحه

انظر الإله قاب قوسين

مثل العبودية والملك

في يده شيء واحد هو الإيمان

وفي يدك شيء واحد هو الطاعة

ما دام قوس روحي وجد الاستطاعة

فاجعل أنت الطاعة وتر قوس الجسم

ما دمت قد سحبت وترًا، وأنا كذلك

فما أطيبك أنت لا أنا! والخلاصة ما أطيبني!

يستحق اللسان آلاف الأوتار

لو أنك تحمل هذين القوسين

ألم يظهر قوسان على القمر ذات ليلة

في الليل المظلم بسبب إصبعك

بعد ذلك انمحى قوس من القوسين

وظهر قمر من القوسين

الآن صارا قوسا قاب قوسين

قوسًا واحدًا بسببك يا سلطان الكونْين

العدد موجود في السماء والأرض

وقد ضل العدد الطريق، وبقي القمر

أنت ذلك القمر يا شمس الأصحاب

وتهتز النجوم حولك مثل الزئبق

اخف نرجس عينيك عن العالم

واجذب هذين القوسين حتى غضروف الأذن

سمو العالمين ذلة بالنسبة إليك

الغرض من الخلق وجودك

العالمان حور، وأثر من شعرك

العالمان نور، وشعرة من مفرقك

باب طاق الفلك من حاجبيك

ضوء الشمس والقمر من جديلتيك

جنة القلب تفيض بالنور بسبب حسنك

وجنة الفردوس تعج بالحور من نورك

ما دمتَ راحة العقل والروح

فأنت زينة العالميّن حقًّا

الأفلاك في عينيك شعر مجعد

انظر إليها واحدًا واحدًا، ولا تعد عينيك

يضع التواضع تاجًا على مفرقك

لو تريد العلو؛ فاخفض جناحك

انظر إلى الصورة؛ فهؤلاء القوم هم الأصفياء

ولا تطرد، فهم صورة نورنا

أنت أول الزمرة، وغير مطلع على الأسرار

نادوا عليك من تسع حجرات

الفلك الذي يناسبك

تسع حجرات مملوءة بصيتك الآن

في النهاية تجلى نور تلك الحضرة

ففنى محمد، وعندئذ تحدث

تحدث عن الأمة زمنًا

فعفا به عن أمة العالم

حين فرغ من أمر أمته

طلب قربه بحقه

كان هناك قوسان بين الحضرتين

وكانت هناك ميم بين أحمد والأحد

لما كانت هناك ميمان في الميم التي تتحدث عنها

ففي كل ميم عالم مقيم

حين انمحى هذا العالم في ذاك العالم

بدت الميمان ميمًا واحدة، وتجلت الوحدة

لما انمحت تلك الميم الأخرى

بقي الأحد، وفنى أحمد عن نفسه

هذا السر الذي أتحدث عنه جليّ لك

و«*قل إن كنتم تحبون*»(٦) مصداقه

لما عاد من هناك، بقيت روحه هناك

إياز(٧) هنا وسلطانه هناك

الخلاصة جلس أمام الصفة

وتحقق مقصوده كله مرة واحدة

تحدث عن الجسم وعن الروح

وقال: نحن السابقون الآخرون

لما طرح على رأسه تشريف لعمرك

ألقى جديلتيه المسترسلتين على صدره

حقق بشعرة من شعر الحقيقة المسترسل ذلك

نُسخ الدين الأولى

كانت جميع الخطوط في درجه

وكان أجره دخل العالم كله

ما أطيب الكونين اللذين هما صورة نورك الطاهر!

جاء خطاب «روحي فداك» من الأفلاك التسعة

ما أطيب الكرسي! فإنك تحفظ حلقة بابك
وتملك خرقة العرش الأعظم في يديك
حيثما تكون الشمس، تملك أنت الظل
وليس للظل شأن مع الشمس
ما أطيب ما أُضمر في حلقات جديلتك
وقد خلقت جنات الخلد الثمانية والكواكب السبعة من أجلك
قبعت في الحزن طويلًا
وقد أضاءت بك كل ذرة كالشمس
انفصل جسده عن الظل لأنه
ربيب نعمة الله دائمًا
الشخص الذي هو قطب الرجال يوم القيامة
وبه تدور طواحين الفلك السبعة
ما دامت له نصف حبة شعير، فلا شأن لنا
حين يدير أحجار الطواحين السبعة
حين تدار أحجار أرحية التسع حجرات هذه
فإنها لا تراعي طواحين الفلك التسعة
من يعلم لماذا نزل هنا تاركًا تلك المكانة الرفيعة
التي حازها
إنك في حساب أم القرى
النبي الأمي في أم الكتاب
حين ينقش الحق تعالى كتابة على قلبه
فماذا يكتب؟ ومثل ذلك الخط أمامه
ما دام قد عَلِمَ عِلْم الأولين والآخرين
فماذا يتعلم؟ لهذا لم يتعلم!
ما دام العرش والكرسي قد وضعا رأسيهما على خطه
فكفاه هذا الخط. لماذا تسأل عن الخط مرة أخرى؟
ما دام الله قد عَلّمه في دار السلام
لماذا يريد التعلم؟ فعلمه هذا تام

ما دام قلبه قد تبحر في القرآن والأخبار

فماذا سوف تفعل الأشعار مع هذه المكانة؟

لما صارا بيت الله وبيت المقدس رديفيّ بيتيه هذين؛

فيكفي شعري هذا

بيت الشَرَك نهاية السحر الحلال

والبيت اللائق به هو البيت الحرام

إذا تصببت الوردة الحمراء عرقًا خجلًا منه في الأول

جعل منها في الآخر طبقًا ذهبيًا

حتى ينثر الذهب على وجهه؛

يذرف ماء الورد من العين الندية

تباهت الوردة المتفتحة ذات المائة ورقة في الطريق

حتى فصل تلك الأوراق المائة بعضها عن بعض

تصف ورقة منها صفات وجهه مائة مرة

مثل العاشق الثمل

لما يطول ذلك الشرح العالي

فإنه يتساقط من الحبالة

سمعت أن جبريل أحضر طستًا

ولم يشق الصدر، ولم يتعجل

لما انعكست صورة هذا الطست المثمن

أضاءت هذه السماوات التسعة بسبب انعكاسها

زيَّن ذلك الطست بقلبه

وكذلك تزينت تلك السماء الزرقاء بورده

كان يغسل قلبه، وهذا صحيح

فكان الفردوس يزدان بقلبه

كان الغلو في القهر شرع موسى

وكان الغلو في اللطف دين عيسى

واحد كان يحرق النفس بقهر الملة

وواحد كان يبهج القلب بلطف الدين

لما تعادلا القهر واللطف معًا

صار رسولنا طبيب النفس والقلب

ما دام هو روح سلطان دار الملك

فإن أطراف شعره أكثر من العالميّن

لما شابت سبع عشرة شعرة في الدين

رجاه العالمان بأسرهما

هكذا ألقت السبع عشرة شعرة بظلالها

فأطلت ثمانية ألف عالم برؤوسها

لما فاض نور السبع عشرة شعرة

فرض على الرجل والمرأة سبع عشرة صلاة

كان الله يعلم تلك السبع عشرة من قبل

وفرضها قبل الجميع

كان أهل الإقليم يقولون: إن وجهه والقمر

مثل تفاحة انقسمت قسمين

لما شق تفاحة القمر بإصبعه

صار الكلام في الفم مثل السراج

كأنه رأى قمر السماء ذات ليلة

وجعله صولجان بإصبعه

لما ضربه بالصولجان

انقسمت كرة القمر قسمين مرة واحدة

الآن بسبب الشوق إلى إصبعه

يصير القمر كرة تارة، وصولجانًا تارة أخرى منذ ذلك الوقت

لما بسطت شمس وجهه الظل

حطت من قدر طائر *الهما*[٨] في الفلك

ظهرت قطعة من ذلك القمر بسبب حسنه

وبدت شمسًا ذات مائة قطعة قمرية

صارت قطعة من ذلك القمر السماوات السبع

وصارت قطعة أخرى العالميّن

ما أطيب السراج المضيء الذي أطفأ بإصبعه
سراج القمر في السماء
ما أطيب عين الفلك الرابع وسراجه!
وما أطيب نور أعين الأفلاك السبعة!
ما أطيب مكانك على قبة الأفلاك!
وما أطيب قدمك على مفرق ساق العرش
لو تمر عظمتك على نملة مثل فيض الله
تصير سليمان
إنك بلا شك أعلى قدرًا من سليمان
وقد قدمتُ لك قدم الجراد
فتقبل مني؛ لأن هذه الحكاية
رواها عنك العارفون بالطريق
النبي الذي ملك وشم الكبرياء
كان هناك ختم مدور على قفاه
كانت سعادته الكبيرة ونوره لأنه
اطلع على سر حقيقة السماء
من شمس ختم قفاك أيها الجليل
استندت إلى مائة مسند
أطمع أن تختم ختم المروءة على عملي
بختم النبوة ذلك
إنني أعقد الوسط طاعة للأمر
وأجعل اسمك حرزَ الروح المتعبة
لو أنني ذرة، فإنني أتمنى
أن أملك شمسًا مثلك خلف الحجاب
سفهني أيها السند والملاذ
لأن ذنوبي أثقل من مائة حمل

في فضيلة أمير المؤمنين
أبي بكر الصديق

إمام أهل الدين، السلطان الأول
أمير المؤمنين، الصديق الأفضل
الصديق، ولي عهد فلك الصدق
وولي الخلافة على وجه التحقيق
لما حصل على نسيم من فقر الرسول
ضحى بكل شيء سوى رداء خشن
لم يخش الحديث عن المعرفة
قس على هذا مأكله ونومه
كان الصمت حرفته ليلًا ونهارًا
وتجاوز تفكيره الكونين
كان جديرًا بالخلافة أولًا
فهو الصديق. وصدق صبحه
إذا كان أحد يرى صبح الخلافة
يكون هذا الصبح كاذبًا أمامه
لما أشرق صبح الأنوار ذلك على العالم
تلونت الكواكب بلونه
لما كان أصحابه مثل الكواكب
فقد شابهوا نور الصبح في الكمال،
صار الموحد مقربًا بنوره
لأنه يشبه الكوكب في الصبح
لكن ذلك الصبح الصادق لا يعرفه على وجه التحقيق
أحد مثل الصدّيق

الصدِّيق جديد بنور الصبح

لأولئك كواكب، وهو الصبح الصادق

من ثم اعلم يقينًا أن أولئك الموجودين

عبدوا الحق بنور الصبح الصادق

لقا قال النبي: *لو يوزن إيمان الصديق*[٩]

على وجه التحقيق

يزيد عن إيمان الخلق

من ثم فالأفضل من يتقدم أولًا

لما كان إبراهيم أبا الأمة

تجلى له القرآن بالصدِّيق

لما كان الأفضل، وصار أبًا للدين

حاز لقب الصدِّيق واشتهر

في فضيلة أمير المؤمنين
عمر الفاروق

سراج الجنة وشمع العالمين

أمير المؤمنين، الفاروق الأعظم

مع أنه كان خليفة

إلا أنه لم يَعتَّد بالخلافة لحظة

كان غلام يقوم على خدمته

فكان يتحدث إليه بالحسنى

كان يقول له: الموت، الموت!

حتى لا يفوت لحظة من عمره

الشخص الذي يهتم بأمر الموت

كيف يكون خليفة على العالم الكثير المتاع

كان يجمع الحطب بنفسه ذات ليلة

ويحمله إلى امرأة عجوز

من رأى سراج الخلد الجامع للحطب؟

من رأى سراج دين مضيئًا مثل هذا؟

لما كان الدين لب دماغه

فقد وضعوا كثيرًا من الزيت في سراجه

لما لم تسع الدنيا ذلك النور

صار سراجًا بين الجنة والحور

إذا كان في قلبك غبار بسبب الفاروق

فإنك مضطرب في طريق الدين

لماذا تضيء سراجًا في خصومة؟

يضيء به البستان مثل الجنة

اطعن نفسك بالخصومة

واذهب، وافقأ عين إبليس، واصبر

لما صار إبليس أعمى بسببه في أول الأمر

صار قرينًا لك في الخصومة

فتح بلاد العجم، وهذا فتح دائم

مثلما فعل الرسول مع العرب تمامًا

العجم أولئك الذين كانوا يهودًا وزردشتيين

اختطفوا منه كرة الإسلام

الشخص الذي أسلم أجداده على يد عمر

لماذا تحيد عن حبه اليوم

الشخص الأعجمي

أسلم بفضل سعيه، وصار عالمًا

ما دام قد أقر بسعيه

لماذا خرج عليه منكرًا؟

إذا لم ينشر الإيمان قط

لما كان في العجم مسلم قط

الشخص الذي اتخذ الإيمان رونقه منه

كيف يقال له: إنه لم يكن على حق

في فضيلة أمير المؤمنين عثمان بن عفان

عالم المعرفة، بحر العرفان
أمير المؤمنين عثمان بن عفان
الحياء بحر لا شاطئ له
ولكن ليس هناك جوهر فيه سوى عثمان
الشخص الذي اصطحب القرآن دائمًا
كيف لا يكون الحياء حرفته دائمًا
قلبه عالم طاهر بالعلم والتقوى
أنيس النبي، وجليس القرآن، التقي
أَحْسَنَ إلى النبي إحسانًا بلا عدد
وكثيرًا ما عاونه في وقت العسر
اختاره الرسول صهرًا
فلم يرده؛ ما دام الرسول قد اختاره
لما كان مقبولًا في القرآن وعند الرسول
فإذا لم يكن مقبولًا لديك؛ فإنك فضولي
صفا جوهره الطاهر إلى حد أنه
سبح في بحر القرآن
حين ضحى قلبه الصافي بالروح الطاهرة
نظم الدُرّ بالكلام الصدق في عفة
كل كلمة كان يقرأها في القرآن
كان يقرأ مائة ورقة من الروح عن أسرارها
ولكن ما إن أمسك بورقة من أوراق الروح
حتى كان يرفع علم الحبيب في العالم

كان العالم معنى كلامه

كفاك الكاف والنون دليلًا

لما أضمر عالمًا في كل كلمة

فانظر كم تبلغ سعة الروح؟ وكيف حفظ الكلام؟

هكذا تسببت كل نقطة في القرآن

في أنه نزف الدم من عينيه نقطة نقطة

كان يحيط بالأسرار في كل نقطة

وكان يدور حول النقطة كالفرجار

ما دام عثمان قد وضع ذلك الأساس

فإن ثواب الجميع يرجع إليه

في فضيلة أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب

فلك المعرفة، والشمس المنيرة

أمير المؤمنين، وكرّار الصفدر

إمام أرباب البصيرة المطلق

وشمس المخلوقات في العلم

لما كان أسد الحق؛ فقد ملك علامة الحق

وحاز السبق في الرجولة والمروءة

حين ينزل الأسد في كوكب الشمس

يبقى عليّ كالشمس

لما كان حيدر أصل أهل البيت

بلى فإنه *الباب المناسب لمدينة العلم*(١٠)

لما جاء دين النبي مدينة للعلم

لو أن لها بابًا، فحيدر بابها

لما كان بيت شمس ذي الجلال

لو تسميه أسد الله؛ فهذا حلال

هكذا قال: لقد منحني الحق تعالى

الكمال في العلم بالدين

لو أكتب تصانيفًا في أسرار باء بسم الله

لزادت عن عشرة أحمال بعير

أدرك في كل كلمة من كلام الصانع المنزه

آلاف المعاني في كل لحظة

حين طَلَّقَت الدنيا روحه

ربما بقي خاتم عنه

أرسل الله له سائلًا

وقف، وتقدمه في الصلاة، وقال:

الدنيا سجن الروح في دينك

وأنت تعلم أن هذا الخاتم بسبب ذلك

لما اطلع على هذا السر العالي

منح السائل الخاتم في صلاته

لما كان له حضور تام في الصلاة

علم الطاهر بإخراج الرماح

الشخص الذي هو ظمآن في الحقيقة

شبع تمامًا من أمر الدنيا

لو يلزمه ماء لتشربه الروح

يستطيع أن يشربه من يد ساقي الكوثر

العزيز الذي له عينان مبصرتان بالطريق

حفظ ثلاثة أرواح من أربعة رفاق صادقين

لو يصيبك ضر من سم البدعة

فترياق الأربعة أنفسهم مفيد

في فضيلة أمير المؤمنين الحسن عليه السلام

الإمام الذي كان حسن الإمامة

الحسن الذي أحسن الجميع الظن به

إنه الحُسن كله، والخلق كله، والحلم كله

واللطف كله، والجود كله، والعلم كله

بدت البحار السبعة ثمانية بسبب جوده

ودارت الأفلاك التسعة شوقًا إليه

كان رابع الأنوار الثلاثة الشديدة الإضاءة

لذلك طاب له كل شيء

صار جوهره مربعًا بأولئك الثلاثة

أصبح المثلث مثنيين على صدره

لما ورث ميراثين مسكيين من أولئك الأشخاص الثلاثة

حفظهما مثل الروح في الجسد

كان قلبه المنير بحر الدين

كانت خصلتاه شصين عنبريين

لما طرح ذلك الشص في البحر والبر

سقط الجميع فيه من الأرض حتى السماء

له وجه مثل النهار، وطرة مثل الليل

الشخص الذي شاهدهما، تعجب

لما كان يتأوه من القلب بسبب الغم

كان الليل والنهار يحزنان عليه

أظلم الليل بسبب شعره الأسود

واندهش القمر المنير من وجهه

شفتاه قائم مقام حوض الكوثر

الذي كان حوض النبي العذب

هكذا دنسوا العسل بالسم

وصفّوا كبده الدامي وقلبه

لما تمزق كبده بفعل السم إربًا إربًا

أدمى الحجر الصوان من الغصة

لم يتخضب قلب خصمه بدم الكبد

ولكن دم القلب تجمد ألمًا عليه

في فضيلة أمير المؤمنين
الحسين عليه السلام

الإمام الذي هو شمس الخافقين

الحسين هو الإمام من السماء إلى الأرض

جاء ملكًا للدنيا مثل الشمس

ولم يخلفه معصوم طاهر

لما كانت تلك الشمس أصل العائلة

فإن الأفلاك التسعة تدور من أجلها

سراج سماء المكرمة

دنيا العلم وبحر المعرفة

ترك العالميّن بالهمة

ولكن نوره فاض على العالم بأسره

كان وجهه الشمس الإلهية

والليل المظلم من سواد شعره

الشخص الذي أراد الشمس والظلمة معًا

فقد استقاما معًا بالحسن والحسين

جعل الحق الأئمة اثنيّ عشر

ليصنع كل واحد حجابًا من العصمة

لذلك وُجد اثنا عشر حجابًا

لكن الحجاب الحسيني كان حجاب الأنين

سلك هذا الطريق وإن ابتلى

ولكن سُفك دمه في كربلاء

إن كنت من أهل حجاب الأسرار

فاصرخ متألمًا من هذا الحجاب

كثيرًا ما سفك أهل الملامة الدم

ولكن هذا الدم لن يجف حتى يوم القيامة

إنه كل دم رأته العين على وجه الزمان

وهذا الدم باق

لما كانت ذاته شمسًا دائمة

كان الشفق باقيًا بسبب دمه

لما غربت شمس الدين تلك

دار الفلك في ذلك اليوم مثل الفرجار

في فضيلة الإمام أبي حنيفة

أتعلم من هو إمام العالم والخليفة أيضًا

ألا إنه أبو حنيفة

دنيا العلم وبحر المعاني

الإمام الأول ولقمان الثاني

لو أن أعداء الدين جموع كثيرة

فإنهم صاروا كالشمع بفعل أبي حنيفة

كان ذلك الجليل سراج الأمة

السراج الذي يضع له العدو الوقود

عرضوا عليه القضاء فجأة

فلم يقبله؛ لأن روحه شفافة

اعتد بالقضاء والقدر

ولكنه وجد هذا القضاء في القدر

ما دام نعمان الحق أحمر الوجه مثل الشقائق

ماذا يفعل بالقضاء؟ أحاله إلى تلميذه

خاصمه القضاء

وكل شيء في يوسف حسن

ما دمت يا يوسف كافيًا لقضاء هذا الزمان

فكفاني أنا القاضي الأكبر الخالد

ما دام محمد قد أوفى الدين حقه

فقد أخلص لمحمد، وأوفى الدين حقه

كان أستاذًا في أسرار الدين

ما دمت قد تجاوزت القرآن والأخبار

لو أنه في الفقه مائة جامع كبير

فقد كان ذلك الجامع الصغير لأحد تلاميذه

كن مجردًا إن كنت كوفي الشعار

ولما تملك ألف شيء، انثره

يلزمك طريق كوفي، فسر

إنك تعرف الألف، فكن مثلها مرة

في فضيلة الإمام الشافعي

الشخص الذي هو ابن عم المصطفى

تليق به الإمامة في الكونين

كان لرسول الحق ابنا عم

كانا كلاهما نورًا خالدًا لدينه

ظهرت الإمامة عند ابن عبد المطلب

كما ظهرت الخلافة عند ابن العباس

إذا كان أهل الطريقة مئات الآلاف

وإن كانوا مائة، فإنهم لا يعترفون إلا بطريقه

اعلم يقينًا أنه سلطان الجيش

ودليلي هو: الأمية من قريش

ما دام ينبغي عليّ الحفاظ على دين صدر العالم

فيجب عليّ أن أقدم القرشي

ما دام قلبه لا يحاسب في الحضرة

فكتاب أمته أم الكتاب

لو يسلك الطريق إلى البحر يومًا

يضل، وعندئذ يدرك البحر

لما تبحر في دين النبي

حل ذلك البحر محله، ومضى هو

لما جرى ذلك البحر في مكانه

سمي بالقرشي، وبمحمد لذلك

صار محمد جوهرًا على لسانه

وكذلك صار كلام الحق عن عمر

إذا لم يمحه النبي

لما كان لحديثه وآياته نظير

لما حل حديثه ذاك محل هذا

اعتدلت قامته بصاحب الحديث

كان جد القريشي إدريس

جرى ماء الطريقة من جنة هذا المذهب

لما أسس إدريس هذا المذهب

اعلم أن ثمنه الجنة، وأن أعداءه هم الأبالسة

وضع النبي كنز الرحمة كله

وجعله نصيب أبي حنيفة

جاء الشافعي، ولما رأى ذلك الكنز العالي

نثره عليه في الحال

لو أنك لا تحفل بنصيب من المحبة الكوفية

فليس هناك سوى منزل خرب

ما دام لديك الشافعي وأبو حنيفة

فأنت مالك الدين، والخليفة أيضًا

وإن كان لك هذا، ولم تحظ بذاك

فإنك تملك قلبًا، ولكن لا تملك روحًا

لما كانا الاثنان عينيّ الدين

فاذعن للعينين المبصرتين للطريق

إذا لم تحظ بالاثنين معًا

فإنك لا تحظى بعالم من عالمين

ماذا تقول؟ الاثنان واحد

وأنت أحول تراهما اثنين

لو تكُن لهما غضبًا في قلبك

فعيناك ضريرتان، لو أن لك عينين

في مدح السيد سعد الدين أبي الفضل(١١)

هو محبوب الله وحبيبه

أبو فضل الزمان ابن الربيب

السيد سعد الدين هو القلب والدين

وقلبه اليوم شمس منيرة للعالم

تقلد أبوه منصب الوزارة في خراسان

ولكنه تخلى عنه؛ لأنه ثقل عليه

مثلما ترك إبراهيم بن أدهم(١٢) الملك

فالملك والخلافة حبة شعير بالنسبة إليك

ثورة الخلق في قلبه

وثروة العالمين حاصله

لا يعرف العالم مقدار طرف شعرة عنه

من يعلم قدره؟ وهو نفسه لا يعلمه!

ما دام الحق قد أنزله تحت قباب لا يزالي

فإنه يعلم مكانته العالية

إنه اليوم قطب الأولياء حقًّا

وهو من خاصة الله في حرمه الخاص

لو كان هناك أوتاد(١٣) اليوم أو أبدال

فإنهم يدركون الأحوال اليوم بسببه

كل علم مثبت في لوح العالم

بلغ فيه أقصى غاية

كمال فضله وعلمه ليس خافيًا

ولكن لا تراه عين أعمى القلب

ما دام قد اهتم بالمعلوم دائمًا

فإنه أهمل كل شيء

لما كان صاحب الشافعي في الشريعة

كان شافعي الطريقة حقًا

عاين أسرار الفقه والأصول جميعها

بنور رسوله

أسرار القرآن كلها عيان له

وتعلم العلم المطلق

كان يشرب الماء مرة في الشهر تقريبًا

قس على هذا طعامه ونومه

ماذا أقول عن طعامه؟ وكيف كان؟

كانت تكفيه لقيمات كل يوم

نطق بالحكمة وهو في الثلاثين من عمره

واعتزل واحيدًا

ترك العالم بأسره

واضطرب، واعتزل

يا إلهي! إنك، قادر وتستطيع

أن توصله إلى أوج الهمة

اجعل لي نصيبًا من بيدره

واجعل قلبي مبصرًا للطريق بنوره

سبب نظم الكتاب

ألا يا مبدع المعاني

ابسط ظلال صاحب القران

ما دمت تعرف السبيل إلى عالم التحقيق

فاطلب التوفيق من خالق العالم

ما دمت فريدًا في زمانك

وتحظى بالعلم؛ فلماذا لا تجهر به؟

ما دمت بليغًا في القول

فلماذا أنت صامت يا حلو اللسان؟

هكذا أحسن القول؛ ليتفوه كل لسان

في العالم بقول: أحسنت

اقض على الصمت بالكلام

وأطلق اللسان، ودعك من الصمت

اجهر بقول نوع من الكلام

فإن نطقك ببغاء ينثر السكر

ما دمت تنثر الدُرّ والجوهر

فلماذا تتجنب نظمه؟

كل ما أريده منك أن تتحدث بالأسرار

لا تنقص ولا تزيد

غص في بحر قلزم الخاطر المملوء بالدُرّ

واستخرج الجوهر

يمكنك التصنع في كل بيت
تصنعًا تقبله كل طبيعة
اجعل الصنعة لنفسك
واحك الحكاية للعامة
عدَّ كل رفيع، الكلام قوة القلب
ولكن الصنعة حياة روح الكلام
الأفضل لحياة الروح وقوة القلب أيضًا
الحكاية ذات الصنعة المعتدلة
إن بقيت هذه القصة لنساخ العالم
يكتبوها بالذهب
العظماء الذين صعدوا إلى السماء
يكتبوها بالذهب على اللوح المحفوظ
أقسم بالله لو أنها جديدة أو قديمة
لأفاد النساخ من هذا الكلام اللطيف
لا يملك أحد كلامًا بهذا الأسلوب أبدًا
انظر بحق الحق على أي نحو هي
تدبرتُ الأسرار القديمة
وجئت بخلاصة الكلام
لماذا تقرأ كتاب القصص
اقرأ الشيء الذي تفهمه حين تقرأه
ما دام هذا السحر حلالًا أيها الفريد
حرام عليك لو تقرأ التعاويذ
كل عاشق غرقت روحه في العشق
كانت هذه القصة اللطيفة قصة معشوقه
كل شاعر ظل بلا نصيب
تكون أستاذًا له، حين يقرأها
كل عارف بهجره أنيسه
يُخرج منها عالم نور

إنها بستان أصحابي بعدي
وهي قصة جذابة حقًّا
سميتها «خسرونامه»
باسم ملك العالم
يا إلهي! لقد نظمت كثيرًا من الدُرّ في كل موضوع
فاحفظني من الأغيار
احفظ الدُرّ الوضاء في درج القلب
واجعلها مضيئة في عين العقل كالنهار
احجبها عن أعين العميان
واجعلها نورًا في عيون أهل البصيرة
احفظ هذه الكلمات كذلك
حتى لا يُحرِّفها أحد
استرها عن قبضة المحتالين
داخل كل قلب، واحفظها من السوء

* * *

ذات ليلة أبهج من نيروز الربيع
كان ضوء القمر يسطع متلألئًا على الروضة
في تلك الليلة كان المشترى ينير من القوس
وكانت الدنيا تشع نورًا كالفردوس
كان الكأس في يد الزهرة
وفي المقابل ثبت المشترى في مكانه
النظر إلى الكواكب أمر محمود
وتعليم الخواطر الحكمة أمر صعب
كنت قد جلست، ووضعت شمعة
وكانت جماعة قد أنصتت إليّ

صَفيْتُ ذهني
وطويت خيال العشق
تحدثنا كثيرًا في كل شأن
وكشفنا كثيرًا من أسرار كل علم
لما نظمنا الأشعار في النهاية
انشغلنا بأمر قد مضى
لي رفيق رفيع الشأن
قلبه كالشمس، ومتذوق للشعر
لما كان يسمع بيتًا من شعري
كان يفتن بسبب فضلي
ولما كان يتدبره مرة أخرى
كان يرقص من الحيرة مثل الصوفي
تعلم من شعري ما طاب له
«مختار نامه» كُلها من الرباعي
وحفظ من أقوالي الثمينة
أكثر من مائة قصيدة أيضًا
وما يقرب من ألف غزلية وقطعة أيضًا
وما تيسر له من كل نوع
ردد منظومتي «جواهر نامه»
وبذل الروح بسبب «شرح القلب»
لما كان يقرأ بيتًا من ديواني
ماذا أقول؟ كان يبقى كالواله
كان يقول لي: أيها العالم بكل مسألة
ألا ترفع الضرر؟
لو يمدح ذلك البحر- الذي دُرّه الروح الطاهرة-
أو لا يمدح، فما الخوف؟
ليتملئ مثل هذا البحر بالدُرّ دائمًا
ولتنتثر مائة حبة في سبيل كل دُرَّة

في هذه الليلة كان رفيقي إلى جواري

وكان الدخان يتصاعد إلى رأسي من نار قلبي مثل الشمع

قال لي: يا من نورت العالم بالمعاني

وانشغلت بالطب ليلًا ونهارًا على هذا النحو

الطب من أجل جسد كل ضعيف

ولكن الشعر والحكمة قوتا الروح

مضت ثلاث سنوات منذ صمتت

واعتزلت زاهدًا ذابلًا في زاوية

لو أن الطب في كتاب القانون

لكن الإشارات في الشعر والمعمى

ما دمت قد ملأت الدنيا بكل شيء

فابدأ الليلة في نظم القصة

فإنني حصلت اليوم على نثر بديع

لبدر الأهوازي

قصة شيقة للغاية

وكلام بديع من كل نوع

ما دمت فريدًا في الكلام بلا شك

فاظهر بلاغتك

انظر إلى الشمس المحتجبة

وانشر ضياءك

ما دمت صاحب أسرار؛ فافش هذه الأسرار

ولا تخيب رجائي، وانجز العمل

صاغ كثير من السابقين القصص

هل قالوا مثلك؟ لا لم يقولوا حقًا

ينشرح الصدر بالقول

ويكون مثل دقيانوس، ويبقى طويلًا

كل شعر يعمر عمر نوح

يحيي الأجساد كلها مثل عيسى

ما أطيب أن تنظم در الكلام!

وتجدد النفس البالية بالمعنى

ماذا يحدث لو تستعير القصة

ولكنك تملك عالمًا من الأسرار

لا تهتم بالقصة، وتمعن أسرار الكلام

وادرك الفرق بين قول القائل، وقائل القول

يحسن الحق تعالى القول للغاية

ويتحدث عن يوسف ويعقوب[١٤]

هكذا صار حال مخلوق من مخلوق

وعلى هذا النحو صار حال عاشق من معشوق

لو تسهب في الحديث عن الشخصين كليهما

تفي الكلام حقه

اجعلها أنت أيضًا طلسمًا وحجة

ويمكن معرفة المكر من خلال الحكاية

يمكنك قول الكلام ما دام في مكانه الصحيح

ويجب عليك نظم هذه القصة بلا شك

إنك تعرف أسرار الدنيا، فأفشها

وانتقِ كل لفظ، وأحسن البيان

لو يرد كل بيت في موضعه

توفق في عملك كله بالدعاء

لما سمعت هذا القول من ذلك الرفيق

اضطربت لما سمعت اسم شيرين

لما كانت لذلك الصديق مكانة كبيرة عندي في الحقيقة

قبلت كلام ذلك الرجل العاقل

أمسكت القلم

وبقيت كالورقة المطوية

ماذا أقول؟ كل بيت قلته

ابتهجت كالوردة مسرورًا به

عكفت على الكتابة ليلًا ونهارًا

ونثرت الدُرّ الوضاء بالقلم

حكيت حكاية، وتحدثت عن فتاة

وصغت المعاني، وقلت كلامًا طيبًا

قرين النور الطاهر ذلك التقي الذي

يتذكر هذا القائل بالدعاء

في شرح هذه القصة

ألا أيها الجوهر القدسي! أين أنت؟

لست فوق العرش ولا على الكرسي، فأين أنت؟

لست في الكونين، ولا في العالمين

إنك متحير بين الإصبعين

لو أنك تملك الدنيا، وتملك الدين

فإنك تحظى بمعشوق فضي الصدر

بما إنني أتحدث، فأدرك هذا الكلام

وعلم نفسك ذلك الفناء

لما يقع الأمر، وتكون محرمًا

فإنني لو أحدث قلبك، فالمقصود أنت!

لو أجعل الشعر رداء الأسرار

فصر أنت محرم الأسرار، وأطح بالرداء

الآن لو فعلت أنت، ما قلته أنا

أنثر عليك كل دُرّ نظمته

لي رفيق يملك قصة

انشغل بأمري، واتصف بالشهامة

قال لي: ما دامت «خسرونامه» اليوم

تحظى بنور ملكي ساطع

ومع أنها قصة لطيفة للغاية

ماذا أقول؟ إنها قصة قصيرة لكنها طويلة للغاية

لو تختصر هذه القصة

لا تبقى أية شوكة في ذلك البستان

لما يتغلغل القشر واللب في الأسرار

يكون الزيت كله عذبًا لطيفًا

لما كانت «خسرونامه» في أول الحال

توحيد ونعت وعظة وأمثال

لما نظمت «اسرار نامه»

بدأت موضعين بشيء واحد

مع أن السادة هم الذين

بحثوا عن طريق التوحيد والنعت والنصيحة

لكنهم اختصروا القول في ذلك الشأن

وهذا ليس خافيًا، فانظر هكذا هو

لقد منحك الله هذه القوة

وليس لك مثيل في التوحيد والنعت

لو تتحدث في التوحيد والنعت

يكفيك هذا الإحسان جزاءً

لما أثنى رفيقي على هذه القصة

هكذا كنت أنظم القصة التي تحدث عنها

اخترت مختارات منها

وانتخبت فصلًا من كل باب

تحدثت عن نعت الله وتوحيده

ونظمت دُرّ الحكمة في كل موضوع

لو أصابك شيء منها بضرر

حولته عن الطراز الذي كان عليه

بعض الكلام الذي اشتهر مثل الذهب

وضعته في النار، حتى صار ماء الذهب

«مصيبت نامه» هي بلاء عالم

و«الهي نامه» هي الأسرار الجلية

بدأت المنظومتين في دكان العطارة

ماذا أقول؟ لقد أنجزت هذه وتلك بسرعة

كان في الصيدلية خمسمائة مريض

كنت أقيس نبضهم كل يوم

تحدثت معهم جميعًا، واستمعت لهم

ولم أر كلامًا أفضل من هذا الكلام

إذا كان هناك عيب، فماذا يحدث لو تستره؟

وما دمنا لا نحسن القول؛ فلنصمت

«مصيبت نامه» زاد السالكين

«الهي نامه» كنز الملوك

«اسرار نامه» عالم المعرفة

«مختار نامه» جنة العارفين

لكن مقامات الطيور

معراج روح طائر العشق

ما دام لـ «خسرو نامه» طراز عجيب

فللعامة والخاصة نصيب منها

الآن انصت إلى الكلام؛ حتى أفشي الأسرار

وأشرح المعنى في مغزى القصة

ففي كل مسألة مائة معنى مستتر

لكنه عيان لعين العارف

بداية القصة

ألا أيها البلبل المغرد!

إنك تحيي الروح تارة، وتجعلها تحتضر تارة أخرى

إن وجهك مثل وجه يوسف، وصوتك مثل صوت داود

فابدأ زبور العشق مثل البلبل

يلزمك في قصة الوردة

ألف نغمة مثل البلبل

تضطرب كثيرًا بسبب البلبل؛

لأنك تقدم على شرح عشق الوردة

ما دمت تملك لسانًا فصيحًا ناثرًا للجوهر

فتعال أيها الغيم الروحاني الممطر للجوهر

وتحدث بالحديث الذي حفظته.

هكذا تحدث ذلك البليغ، وقال:

كان هناك ملك خضعت الدنيا لأمره

وأذعن له العالم كله مثل سليمان

ملك كان الفلك دار ملكه

ولكنه شمس الأرض وقمرها

كان يدور في عظمة مثل الشمس

ويطوف بين أرجاء الأقاليم السبعة

يمكن الإسهاب في الحديث عن جنسه ونسبه

وقد كان أصله من أجداد الإسكندر

كان ملكًا للعالم مثل الإسكندر

واحتشدت جيوشه في الروم بأسرها

من كثرة الجند؛ قرر أن

يكون مقامها في مكانين كل سنة

كانت له جزيرة في وسط البحر

حفظ فيها الملك كنوزه كلها

كان إيوانه يناطح العيوق

ولم تكن تبصره عين مخلوق

وقف طائر الهما فوق القصر في شموخ

وكان يحلق في الفلك مع نسْرَيْن

كان الملك يجلس هناك مسرورًا

وكان يقضي فيه ثلاثة أشهر في كل سنة

لما كان يحل فصل غير معلوم من السنة

كان يبحر بسفينة نوح الدين إلى بلاد الروم

كان له قصر فخم أيضًا في مدينة سنبل

قلما كان يخلو من الورود

لما كان ملك البحر والبر في الحقيقة

فقد سافر في البحر تارة، وفي البر تارة أخرى

خضع له العالم حقًّا

وقد كان مسيحيًّا، وكان شفيعه روح الله

لا تسأل عن عدله في بلاد الروم

ولو تسأل عن اسمه؛ فهو قيصر الروم

كانت البلاد كلها عامرة بسبب عدله

وكأن أرضها مثل سمائها

لما كان العدل والإنصاف هما عمله وحرفته

فقد كان يحكم دائمًا بالعدل والإنصاف

من كثرة العدل والإنصاف اللذين نشرهما في العالم

جعل الدنيا القاسية حسنة الطبع

لما كان محقًّا؛ فقد قضى على الإلحاد
ولم يسفك دمًا بغير حق
لم يترك الفراشة حول الشمع ظلمًا
أو يدع خرابة لبومة
إذا ملأ طفل طستًا بالذهب
وطاف به في بلاد القيصر
لم يجرؤ أحد أن يسأله
أهذا ذهب أم تراب؟ خشية من الملك
هكذا كان يبسط يديه بالعدل
إلى حد أن الريح رَبَّت على السنبل
كانت الريح لا تعصف خشية منه
ولم تكن تخطف تاج الوردة
إذا كانت ريح تهب بشدة
لا أعلم بها؛ حتى كانت تطفئ سراجًا
مهما بلغت قوة رجل ضخم البنيان
فإنه لم يكن يؤذي نملة على الأرض
مع أنه كان ملكًا عالي القدر
إلا أنه كان يتحدث بلطف مع المساكين
كان حكم الملك حسنًا؛
لأنه كان يزهد في الملك
لا ضرر عليك من الخلق الحسن
ما دمت لا تسخر من قول
اللسان الذي يقطر ماء الذهب
اشترى صاحبه عالمًا بدون ذهب
يشتهر الملك العزيز بين العقلاء
بحسن السمعة؛ لعدله وخلقه
لا تظلم، وتذكر كلامي هذا
واخش آهات الشيوخ المسنين

لا يستطيع السيف ولا السهم أن
يسكت آهة قلب الشيخ في وقت السحر
لو أنك ملك، لا تجعل ذرة تيأس
من عطائك مثل الشمس
القيصر الذي كان عادلًا ومنصفًا
لم يكن يظلم، وكان يحكم بالعدل
جيشه في كل ديار
لا يحصى
صار الهلال طغراء وزرائه
ويُعلِّم عطارد كُتَّابه الكتابة
أنجز الحكماء التقويم له مخلصين
وقسموا الأفلاك التسعة بالفكر
كان كنز قارون صدقة من كنزه
وكان حلقة مفتاح كنزه كذلك
نامت عيون الفتنة بسبب عدله
صار السحاب الباكي بحرًا عميقًا بسبب جوده
كل بلد كان الملك يقود جيشه إليها
لم يكن الجيش يرى أحدًا في تلك البلد
كان قائد طلائع جيشه ينتصر؛
فكان الفلك يقبل تراب قلنسوته
ماذا لو حقق مراده وانتصر؟
فلم يكن له ابن عزيز قط
لما عشق الملك الحر
تعلق بابنة ملك
لم يكن هناك ملك يخلفه على العرش
ويبقى تذكارًا من بعده
واحد يضيق بالولد
وآخر يرغب فيه

واحد يتمنى الطفل دائمًا

وآخر عنده عشرة أطفال، ولا يملك رغيف خبز

العجب من أمر الفلك الدوار!

فإنه يصيب كل شخص بنوع من الأذى

الناس جميعًا سواء أكانوا موجودين أم معدومين

لا عمل لهم سوى مكابدة آلامه

بقاؤنا بلاؤنا

وراحتنا في فنائنا

استدعى الملك الحكماء ذات يوم

بسبب التفكير في الدُرّ الوضاء

وقال لهم: إن نصيب كل شخص منكم

دُرّة مختلفة من الدرج الذي هو الفلك

ما دمت أنا الملك، وأحافظ على مُلك

هذا الدير القديم فحسب

وقد سجدت في الربع المسكون

وجدت بالعشرة على البحار السبعة مسرورًا

لو أن الفلك لا يدور وفق مرادي

فإنه لا يدور ما لا يصبح غلامي

إن طالعي حسن في الكواكب هكذا

حتى إن عين السوء تحترق بالنار مثل البخور

وعلى هذا النحو فإن لي نصيب من دورة الفلك

وأندهش من كل من يضيق بذلك؟

تجعل همتي جنة عدن

طستًا مثمنًا عند الغسل

وتجلب الحور العين الماء من الكوثر لي

وتضع لي كرسيًا في الفلك السابع

إن انطويت على نفسي غاضبًا

تجلب نار الغضب الماء إلى عيني خوفًا مني

لو يرى الجحيم لهيبي، يفتر بسبب الخجل

وهو مطمئن

لعمري إن سعت الدنيا للحرب؛

لضاقت بالجند الذي أجلبه لها

جاءني أتراك الخطا دائمًا .

أخطأت. والصواب جاءوني خدمًا

كيف ترى عين الروح في المنام

شابًا له مثل حظي في اليقظة

أملك الشباب وملك سليمان

وما دمت لا أملك الولد، فما الفائدة؟

يلزمني حين أتهيأ للرحيل

من يكون لي تاج، وأمنحه العرش

من الذي سوف يأتي للملك بأمير

بهيّ الطلعة، ميمون الأصل؟

ينظم جوهرة في سلك الزمان

ويقول كلامًا خالدًا

ينثر الذهب بالعلم كالنار

وأية نار، إنها كماء الذهب الخالص

هكذا يقف فوق الأفلاك

فتضع الأفلاك وجهها على ترابه

لما يرتدي الملك الجديد قباء الملك

يضع الهلال التاج على جبينه

هكذا يعتريه حال من الرجولة

فيبدو له رستم مثل زال الطاعن في السن

هكذا يمنح الشبيه بنافجة المسك ذلك العطايا

حتى إن البحر يبدو بالنسبة إليه مثل ينبوع جاف

كان جمال يوسف بديعًا في مصر

حتى إنه كان يساوي النيل في كماله

ولكن ميادين الجفاء السبعة هذه

تجعل أعتابها شديدة القرب منه

ما إن ينهض من أمام تلك الأعتاب

حتى يجلس بعد ذلك مباشرة

حين بُشر قلب الملك بهذه البشارة

كان يقول لنفسه: لقد حل السرور

سر الملك

وملأ أفواه الحكماء بالذهب مثل الورد

هكذا نثر الذهب والفضة والجوهر

حتى عجز الجامعون عن جمعها، وبقت

العجائب كثيرة خلف الحجاب

إنك لا تعلمها، ولكنها ميسورة لك

إذا لم تتضح لك

لَمَا أصيب قلبك بهذا القدر من التشتت

* * *

كانت للقيصر جارية في الإيوان

اشتراها له حارس هندي

لم يحظ إنسان في بلاد الروم وبغداد

بجمال تلك الحورية الحسناء

كانت شفتاها دواء أرواح العاشقين

وكانت كتابًا مبهجًا للمحزونين

فمها مملوء بالسكر مثل وعاء النقُل

ماذا أقول؟ إنه صغير مثل حبة الرمان

في شعرها آلاف العناقيد المسكية

تتناثر حول وجهها كالسنابل

شعرها مغسول بالمسك الخالص شعرة شعرة

ووجهها مغسول بماء الحياة

طُرح طاق على الفلك من حاجبها

ونُثر المسك في الصحراء من جديلتها

عارضها له نعومة الحرير

ووجهها زهر الرمان، ولوّن الورد

ذهب القيصر إلى الإيوان ليلًا

وكانت تلك الحسناء القمرية الوجه قد جلست فيه

لما رأى الملك وجهها الجميل

شغف بها قلبه الثمل

قال لها بلطف: أيتها المحبوبة! احتضنيني

وقبّلي رأسي قبلة أو قبلتين بدون تأخير

قفزت الجارية من مكانها أمام الملك

ووضعت وجهها على قدمه مثل الجديلة

كان الملك يحمل السكر من قندها

كان يتناول السكر، ويفعل أمرًا آخر

لما نصب الملك الخيمة على التل الفضي

انقسم درج الدُرّ إلى قسمين من الياقوت

لما نفد لبنهما وسكرهما

حملت الجارية من الملك مرة واحدة

وبعد أن مضى أسبوع على هذا الأمر

ابتعد الملك عن ذلك البدر

خرج الملك من الجزيرة مثل الريح؛

لأن رسولًا جاء إليه في الصباح، وقال:

إن كافرًا يقصد بلاد الروم

وهو يعني مجوسيًا مجهولًا

ترك الملك تلك الحسناء، وخرج

وذهب إلى البحر؛ فجرى فيه مائة نهر دم

جاء جمشيد الثاني ذلك إلى مدينة سنبل

مثلما جاء الإسكندر بماء الحياة

كان الجيش الشبيه بالنمل كله طوع أمر القيصر
مثل جيش سليمان
أظلمت الصحراء بسبب جيشه
وبهت القمر خوفًا من الملك
هكذا غرق الجواد في الحديد
من أذنيه حتى ذيله وحوافره ما عدا عينيه
كان الجيش الشبيه بالجبل يمضي أفواجًا أفواجًا
مثلما الأمواج المتلاحقة على سطح البحر
انكسر ظهر القمر بسبب الجند
وتألمت بطنه
لم يلق الدرع خوفًا من ذلك
ولكنه صمد
لما مضى القيصر، كانت تلك الجارية الجميلة
تتدلل بولد مبارك، وتقول:
إذا أصبحت أم الولد
أصير مثل غصن نضر قوي
أصبح مثل غصن نضر يثمر الفاكهة
وأتخلص من الفقر مرة واحدة
وإن نما غصن بدون فاكهة
يُحرق؛ حتى يثمر مرة أخرى
الآن انظر كيف تلاعب الفلك المحتال
بالأمر
كانت للقيصر زوجة
عمى قلبها بسبب الحقد
كان لها ألف جارية
من بينهن مائة خادمة ومائة وصيفة
لم تكن ترى نعمتها أقل من نعمة قارون
وكانت ترى مقامها أعلى من مقام القيصر

كان لتلك الدُرَّة وجه مثل القمر
ولم تكن تنظر إلى القمر بسبب التكبر
كانت حلوة مثل السكر الذي يقضي على المرارة
وكانت الدنيا قبيحة في عينيها بسبب البهاء
علمت بأمر تلك الجارية
وكانت تفكر في أمرها قائلة:
لو يكون لها طفل من القيصر
يصير أمري كله ألعوبة في يدها
ترفع أنفها أعلى الفلك
ويحجب سراجها الشمس
ترقص من السعادة
وتقيد يديّ على الخشب اليابس
ما دمت أرى الدخان المتصاعد من النار في هذه اللحظة؛
فإنني أرى الفائدة في أن أخمد هذه النار
ما دمت تستطيع أن تصنع عرشًا من الخشب
لو تهمله؛ يصير قطعة حقيرة
حين ينقضي زمن في الغفلة
يصير ذلك الخشب عرشًا، عندئذ تحفظه
يجب أن تتخذ العقل مرشدًا
يجب أن تنجز مثل هذا الأمر الآن
ما دمت تطلب العون- الذي يلزمك- من الصاحب
فانجز العمل الذي ينبغي عليك في وقته
استدعت السيدة جارية، وقالت لها:
اصنعي العلاج، وخذي الدواء
وامزجي دواء هذا الداء بالحلوى
وامنحي الحلوى لعذبة الشفاة، وعودي
لعل ذلك الطير السعيد يلفظ- بفعل هذا الدواء-
الطفل مثل طائر مذبوح

أحنت الجارية ظهرها كالفلك
وابتسمت كالصباح، وقالت عندئذ:
لو تملك تلك الحسناء رحمًا مثل البرعمة
أجعل دمها يسيل على قارعة الطريق كالوردة
قالت الملائكية الوجه هذا، وخرجت من أمام
تلك الماكرة مثل الحلقة على الباب
لما خرجت تلك الحسناء، فكرت
ولم تعر ذلك الكلام اهتمامًا
وقالت: إن ضعفت اليوم أمام هذا الأمر
ابتليت بمائة شدة غدًا
لا ينبغي عليّ الإساءة إلى بريئة
ولا يجب عليّ أن أحفر بئرًا لنفسي
لا يوجد ذنب أسوأ من هذا في الطبيعة
فلا تفعلي هذا الصنيع مع بريئة
لو يعلم القيصر
يجعلني أدور في دمي كالفرجار
حزنت
ومثلت أمام أم الولد
وقالت: إنني سمعت من الخاتون اليوم
أنك تحملين دُرَّة وضاءة في أحشائك
أمرتني السيدة بإيذائك
وبأن أسقط تلك الدُرَّة بالدواء
إن قلبي متعلق بالله
ولن أكون وفية لتلك الخائنة
لماذا أحتال على طفل
ويعود عليّ ذلك المكر في النهاية
القلب الذي لا يحسن إلى نفسه
تصيبه عين السوء بسرعة

لقد أفشيت لك سر الخاتون الآن
وأفصحت لك بكثير من المستور
تألمت كثيرًا لأمرك
وعاهدت نفسي على التضحية من أجلك
يجب عليك كذلك طاعة أمري
فاجتهدي ألا تعصيه
سوف أعد لك مكانًا في بيتي
واجعل البيت- بوجهك- زينة المدينة
وسأبسط لك الفراش في المنزل
وأطاوعك مثل القلم
وأدبر لك الأمر خفية عن الخاتون
حتى تتفتح الوردة، وتخرج من البرعمة
ما دامت الوردة قد تفتحت؛ آخذها
وأرضعها ثديّ
وأحملها من هذه المدينة إلى مدينتي
وأطعمها اللبن والسكر
لما تكبر، أعيدها عندئذ
وأحضرها إلى القيصر معززة
لو تبقى هذه الوردة الرقيقة هنا
توخزها الخاتون بالشوك بسبب الحقد
فقدت المرأة الحامل الوعي بسبب تلك الفكرة
وقد انتفخت بطنها كالمستسقى
لم يكن الملك يعلم أمر ذلك الحمل
وأن الجارية حملت في تلك الليلة، والطفل في الطريق
لما سمعت هذا الكلام، صمتت برهة
وتفوهت بكلام حسن
أثنت على تلك الجارية الجميلة
ودعت الله أن يحفظها من كل سوء

وقالت: أطال الله عمرك، ما دام الفلك يدور

ولا دار الفلك بدون شبابك

إن قلبي يحترق من أجلك أيتها الجارية، مع أنه ضعيف

وغلامي مدين لك بالحياة

لتطمئن روحك

ولتستمتعي بعمرك

الشخص الذي يحظى بنصيب من الطيبة

لا يكون الإحسان أمرًا غريبًا عليه

إذا لم تكن الجارية قد قالت هذا القول؛

لكانت الصدقة قد جازت عليّ

الآن افعلي ما تريدين

وانقذيني من هذه المكيدة

اصطحبتها الجارية إلى المنزل

وعجنت معجونًا على سبيل الحيلة

ملأت طستًا بالدم في ذلك المنزل

وأسست هذا الأمر على الدم

كانوا يملأون طستًا بالدم، ويضعونه

أساسًا للعشق

أنت أيضًا منكب على طست الفلك

لا تعلم أن السر في الطست الدامي

لو يلزمك ذلك الدم، ضع القلب على الشفق

فيسير الفلك على الدم، وتضع أنت الروح في الطبق

ذهبت الجارية إلى سيدتها

وشكرتها على الدواء وهي مسرورة

وقالت: إنني منحتها الدواء، وسال الدم

فما أطيب الدواء الذي خضب البيت بالدم!

سمعت الخاتون ذلك القول، ولم تعرف الحيلة

وربّت على كتفها في الإيوان مثل الصنج

وقالت لها: لقد فعلت ما ينبغي فعله

الآن عالجيها؛ إذا كانت لديك مروءة

ما دام دم الُخصم لا يجوز أن يبقى في الرقبة

ولا يجوز سفك دمائين بدواء واحد كذلك

عادت الجارية، واقتربت من طست الدم

مرة أخرى مثل الوردة والشوك

جلست، وقصت الواقعة

فدعت لها الحامل كثيرًا

صارت الجارية محرم أسرارها

وأصبحت خادمة لها مثل القمر المحجوب

كانت تمنحها اللبن والسكر

وتقدم لها العسل في البيت

لما حل موعد ولادة المرأة

سقطت الوردة من البرعمة

تفتحت الوردة مثل الربيع

فغار القمر من حسنها

لما ظهر ذلك السرو الجذاب في الأرض

احتجب القمر في السماء خجلًا

كان طاهرًا ووسيمًا وطيبًا

كأنه كان شمسًا من جمشيد آخر

مع أنه كان طفلًا عمره يوم واحد

إلا ن جسده كان يبدو وكأن عمره عام

هكذا أعلم أنه دُرَّة

لم يَجُد بحر العنصر بمثلها

لما رأت الأم قمر بستانها وسروه

أضاءت الدنيا بوميض سراجها

سَمَّت ذلك الجذاب اسمًا روميًا

يرادف خسرو في اللغة الفارسية

قالت الجارية: الآن هو الوقت الذي

يفضل فيه الذهاب، وهذا شأن الزمان

أحمل هذا الجذاب إلى مدينتي

ما دام هو العزيز؛ أكدح من أجله

من كان يعلم أن تلك الوردة، لا مفر

سوف تمتلئ بالشوك في الماء

الدُرّ الذي خرج من الصدف جميلًا

ألقته الخاتون في البحر في النهاية

كانت تدبر أمر العذب الشفة ذلك بالسم

وكان تريد إيذاء ذلك القمر بالدواء

بكت الأم كثيرًا بعد رحيله

فقد كانت تلك الأم المسكينة أهله

ولكن حين اشتد الأمر عليها

ظلت بدون ابن مثل طائر في مصيدة

لو نتدبر الأمر نهارًا وليلًا

فالأفضل أن نرضى بالمقدر

ما دام سهم القضاء ليس له درع

فارض بحكم الله وتقديره

ضاقت الجارية بذلك المكان

فجلست في سفينة، ومضت

وضعت كنزيها في سفينة

واحد من الذهب، والآخر ابن الملك

كانا غلامان خادمين لها

صاحباها كالكافور والعنبر

فجأة هبت ريح عاصفة، وظهر غمام

وكان الجو يعاكس السفينة ما يقرب من شهر

انحرفت السفينة كثيرًا، وجنحت

وأخيرً رست في آبسكون

كانت هناك مجموعة من القوافل على شاطئ البحر
وكانت عذبة الشفاة تلك كالشمع بينهم
لعل تلك القافلة كانت تمضي إلى *الأهواز*(١٥)
فرافقتها
تحركت الراحلة- كما يتحرك الغبار بفعل الريح-
تحت محملها
كانت تسير من منزل إلى منزل
وكانت تمضي بسرعة؛ لأنها كانت مطمئنة
الليل مظلم، والدنيا ساكنة
واكتسى الليل بالسواد
اتشحت الأرض بالسواد
وألقى القير ظله على القمر
كان الليل يمتزج بالسواد طوال الليل
وكان الجمل يطوي الليل الحالك
قطعوا الطريق في شهر، وقد واصلوا الليل بالنهار
ورأوا قطاع الطرق في الطريق
من ثم التف قطاع الطرق حول القافلة
فأغرقوا حلق تلك الحلقة في الدماء
كان لص يسفك الدماء بلا مبالاة
فجعل الدم يسيل من حلق الداية على الأرض
بكت تلك الداية كثيرًا من الألم قائلة:
كيف يعيش هذا الطفل بدوني؟
لا أملك من الدنيا سوى الاحتضار
فامنحوا هذه المحتضرة نصف رغيف
كل أمر أستطيع فعله
هو أنني أرغب في البقاء حية
لما رأوها مسكينة
عفوا عنها

واصطحبوها في الطريق

واعتنوا بها كثيرًا لمرضها

لما ظهرت ***خوزستان***[16] من بعيد

تركوها في الطريق متعبة

بقيت الجارية مع ذلك الطفل الصغير

حافية القدمين، وكان تضع رأسها على يدها

ظلت جائعة بدون زاد

وانشغلت بالطفل، وأصابتها الحيرة

زهدت في الشباب

مثل عجوزة يائسة من الحياة

غاصت قدماها في الوحل بفعل الزمانَ

وأصابها العجز بسبب الفلك عديم الرأس والقدم

بقيت في الصحراء مثل السحاب

ونثرت الدمع في الصحراء كالمطر

غسلت وجه الصحراء بدمع العين

فنمت الورود في الصحراء من دموعها

ملأت الصحراء بالورد من دماء عينيها

وألبت الصحراء مواجع الدنيا عليها

انشغل قلبها عن تلك الصحراء

ورافق جسدها صحراء الدم

خضبت صخور الصحراء كلها بالدم؛

فأدمت قلوب صخور الصحراء كلها

رصدت الصحراء عاجزة

وصرخت

لا يرافقها في تلك الصحراء ذئب

ولا يشعر قلبها سوى بالضجر من الصحراء

لما ضاق صدرها

ألقت خزينته في الصحراء

تضرعت في الصحراء كثيرًا بلا جدوى
ولكنها أجدبت مثل الصحراء
في النهاية كانت تلك الحسناء تسير في الطريق
ستة أيام بلياليها، وتمشي، حتى حل اليوم السابع
لما بدا سلطان الأنجم في اليوم السابع
من الإيوان الرابع
هكذا انطوت كرة الذهب تلك تحت العلم
وصارت أشعتها أتلامًا على لوح القمر
وصلت قارورة السكر تلك إلى خوزستان
محتضنة الطفل الرضيع
كانت ترى منظرًا يعج بالحركة من بعيد
كما كانت ترى إيوانًا كالفلك
هكذا كان ذلك الإيوان يبدو من بعيد
وكأنه مطابق لطاق أنوشيروان
ظهر أمامها، وكان عال
وقد طاول سقفه الفلك
أصيبت الجارية بالوهن الشديد في الطريق
فصعدت إلى الدكان مثل القمر في الليل
بكى ذلك الطفل العذب الشفة الرضيع
من ندرة اللبن، وشدة الحرارة
كيف تحتمل ورقة الورد أن
يوجد سكر في المدينة بدون ماء
سقطت الفضية الصدر من أعلى بسبب الضعف
وهي تلهث
جعلت وجهها الفضي ذهبًا بدمع عينيها
وسلمت القلب الدامي للحق
ما دام أمر جلل قد وقع، فلا تشكو
وأسرع، وضع حلقة التسليم في الأذن

لا تنشغل به، حتى ينقضي وقته

وتفتح لك الأبواب بتلك الحلقة

فالحق لا يغلق باب مصلحة

إلا ويفتح لك مائة باب بمائة منفعة

كان للملك بستان في تلك الناحية

نبع الفلك سراج من حوضه

اشتهر في العالم بالبهاء

ربما كان ذلك البستان البديع جنة إرم

نامت الجارية على باب ذلك البستان

ضميرها يقظ، لكنها فقدت العقل والإدراك

خرج بستاني من ذلك الباب

فرأى وردة ندية أمام البستان

كان اسم ذلك الرجل «مه مرد»

قلما صادفت الأيام مروءة كمروءته

كان له طفل قد توفي في الآونة الأخيرة

وكانت الدنيا قد سلبت الشيخ ابنه العزيز

كان الرجل المبتلى يمضي في البستان

وقلبه مكتو حزنًا على طفله

كانت زوجة مه مرد ترافقه

نائحة متأوهة على الطفل الميت

أطاحت الدنيا بطفلهما ذلك؛

كي يحتضنا هذا الطفل

لما شاهداها، وقد جلست أمام الباب

واحتضنت قمرًا

ظن بها مه مرد ظنًا حسنًا

وأنزلها في بيته في شفقة

الخلاصة، تحاورا الرجل والمرأة

وسألا عن حال غصن الياسمين تلك

قالت غصن الياسمين: إن قصتي طويلة

ولم يبق معي ماء، وأحتاج إلى رغيف

وقد أصيب الوردي الوجه هذا بالنحول

بسبب انعدام لبن الأم، ومن أجل اللبن والسكر

أستطيع أن أرى نفسي ذليلة

ولا أستطيع أن أرى غبارًا على مفرقة

ذهب مه مرد وحمل إليها الحلوى والخبز؛

لأن طفله كان قد مات، وحدث له هذا وذاك

أنت أيضًا أيها الرجل، مت؛

حتى تمنح الحلوى للفقير

حين تكثر من تناول الحلوى

تحيا، وتليق بالمنخز

لماذا تتلذذ بالحلوى الشهية

التي تجعل دمك يغلي

كيف تكون السلامة في الحلوى

فبعد الحلوى الحجامة

بداخلك جحيم يا مالك نفسك

وفي الطبق سبع محن لجسمك

لو يحضرون لك طبقًا، وخبزًا من المطبخ

تلقي بالطبق والخبز إلى الجحيم

كل حبة قمح أكلتها بدون حساب

تحجب قلبك عن الجنة

اعلم أن البطن جحيم له سبعة أبواب

واعلم أن لكل واد فيها، واد آخر

وأنها لا تتسع لواد من تلك الأودية

وشره الإنسان لا نهاية له

إذا لم تكن هناك معدة، لما كان هناك غم

ولم يكن هناك عداء في العالم بأسره

سمعت قصة الحلوى والخبز
يكفيك أن تجعل هذه الوليمة لهذا وذاك
لما أكلت الجارية كثيرًا من الحلوى والخبز
انقبض القلب، ولاذ الجسد بالروح
تصبب العرق منها مثل ماء الورد
وصارت أوراق وردها مثل أغصان الزعفران
جَفَّا ينبوعا ثدييها
وفاضا ينبوعا عينيها بالدمع
يتصدع الجبل بسبب المرض
فماذا تساوي قشة طوتها الريح؟
لا يتواجد السكر الحلو مع المرض
فالشفة تزداد مرارة بالسكر
ليس هناك عناء أسوأ من جسد سقيم
وليست هناك نعمة بعد الصحة
لا تتوانى عن شكر نعمتين:
إحداهما الأمن، والأخرى الصحة
لما مرضت غصن الياسمين تلك في البستان
تألم البستاني، وحزن
قال لزوجته: يا من غلامك الزمان!
احجبي هذه الجارية في الدار
فإن قلبي يعشق هذا الطفل
حتى لو ماتت هذه الجارية الضعيفة
فإنني لم أر على وجه الأرض أبدًا
وجه قمريًا مثل هذا
ترين، لو كان للعمر بقية
يصير هذا الوجه الجميل مثل القمر
إنه يشبه القمر والسرو تمامًا
بوجهه ومنظره هذا

أرجو أن تدبري له الأمر

ولا تمنعي لبنك عن عذب الشفة هذا

قالت زوجته: أطيع الأمر؛

فإنني إذا أخذت هذا الطفل، نجوت

أكتم هذا السر خلف الحجاب؛

فلا يمكن أن يذيع أمره، وهو محجوب

لا يظهر هذا الدر الوضاء من خلف الحجاب

حتى لو يطلع النهار

أحفظ سره مثل نور العين

وأحجبه خلف سبعة أحجب

لا تحتفظ بالمرأة السيئة

فالرجال أعزاء بالنساء الصالحات

العيال الطيبون في زاوية الدار

أفضل كثيرًا من الكنز والخزانة

ما دام الطيبون للطيبات؛

فقد حسنت كل أعماله بتلك المرأة

لما حان وقت موت الجارية

تساقطت أوراق شجرة عمرها

أرادت الدنيا أن تصنع لها صنيعًا

وأن تقوم الطريق المعوج

الآن أراد ورد ذلك الوجه الشبيه بالبرعمة

أن يتوارى في التراب

لما حل الموت، خفق القلب من الألم

وغربت شمس عمرها فجأة

بكت الجارية منتحبة على الشباب

وبكت أيضًا من جور الفلك الخسيس

وقالت لزوجة مه مرد: أيتها العزيزة!

انتهى سرور قلبي

لا تتركني الدنيا؛ فماذا أفعل؟

إنني مقدمة على طريق بعيد وطويل

أدت الأيام الصلاة على عمري

وها أنا أتأهب للموت في النهاية

مشينا كثيرًا، ولما كان الطريق جد طويل

فمن يعلم كم طريق مفتوح؟

لم أر سرورًا، والحزن لا حصر له

ماذا أقول؟ ما دام ليس هناك نبض ولا وقت

ولكن احفظي هذا الطفل الحسن الطلعة

من أجل الله تعالى

فهذا الطفل العزيز ابن ملك

وذل بدلًا من العزّ

غلام، يليق بالشمس أن تكون كنانته

فهذا العزيز ابن قيصر الروم

هذا الطفل له الله، ثم أنتِ

وأشهد الله تعالى على هذا الكلام

تركته لكِ مدللًا؛

حتى تعيديه إليّ مرة أخرى غدًا

ليس لأحد خصومة معه، وهو ملك

الآن هذا الأمر متعلق بالقصر

له خاتم مخفي بين شعره

فصه شعار الملك

وقالت لها: لو توصلين هذا الولد بهذه العلامة

إلى القيصر خفية

يجعل رأسك تطاول الفلك من الرفعة

ويمنحك كنز قارون

لما أنصت الاثنان إلى هذا الكلام

شعرا وكأنهما تجرعا السم من تلك الشفة

بكيا كثيرًا

وقبلا منها أكثر من ذلك

أرسلت الجارية من عينيها دموع الحسرة

بسبب دوامة الحسرة تلك

لما ابتليت بمرارة الموت

انفصلت الروح اللطيفة عنها بصعوبة

خمدت نار نهار الشباب

وعلى صدرها طفل مثل ماء الحياة

وهكذا سرعان ما مرت بهذه الضائقة

وكأنها لم توجد في الدنيا أبدًا

الدنيا عجوز، لكن الطفل عمره سنة

الطفولة في شيخوختها مثل زال

لو أنك شيخ، فلا تتصرف كطفل

لم يمر عليه سنة وشهر

تركت الوردة ذابلة بلا أوراق

تركتها بلا أم ولا أب ولا داية

تملك الدنيا كثيرًا من هذه الألاعيب

ولن ينجو أحد منها

لو أنك تملك الحياة والسمعة الحسنة والدنيا

تقبض الدنيا روحك في لحظة

اهتم الجميع في هذا العالم بالأمور الدنيوية

واهتم الجميع في ذلك العالم (الآخرة) بالأمور الروحية

اترك الدنيا، وكن خصمًا لنفسك

دعك من الاثنين، وكن عزيزًا في الدنيا

لو أنك رجل، تبكي دمًا في الدنيا زمنًا

بسبب هذه المرأة المسكينة

العالم مثل غيم

برقُه الألم، وأمطاره الحسرة

واأسفاه! غفلت أنت

وكانت تمطر عليك مائة لوعة ليلًا ونهارًا

لما انتهت حياة الجارية

أخذت الدنيا الروح، ومضت بها إلى مكان آخر

لما دفنت السيدة، تلك العطوف، في التراب

تكفلت بالطفل الجذاب

أطلقت على الطفل المسكين هرمز

واحتضنته في صدرها مثل قلبها

وضعته خلف حجاب مثل عينيها

وأطعمته اللبن والسكر

هكذا ربته في مخدع الدلال

فلم يصدر له صوت خارج المَخدع

لما كان معشوق الآفاق في المخدع

فقد كان في مخدع العشاق

لما بلغ ذلك السرو الفضي الخامسة

هدهدته الشقائق

هكذا صارت قطعة القمر تلك بلا مثيل

وتصدع القمر حسدًا له

لو أصف وجهه

اضطرب مثل شعرة

الشخص الذي كان يسمع وصفه من بعيد

كان يقطع ثيابه ويديه بدونه

اضطربت البلاد بأسرها بسببه

وكل من رآه؛ كان يندهش منه

كان قلب مه مرد مسرورًا كالبحر المتلاطم الأمواج

بسبب ذلك الدر الثمين

لم يكن يرى الدنيا بدون صبح وجهه

وكان يدعو له، كلما يطلع عليه الصباح

كان في خوزستان ملك عظيم كالشمس

وكان له ابن يبلغ الخامسة

كان اسم ربيب المحبة ذلك بهرام

ولم يكن له نصيب من *بهرام*(١٧) سوى الاسم

كان حال ذلك الأمير مثل هرمز

وقد اتفقا القمران معًا في السن

لما انقضى وقت، صار ذلك الأمير بهرام

مثل المشترى في علم الأحكام

أجلسه ملك مدينة خوزستان والإقليم

أمام معلم للتعليم

كثيرًا ما جلس هو ورفاقه معًا

واجتهدوا في طلب العلم

كان هرمز واحدًا من عدة أطفال

وكان راجح العقل، صغير السن

كان له عقل راجح منذ صغره

وقد جعله مسلكه الحسن أكبر من عمره

لما أخذ هرمز اللوح، وأمسك القلم

رفعت روحه العَلم بنور العِلم

بصفة عامة لم يبق له معلم في العلم

في فترة وجيزة

مهما كانت هناك كلمة دقيقة مثل الشعرة

كان يجعل منها مائة بيان

هكذا صار فريدًا في قول الفكاهة حتى إن

عديم المثل ذلك صار مثلًا في الدنيا

هكذا صار متمكنًا في الفضل والعلم

حتى إنه جعل تلميذه أستاذًا عالمًا

تعلم اللغتين التركية والعربية

وأجاد العبرية والرومية

كان ملكًا عظيمًا في الصورة
وكان شديد الدراية بالمعاني
لا أعلم إلى أين سوف يصل؟
وسيصل إلينا الآن مرة
هكذا صار هرمز محظوظًا
حتى إنك لا يمكن أن تراه تعيسًا أبدًا
لم يتنفس بهرام نفسًا بدونه
ولم يسترح لحظة بدونه
كان الملك يذهب من مدرسته إلى البستان
ليلًا، وهو مسرور
لما كانا الملكان يلعبان حول البستان
مبتهجين طوال الليل
ولما كان الديك يصيح
كانا يذهبان معًا إلى الأستاذ مثل الجوزاء
كما انشغلا بأنواع العلوم
واهتما بالسهم والسيف والحربة
كانت سواعدهم كأفخاد الجمال
واستهانا بالشجعان بالرجولة
كان هرمز يحمل حجر الطاحونة في يد
ولم يكن يتركه، إذا حمله فرسخًا
وكان يلقي الرمح بقوة بقبضته
وكان يمسك القلم بأصابعه
لما كان الأسد في الفلك يرى عمله
كان يخجل من رمحه الذي يشبه الثور
لما كان يركب مركبة، وهو مثل الفيل الضخم
كان الجواد السريع يحمله بصعوبة
لما كان سهمه ينطلق من القوس متعجلًا
كان نصله يجرّ النمل ميلًا

لما كان يستهدف طرف شعرة

كان يشج رأسها كالشعرة

لو كان يطلق السهم النافذ بقوة

كان يتجاوز هذا العالم إلى ذاك العالم

لو كان يستل السيف غاضبًا

كان يبلغ خرم إبرة عيسى

كان يصوب السهم إلى الأذن، وإلى تلك العين

فكان يوصله من أذنه إلى تلك العين

ولو كان يرمي السهم بدون أي جور

كان يجعل قدم النملة قلمًا

لما كان يمسك بالسيف الأزرق في كفه

كان البحر الأزرق يزبد بسبب سيفه

كان الأجل يمضي إلى السيف متعبًا

مثل السحاب المرتعد؛ خوفًا منه

كان الأبطال يلقون بالدروع في الماء كالأمطار

بسبب حرارة برق سيفه

لما كان يرمي الوهق من أهداب السرج

كان يطويه على رقاب الماهرين

لما كان يقبض بيده على المنجنيق

كان الحصى ينهال من السندان

إن اعترضت رمحه شوكة

كان يمزقها مائة قطعة في لحظة

لو كان يرمي الفلك برمح

كان يجرح الثريا

لما كان يمسك بالصولجان، وينطلق إلى الميدان

كان الفلك يصبح صلوجانه، والقمر يصير كرته

لما كان ذلك القمر يلقي كرة في الطريق

كان القمر يحمل الكرة على رأسه من محلته

هكذا ذاع صيته

حتى طاول الفلك

لما بلغ هرمز السادسة عشرة

أشعل وجهه النار في العوالم التسعة

جَمَّلوه بحسن الحظ

وزينوه مثل العالم

نمت لحيته على وجنتيه

وصارت مرعى ماء الحياة

خطه الأخضر الذي كان قوة للروح

كان زمردي اللون على الياقوت

كانت طرّته قيد الروح والجسد

وكانت شفتاه الياقوتيتين بلاء الرجال والنساء

كل مكان كانت فيه حورية فضية الصدر

صار وجهها كالذهب بسبب عشق وجهه

كان مثل الحسناء التي كان الأمرد يراها؛

فيرفرف قلبه في صدره مثل الطائر

لم يكن الجميع ينامون بسبب عشقه

ولكنهم لم يجرأوا على الحديث

لما بقي ذلك الوجه المسكي تحت الخط

ضج خطه الأسود بالشكوى

لم تكن يد أحد تمتد إليه

بسبب الجمال الذي حظي به خطه

كان خطه مثل ببغاء محلق

صامت، ويقطر السكر

بدت في خطه روضة من السنابل

سنابله المسكية مثل أوراق الورد

لم يكن له أي عمل سوى النزهة

والشواء والشراب والصيد

تعجب العالم بسببه

إذ كيف يولد ملك لبستاني؟

كان واحد يقول: إن هرمز ليس ابنه

إنه ابن ملك، وليس ابنه أبدًا

وكان آخر يقول: كيف يأتي منه مَلك؟

وكيف يسطع القمر في خوزستان

لما كان هرمز قويًا إلى حد أن

الرجال جميعهم عجزوا أمام قوته

كان ينجز بسهولة في ليلة

ذلك العمل الذي كان يصعب على شخص فعله في عشرة أيام

هكذا عطف مه مرد على هرمز

حتى إن حبه له صار مثلًا

تأدب هرمز أدب الملوك في الأصل

ومن ثم فقد فرغ قلبه من حب مه مرد

كان يقول لنفسه: إن مه مرد ليس أبي

ولا أثر لمحبته في قلبي

لا يشبه وجهه وجهي

ولا يملك شجاعتي قط

مع أن قلبه كان يغلي بسبب هذا الغم

إلا أن لسانه كان صامتًا بالضرورة

رؤية جُل لهرمز في البستان وعشقها له

ألا أيها الرسول السريع العدو

ما دمت لا تملك رفيقًا في العالم

لو تتحدث، تحدث إلى الجمع

وتنفس، وأنت فان عن نفسك

ما دمت لا أرى لك رفيقًا زمنًا

فمن سيكون رفيقك في العالم؟

أنت محرم نفسك إلى الأبد

ورفيقها وأنيسها أيضًا

قص هذه القصة، وقلها بنفسك

كن فصيحًا، وتحدث عن نفسك

هكذا قال ذلك البليغ العاقل

الذي كان قد أمضى عمره في إسداء النصح

كان لملك خوزستان ابنة

كل شعرة من شعرها لها سر في الحسن

كانت غصن الياسمين أخت بهرام

كان قدها كالوردة، وكان اسمها جُل

لم تكن تفتح فمها بسبب الخجل

وكانوا يسمونها «جُل» بسبب دلالها

إذا رأى عاقل صورة وجهها

كان يفتن بتموج شعرها

وإذا شاهد مجنون وجه تلك الحسناء

كان يبدو عاقلًا؛ بسبب تلك الصورة

ألقت طرته الحبل إلى القمر

فغرق قلب جُل في البئر؛ بسبب ذلك الحبل

صارت حلقات الذؤابة المجعدة تلك

طوقًا مسكيًا حول رقبة جُل

كان وجهه يتباهى بأنه زينة العالم

وكان حُسنه يركل العالم

خطه كالمسك، ووجهه كالقمر

وقد استلقى نائمًا كالوردة

صار قده السروي ملقى على الأرض

وهو ثمل بين الظل والشمس

خطه الشبيه بالبلبل تحت ظلال الصفصاف

مثل ذيل الطاووس في ضوء الشمس

تناثر تراب الطريق على عقله

وتصبب وجهه عرقًا

انثنى حبله العنبري

وبلل الطل وردته المتفتحة

ما أطيب غم عشقه تجارة بدون مكسب!

وما أطيب شفتيه الياقوتيتين حلوى بدون أسى!

لما سقط نرجس جُل الندي على القمر

سقط قلبها في الطريق مثل ضوء القمر

لما رأت جُل ذلك الصدر الفضي على هذا النحو

بدا لها كالروح، ورأت الدنيا بوجهه

اشتعلت النار في روحها بسبب عشقه

وأصيبت بداء شديد لا دواء له

فتن قلبها بالعشق

وأدمى وجهها بسبب دموعها

لما علقت بشباك بلاء العشق

أذرفت الآلاف من قطرات الدم على وجهها

كان المصورون والنقاشون جميعًا

يرسمون وجهها في كل مكان

كان نقشها- للقلب- نقشًا على الحجر

وقد صوَّر شعرها ووجهها كتاب ***ماني***(١٨)

يستحيل أن يكون هناك نقش وجمال

مثل نقش جُل على أية حال

لما رسم النقاشون صورتها اللطيفة

حطموا الأقلام على صورة حُسنها

أسهبت الألسنة في شرح حالها

وكان في كل إيوان تمثال لها

لم يكن القمر مقياسًا لها

وقد جاوز صيتها القمر

هكذا كانت جديلتها كمينًا للإنس والجان

وقد عقدت كل شعرة منها روحًا على وسطها

حاجباها أسودان مقوسان

وذؤابتها السوداء متناثرة على أذنيها

هناك آلاف القلوب المحطمة على مرمى البصر

بسبب تلك الرموش المصطفة

لكل حسناء خال على الوجه

ولكن لخالها حالًا آخر

كان وجهها اللطيف ياقوتي اللون

وكان قوامها اللطيف فضيًا، وقلبها عطوف

صارت شفتاها الواهبتين للحياة ماء الحياة

وصارت مثل صورة بلا روح في الإيوان

فمها الصغير سكر، لكنه وردي اللون

عينها مثل أعين الناس، لكنها ضيقة

كثيرًا ما كانت تحذر من أعين الناس

وتحتسي دمع العين

ولكن لما كان الطريق مسدودًا

يئست تمامًا

كان قدها مثل السرو الشامخ

ولم يبق لها أي شيء سور البخور

كان ذلك البخور قلوب عشاقها

وكانت تحترق بنار شفتيها السكريتين

صارت كل شعرة دليلًا على حسنها

ماذا يليق بها سوى النيلة

كانت حسان مصر جميعهن يسمون حُسن

ذلك النيل باسمها على عجل

حُسنها أبهة دار الملك

وقد أخذت كل شيء نقدًا إلا النظير

لو كانت هناك نظيرة لها

فإنها هي نفسها، لما تنظر إلى المرآة

من كثرة ما ذاع صيتها

اشتراها الملوك بأرواحهم

كان هناك ملك في مدينة إصفهان(١٩)

كانت الملوك غلمانًا له

لم تكن عظمته

تلك التي يمكن إيجاز الحديث عنها

رغب في الوردة المتفتحة

فأظهر اللطف والخضوع

أرسل الذهب مرات كثيرة، وتألم بشدة

وأفضى بهموم القلب إلى المحبوبة

قال: إرسل لنا الفضية الصدر تلك

فلا قيمة هنا للفضة والذهب

أُجلسها بين الفضة والذهب

وأمنحها مفتاح الكنز في يدها

ما دمت أقدم مثل هذه الثروة نقدًا

فإنه يجب عليك عقد هذا العقد بدون تأجيل

ليس هناك أمير أفضل مني في الدنيا

ومن سوف تجد صهرًا أفضل مني؟

تعجب ملك الملوك مهن أمر جُل؛

فغرس لها نبات في إصفهان

لما كان يقود الجند عامًا؛

فقد عزم على عقد عقد القمر بعد عام

أضمر الملك تلك الفكرة

ولكن الفلك لم يحجبها

اعتلت جُل الحسناء الشبيهة بالقمر

سطع القمر في الضحى لضاءً وقدرًا

وذهبت إلى أطراف البستان للتنزه؛
فتركت تلك النزهة أثرًا في قلبها
كان هرمز قد نام تحت شجرة صفصاف
وقد زال عقله بسبب السُكر، وفقد صوابه
أسدل القباء من صدره حتى قدميه كالوردة
وزين بخطه وجهه القمري
صاح البلبل؛
بسبب افتنان الوردة به
فقد ألقت آلاف الحلقات أمام الجميع
وطرحت الذؤابة في وسط الطريق
وجهها كالوردة، وشفتاها مثل ينبوع النور
وما أقوله لا يصف شفتي جُل وأسنانها
أدمى العقل مثل قميص يوسف
بسبب ذلك البئر الذي كان تحت ذقنها
على هذا النحو سلبتها غمزته القلب
كأنها كانت مخضبة بالدم
انكب قلبها على قدم المعشوق
فانتبهت، ومضت، وأدمت
كانت تحترق مثل طير وسط الشباك
كانت تحترق بسبب تلك النار مثل عود نضر
كانت تئن من القلب مثل الكافور
وكانت تذرف الدمع من بعيد
تذرف الدمع مثل سحاب الربيع
وتتعثر مثل أوراق الورد، بسبب رياح الصبا
تعجبت لحالها، واضطربت
واحترق قلبها بالنار بسبب القلب
قرأ قلبها مائة قصة عن العشق
وبقيت في العشق مثل شخص بلا عقل

قاوم العقل العشق كثيرًا

ولكن العشق ثار مرة واحدة

كان ذلك السرو الثمل يتمزق

ويضحي بروحه

اضطربت الدنيا أمام عينيها

فسقطت، وفقدت الصواب بسبب السُكر

كيف يطير الطائر المذبوح في طريق

يعج بالدم والطين

هكذا كان يطير ذلك الطائر الحزين

الذي كاد أن يفقد الروح والقلب

دنيا العشق بحر عظيم

وما السفينة؟ إنها العقل السليم

ما دمت مشغولًا بالبيت والسفينة

لم تحظ بقطرة من ذلك البحر

غرق قلبها في بحر فجأة

وزلفت قدماها في خندق المحنة

هكذا كانت وسط النار المشتعلة

حتى إنه لا يمكن القول على أي نحو كانت من الألم

أشرفت على الموت بسبب ألم العطش

مثل طفل رضيع متعطش إلى الماء

إنها في حاجة إلى الحَب مثل طائر بلا لسان

ولا جناح ولا ريش ولا عش

إنها مثل سمكة خرجت من الجدول

وغرقت في دمائها بين الحصى

ومثل نملة ضعيفة تعيسة

انقلبت في طست

ومثل تلك الفراشة التي

تسلم الروح محترقة في النار وهي مسرورة

عيناها زائغتان، ويداها على قلبها

غاصت قدماها في الطين مثل النقش على الحجر

ظلت مشكلتها بلا حل

واهترأ كبدها، وفقد قلبها الصواب

قالت لنفسها: أي نار هذه؟

فقد تصاعد الدخان من روحي

خفق قلبي، وصار غريبًا عني

وتحول عُرسي الآن مأتما

ضاع زمام القلب من يدي

وأصابتني الحيرة بسبب القلب

أيها القلب سرعان ما أهلك بسببك

فقد لوثت مثل هذه القدم بالطين

من يعلم ما جرى لروحي

وكيف فقدت الصواب بسببه

من يعلم أمواج الدم التي تلاحقت في قلبي

وكيف سوف ينجو منها في النهاية

ماذا أفعل؟ أو لمن أتحدث؟

إنني أبحث للوردة عن بستاني

لا يمكن قول هذا الكلام لشخص

ولا يمكن طلب ذلك كله

لا سبيل للقلب إلى الخلاص من هذا القيد

ولا نصيب «الجُعل» من هذا القند

لا يمكن للعين النظر إلى وجهه

ولا يمكنها أيضًا عناقه

إذا أفشيت هذا السر في وقت ما

يذكرني العالم بالسوء

لو أبقى لقمة في الحلق أفضل كثيرًا

من أن أبقى سيرة على ألسنة الخلق

يا إلهي! إنني لا أعرف أية حيلة

وقد أصابني الجنون بسبب ذلك الشعر المجعد

لو أن الروح تألمت من كثرة الأفكار

وإن نزف القلب سيلًا من الدم

إن ضعفي ظاهر

فماذا ينزف دمي في النهاية؟

لا تحزن الدنيا بسبب موتي

ولا يأخذ العالم بعض عظامي

قالت هذا، وسقطت من فوق ذلك السطح

وهي متألمة يائسة

ليس هناك رفيق تكشف له الأسرار لحظة

وليس هناك محرم تشرح له الرموز

كانت تضيق بعشقها

وتتأوه من القلب، وتذرف الدمع من العين

اضطربت روحها بسبب ذلك العشق

وكان نخاع عظامها يغلي

بقيت مثل ثمل ظمآن محترق القلب

جَفت شفتاها من الماء المحيي للروح

كيف يترك الشخص الظمآن ماء الحياة؟

إنه لا يستطيع!

لما أشاحت تلك الحسناء بوجهها عن هرمز

أصابها العجز بسبب القلب

ضجت فجأة بسبب العشق

فقد نحا بها بتلك النظرة منحى آخر

لم تحتمل جُل

واحتارت، وما أطيب الحيرة الممطرة للسكر!

عشق قلبها، وهو فان

وأدى هاتف العشق الصلاة على روحها

كانت تغمض جفونها، وتذرف الدم
كانت ترسل الدمع من اللوز مثل العناب
كانت تقول لنفسها: ما هذا الحال؟
أن توخز قدمكِ شوكة من هرمز، هذا محال!
مع أنه بلا مثيل في الحُسن في العالم
ولكنكِ ملكة. وهو بستاني
قولي، ما دامت ليست هناك حسناء مثلك
فكيف يمكن العثور على جليس على تلك الهيئة
كيف يصاحب الماء النار
وهناك فرق كبير بين الطاووس والثعبان
كيف يمكن منح المُلك مقابل إبريق صيني
كيف يمكن منح سليمان لنملة
لما زهقت، روحها
رفع العشق العلم مثل النار المشتعلة
كل نصيحة كانت قد أسدتها إلى نفسها
صارت قيدًا لعقلها
بعد ذلك خفق قلبها
وفقدت العقل من قبل أمام العشق
أطلق العشق البليغ اللسان
وقد عرك أذن العقل منذ البداية
لو أن هرمز قروي
لكن سمات الملك تبدو عليه
ولو أن هرمز ليس له أصل أيضًا
فمقصودكِ من الأصل الوصل
لما يحل الوصل، يتم تجاهل الأصل
وإهمال فضل من مائة نوع من الفضل
ما دام هو طيب وحسن، فالمسكين
أفضل كثيرًا من ملك قبيح

يلزمكِ وجه حسن ولا يلزمك ملك

وهو حسن الوجه. فماذا تريدين؟

لما وُصف السكر بأنه حلو

فتناول السكر، لماذا تسأل من أين هذا؟

الفقر خل، والمُلك سكر

وكلاهما أفضل لكِ

أنتِ وردة. وهو البلبل في هذا البستان

ما أطيب ما يشدو به البلبلُ عن الوردة!

أنت وردة. وهو يملك شفة ممطرة للسكر

أنت مريضة، فاخلطي السكر بالورد

لما ساق العشق كثيرًا من البراهين

التزم العقل، وأصابته الحيرة

مع أن «جُل» كانت ابنة ملك

ولكن الملك مات بسبب مسكين

لما كان يشرح عشق المحبوب بهذه الطريقة

كان قلبها يتعلق به أكثر منها

لم يكن عشق هرمز بالنسبة إلى جُل على هذا النحو الذي

كان يفقدها الصواب أبدًا

الخلاصة من كثرة ما استرقت النظر إليه

أظلمت الدنيا أمام عينيها النرجسيتين الساحرتين

وكانت تقول لقلبها: أيها القلب! لقد حل بك أمر

فضح بالروح، لأنك عشقته

هناك أكثر من مائة فرسخ بين القلب والصبر

والطريق من الروح إلى العشق أدق من شعرة

ماذا أفعل؟ يجب عليّ التضحية بالروح

أين الشخص الذي يمكن قول هذا الكلام له؟

قمري وشمسي غائبان

وقد صرتُ ضوء القمر برؤية هذا القمر

ذلك الذي عثر على الحبيب، وفقد القلب
افتضح مثلي
ما دمت أنا القمر الذي ترى الشمس المبهجة
العالم بوجهه كل يوم
ما دمت أنا السرو الذي
ينطلق مائة سرو شامخ من قده
ما دمت أنا الحورية التي
يسوق حور الجنة السفينة على اليابس بسببها
ما دمت أنا الدُرّ الذي لو يقذفه البحر
أجعل منه درة درة حلقة في الأذن
ما دمت أنا الياقوت الذي اتخذ الياقوت الجميل اللون
قلعة في الصخر خجلًا منه
ما دمت أنا الشمع الذي حين يضيء
يحرق شمعدان القمر مثل الشمع
ما دمت أنا الكنز الذي يُظفر به ليلًا
من يتعلم عمل الطلسم من طرتي
لا أحتمل رجولة الثمل تلك
من يعلم أنه سيطر عليّ؟
لا يستطيع القمر المضيء
أن يحجبني مع انبعاث هذا النور
لو أبتسم للفلك مثل الصبح
أسد الطريق إلى الفلك بفمي
لو يتملقني مائة متملق
أتفوق على الحسان جميعهم في اللباقة
لو تنثر جديلتي السواد
في السماء؛ يعم النحس السماء والأرض
ولو يرى القمر في السماء وجهي
يضع وجهه على الأرض؛ بسبب وجهي

يثمل أسد الأفلاك من عينيّ الواسعتين

ويضرب بذيله على الأرض

نما الريش والجناح لطير الخميلة في الحال

من رائحة طرتي المسكية

تسارع آلاف الأرواح إلى العالم كالبرق

أسيرة شعري المجعد

كيف يجلب البلور الضياء إلى صدري

وقد صارت الفضة زئبقًا خجلًا من جسدي

لا يمكنني وصف شفتيّ وكيف هما؟

فإن وصفهما جاوز حدود العالم

ماء الحياة محجوب لعذوبته

وقد اختار الظلمة؛ خجلًا من شفتيّ

أهب الحياة بالشفة تارة، وأقبض الروح تارة أخرى

لا أعلم أي إنسان قد بقي بسبب حسني

لو تمنح شفتاي الخمر للساقي

لا تبقى أية بقية من ذلك السُكر

الآن مع كل هذا الجمال

صار قلبي لا يعقل، ولا يبالي

كثيرًا ما طاوعني قلبي

وقد عاداني بشدة، بعد أن كان رفيقي

بنظرة ألقاها على وجه هرمز

وكأنه لم ير وجهي قط

تعطش إلى دمي، وفرّ من صدري

وهرب من ذلك المحرم القديم

بعثر طرته في الصين تارة

ووصل إلى بلاد الهند تارة أخرى

حلّ شعره في زنجبار تارة

ووقع في أسر الروم تارة أخرى

تارة يتجرع سكره ماء الحياة

ويزداد نبات خطه تارة أخرى

تارة يثمل بتلك الابتسامة الساحرة

ويخفق بسبب تلك الغمزة تارة أخرى

تارة يضطرب أمام فمه

وينقض على سكره تارة أخرى

تارة يتحدث عن خطه

ويعتريه حال بسبب خاله تارة أخرى

تارة يبقى حائرًا أمام عينيه

ويذرف الدمع طوفانًا في مجلسه تارة أخرى

لا أعلم أن مثل هذا القلب في مثل هذا المكان

لا يفكر في جُل أبدًا

أنوح بسبب قلبي هذا المفعم بالأنين

وأكابد الألم بسببه

لو أن قلبي الثمل مطيع

لتيسرت أموره

ماذا فعل هذا القلب حتى أدمى في صدري

وقد جلبت العين هذا على رأسي

أيتها العين! ما دمت قد نظرت

فإن سوادك سيخضب بالدم

بكيتِ كثيرًا بنظرة واحدة

ولا أعلم لماذا نظرتِ؟

لا حيلة لي الآن سوى الصبر

ولو أنني لا أملك مثقال ذرة من الصبر

لو أجعل الصبر من الصخر والحديد

يمطر السحاب الاضطراب على قلبي

في النهاية لما غربت الشمس

استيقظ الملك هرمز من النوم

لما استيقظ، القمر الثمل النائم

فقدت الوردة المتفتحة الصواب

لما رفع رأسه تحت شجرة الصفصاف

أطلت جُل بوجهها من النافذة خفية

كان هرمز يعرك عينيه من السُكر

ولم يحتك البندق باللوز أبدًا

لما تغلب بندقه على لوزه

صار لوزه كالعناب بسبب البندق

احمرت عيناه إلى حد أن

جُل علمت بنزفه

لما نفض التراب عن الجديلة العنبرية

صارت الوردة الوالهة ماء الورد من الألم

لما وضع العمامة على رأسه

وضع الفلك التاج على الطريق أمامه

لما وضع اليد الناثرة للؤلؤ على خطه

منح خلق العالم الزينة في كبرياء

لما رفع الشعر المسكي اللون من الطريق

تأوه المسك في نافجة الغزال

لما رفع الجديلة من تحت القدم إلى الكتف

ضجت الملائكة

لما غسل وجهه من غبار الطريق

أهلك وجهه القمر المضيء

لما مشى هرمز

خفق قلب جُل وأصاب العجز جسدها

اشتعلت نار العشق الملتهبة

وشملت طريق جُل المبهجة كله

بقيت الوردة المتفتحة في النار

ونثرت ماء الورد من جذعها على النار

نفد الصبر، وذهب العقل

سقط القلب، وسكن العقل

تعب الكبد، وأدمت العين

سكت الفم، وصمت اللسان

أظلمت الدنيا أمام عينيها

واقترب الأجل منها بعيدًا عن الجميع

فرغت الحسناء من أمر هذه الدنيا

وأذرفت سيول الدم عليها

كانت تلك الحسناء قد بقيت على هذا النحو

حتى ظهرت النجوم في السماء

كان القمر هلالًا في هذه الليلة

وانعكس الهلال على صفحة النيل

أضاءت شمسه الدنيا للقمر تارة

وحجب الضباب القمر تارة أخرى

الآن حان الوقت أيها الطائر الجذاب

أن تُسقِط جُل من فوق هذا السطح

لما بقيت جُل على السطح مثل الشوكة

تحلق قلبها كالحلقة

ابتلت روحها بكثير من البلاء

وتساوى وجودها بالعدم

تخضبت بالدم، ومرت الغارة

ومضى من الليل أكثر من نصفه

أمعنت النظر بعينيها الشبيهتين بالنرجس

وأذرفت كل نجمة الدم على جُل

ارتدى الليل السواد حزنًا عليها

وأدمى الشفق مغتمًا عليها

علمت رياح الصبا بحال جُل

فاستحالت نارًا من حرارة روحها

ناحت الآلاف من بلابل الربيع
على جُل منتحبة
كانت جُل الوردية الوجه مربية
ماهرة في معرفة الأمور الدقيقة
كانت الماكرة طائرًا ذكيًا
وكانت تمر بتجارب مائة عام خلت
خبرت أمور الدنيا بشكل عجيب
وأدركت ألاعيب الفلك
لو كانت تقصد السحر
كانت تجعل من الحجر الشمع، ومن الشمع الحجر
هكذا كانت ماهرة في السحر إلى حد أن
شيخ نجد كان تافهًا بالنسبة إليها
الوقت الذي كانت تتنفس فيه النفس الناري
لو كانت تقرأ فيه على الصخر، كان يشتعل
لها لسان حاضر البديهة
وصوتها حاد مثل حافة السيف
امتلأ قلبها القاسي بالمكر
وكانت في غاية القسوة والرقة أيضًا
كانت مضيئة بلا شمس مثل الصبح
لا تتنفس نفسًا في البستان بدون جُل
كان قلبها يخفق عليها مثل الورقة
فقد كانت جُل جوهرتها الثمينة
لما رأت السرير الذهبي خاليًا من الجسد الفضي
ورأت القصر فارغًا من وجه السرو الممشوق
كانت ترى الوطن، ولا ترى الجوهر في الوطن
كانت ترى الروضة، ولا ترى جُل في الروضة
كانت تبحث في الإيوان عن قبلة جمشيد
وقد طلبت سراجًا، وأخذت تبحث عن تلك الشمس

لما كانت تمشي حافية حول الإيوان

سارت من باب إلى باب، واعتلت السطح

رأت غصن الياسمين ملقاة على الأرض

وقد ابتل التراب من دم عينيها

رافق قلبها العدم

وزهقت روحها، ثم عادت مرة أخرى

فَرَطت العِقد وألقت كثيرًا من الجواهر منه على الأرض

وأذرفت عيناها الدمع

صار الشفق قرطًا هلالي الشكل

من دماء عينيّ تلك الحسناء

تناثرت ذؤابتها على الأرض

وتصدع فمها على الياسمين

كان قلبها يرفرف في صدرها كالطائر

كانت تتحدث من القلب عن ذلك المحبوب

لما رأت المربية جُل عاجزة على هذا النحو

امتلأت قدمها بالشوك مثل الوردة بسبب ذلك الأمر

صعق روحها برق

حتى إنها صرخت منه كالرعد

أذرفت الدمع، وصرخت كثيرًا

وضاع قلبها، وضل

علمت الحسان بصراخها

فكانت كل واحدة منهن تصرخ من أجل الحسناء

رأت الحسان «جُل» الوردة المتفتحة مخضبة بالدم

فأدمت أعين قلوبهن بسبب «جُل»

رأت البلاء والنار نصيبيّ جُل

فنثرت ماء الورد على وجه «جُل»

ما دامت النار تشتعل في الناي في كل لحظة

فكيف تخمد مثل هذه النار بالماء

لما هبت ريح الصباح على وجه «جُل»

نبهت ذلك السرو الثمل

لما قصدت جُل العاشقة هذه الدنيا

فتحت عينيها، وأذرفت الدم

بدا خيال خطها الأسود عيانًا

جرى الماء على الخضرة من عينيها

لما تذكرت حالها

صاحت في كل ناحية مائة صيحة

خجل السحر من تنهيدتها

ورقّ قلب الفلك من حرارة روحها

فقدت الثملة الممطرة للسكر الصواب

مرة أخرى مثل المرة الأولى

وردة بقيت زمنًا في الدم والنار

كيف تحتمل؟ إنها ليست مسكًا

نثرت الحسان ماء الورد والمسك على وجهها

ولم تنتبه، فنثرنهما على شعرها

لما ابتل وجهها بماء الورد والمسك

صار ماء الورد من تنهيدتها دم الكبد

أقامت الحسان مأتمًا في منتصف الليل

أخذت الدُر الندي من عين القمر

جمعت الحسان المسك من ذؤابتها

ومسحت به وجهها

أحضرت الحسان فراشًا من الأطلس

وحملها عشرة أشخاص إلى الإيوان

لم تتحدث طوال الليل

حتى طلع الصباح

لما حلت دورة الصبح البهيج

صاحت الطيور السهرانة

نهضت تلك الحسناء مثل الثريا، ومثل غبار الطريق
واستيقظت بسبب هواء الصبح العليل
لما نهضت جُل، تحرر القلب
وصاح بسبب ذلك
لما منحوها كنز الجوهر ذلك
تصدقت به
أحضرت المربية العجوز الشواء والشراب
بقلب كالشواء، وشعر مثل اللبن
قالت لجُل: أيتها الياسمينية العارض ماذا رأيت؟
حتى انتقلت من هذا العالم إلى ذاك العالم
سقط قدك الشبيه بالسرو على الأرض
وتمزق ثوبك حول السرو
قالت ورقة الورد الياسمينية الرائحة:
لو أتحدث بمائة لسان
لا أستطيع قول واحد من مائة أيتها المربية
أو أتحدث إليك بقليل من كثير
فقد صعدتُ إلى السطح يائسة بسبب الضيق
يا من أنا غبار الريح الذي يتناثر من فوق السطح
توجهت إلى ذلك البستان للفرجة
فمزقت النزهة قلبي الشبيه بالوردة
رأيت وردة كانت زينة الخميلة
وقد علا الصياح من كل ورقة منها
كان النفس ريحاني من رائحتها
حظيت العين بكثير من الياقوت من لونها
اشتعلت النار في القلب بسبب تلك الوردة
مثل ذلك البلبل الذي سقط في الو-حل
لما رأى بلبل على الغصن تلك الوردة
سقط عاجزًا بسبب عشقها

كان يصيح بسبب عشق الوردة تارة

وكان يضحي بالقلب في شجاعة تارة أخرى

كان يعتريه مائة حال في لحظة تارة

وكان يرفرف بالريش والجناح تارة أخرى

كان ينظر إلى وجه الوردة تارة

وكان يمزق القباء مثل الوردة تارة أخرى

اشتعلت النار في البلبل في النهاية

وسقط من فوق الغصن الأخضر أمام تلك الوردة

اضطرب وسط التراب والدم

وفقد صوابه

اشتعلت النار في قلبي بسبب ذلك الألم

ورأيت دخان النار، وحدثت المشكلة

لما أدمى قلبي بسبب تلك النار

جعلت من الدم جسرًا، انظري كيف صار حاله

من كثرة ما أدمى قلبي

لم يعتل الجسر بل سقط تحته

أزاح رب الدنيا النحس

وأراح القلب

وإلا هلكت

وكنت مثل سمكة على الأرض

أعددتُ جوادين للرحيل

الآن أرسلت حمارًا فجأة

عندئذ قالت المربية: أيتها الحسناء

صار قلبك ملتهبًا مثل الشمس فجأة

لم تنصتي أو تشتكي أو تغضبي

حين أصابتك عين الشمس

حديث الرجل الحكيم طيب

وعين السوء بلاء الوجه الحسن

انظري، فقد تحدثت بهذا القول كثيرًا
ولتشعلي البخور كل يوم
لما طلعت الشمس
وكثرت النجوم كالفراشات
لما ضرب هذا الدرع الذهبي الفلك بالسيف
صار الغمام درعًا للفلك بسبب سيفه
جلست هذه المظلة الموشاة بالذهب على كرسي السلطنة
فعم الدفء الآفاق
لما حل الليل، قال لي هذا الدر المتلألئ
في البستان: إنه يريدني اليوم
ابسطوا الفراش حول الحوض
فإن في صدري لهيبًا مثل الحوض
لم أر حوضًا أطيب من هذا الحوض في العالم
كأن ماءه ماء الكوثر
ما دمت قد غصت في هذا الحوض الذهبي
فلماذا أطوف حوله؟
ما دام ماء الحوض قد سلبني الرونق قبل هذا
فلماذا أسكب ماء الحوض أكثر من هذا؟
ملأتُ مائة حوض بماء الورد من عيني
وتصببتُ عرقًا مثل الحوض بسبب الخجل
هكذا هلك قلبي بسبب هذا الحوض
وصار هذا الحوض بالنسبة إليّ حوض التابوت
فقد رأيت وجه تلك الوردة في الحوض
فجريت نحوها مثل ماء الحوض
لما ابتعد تمري عن حافة الحوض
الآن أريد الماء من وسط الحوض
أريد خيمة عند الحوض
وسوف أطوف شهرًا حول الحوض

الشخص الذي وقف على حافة حوض

ونظر إلى الغواص في ذلك الوقت

يبدو لعينيه منقلبًا

وقد انتكست بسبب هذا الحوض

لو أصابني العجز مرة واحدة

لطفت حول الحوض كثيرًا

لو يقوم هذا الحوض على أساس متين

يكون الاضطراب أساسه

يُنقد السكر بالورد

ويوجد السكر عند الحوض من أجل عقد العقد

أنا وردة، جلست في حضن السكر

رأيت السكر عند الحوض، فعقدت العقد

تجاوزت قصتي مع هذا الحوض الحد

الآن نحن والخمر وهذا الحوض

يحضرون العرش الذهبي إلى الحوض

ويجلبون الخمر والحور الفضيات الصدر

حتى تسترد هذا القلب المسلوب

بصوت الصنج، وأنين الناي

لماذا يجب التشتت بالأفكار

لو يحل السرور، أو يزول الحزن بسرعة

لماذا نحزن الآن؟

ونحن نعلم أننا سنصبح ترابًا ذات يوم

فلنحقق رغبة القلب معًا زمنًا

لا أعلم ما نستطيع فعله بعد هذا؟

أعدوا مجلسًا ملكيًا

وبدأوا السماع، وتناول النقل والخمر

أخرجوا هرمز من ذلك البستان

فوجد قلب جُل مثل الشقائق بسبب ذلك الكي

كان هرمز سبب السرور والطرب

فلماذا تجاهلوا ذلك السبب؟

كان جوهر حلقة ذلك الجمع

ولم يروا دخان وجهه الشبيه بالشمع

لماذا أبعدوا الشمع عن ذلك المكان؟

فلا يكون هناك نور للجمع بدون الشمع

لما بسط المطرب الفراش تحت الوردة

رفرف البلبل بسبب لحن الصنج

أخذت الحسان الأخريات الشبيهات بالشقائق

الآنية والكئوس والأقداح

كانت إحداهن تتجرع كأسًا

وكانت تجعل فيه مائة حورية بواسطة السحر

انبعث صوت الصنج العذب من

نواحي مجلس الدلال الأربعة

جاء نفر عجيب من الإنس والجن

ورافقهم

قرين مرح ظريف

ناري مثل الشمس، ضاحك مثل الصبح

كان يخمش الحرير بالظفر

وكان هاتف يهتف من خلف الحجاب

لما كان صوت الصنج يرتفع

كان القلب يسلك طريق الصحراء تاركًا الصدر

كان الموسيقار يعزف النغمات

ويتنفس أنفاس عيسى

أظهر في العزف العلم والعمل

وقال هذا الغزل اللطيف من خلف الستار

أين أنتِ أيتها العزيزة على مثل روحي

تعالي ولو أنك تتدللين أمام عيني

لا حاصل لي في العالم سواك

ولا أملك في القلب سواك

ليحزن القلب الذي لا يعرف اسمك

ولينمحي اسم مثل ذلك القلب من العالم

سلبتني ذؤابتك المضطربة الاستقرار

وروتني شفتاك الياقوتين

أطللتِ بوجهك عليّ، وسرعان ما مضيت

لما أشعلتِ النار، مضيتِ مثل الدخان

ما دمت أقيم حفلًا من الدمع بدون وجهك

فإنني أعد الشواء من القلب، والشراب من الدمع

هكذا ثمل القلب بسببك إلى حد أنه

لن يستيقظ حتى يوم الحشر

ما أطيب العشق في مرحلة الشباب!

خاصة إذا صاحبه التوفيق

ما أطيب المراوغة مع الحبيب!

خاصة إذا كان حبيبك متمردًا

ما أطيب تذوق السكر من شفتيه!

خاصة إذا كان ينبغي شراؤه بالروح

لما سمعت الحسناء هذا الكلام من الصنج

لونت دموعها المتساقطة من الأهداب الورد

لما كان قلب جُل رقيقًا مفتونًا بالعشق والسُكر

فكيف تصبر عن السماع والخمر

لما نفد صبر ابنة الملك

صاحت صيحة وهي فانية عن نفسها

صارت جاهلة عن العالمين

وأصبحت في مكان آخر خارج العالمين

كان المغنون ينتحبون جميعًا حول تلك الحسناء

على إيقاع النغمات

اضطربت جُل خلف الحجاب بسبب ذلك الحجاب
وتفحصت عيناها المحجوبتين الحجاب
جاء العشق، وسقطت جُل فاقدة الصواب
علم الله فحسب أين صارت؟
تعلقت بعشق ذلك المحبوب
حتى إنها انقطعت عن نفسها، واتصلت بالمحبوب
رأته في المنام، وقد وضع شفتيه على شفتيها
وجعل شفتيه على شفتي جُل مثل السكر
أمسك شعرها المجعد بيديه
فاضطرب، ونام ثملًا
قال لها: أيتها المحبوبة العديمة الوفاء!
أيجافي أحد حبيبًا مثلي!
كيف تجافيني هكذا؟
وتأتي بي إلى البستان وتخرجي أنت!
جئتِ إلى البستان مثل الوردة النضرة
وطردتيني من العش كالبلبل
مادمتِ لستِ كالبلبل في العشق
فإنكِ لو تطردين البلبل، لا تبقي الوردة
لماذا طردتيني حتى كنت أتألم ثملًا بسبب الوردة
مثل البلبل؟
تفتحتِ مثل الوردة، وتركتيني ذليلًا
ووضعت الصاع في حملي مثل يوسف
لما سمعت جُل ذلك، نهضت من النوم
وأطلقت اللسان، وضجت بالصياح
انتحبت مثل صنج شديد الألم
واضطربت
تدفق الدم من عينيها سيولًا
وتخضب طرفها بالدم بسبب دم العين

هكذا كانت جُل العاشقة بسبب عدم النوم

والألم مثل ورقة الزعفران

لما رأت هذا المنام، ازداد عشقها

واستيقظت عين فتنتها بسبب ذلك المنام

تكفي الوردة المضطربة لحظة

وتكفي الوردة المطحونة قطرة

الذكرى كفيلة بغم يعقوب

والريح كفيلة بالوردة المتفتحة

لما خرج الأمر من اليد، اضطربت جُل

ولم ينصلح أمرها مرة أخرى

كان للوردة الندية كبد يابس، ونفس حزين

وقد أصابت الحمى جسدها، وصار أصفر اللون

لما ألقت الحُمَّى حرارة العشق في قلب جُل

سال العرق من الوردة مثل ماء الورد

كانت تحترق متألمة بسبب تلك الحمى ليلًا ونهارًا

وكان جسدها الممشوق يحترق بشدة

أحضروا أطباء ماهرين

لعلاج داء ورقة الورد الجميلة تلك

ماذا يعلم الطبيب عن دواء جُل في النهاية

فالبستاني يستطيع علاج الوردة

يلزمها بستاني مثل هرمز

وإلا لا تصير الوردة نضرة أبدًا

لما يرعى البستاني الوردة

لا يصيبها ضرر من أية شوكة

الخلاصة عالجوها شهرًا

ولم تبق ذرة من تلك الشمس

ليس هناك دواء للعشق

ولا علاج لداء العشاق

ازداد داؤها سوءًا بالعلاج في كل وقت

فقل صبرها، وكثر حزنها

لما لم يستجب غصن الياسمين ذلك للعلاج

حملوها إلى الإيوان، وفرجوها على المناظر

تحسنت صحتها في النهاية، واعتلت السطح مرة أخرى

وصارت مثل طائر متعب في الشباك

لما كان طائر قلبها قد طار من فوق السطح

قصدت السطح مرة أخرى

كانت تسير على حافة السطح مثل طائر

وكانت تطوف بقدميها حول الشباك

حفظت طائر الأمل ذلك على السطح

حتى يهديها إلى الشمس

ترك قلبها الوطن مثل طائر

فرأى ذلك الطائر محبوبه

رغب قلبها في الحب

مثل طائر قفز من قفص الصدر

صار قلبها مثل طائر جارح

ألحّت عليه الرغبة في التغريد

كان قلبها يرفرف، ويمضي بدون حياء

مثل طائر يسير في جو حار

صاح قلبها مثل طائر، وقالت:

تعال يا هرمز، وانثر الحَب

غرِّد لي على السطح في النهاية

فإن طائرًا مثلي لا يقع في الشباك بسهولة

انظر إليّ؛ حتى يسقط على سطحك

طائر مثلي، وربما يقع في شباكك

عزّلني على حَبك

وما دمت قد هديتني، فاطلق يديّ

أنا ذلك الطائر الذي لا مكان له قط بدونك

ولا أبحث عن هوى سوى هواك

أنا ذلك الطير الذي كان جناحه ذهبيًا

فاحترق جناحه، وتبدل حاله

أنا ذلك الطائر الذي يظل

مفتونًا بك حتى الأبد بسبب حَبة منك

تلطف لحظة، وكن أنيسًا لي

واجعل من المداراة مرهم قلبي

قالت هذا، وسقطت فوق السطح

فصار السطح بأسره أحمر اللون بسبب دمعها

ماذا أقول؟ هكذا كانت تلك الحسناء

تطوف حول السطح ليلًا ونهارًا

كان السطح منتزه جُل طوال الوقت

صباحًا أو مساء

كثيرًا ما كانت تعتلي السطح مساء وليلًا

فاتهمتها تلك المربية العجوز

مع أن جُل لم تفش سر القلب لأحد

لكن الدمع على وجهها كان يتكلم بوضوح

رأته في المنام ليلًا فثارت

وقفزت من المكان باكية صائحة

صارت نار قلبها مثل مجرى الدم من كثرتها

ولطمت وجهها، وانهارت

لما دخل العشق من الباب وخطا

توجهت جُل إلى السقف متعجلة

كانت تعتلي السطح حافية القدم حاسرة الرأس

وقد يئست من تحقيق رغبة القلب

اتشحت الدنيا بالسواد

وسكن الطير والسمك فيها

اختفى الليل تحت الغبار المتصاعد
مثل دودة تسللت على القطران
بقى الليل في القبر مثل زنجي
وظلت عروس النهار قابعة في السحر
علمت المربية، ورأت جُل على هذا النحو
ورأتها متجهة من السرير الذهبي إلى السطح
فصاحت قائلة: ما هذا الحال؟
فمثل هذا الحال محال أن يعتري ناقص العقل!
أي ضلال استحوذ عليك!
ألا تعقلين؟ إنك تشرفين على الهلاك!
أطلقتِ الوهق على روحي القوية
وألقيتيني في الماء أي مكر هذا؟
تنشغلين بالسطح في كل وقت!
وتجذبين الجديلة، وكأنها شوكة في القدم
أعلم يقينًا أن مشكلة حدثت لكِ
واشتعلت الكثير من النيران في قلبك بسبب هذه المشكلة
ما مشكلتك؟ قولي
يعلم الله ما تكنين في قلبك
لو أقول: ماذا تصنعين على السطح؟
تقولين لي: حتى يستريح قلبي
كيف تصدق المربية هذا الكلام من جُل؟
وكيف تخرج معي من هذا المأزق؟
مع أنك تمضين الليل على العرش الذهبي
إلا أنك تبدين مثل ميتة من شدة الضعف
ولو تقصدين صعود السطح للهو
تصبحين مثل باز جسور
تصعدين كالجواد المنطلق!
وتأتين أكثر عجزًا من الحمار!

لو أقول لك: تعالي من السطح إلى القصر

تتمهلين كثيرًا

تسقطين، ولا تعرفين رأسك من قدمك

لا تتحركين، وتثبتين في المكان

ولو أقول لك: انهضي، واصعدي إلى السطح

تنشطين، وتسرعين مثل النار

ترفرفين بالريش والجناح مثل طائر

وتضعين ذيلك على كتفك مثل ثعلب

تطوين كمك في جَلَد

وتسيرين على حافة السطح طوال الليل

يتصاعد الدخان من عينيك إلى حافة السطح

تغنين، وقلبك مملوء بالألم

يفيض الدم من عينيك تارة

وتطوين ضوء القمر تارة أخرى

تغردين مع الطير تارة

وتصرخين من الأنين تارة أخرى

تهشين الطير من فوق الأغصان تارة

وتنادين الطير في البستان تارة أخرى

تلقين حجرًا في الماء تارة

وتنامين على الحجر تارة أخرى

تبكين مثل الشمع الضاحك تارة

وتعضين بأسنانك على المنديل تارة أخرى

تجعلين السطح نهرًا بسبب البكاء تارة

وتجعلين التفاحة قالبًا من الآجر تارة أخرى

تمسكين باقة ورد تارة

وتنوحين مع صوت البلبل تارة أخرى

تخرجين يدكِ من تلابيبك تارة

وتَسقُطين مثل ذيل الثوب تارة أخرى

تلقين بنفسك على الحائط تارة

وتطوين الحائط تارة أخرى

تتنهدين تنهيدة حزينة من القلب تارة

وتتألمين بسبب الحزن تارة أ خرى

تنثر شفتاك السكر تارة

وتتصبب ورقتا وردتك عرقًا تارة أخرى

من كثرة ما طفتِ حول السطح

فإنك تودعين البدر كل ليلة

مع أنني لست لبقة

لكنني أفيدك في كل شأن

استرق السمع إليكِ طوال الليل

وتظنين أنتِ أنني أتركك

لا يهدأ قلبك لحظة طوال الليل

ولا يمكنك سوى الصعود إلى السطح

ويمكن أن تظلي على هذا الحال من الليل إلى النهار

شهرًا أو سنة وأنا لا أعلم ما الحال؟ وأعلم أن هناك حال!

لا تنام عيناكِ الليل

إن يضع طائر منقاره في الماء

لا استقرار لكِ، ولا سكينة

وربما فقدتِ السُمعة بسبب سوء السمعة

أي حال اعتراك، ماذا حدث لك؟

بك مس من الجن، وربما اختطفك الشيطان!

أيقظتِ خلق العالم جميعًا

كأنك حباب حمله الماء

ماذا تريدين من عجوز ضعيف؟

أنتِ بمثابة الروح بالنسبة إليها في العالم

ماذا تريدين من هذه المسكينة العاجزة

وقد بقيت شعرة بينها وحافة القبر

أدمى قلبي ألمًا عليكِ

ولا أطيق إهدار دمك

ألا ترحميني، ماذا أصنع؟

أنتِ تتألمين. وأنا أذوب!

تنتظرين النهار مثل الليل

وتحترقين حتى السحر مثل شمع

لما يطلع النهار، تمطرين الجوهر على وجهك

حتى يأتي الليل

لا أرى لك استقرارًا ليلًا أو نهارًا

ولا أرى لكِ عملًا سوى الحزن

لما كفت المربية عن هذا الكلام

أطلقت جُل اللسان مثل البلبل الثمل

وقالت للمربية: إن قلبي يتمزق

كأنني أرقد تحت ***جبل قاف***(٢٠)

لما أحاط بي جبل قاف

تجلط دم عيني بسبب آهاتي

لم أتحدث أمام أحد قط

عن مثل هذا الألم الذي اختفى في روحي

تألم قلب الداية بسببها

وكأنها فقدت الروح بسبب القلب

قالت لجُل: أيتها العزيزة على روحي!

جانبك التوفيق

لقد ربيتك بإخلاص في حجري

فكيف أستطيع أن أراكِ مضطربة

لماذا أيها الطائر الذهبي الجذاب

لا تنام مثل طائر الليل؟

تذهبين لمشاهدة المناظر حاسرة حافية القدم

مقبورة، ولا تقرأي التاريخ القديم

قولي: من أوقعك في الأسر
البوم أيتها المنيرة للدنيا؟
إنكِ تعلمين كيف أحفظ سرك
ولا أبوح به
لم تعهديني أبدًا كثيرة الكلام
أو ثرثارة أو بوجهين
لم أخطئ أمامك أبدًا
ولم تسمعي كذبًا مني
أنا عبدة لكِ ما حييت
وكان قلبي قد امتلأ بحبك
إن ليلي ليس ليلًا بدون شعرك الأسود
ونهاري ليس نهارًا بدون وجهك القمري
مرادي تحقيق رغبات قلبك كلها
وأنت تعلمين نيتي جيدًا
لا تعلم المربية أن شعرة ألقت بظلها
على وجهك القمري بدون محبة
لو يسقط ظل الورد على جُل
تدمي مربية جُل مثل الوردة
أنتِ عزيزتي أيتها الدرة الوضاءة!
وإن روحي ترتجف عليك ليلًا ونهارًا
إن لي قلبًا شديد الاحتمال بسبب حبك
وأستيقظ من النوم عشر مرات كل ليلة
أشعل الشمع عند وسادتك في وقت
وأنير شمع مرآتك في وقت آخر
أحرق العود والعنبر على رأسك
وأعد لكِ ملبسك
أزين الخال الأسود على وجهك
وأُسَرِّح لك شعرك

أضع ماء الورد العذب في الآنية

على جانبي وسادتك، لا على جانب واحد

على هذا النحو أشفق عليكِ

فأي حقد تكنيه لي أيتها المحبوبة!

مع أنني صرت متعبة بفعل الأيام

وأصبحت أسيرة الفلك المشئوم

منذ جعلت الدنيا ظهري مثل القوس

أنفذت الشباب مني كالسهم

صار عرقي أزرق اللون، وصار وجهي كالقش

وأخجل من نفسي أحيانًا

جربت الدنيا مدة طويلة

وما أبحث عنه، وجدته وَهْمَا

لما طال حرصي، وقصر عمري

أرسلت لي الشيخوخة رسالة فجأة (فحواها):

تمرين على الصحراء بسرعة مثل الريح

وتعودين إلى موطنك مرة أخرى

الآن حان وقت الرحيل

ولن تتركني الأيام معك قهرًا

تلزمني أيام أخرى من أجلك

ولهذا العمر نهاية في آخر الأمر

لم تبق من عمري أية بقية

ولم يبق لي عيش بعد

من أنا؟ لو أنني ظل فأنتِ الشمس

تبحثين عني كثيرًا، ولا تجديني

لماذا تتخضَّبين بالدم؟ قولي

من ترين أسوأ حالًا منك؟

مع أنني سقيمة وعاجزة

لكنني ربما أعرف العلاج

لا يعرف كل شخص كل شيء أيتها الحسناء!
فاطلعيني على هذا الحال الخفي
بحق من جعل الروح قرينة الجسد
وجعل العقل مَلِك العالم
أشعَلت آلاف الشموع في الطاق
وأضاءت السراج من الروح المشتاقة
لما كان العنصر غريبًا، انفصل
فعرِّفي الغرباء بنا
بحق مريم الطاهرة الجوهر
بالناقوس، والصليب، وحافر الحمار
بالإنجيل والزنار والرهبان
ببيت المقدس والمحراب والإيوان
بروح عيسى الشبيهة بالشمس
بإيمان النصارى الأوفياء
لو تفشين لي سرك الخفي
أحفظه مثل روحي؛ لأنكِ عزيزة
كَبَّرتُك بدم القلب
وربيتك باللبن والسكر
حفظتك من الماء والنار
حتى صرتِ جميلة مراوغة
إن لي في رقبتك حقوقًا لا تحصى
فقولي: أي حق لكِ في رقبتي؟
أنتِ خفيفة الظل، وصرت أنا
ثقيلة الظل في عينيك بسبب غضبك
لا يؤثر كلامي فيك
إن لي معك الآن شأنًا آخر
هل أنتقم منك ؟
وكأن لبن ثديي حرام

لما تحدثت تلك المربية العجوز كثيرًا
بدا وجه تلك الفتاة مثل القير
دارت رأسها، وصارت عيناها نهرًا من الدم
إذ كيف تخرج من هذا المأزق؟
تصببت عرقًا خجلًا من المربية
وضاع قلبها الشبيه بالزجاجة من يدها
فقد احتالت على المربية، وظلمتها
لذا صرخت بسبب المربية
سوف نفتضح في النهاية
ماذا تريدين من هذه التي سقطت في الشباك؟
لا تخسري عملكِ
ودعيني في أفكاري
ألقيتِ حَب المكر في المصيدة
ماذا تريدين من هذه التي اضطربت بفعل الأيام؟
لماذا تؤذين قلبي المفتون؟
وقد سكن فيه ألم عجيب
لقد وقع لي أمر بسبب القلب
وأصيب قلبي بالألم والحزن
لا يمكنني الحديث عن ألمي لأحد
وينبغي عليّ الاحتفاظ به
لا يمكن أيضًا إخفاء هذا الألم
ولا يمكن أيضًا الاستهانة بهذا الأمر الصعب
أقول؛ فأفتضح بلا شك!
أو لا أقول؛ فأظل في هذا الهوس!
أقول؛ فأوبخ من كل خسيس!
أو لا قول؛ فأسبح في دم كبدي هذا!
أقول؛ فأصبح سيرة في العالم!
أو لا أقول، فإلى متى أسوق الحجج؟

أقول: إنني لا أطيق الفضيحة

ولا أقول: لن أترك الوحدة

إذا لم يبق سري هذا خافيًا

أعلم يقينًا أن روحي لن تبقى

ما دام الكلام يظل في القفص دائمًا

يكون مثل البيضة السليمة

ولكن ما دام قد انطلق من القلب إلى اللسان

صار مثل طائر، وجلس فوق كل غصن

أخشى لو أبوح بسري الخفي

يفصلون لساني عن رأسي

الآن أيتها المربية! ما دام الأمر قد خرج من يدي

أفشي السر، لو يمكن قصره عليك

ينبغي عليكِ الآن الحفاظ عليه

كما يجب عليكِ إخفائه أيضًا

اعلمي أن «مه مرد» البستاني الماهر

له ابن مثل السرو الشامخ

احتجب القمر خلف الغيوم بسبب وجهه

وتصدع الجوهر بسبب شفتيه

حلم العشاق بعينيه

وكان حاجبه طاق الحسان

تلقى الكبد السهام من عينيه كليهما

وتناول اللبن السكر من شفتيه

لما تتلون شفتاه الياقوتيتين باللون الوردي

تصير ذؤابته على رأسه سوداء كالليل

رأت النجوم سُكَّره

وقبلت الأرض قمر سمائه

كأن شفتيه حلوى النبات

أي حلوى نبات إنها ماء الحياة!

رأيت خطًا مثل ريحان إرم

فوضعت الرأس على ذلك الخط مثل القلم

كان خطا جميلًا، لكنه مزق لوح القلب

وأدمى الصدر، وظلمني

تحرك جن بداخلي بسبب ذلك الخط، فماذا أصنع؟

عشقت ذلك الخط على هذا النحو

ضاع قلبي من يدي مثل زجاجة بسبب ذلك الخط

وتحطم قلب الجن على القلبين مثل زجاجة

دخل الجن الزجاجة، وجعل هذا الجن

قلبي في زجاجة، وسقطت الزجاجة

لما رأيت خطه، ضقت بهذا القلب

صار قلبي على خطه مثل زجاجة ضربت على الحجر

الآن وقعت الزجاجة من يد الطفل

ولا يفيد الصراخ والعويل أية فائدة

لا تسألي أيتها المربية كيف أتجه إلي

كل ناحية مثل الجن بسبب الملائكي الوجه ذلك

جديلته السوداء تلك

جلبت العار إلى وجهي الوردي

لما رأيته تحت ظلال الصفصاف في البداية

وقد نام أمام الحوض مثل الشمس

كان جاهلًا عن العالميّن بسبب السُكر

ولكن العالم اضطرب بسببه

فقدت عيناي الشبيهتين بعين الغزال الصواب

ورقد الأرنب بسبب عينيه

لما رأت جُل ذلك الوجه الشبيه بالقمر

كادت تمزق ثيابها بسبب الأنين

رأيت وجهه متوهجًا مثل النار

فاضطربتُ بسبب مائه وناره

انطلق القلب المفتون بعيدًا عني كالسهم
كيف أحفظه الآن، وهو مقيد في ذؤابته
لما عاد إلى رشده، ونهض فجأة
ضج السرو، واضطرب القمر
وضع التاج الأحدب، وعقد الوسط
فتجلط الدم كله في قلبي
لما بدا سروي الشامخ ذلك
سال دمعي بسبب طلاقته
لما مرّ ذلك الجوهر الخالص من أمامي
كان قلبي يتقدمه راقصًا
قلبي- الذي لا يعقل- مفتون به
فإنه الشمع، والقلب فراشته
لقد بقيت في انتظار الموت
وبقيت وردة بلا أوراق بسبب ذلك السُكر
لا نوم لي ليلًا ولا استقرار لي نهارًا
مشغولة بطيف ذلك المحبوب ليلًا ونهارًا
كان قلبي يحمل كأس الدلال في يده
لو أنام لحظة، كان يحمله مرة أخرى
ويجعل الفراش الناعم طوال الليل
جانبيّ قنفدًا بسبب الخشونة
الآن قلت لكِ ما لا ينبغي قوله
فماذا تصنعين حتى يصير ذلك القمر قريني؟
مع أنني أخجل منك
إلا أنني عاشقة، واستولى العشق عليّ
أنا رائحة الورد، وذلك المحبوب رائحة الياسمين
كوني رشيدة، وتوسطي بيننا
امنحي المُلك لذلك المسكين من هذه الملكة
وأخبري ذلك السُكر عن حال هذه الوردة

قولي له: إنك عقيق؛ فتكيف مع الجوهر

تملك السكر، فأجعله هو وجُل معجون السكر

قولي له: إنك مثل السرو، وجُل مثل الشمشاد

فتعال لتسعد بجمالها

قولي له: إنك مثل القمر، وجُل مثل الشمس

فأرقُص مثل ذرة أمام وجهها

أفرغت القلب الآن أيتها المربية

وجعلتك حارسة على بابه

هكذا صارت المربية بسبب ذلك القول

وكأن تلك الفتاة أصابتها بسهم في قلبها

لما سمعت هذا الكلام، رفعت يديها

ولطمت وجهها المجعد مائة لطمة

صرخت خشية الفضيحة في الدنيا

لأن ثملًا لا يقول ذلك أبدًا في الدنيا

ما أطيب همتك! فقد اخترت الصاحب الطيب

حافظي عليه، فقد بلغت مكانًا طيبًا

لك محبوب مثل هذا خلف ستار الدلال

فلماذا لم تفشي لي سرًّا؟

لا يمكن قول هذا كله مرة واحدة

فلتخجلي أيتها المعتوهة العديمة الرأي!

غضبت جُل بسبب كلام المربية

وقالت لها: يا من قولك مُر كالسُم

لو أنصحك مائة نصيحة حسنة

لا تعملين بنصف ما نصحتك به

تصاعد الدخان من القلب المملوء بالقيود

لا تجدي النصيحة مع القلب الملتهب

نصحت قلبي كثيرًا

حين أتعهد، أقسم على الوفاء بالعهد

من ثم لماذا تستغيثين؟

وقد تذكرت المواثيق والعهود كلها

سلكت المربية - التي ضاقت بهذا الأمر - طريقًا آخر؛

لأن عشق جُل كان نقشًا على الحجر

غيرت تلك المربية الماكرة الكلام

وخرجت من الباب بمهارة

خدعت جُل بالكلام

حتى إن البلبل الأمين على السر أفشاه

قالت لجُل: أحسنت؛

لأنك فضلتِ الفقر على الغنى

مَهَركِ الأتراك والهنود معًا

فأي قلب تريدين منهما؟

يريدك ملك إصفهان

وأنت تريدين جسدًا، وهو يريد روحك

شخص يتمتع بالمُلك والرغد

كيف يتمنى الرعى؟

شخص يُمْهَر بقطعة من القمر

كيف يبحث عن النجوم مهرًا له؟

دعكِ من هذا الضعيف المرفه

واتركِ الجسد، ولو أنه عزيز

إذا لم تتخل عن رغبتك

أقول للملك؛ حتى يحلق شعرك

ألقى بكِ الهوى في لهيبه وحرقته

أي سوء حظ أوقع بكِ في مأزقه؟

ربما لم تسمعي هذا التحذير أبدًا

القلم لا يضيء بالزيت أبدًا

أنتِ ملكة، وهو ابن رجل معدم

أنتِ شريفة، وهو ابن قروي

أنتِ نيروز الحسان البهيج

فاحتفلي بالنيروز بدون القروي

ليس هناك ببغاء يمطر السكر في العالم

يخدعه راعي بقر

عمله الدائم الطين والفأس

كيف تعهدين بوردك لفأسه

ما أطيب عنادك!

فإنك تتدللين على راع في النهاية!

من يملك النفوذ والثروة

ينقب عن حسناء مثلكِ

ألقيتِ بنفسك في الضعف

وانشغلتِ بشخص تمامًا

أي طبع طبعك، فقد اضطربت

حتى إنك لا تتحدثين مع أحد

أنا التي تحدثت عن كل حسن وسيئ

ولم أؤذيكِ بما قلت

عيناك نظيفتان في وجه غير نظيف

وكأنكِ غسلتِ يديكِ بدمائك

بسطت جناحيكِ بسوء سمعتك

وكشفت رأسك بالفضيحة

لو يُشَّهر بكِ، فلا تبالي

فإن أحدًا لا يبيع لك خبزًا بفضة

لقد أصابك شيطان الهوى بالجنون

وجعل عقلك غريبًا عن قلبك

خجلت جُل من سوء طبعها

حتى إنها وضعت نقابًا من الطين خجلًا منها

قالت للمربية: أنا عاجزة بسبب هذا الأمر

فكيف أجتنب هذا الأمر

لو تتحدثين كثيرًا أو لا تتحدثين

فهذا سواء بالنسبة إليّ؛ حتى لا تتحدثين مرة أخرى

هكذا سيطر عشقه على قلبي

حتى إن مثل ذلك النقش قلما نقش على حجر

لا كانت روحي إذا لم تتعلق به

لا كانت عيني إذا لم تر وجهه

لو أن ذلك القمر قبيح في عينيك

فهو مثل حور الجنة في عينيّ

لو أنه شيطان رجيم في عينيك

فهو مثل إنسان العين في عينيّ

انظري إلى أمرك بعينيك

وشاهدي جمال حبيبي بعينيّ

أسلك سبيل المداراة مع المربية بسبب ذلك المحبوب

ما دام القلب يريده، فماذا أصنع؟

لتسلمي من هذه المحنة

ولن أحيد مطلقًا عن هذه الملامة

ما دام القلب لا يأمل في السلامة

فإن لومك لا يفيد

أي زيت تصبينه على الحصى!

وتدقين الماء في الهاون عبثًا!

لقد أفشيت لكِ السر الخفي

وقلت ما ينبغي قوله، الآن أنت تعلمين

انظري كم يمين حلفتِ

ولا تنقضي العهد أبدًا

الآن مع كل تلك العهود التي قطعتيها على نفسك

تقطعين الصلة بي

لماذا لا تخجلي مني؟

وتقولين: حتى يحلق الملك شعرك!

أراكِ ضعيفة قاسية القلب

لا تواسيني مربيتي، يا لحسن الحظ!

لم تمر لحظة، لم أتخضب فيها بالدم

إذا صرتُ عاشقة، لم أسفك الدم

إنكِ تقولين قولي، ولما كُشفت الأسرار

غضبتِ، وبدأتِ الفتنة

كثيرًا ما تفوهتِ بعيوبي مثل البركان

وأرسلتيها من صدرك كالماء

ما دمتِ لا تنشغلين بأمري

فلأي أمر تأتين في النهاية

وقعتِ في شباكي مثل صيد ميت

ووقعتِ في يدي مثل قدم النملة

حين توقعيني في الشباك

تؤذين الأسير أيتها الخائنة!

شجاع يأسر شجاعًا

ما أطيب الأسد الذي يصطاد أسدًا!

لا يجب أن ترتبطي بي أكثر من هذا

فكل طائر يعلق من عرقوبه

شجعيني ما دامت القرعة قد وقعت عليّ

فقد عجنت الخبز بالسمن معك

لا تقسي عليّ أيتها المرأة الحنونة!

فنحن نسوق السفينة على اليابس!

صرت ذليلة تحت قدم محنتك

وكثيرًا ما سُحقت بسببك

لو تخجلين مثل الناس

لانحنى ظهري عليك

لما ترى القطة القدر مكشوفًا

لا تخجل، والكلب على الباب المفتوح أفضل منها

قالت هذا، وصرخت بشدة
ورفعت الفراش عن السرير أمام عين المربية
لما سمعت المربية هذا الكلام
ألقت بالقلب الدامي من العين بسبب الغضب
قالت المربية لجُل: دفعكِ الهوى
إلى إهانتي مائة مرة
طردتيني من أمامك مائة مرة
وأذللتيني
سميتيني كلبة، وأبعدتيني
وسرعان ما أخذتِ في الصياح مثل القطة
قلتُ لكِ مائة مرة انتبهي
واستمعي إلى الكلام، وانصتي
إذا كان لكِ سر، فانتهزي الفرصة
وضعي فمك على أذني، وتحدثي به
هذا الذي وضعتيه على كتفي كان اللسان
وهذا الذي وضعتيه على أذني كان الفم
مزقتِ لباس حسن السمعة
واشتريتِ الذلة وسوء السمعة بالذهب
لما سمعت جُل هذا الكلام، قفزت من المكان
وجلست في مكان بعيد عن عين المربية
فقد سلبتها الصبر
وجَرحت شعورها
أخذت النجوم في الصياح
بسبب آهات تلك الحسناء وأناتها
امتلأت الأرض بالغبار بسبب آهاتها
واشتد ألم الفلك بسبب حرقة ألمها
بقى قلبها في النار، وظل جسدها في الماء
لم تأكل أو تنام بسبب هذه الأفكار

لم تتحدث إلى المربية أو أي شخص (وقالت):

كفاني الله معينًا في هذه المحنة

شاركها المساكين كلهم الغم

ورافقوها طوال الوقت في كل مكان

اطلب رضاه ما حييت

لا تكن سيدًا ما دمت عبدًا

إلهي! اجعل قلبي مطيعًا

واحيي الميت بفضلك

يريد قلبي عونك

اجعل يقظتي كرامتي

أيها القلب! قص الشرع والدين القصص

لماذا قلت لك هذا القول؟

اللحظة التي تكون الدنيا ثمنها

لا تأنس مع الزمان بدونها

تركتَ نفسك بسبب الغفلة

ولا تعلم قيمة لحظة من وقتك

لما تستيقظ غدًا من هذه الغفلة

لا يفيدك الندم في ذلك الوقت

خطاب في حقيقة الروح وفي معنى أنين جُل

ألا أيها القمر الثمل الحسن الصوت!

تعوَّد على قش الدنيا هذا

ما دمت قد صرت هاديًا، فاترك الدار

أي قش تحمله إلى العش!

ما دمت قد سويت هذا العش بالتراب

فقد زودته بالقش عن طريق الحواس الخمسة

حلّق من هذه الدنيا الغدّارة

إلى غصن طوبى لحظة، فطوبى لك!

ابسط جناحيك تحت ظلالها

وأحسن التغريد، ثم تغنى بالأسرار

غرِّد حتى يَلقى أتقياء الحلقة

الخِرَق عليك

كن ثرثارًا- مثل السوسن- في بستان الكلام

وفكر في جُل الوردية الوجه، واشرح حالها

لما استمر غضب جُل من الداية شهرًا

وسَلبت تلك الشمس طلعة الظل

كان قلبها يحترق في عشق جُل

كانت تحترق مثل الشمع من حرارة تلك الجميلة

اقتربت من جُل، وهي تشعر بحزن عميق

يسلبها الصبر

لما رأت تلك الشمس البهيجة

ذابت من نار جُل مثل الشمع

اشتعلت شعل قلبها

وصار كالشمع، ولو أنه كان فولاذيًا!

أخفت قطرات الدم على وجهها

ونثرت الدم من أجلها، ولو أنها كانت قاسية!

صارت ذرات جسدها كالزئبق

إذ كيف تقوى ذرة على الهواء!

كان الليل حالكًا، وكان الصدر يغلي

لم تسكت مثقال ذرة بسبب انعدام الصبر

لما امتلأ جزعا الليل بالنجوم

بقيت ليلة ذلك الليل في مكانها تترقب

أطلقت جُل اللسان قائلة: يا من لا تأكلين ولا تنامين!

لقد غرقت في دوامة العين بسبب انعدام النوم

لا يأتي النوم إلى عيني

لأن الدمع يسلبني النوم

لا أعلم ماذا سوف أرى من الأيام؟

فإنني لا أجد النوم ولا الراحة

ربما قيد نومي، وألقى به في الماء

فسال الماء من العين الساهرة

أنا الليلة أحيا بالاحتراق مثل الشمع

لا أريد إلا البقاء حتى النهار

أنا الليلة أضحي بالقلب المكتوي

وقد أسلم القلب الروح بسبب النار مثل الشمع

أنا الليلة قصيرة العمر مثل شمعة

ظلت تحترق حتى وقت السحر

ليلة كانت سماؤها مثل أرضها

وكان يوم القيامة رفيقها

طَلَت وجه الدنيا بالقير

وملأت الأرض والسماء بالدخان

غاب قمر الفلك بسبب ا لغضب

ووضع إصبع الليل إصبعه في عينه

سقطت عرائس الفلك جميعهن سُكارى

في طست مملوء بالدم

قيدت أقدام النجوم

وسقط المؤذن من فوق المئذنة

مات ديك الصبح في الخرابة

وماتت امرأة الطبال في الدار

بسط زنجي الليل يديه

وأشعل النيران في الثعابين والأفاعي

أعد القطب وليمة للفلك

فألقى القطب الحمل الثقيل على الفلك

ظل عندليب الفلك مقبورًا
وغاب قمر الليل
مُزِّق قباء دائرة القمر
وقُطع لسان طيور السحر
تنفس الليل طوال الليل حتى الصباح
وبسط خرقة على العالم
تسمرت النجوم، وقُيد القمر
جيش النهار بعيد، والطريق مسدود
وضعت عين النجم القضيب في العين
جلب بساط الليل النيل إلى العين
اتشح الليل بالسواد مثل الإسكندر
واختفى طائر الصبح مثل الخضر
تجرعت المجرة ذات السبع سماوات
المُسكرات كلها، وهي فاقدة الصواب
انقلب زنجي الليل
وثبتت النجمة طرفه بالمسمار
ارتدى هاروت الصبح السواد
وسقط القمر في بئر زبيدة
يلتقط طائر الليل في السموات السبع
الذرة الذهبية من الأنجم
كيف يمكن رؤية سن الإبرة في مثل هذا الليل؟
وكيف يمكن التقاط الذرة بالمنقار؟
ليل شديد السواد مثل وجه الزنجي
وصل سواده إلى سطح القمر
سقط مفتاح الصبح في البحر
ووقع الجبل على قد الدنيا
تأوهت جُل قائلة: يا ليل الزمان!
افتح لي بابًا، واشترني بالروح

لو أنك أيها الليل لست يوم القيامة

فلماذا لا تنجلي سريعًا؟

لقد بقيت محترقة هذه الليلة مثل الشمع

لعلِ النهار يقشع الليل هذه الليلة

إلى متى تلهب قلبي أيها الصبح؟

تنفس، لو أن لك روحًا أيها الصبح

لعلك لم تطلع أيها الصبح

لأنك متواطئ مع يوم القيامة

لما جاوز تجاهل الصبح الحد

فتح النهار قفل الصبح

ولما أخرج الصبح حرير الفلك هذا المنسوج بالذهب

من القصر الأخضر

ولما انقشع غبار الليل الأسود عن الطريق

طلع الصبح الشبيه بوجه يوسف

كانت المربية تنصت إلى جُل طوال الليل

وكانت توقظها من تلك الغيبة

لم تكن المربية العجوز تطيق

أن تبكي جُل منتحبة مثل الزير

ذهبت إلى جُل، وبكت منتحبة مثلها

كثيرًا ما لطمت وجهها، وبكت كثيرًا

جلست بجوار تلك الحسناء

وسلكت الطريق بين التراب والدم

قالت لجُل يا من جريت في دماء روحي

واسترحتِ إليّ في الدنيا

أنا سمكة بقيت على اليابس

أنتِ قمر ينثر الدم على أطرافه

اعتراني حال طوال شهر بدونك

الليلة من شهري بدونك تساوي سنة

لا تسأليني كيف كان حالي؟
إنني عجزت مثل طائر بلا ريش أو جناح
لا أستطيع أن أصنع حيلة
ولا أطيق أن تبقى جُل متألمة هكذا
أصابني الضعف بسببك
وبقيت عاجزة تمامًا
الآن لما قلت وبترك السمعة والعار
نمت على هذا الحجر للاحتيال
ماذا تأمريني أن أفعل؟
حتى أنفذ أمرك مخلصة
أين يلحق بكِ الكلب ذي القلادة؟
ما دمتِ قد ألقيتِ اللبادة على البقرة
الآن ما دمتِ تحبينه هكذا
أسعى حتى أرفعه من الأرض
وأخرجه في لحظة من البلدة
بالقيل والقال والسحر والخديعة
لما قالت المربية هذا، وصارت صديقة لجُل
فتحت جُل فمها مثل البرعمة

حديث في سماح المربية لجُل بأن تعشق هرمز وصنعها الحيل

قالت جُل للمربية: انشغلتُ بنفسي
وأصابتني عين السوء
ما دمت قد أصبحتِ رفيقة لي، فقد وفقتُ
وظهر مشتر لمتاعي
ما دامت الواقعة قد وقعت للعاشقة
فاشتر بنت الملك بالروح

اذهبي إلى هرمز، واصنعي شيئًا
ربما ينفتح هذا الباب على يديك
اخدعيه، واتعبي قلبه
واقرأي التعاويذ، وحدثيه بالأمر
لعلك توقعين ذلك الطائر في الشباك
وتأتين برسالة منه إلى جُل
اذهبي، والقي حجرًا على فضي البدن ذلك
لعلكِ تمزجين السكر بالورد
اجعلي مخه يغلي بسبب عشقي
وضعي الزيت في سراجه بمهارة
اذهبي، وانظري إلى وجه هرمز مرة
فإنكِ لم ترى ذلك الوجه أبدًا
انظري، إن درج ياقوته (فمه) ناثر للدُرّ
وجدائله العنبرية جذابة
انظري، إن عينيه تؤلمان الكبد
وخطه المسكي، مسك يحرق الكبد
تدل طلعته على المُلك
وعلى وجهه خط ملكي
لو يأتي زمان
يولد فيه مَلك لـ «مه مرد» فلا عجب
كثيرًا ما تستخرج عجلة الفلك
العقيق من الحجر، والمسك من الدم
ألا ترين أسير ماء الحياة
الذي يظهر في الظلام
لما كان هرمز يحظى بعظمة الملك
فإنه مَلِكُك، فماذا تريدين بعد ذلك؟
انهضي الآن، واسلكي الطريق إلى البستان
أنا لست زهرة الشقائق، فامحي الكيّ عن جُل

يجب أن تعلمي هذا
ولا تقصدي حرماني في النهاية
أنت قلت بنفسك: سأصنع حيلة
وأرحم قلبك المحزون
الآن لا تستهيني بأمري هذا
ولا تتركيني بدون روح أو حبيب
ساعديني في الأسر
وواسيني برسالة منه
جافيتك كثيرًا أيتها المربية
كيف يكون هذا القدر كثيرًا من مجنون؟
لا يأخذ أحد شيئًا من مثلي
فاعذريني أيتها المربية، واطوي جديلتي بيديك
انهضي في الصباح الباكر، واطوي الريح
فقد وضع الزمان الناي في فمه
وهربت الكواكب من الفلك
وفر الشفق إلى جوار الدم
صَدَأ وجه عجلة الفلك
وانقلب عَلَم الحسان
بدت عروس الشمس في العباءة الصينية
مثل طاووس ذهبي
ظهرت في هذا الإيوان الأزرق
فصار لون الفلك الأزرق مثل لون الذهب
نزلت مربية جُل
وذهبت إلى صحن البستان مستظلة بالورد
علقت عيناها على الطريق
ووضعت شباك الحسناء وسط الطريق
بسطت بساط المكر
واحتالت كل أنواع الحيل

أخذت الذهب، وجعلته ترابًا تارة

بالغت في المكر، وبدت تقية تارة أخرى

كانت تصدر صوتًا كالدجال

وتلوث الفم بالكراث

أخذت تغرد مثل الطير

حتى ترغم ذلك الطير على الطيران

ظل هرمز على قارعة الطريق

ودخل، لما خرج القمر من بين الغيوم

لما رأى مربية جُل تحت ظل الورد

ذهب إليها

انحنى لها مثل نبات أخضر

لما وجد شفتيها مثل سكر النبات

لما رأت المربية وجه هرمز، قفزت

وأخذته إلى جُل وهي ممسكة بيده

أجلسته أمامها، وبدأت الشعوذة

واحتالت بالسحر

قالت له: يا من أنت مثل ابني العزيز!

لماذا أنت قليل الدلال على أمك؟

تهرب منا، كما يهرب الغزال من الفهد

لا تكن متوحشًا هكذا، وتعلم اللطف

كيف تطيق البقاء وحيدًا

وتتبختر وحيدًا بين المروج

لا تحمل الدنيا على رأسك بالوحدة

فالوحدة هَمّ للفتى

أنت شاب، فاطلب الشباب

تناول السكر، وقَبِّل، واشرب الخمر، واسعد

واحتسِ الخمر مع الأنيس لحظة

فلا أمل للغد في الليل

سوف تصيبك الوحدة باليأس

ففكر لحظة، وتناول الكئوس دائمًا

ما دمت قد ثملت بوجه المحبوب

فتمرغ لحظة في الروضة

لماذا يجب عليك التخلي عن اللهو والطرب

ولك صوت عذب ووجه جميل

يؤسفني أن سروًا مثلك

لا يختال حوله التذرج

تملك وجهًا بهذا الحُسن

فكيف أصبحت بلا نصيب من الحسان

من رأى خطا مغطى بالسكر مثل هذا

لم يصبح خطك حلقة في أذنه

من رأى ياقوتًا ناثرًا للجوهر مثل هذا

لا ينثر السكر على ياقوت آخر

من رأى ذؤابة مزهوة مثل تلك

التي تلقيها خلف ظهرك ذليلة؟

من رأى سروًا ممشوقًا مثل هذا

الذي يرتعش السرو منه مثل الصفصاف؟

من رأى عينًا ساحرة مثل هذه

التي تسفك الدم بغمزاتها؟

من رأى خالًا مبهجًا مثل هذا

الذي يسعد حظك بالنظر إليه؟

من رأى وجهًا شبيهًا بالشمس مثل هذا

الذي يخفيه تحت ظلال الصفصاف؟

الآن اترك و حيدًة هكذا

تذهب إلى الجنة، وتحضر لك حورية

صدرها كالفضة، وقدها كالصنوبر

كل موضع فيها أجمل من الآخر

جديلتاها مبعثرتان بسبب الثنايا

وقد تخللتهما آلاف التجاعيد

شفتاها الياقوتيتين أكثر حمرة من حب الرمان

وفي الحبة ثلاثون دُرة ملكية

على وجهها خال من المسك

بلغت في الحسن حد الكمال

بقيت عيناها حائرتين مخمورتين

وبقى سوادهما وسط النور

ابتسم فمها الشبيه بالفستق

ووضعت الأسنان السكر على شفتيها

الآن ما دمت قد وجدتني يسيرة المنال

فلا تستخف بقلبي المتعب أبدًا

الآن لو تلزمك مثل هذه الفتاة

فلا تنظر إلى أحد بعد هذا، ما دمت أنا موجودة

إذا كان لك سر، اغلق الفم

ولا تتفوه به لأحد، واصمت

لو تتلون مثل الحرير

سرعان ما تصير مثير للفتنة مثل فم المحبوب

يمكن رؤية قلب الفستق من فمه

لذلك قطع لسانه من جذره

لا تظهر اللسان من الحلق مثل الفستق

أدخل لسانك في حلقك كاللوز

ما دمت تستطيع أن تفعل أمرًا في الخفاء

لا يجد شخص أثرًا له

فالأفضل لك أن تؤدي ذلك العمل من وراء حجاب

وتضع حملك

ليس هناك شيء أسوأ من سوء السمعة

وليس هناك شيء في العالم أسوأ من التشهير

اعلم الآن أن جُل ابنة ملك

يسجد القمر أمام وجهها

لا ينقش النقاشون الماهرون نقشًا

مثل تلك الصورة الملائكية

في كل مدينة أثر من صورتها

وحيكت القصص عن حسن صورة وجهها

عض ماني الرسام شفتيه باسنانه

في البستان بسبب صورة جُل

جديلتاها مثل القير في السواد

وَجُنَتَاها مثل اللبن في البياض

حين يفتحون نافجة جافة في الصين

فإنها تكتب رسالة مسكية إلى ذؤابتها

لها أهداب كثيفة حادة مثل الخناجر

تملك الآلاف من العطشانين الساهرين

حين تعشق عيناها

تقيد أيادي مائة عاقل بالسُكر

حين تتدلل السروية القامة تلك

تنبعث- بسبب القامة- مائة قيامة

حين يتناثر الفقاع من حلق السكر

تكتب شفتاها على الثلج اسم السكر

لها وجه كالوردة، وشفة كالسكر

وتملك ثروة لا مثيل لها

أنت تعرف جُل أكثر مني في النهاية

وتقرأ الشرح كله أفضل مني

ربما وقع نظرها عليك

ماذا أقول؟ إنك تعلم الأمور الأخرى

يمكنك أن تتفتح مثل الوردة بهذا الأمر

ولا يمكنك إخفاء الشمس بالمدر

من سوف تكون له حبيبة مثل جُل في العالم
ما أطيب سعادته، وما أحسن حظه وعمله
لما رأت جُل وجهك فجأة من فوق السطح
أقبل عليك الحظ من الطريق
ماذا أقول؟ إنني رأيت كثيرًا
ولم أر أحدًا يقامر بالسعادة
من حسن الحظ أنك حملت الكرة الآن
وشممت رائحة تلك الجديلة المسكية
أريد الآن أن تأخذا كلاكما معًا ثأر العالميْن
من الشفايف
ارهقا الشفايف بالقبلات
واحفظا نواة الفستق في السكر
بعثرا الشعر زمنًا
وليظفر أحدكما بالآخر زمنًا
هذه هي الدنيا، فإنك لو تستطيع
العثور على أنيس، فلتأتنس به
أنيس في العالم أفضل من عالم
ولحظة معه أفضل من عمر الإنسان

حديث هرمز إلى المربية

لما سمع هرمز حديث المربية
أصابه حال لا أستطيع التعبير عنه قط
قال لها: يا من حُرمتِ من العلم
وغررتِ بغول نفسك
ألا تخجلين وشعرك مثل القطن
أن تخدعيني

جعلت من شعرك الشبيه بالقطن مصيدة
وجعلتيني ألهو في المصيدة مثل طائر
لا تجعلي هذا القطن مصيدة مكر وفن
ضعي هذا القطن في الكرباس والكفن
تتصابين أمامي
فكري في القبر أيتها العجوز
تحتالين عليّ
لست أنا الذي تقرأين عليه التعاويذ العديدة
لو يبقى (لكِ) نديم، اخدعيه
ولو يبقى مضطرب، زيديه اضطرابًا
ضعي اللباس على رأسي بالمداهنة
وضعي البساط بالدلال
كيف يفلح نفاقك معي
ولا يمكنك خداعي والاحتيال عليّ
تسوقيني ببطء إلى الفخ
وتسحبيني مثل صيد؛ حتى تتخلي عني
لا تسبحين في دمائك ودمي
اختاري و احدًا آخر غيري
لو كانت جُل حسنة، لتكن أعمالها حسنة
ولتتمتع بأعمالها الحسنة
لا شأن لي بغصن الياسمين تلك
يلزم الوردة الربيع جليسًا
كيف تعجز جُل بسبب شخص مثلي
وهي تملك كثيرًا من الأشواك مثلي
لماذا أطوف حول الشمع المنير للعالم
ولا عيد لي مع جُل أو نوروز
ما دمت أنا فراشة تلك المبهجة
فإن طرت حول الشمع، احترقت

اذهبي أيتها العجوز الساحرة
فلا يمكنك ممارسة السحر معي
اذهبي أيها الباز الأسود الريش العجيب
فالشيطان الضال قرينك
اذهبي أيتها المشؤمة، واسلكي سبيل التلبيس
فإنك تفوقت على إبليس في الشؤم
لما تحدث هرمز بهذا الأسلوب
عجزت المربية بسببه، وصارت مثل حمار سقط في الثلج
قالت لهرمز: يا عديم الحياء!
احتديت عليّ بالكلام السخيف
لا تغضب يا من جف الماء من عينيك
أنت أفضل مني إذا لم أجيبك
بسبب كثرة احتيالك عليّ
لا استطيع خداعك مرة أخرى
انظر أمر الدنيا، فهذا القروي
يتهمني بالسحر
لا تؤذيني بالتهور
ولا تنظر إليّ نظرة احتقار هكذا
إذا انشغلتُ باللعب واللهو
اندهش الغول من مكري
لو أضع المصيدة في الطريق بالتلبيس
يفر إبليس جاريًا خوفًا مني
لا تقول: لمن أكون أنا؟
كن أنت لجُل، وإلا أكون أنا لك
سرعان ما صرتَ معي على هذا النحو
ولم تجلس معي لحظة
ذهل هرمز من كلام المربية
ولم يستمع إلى كلمة منها بعد ذلك

كلما كانت المربية تكثر من الكلام

كان هرمز يكثر من النوم بسبب كلامها

لم يكن يدفعها عنه عن طريق النوم

ولم يرد على كلمة من كلامها

لما سكتت المربية، خرج هرمز من أمامها

وانفرد بنفسه

لما مضى هرمز، عادت المربية متألمة

إلى جُل من ذلك البستان

كانت جُل قد جلست باكية

وقد علق قلبها عينيه على الباب

سال دم قلبها كله

وصار طرفها بحرًا من الدماء

فقد قلبها الاستقرار بسبب انعدام الصبر

وامتلأت الأرض بالدم من عينيها الممطرة للسيول

أطلقت اللسان قائلة: أيتها المربية! أين أنتِ؟

لماذا تبدين كل هذا الثبات؟

ألا أيتها المربية! لقد تأخرتِ

وجعلتيني أَمَلّ الحياة

ألا أيتها المربية! ماذا جرى لك طوال هذه المدة؟

لعل شيطانًا اختطفك في الطريق

ألا أيتها المربية! إنك شديدة المهارة في العمل

ويجب إرسالك إلى كل عمل

ألا أيتها المربية! سُلبتِ النوم

أم النضرة في الطريق؟

ألا أيتها المربية! إلى متى أذرف الدمع

تحدثي حتى أعرف مكانك

إلى متى عدم مبالاتك هذه قولي؟

إلى متى لؤمك هذا قولي؟

لماذا تأخرت أيتها المربية كل هذه المدة؟

فقد أدمى قلبي في انتظارك

لا جعل الله عين أي شخص معلقة على الطريق

فبسببها يذبل الوجه، ويقصر العمر

دخلت المربية، ورأت جُل على هذا الحال

ورأت وجهها مثل أوراق الزعفران

قالت لجُل: يا روح الأم العزيزة!

لم تطيعي أمر الأم قبل هذا

لماذا اضطربتِ على هذا النحو

وغرقتِ في دموعك تمامًا

لماذا تخضبت بالدم هكذا؟

وسبحتِ في جيحون بسبب دم العين

لماذا فقدتِ الصواب على هذا النحو؟

وافتقرتِ إلى ذرة من الصبر

أذللتيني اليوم يا جُل

وفضحتيني يا جُل

كيف تعرفين أية إساءة أساءها هذا الرجل الخائن إليّ؟

وأي جفاء فعله معي؟

رأيت طالع ذلك القروي

إنه خبيث ولديه القدرة على الهجر

لا يمكن قول ما قلته لكِ

حتى إنِ جُل لا تحتمل ما قلته

في البداية كان قلبه يعج بالوفاء

في النهاية صار غاضبًا صامتًا

الآن لو أقول مائة قول

لا يَرُد على قول واحد لي

لقد وقف صامتًا مثل حائط

ولا يستمع إلى الكلام مثل حائط

كيف يكون للجدار الأصم أذن

وقد كان يسمع الكلام، ويصمت

الحديث جائز من الحجر، وغير جائز منه!

يتحدث الحائط، ولا يتحدث هو!

لو أن لهرمز عشرة ألسنة مثل السوسن

فإنه يستحي من جُل؛ لهذا فهو صامت

هكذا وجدته مزهوًا

ولا يمكن الاحتيال عليه

قلت مائة قول ذهبي وفضي في الهواء

أهو كلب أم إنسان

كان سفيهًا، ذابل الوجه

مضى عني كالريح، وذهب

لما قالت المربية هذا، وسمعته جُل

سرت النار في رأسها كالريح

أدمت عيناها النرجستين

بسبب هذه الحرقة

سقطت الدموع الغزيرة المخضبة بالدم

من الأهداب الحادة

على هذا النحو اضطرب قلبها

حتى إن كل شعرة من شعرها صرخت

جذبت ذؤابتها المزينة للعالم

وعضت بأسنانها على يدها

كانت المربية تحزنها كثيرًا بسبب هرمز

ولا أحد يعلم ما فعلته مع جُل أبدًا

كانت رموشها تحترق من الدمع الملتهب

وكانت روحها تحترق من ألم اليأس

أطلقت اللسان، وقالت: أيتها المربية! احذري

ولا تثأري مني

لا تفارقي جُل، وإن جافتكِ جُل

فلا يمكن لقطعة مني أن تنفصل عني

ضاع قلبي من يدي، وفسد عملي

وأدمى قلبي، افهميني أيتها المربية!

إذا لم تدركيني

لا تجدين أثرًا لي في العالم مرة أخرى

تصعد روحي مني في هذا الحزن

أموت، وتنتهي حياتي

ما دمت قد رحلتُ، تؤسرين

وتندمين، ويهدر دمك

حين تقتلين جُل بيدك

تُخضبين بدم القلب مثل جُل

صرخت المربية من كلام جُل

وغلت من حرارة صدرها

قالت لجُل: يا من ذهب عقلك أدراج الرياح

ألستِ ابنة ملك؟

إنك تعلمين أنني إنسانة لا أطيق هذا

ولا أريد الحديث في هذا الشأن مرة أخرى

ولا أريد أيضًا أن أقطع الطريق مرة أخرى

ماذا سوف يحدث سوى القتل؟

كيف أنزع هذا الشوك من الوردة

ما دام هو لا يريد جُل، فماذا أفعل؟

لا يقبلك هذا الفلاح

وهو يضع الماء على المدر في النهاية

إنه لا يريدك، انظري إلى أمر الدنيا

لمن أقول هذا في العالم في النهاية؟

ضاقت الدنيا عليكِ بسبب سوء السمعة

إنني أجيز الموت على هذا العار

ما دام الصيف لا يخجل من هذه العين

يشتد عشق هرمز في قلبك

لما يصير البستان أصفر اللون من الأوراق المتساقطة

تنفسي هواك؛ فإنه يصير باردًا في النهاية

إنَكِ يا جُل تملكين شفتين ممطرتين للسكر

فلا تتركي اللبن مرة أخرى في النهاية

إنكِ يا جُل تملكين المسك والنسرين

فلا تدوري في حلقة ذلك الخط المسكي

اذهبي، واطرحي هذا الحمل عن رقبتك

لو أنه الروح، فاطرحي الروح عن الجسد

ما دمت تعرفين أن هرمز ليس أي شخص

فلماذا لا تكفين عن طلبه؟

في البداية خطف قلبك، وسلبك العقل

في النهاية يهمس في أذنك

لا يحسن هرمز لكِ صنيعًا

ولن يصلح هذا الأمر أبدًا

ما دام هذا الأمر ليس جوادًا محكم الوثاق

فلماذا تضطربين؛ ما دمت تملكين فمًا ضيقًا؟

ما دمتِ لا ترين جوادًا محكم الوثاق

فلو يُجلسكِ قلبك، لا تجلسين

تقولين لي جاهلة مرة أخرى

فاذهبي إلى هرمز، وأتي منه بالخبر

اضربي قدره على الحجر اليوم

بوجهك المشرق البهيج الشبيه بالزئبق

أي شيء أضربه على الحجر يا واهية العذر

لو أنك تريدين رأسه وحجره

لا تأكلي كثيرًا من الحلوى من تلك الشفة بدون أسى

فسرعان ما تقطرين الزيت على ثيابك

ما دامت أسنانك قد تيبست بسبب تلك الشفة

فإنني لم أر شفتيك مبتسمتين أبدًا

صرتِ وردة محجوبة، وخلت شفتاك من الابتسامة

مثل بلبل مضطرب الحال

كيف يمكن أن يراك أحد

وأنت تكابدين الغم كل يوم بسبب هرمز

ما دمت قد سقطت في ميدان الفضيحة

فاستعدي بالأقاويل في هذا الميدان

ما أطيبك ابنة ملك! وأنا أريد

ألا أبقى في العالم بسبب عارك

كانت جُل تذرف ماء الورد من العين طوال الليل

وكانت تصب العرق من الوجه، والدمع من الغضب

لما قالت المربية هذا الكلام

تصببت الوردة عديمة الأوراق عرقًا من الخجل

بكى الشمع زمنًا على جُل

وطلع الصبح زمنًا على جُل

بسبب مثل هذا البكاء كانت تلك الحسناء الجذابة

تبكي تارة، وتضحك تارة أخرى

دخلت الشمس في برج القمر

فألقت البياض على وجه السواد

لما أطلت بوجهها من خلف الحجاب

اختطفت حلقة القمر بالرمح

أصابت الحمى جُل ذات القلب المفعم بالحرارة والحرقة

عشرة أيام بلياليها

فانحنت، واشتد ألمها

لأنها لم تتناول رغيفًا في عشرة أيام

كان الألم يوقظها في الليالي

وكان الحزن يمرضها في النهار

لم تستقر ساعة، ولم تصبر لحظة

كان قلبها مثل بحر دم، وكانت عيناها كالسحاب

اندلعت النار في لسانها بسبب حرقة القلب

واشتعلت النار في روحها بسبب حرارة العشق

انعكس لون وجهها الأصفر على شعرها

وتجمد الدمع على وجهها بسبب آهاتها

فقدت عيناها رونق الرؤية

وعجز لسانها في فمها

لما رأت المربية جُل متألمة على هذا النحو

قالت لها: يا من وضعتِ الشوك في عين الروح

هكذا جلستِ على فوهة النار

وأجريتِ سيلًا من الغم على روحي

تحدثي زمنًا، ولا تجهشي بالبكاء

اخشي الله، واخجلي من نفسك في النهاية

أجابت جُل قائلة مثل المحزون:

لماذا لا أبكي على نفسي كالمطر

أنا وردة، وهكذا أبكي منتحبة لأنني

ابتعدت عن شهدي

إنكِ أيتها المربية لا تعلمين بألمي

فإن عيني تستوطن الدم

إنكِ لا تعلمين ماذا يحدث لي كل ليلة

فقد أذرفت عيناي دم القلب في كل ليلة

اختصري أيتها المربية، ولا تؤذيني

أنا فتاة وعاشقة؛ فارحميني

إنك لا تعلمين أية حرقة وأي ألم أصابني

فإن دماغي تغلي بسبب دماء قلبي

الأمر الذي حدث لي الآن

أغرقني في الدم

ماذا يحدث لو أنكِ لم تكابدي ألمًا بدون ألم

لهذا أصبتِ بالأذى، ولم تعاني

لو أصابك ألم واحد من آلامي الكثيرة

كانت عجلة الفلك تتمزق بسبب آهتك

ما دمتِ تريني كالشعرة بسبب الضعف

فإلى متى تغلظين لي القول؟

تحتدين عليّ بالقول مثل النار

وتجعلينني مثل الثلج البارد في كل لحظة

ما دام العشق قد خطف قلبي من تلابيبي

فمن يرغب في فرائي

لو أريد إخفاء هذا الألم

لا أستطيع؛ لأنني أحفظه مثل روحي

قلبي الذي لا يعقل ليس في يدي

فهذا الفاني، ليس باقيًا

لو أُسكِت اللسان عن العشق

كيف أمنع الدمع الدامي عن الغليان

ما دمت أحيك ثيابي بعشق المحبوب

يسيل الدمع من جرح القلب على الوجه

لا تنصحيني، فنصيحتك قيد الروح

لا يتحسن بها حال هذا القلب، ولا حال تلك الروح

لا يفتر قلبي الحار عن هذا الألم

فلا تحتدي عليّ، ولا تضربي على الحديد البارد

اذهبي وتشجعي، من أجل الله

والتقي عديم الوفاء ذلك مرة أخرى

لعل ذلك القاسي يصير عاشقًا

ويصبح رقيقًا كالشمع بسبب المحبة

إنه ينصهر مثل الشمع بسبب الحرارة

ويتصف بالمحبة وبالرقة

اذهبي، وألقي حجرًا بطريقة أخرى
وعاودي الكرَّة
خلصي قلب جُل من هذا الأمر
ربما يسقط شيئًا من هذا الحمل
لا تستقيم الأمور مرة واحدة
وتجب المحاولة عدة مرات
لا يُستخلص الجوهر من الصخر بضربة واحدة
ولا يسيل السُكَّر من الفم، دفعة واحدة
لا يُطهى قِدر بشعلة واحدة
ولا تنضج الثمار في يوم
لا يمكن للحسناء حفظ القرآن في أيام كثيرة
ويمكنها أن تحج حجًا صحيحًا في عام
تعلقي على هذا الباب مثل حلقة
ومثل جنزير متماسك الحلقات
حين تغرسين البذرة في المرة الأولى
لا تتركيها معطلة بدون ماء
لا تتعجلي، واذهبي، وارويها كالزهر
فتثمر البذرة في القريب العاجل
كانت تتحدث بحماس على هذا النحو
حتى رق قلب المربية من ذلك الكلام

ذهاب المربية إلى هرمز مرة أخرى

قالت لجُل: أذهب مرة أخرى
وأستأنف العمل هذه الليلة مرة أخرى
ما دمت لا أستطيع إنجاز هذا العمل نهارًا
أجري هذه القرعة ليلًا

قالت هذا، وتوجهت
من أمام جُل إلى غصن الياسمين ذلك
كان هرمز قد ارتدى ثياب النوم
وكان يحتسي الخمر على حافة الماء
وضع ربابًا على صدره، وجلس وحيدًا
وتخلص من المنافقين بالوحدة
اعلم يقينًا، أنك ما دمت وحيدًا في أي عمل
فإنك لا تجد أية معونة
لما رأى الشاب وجه المربية العجوز
ضحك بشدة
وقال للمربية: أنت الليلة واهنة
مثل صوت طبل يأتي من بعيد
تعالي، واجلسي، وتناولي الخمر، واحتسيه
ما دمت قد احتسيت الخمر، فانهضي، ولا تصيحي
لا تكوني خصمًا لذي الأسنان اللامعة المبهج
فسُوء السكر هذه الليلة مثل ذلك اليوم
ابتسمتُ لكِ منذ البداية
فلم تكوني حمقاء، ورجعتِ
لماذا عدتِ أيتها الساحرة العجوز؟
فإنه لا يمكن ضرب ساحرة مثلك بمائة سهم!
لماذا أيقظتيني في النهاية؟
لا أعلم لماذا فعلت هذا الأمر؟
بقيت منتظرة مثل الذئب الجوعان
لعله لم يشبعك في المرة الأولى
كيف يضاجعني الشيطان ليلًا
فالشيطان يكون في الحمام ليلًا
عندئذ جاءت المربية
وقالت له: يا قمري الوجه! مات الملك بسببك

إنك تعلم أنه ليست هناك وردة أخرى مثل جُل
وليس هناك صدر فضي في جمال صدرها
تعال، وأطع الأمر، ونفذ هذا العمل
ما دمت قد سلبت جُل القلب، فكن محبوبًا لها
أطلق هرمز اللسان، وقال: أيتها الفاسقة!
إنني لا أعرف أية مربية محتالة مثلك
تقولين لي: اترك نفسك
لو تريد، وإلا نفذ أمري
حسنت كل أعمالي حتى الآن
ولا أبالي بالعشق
إنني لا أناسب جُل
لقد فكرت كثيرًا، ولا مجال لهذا
ينبغي الخوض في أمر - على الدوام -
يمكن الخروج منه في النهاية
اعفيني من مثل هذا العشق
فقد تجمدت مثل الثلج، فلا تفتحي فقاقيعي
لما قال لها هذا، ترك المكان
وكان قد سكب الخمر على المربية، ونام ثملًا
مثلت المربية أمام جُل مرة أخرى
وأمطرت عيناها الجوهر بسبب الحزن
قالت لجُل: يا من فقدت العقل!
وأصابك الجنون بسبب الغربة!
ما دام الشيطان مرشدك في هذا الأمر
فهذا نوع من الجنون أيضًا
حطمتِ أعصابي بالنفاق
ووضعت الخبز في كيسي على سبيل الإغواء
وضعتيني في المصيدة
وجلستِ في زاوية مثل الصياد

لماذا يجب تحمل الفقر والفاقة؟

فأنا لست صالحًا، وهذه ليست الناقة

لقد سكب هرمز الخمر عليّ، ووبخني

وقد سُرَّ بسببي زمنًا

ضربني في ذلة مثل الحلقة على الباب

فصرت مثل تراب الطريق بسبب المعاناة

إنكِ تعلمين أنني حين سمعت ذلك

أغلقت فمي، وسكت

حصلتُ على نصيبي من هرمز

فاذهبي أنت الآن، وقصي قصتك له

التهب الفلك من حرقة جُل

وقَطَّر الحديد دمًا بسبب آهاتها

جلبت النوم لعروس السماء

وحملت الماء لديك الصباح

لم يسطع القمر في تلك الليلة بسبب ذلك المأتم

ولم يتنفس الصبح بسبب ذلك الغم

ظلت مكتئبة في الحيّ طوال الليل

وكانت تدور على رأسها مثل الفرجار في كل ناحية

كانت تتأوه بسبب ألم القلب

وكانت تبوح بالأسرار للقلب، وهي سعيدة

وقالت: أيها القلب! لقد فعلت فعلتك، ومضيت

وسفكت دمي في النهاية، ورحلت

اذهب، واسلك سبيل الروح في عشق الأحبة

واحيا بالعشق، واترك الدنيا

لو تظفر بالعشق لحظة

أطيب لك كثيرًا من أي شيء

تفتحت وردة في روحي من العشق

ولكنها ظلت محجوبة عن عين حبيبي

الورود جميعها تنمو في الطين

لكن وردة روحي تنمو في القلب

ما دمت لم أنل أجرًا في العشق

إلا الوقوع في النار المشتعلة

أين أنت يا من أصابني الحزن بسببك؟

ولم ير قلبي لحظة سعادة بسببك

أنت الشمع المضيء للعالم دائمًا

أنا فراشة، وروحي على كفي

أنت شمس غرقت في النور

وقد بقيت أنا بعيدة عنك كالذرّة

أنت تحلق أفضل من الباز الحسن

وأنا مقطوعة الرأس مثل طائر مذبوح

أنت صاحب نور إلهي مثل النهار

وأنا باقية في السواد مثل الليل

أنت مثل جبل شامخ

وأنا مثل قش ذابل على الطين

أنت بحر يفيض بالماء

وأنا مثل سمك خرج من الماء

أنت تجري مثل ينبوع نيسان

وأنا أسلم الروح مثل العطشان

أنت سيف حاد كالنار

وأنا أحني رأسي أمام سيفك

يئست من الحياة بسبب عشقك

فارحمني لو أن هذا يناسبك

في النهاية لما هبت الريح في وقت السحر

علا حفيف الصفصاف والسرو والورد

تأوهت جُل من القلب آهات دامية في وقت السحر

لأنها كانت تشم رائحة الدم من القلب

تخضبت بالدم طوال الليل

وصار قيد عشقها أشد إحكامًا في كل لحظة

لما ارتدت عروس السماء العباءة

احتجب القمر المضيء خلف الحجب

لما أغلق ملك المشرق باب المغرب

ظهرت المظلة المنسوجة بالذهب من المشرق

صار وجه جُل مثل الزعفران

بسبب حرارة القلب

ابتلت بالضعف مثل القشة

وقد جعلها عشق هرمز مثل الجوهر الخالص

نهضت من المكان؛ لتسلك الطريق إلى السطح

مثل طائر يقفز من حلقة المصيدة

لما رأتها المربية، قالت من الغضب:

يا من جف دمع عينيك بسبب العشق

لقد طعنتُ القلب بالسيف الحاد بسببك

وارتديتُ الدرع بسبب جورك

كم أنتِ سيئة الطبع في النهاية!

لا تصعدي إلى السطح، واستمعي إلى النصيحة في النهاية

وضعتِ العقل تحت القدم

ونفذت نصيحتي مخلصة

لا تخرجي رأسك من جيبك كل يوم

فتسقطين في هذه النار مختالة

لو أقول لك: تجنبي عداوتي

تشمرين عن ساعدك مثلي

من يقول إنك حسناء الربيع؟

فكلك شوك مثل ساق الوردة

سماع الحفل عن قرب أطيب

وسماع صوت الطبل عن بعد أفضل كذلك

ألقيتِ الجديلة على الظهر في الصباح الباكر
ربما أصابك الأرق أمس
تفكرين في الصعود إلى السطح مرة أخرى
وإنجاز عمل آخر
ألا تخجلين أيتها السيئة السمعة!
توقفي في النهاية، واستريحي
قالت لها جُل: يا من صرت جاهلة بحالي
ها أنا، واذهبي أنت، واختاري من هو أفضل مني
كيف أرى الدنيا بدونه في النهاية
لقد خفق قلبي، فكيف أجلس في النهاية؟
كان قلبها يغلي بسبب عشق هرمز
وكانت تعتلي السطح، وهي ناقمة
لما اعتلت السطح. كان هرمز في البستان
فقد تركت أثرًا في قلبه بنظرة واحدة
رفعت الحسناء النقاب العنبري
فأخذ قلب هرمز في الصياح والتأوه
هكذا صار قلبه عاشقًا
وكأن أمطار الربيع قد سقطت على القمر
خرج لسانه مثل النار
وسال الماء على فمه بسبب الحسرة
عض بأسنانه ذلك السكر
وكأن أسنانه قد أسلمت الروح
صار قلبه مفتونًا بجدائلها
صار مريدًا، وصارت جديلتها مرشده
مضى القضاء، وسطر القلم المقدر
فيئس، وبقي وحيدًا
كان يرى وجه المحبوب بعينيه
وكان يرى الوجه مثل أوراق الورد

هكذا صار هرمز عاجزًا في عشق جُل
مثلما صارت جُل في عشق هرمز
لما تعلق بجُل قلبه
قيدته بشعرة من جديلتها
لما رأى هرمز حلقات جديلتها على هذا النحو
رأى قلبه في وسطها مثل الفص
كان له على وجهه ألف حرف مسكي في كل ناحية
من القيود والثنايا والحلقات
كان يرى الجيم والميم من المسك الخالص
أي أنه كان يرى مُلك إقليم **جمشيد**(٢١)
كانت جُل تظهر له الجيم والميم
أي أنني أملك ملك جمشيد في الإقليم
كان هرمز يحترق من جيمها وميمها
وكان يتعلم ألف باء عشقها
كان قلبه يقول: أنا أنبض في العالم
واضطرب مثل الجيم والميم
كان العقل يقول له: أيها القلب! دق في النهاية
فقد تعلمت الهجاء، فاخفق في النهاية
جلس قلب هرمز أمام العشق
وقد وضع إصبعه، وأمسك باللوح في يدَه
كانت أول كلمة له عن المعاني
فالألف لا تملك شيئًا؛ حتى تعلم
ولكن جديلتها تطوي الألف باء
أحيانًا تضعها على الرأس، وأحيانًا على لا شيء
جذبت ذؤابتها الشبيهة بالسين- بدون مبرر-
كاف الكفر إلى الزمان
أذلت طرتها كثيرًا من القلوب
ووصلت الباء بالطاء في دقة

تمنطقت بعشقه في الأطراف

على شكل لام ألف من القاف إلى القاف

جلب الشعر المجعد مثل الجيم

آلاف القلوب مثل واو عمرو

قرأ هرمز هذه الكلمات بقلبه

ولما جاء وقت عين العشق، عجز

لما تجلت له العين، وضع المصيدة

وخطا فوق عين العشق

لما أخذ القلب من أبجدية الروح

أمسك اللوح أمام العشق

لما أصبح بلا مقصود أو مقصد

بدأ الأبجدية مثل طفل في النهاية

هكذا غلبه عشق جُل

حتى إن كل شعرة له أقرت بالعشق

انظر كم هي أحوال العشق

ففي كل لحظة يهدم مائة عالم

رونق الدنيا هذا كله من العشق

بالعشق اتصال الجسم والروح

إذا لم تكن هناك ذرة قد طلبت العشق

لما استقامت ذرة على ذرة

ما دام العالم بأسره طوفان العشق

فإن إيوان العشق ممتد من الأرض إلى السماء

إذا لم يقرأ العشق أية رقية

لا يخلصك منه

إذا صعد نفس من الروح في العشق

يحل على الدنيا مائة طوفان بسبب ذلك النفس

اعلم أن طائر الصبح

يدلل على نفسه في العشق بذلك النفس

اعلم أن طيور الربيع

تنادي على الورود منتحبة بسبب ذلك النفس

اعلم أن البلبل في وقت السحر

يتأوه مع العاشقين منتحبًا بسبب ذلك النفس

اعلم أن الحضور الدائم بسبب ذلك النفس

وإلا فإنك ميت، وأنت على قيد الحياة

مع أن نور الله ينزل إليك خاصة مثل الرسول

كل ليلة

فإنك من كثرة غوغاء فضولك

لا تهتم بالنزول لحظة

كل من غفل، ثمل

- وصار مثل مكتوف الأيدي

لا ينجز أمرك بتلك اليد

ولا تستطيع الانقطاع عن نفسك

اصمت لحظة هنا يا عطار

ماذا تقول عن العشق؟ اسكت

شخص يجلب الجوهر لمجنون

وشخص يسرد الأسرار في قصة

إنها ليست قصة، لكنها حجة

قص القصة، فهذا كله قصة

بداية قصة عشق خسرو لجُل

ألا يا دُر بحر المعاني

لا تجعل الحجرة خالية من المعاني البكر

تملك آلاف المعاني البكر خلف الحجاب

لماذا لا تخرجها من خلف الحجاب

لديك صبايا كثيرات

فقل، فإنهن خرجن من خلف الحجب

لو تظهر أنت تلك الصبايا

أظهر أنا أولئك الأطهار

العرائس اللاتي سكرن في العشق

أجعلهن مسرورات ماهرات

جالت في الرأس عشرة أنواع من الكلام

تجعل الفلك القديم يغار

هكذا قال ذلك الأديب البليغ

الذي جنى ثمار غصن الكلام

لما نظرت جُل إلى هرمز

اسوَّد يومه بسبب تلك النظرة

علمت جُل على وجه اليقين أن ذلك الطائر الشارد

وقع في المصيدة بسبب تلك الحورية الجميلة

حررته من المصيدة، وانتصب

فتركته في المكان مثل حبة على الأرض

كانت تطوف على السطح مثل طائر مكتئب

وفي النهاية لما وقع الطائر في شباكها

مثلت أمام المربية، وهي تضحك بشدة

جاءت مثل الشمس أمام الظل

كانت النار تتصاعد من قدها

وكانت نضرة الوجه، ضاحكة الشفة، سعيدة القلب

صار وجهها الشبيه بالقشة مثل القمر

وكانت الدنيا بالنسبة إليها مثل قشة بسبب ذلك السرور

لما كانت جُل تحتوي محبوبها

لم يكن جلدها يحتوي قلبها الشبيه بالوردة

لما رأتها المربية على ذلك النحو، اندهشت

فلماذا كانت جُل تضحك كثيرًا ؟

قالت لجُل: لا أعلم، لماذا؟

ضحكت جُل ساعة ولم تبك؟

لا أعرفكِ شجاعةً إلى هذا الحد

لا أعلم أي لطف اعتراك هذا اليوم؟

تنبعث منك النيران من شدة التوهج

انتبهي للرائحة الطيبة التي تفوح منك الآن!

سرعان ما حل حاجبك عقدة روحي

لأنه ظل لحظة بدون تقطيب

ما ضحكك هذا؟ اشرحي أحوالك أيتها الحبيبة!

فإن الوردة تكاد تخرج من جلدها بسبب الضحك

قولي لماذا تضحكين بشدة؛

حتى تبهجين المربية

قالت لها جُل: إن سهمًا أصاب الهدف أخيرًا

في هذا الوقت من الزمان

فقد اعتليت السطح، ورأيت وجه هرمز

إنني لم أر وجهًا بذلك الحسن أبدًا

اعتليت السطح، وأنجزت عملي

وجرحت قلبه مثلما جُرح قلبي

جعلت كبده ملتهبًا محترقًا بسبب جديلتي

لذلك فجديلتي سوداء اليوم

كنت آكل كبده، وهو لا يعلم

لذلك فإن شفتيّ لون الكبد

صفيت دم قلبه بنظراتي

لذلك صارت غمزاتي مخضبة بدمه

وعلى هذا النحو استوليت على قلب هرمز

وكان هرمز قد سلبني القلب من قبل

حين التقينا أنا وهرمز

كأننا طرنا تمامًا

رويت وردة بالماء هي وردته
وسلبت هرمز قلبًا، هو قلبه
منحته واحدًا، وحملت الآخر إلى الدار
وهو لا يقاوم
أنا اليوم
كأنني بدر التمام بالنسبة إلى هرمز
لم يتأت هذا العمل منك في مائة مرة
ينبغي أن أنجز كل عمل بيدي
خطفت قلبه، ولم أعيده إليه مرة أخرى
أنا وردة؛ لهذا أوخزه بأشواكي هكذا
لقد احتسيت اليوم الخمر مع الحبيب مرة
وجعلت العمل اليوم قسمين
هكذا قيدته زمنًا
فلم تستطع الدنيا فك قيده
مع أنه كان بعيدًا عن جُل
فقد بدت لي غمزاته المازحة اللطيفة
لو اقترب مني في الخفاء
إنك أيتها المربية لست عاشقة، فماذا تعرفين؟
يقص البلبل قصصًا عن الوردة
ولكن الطيور تعرف تلك اللغة
يدرك هذا السر الشخص الذي
تكون له عمامة من اللباد
مع أنه لم يتحدث، فأنا أعلم جيدًا
أنه يتحدث بلغتي من رأسه حتى أخمص قدمه
هكذا تكلم في صمت
كأن كل شعرة منه لها لسان
لا شأن لعشقي بعشقه
فهو أكثر عشقًا مني مائة مرة

الآن جلب هذا الفم العناب
ما دمتِ قد حفرت هذا الجدول، فاجلبي الماء
هكذا قالت المربية لجُل- بسببِ قولها-
أيتها القمر القرين للفلك على الأرض
طاب ليلك، وسعد نهارك
شفتاك شهد، وصدرك فضة، ووجهك وردة
اصبري حتى يفيق هرمز من السُكر
فأنت باقية اليوم
لا جعل الله لك حرفة سوى البهجة والسعادة
وليحقق رغبة الأحبة دائمًا
لا يجب عليك التسرع في لقائه
حتى يعلم كيف كنت بدونه!
لا ترفعيه من الأرض إلى العرش مرة واحدة
فهو سهم قاطع
لو يظفر بكِ بسهولة
يتركك كالريح
الذهب الذي تحصلين عليه بدون تعب
يضيع من اليد بسهولة، ولو كان مائة كنز
ما دام العرَق قد تصبب منك من أجل مثقال ذرة من ذهب
فإنك لا تستطيعين وضعها في طبق أمام الناس
املأي القلب الشبيه بالصدف بالصبر
حتى تصبح قطرة المطر تلك دُرًّا
الآن أبدو مندهشة من هرمز
وأمضي وقتًا في الحديث

أنين هرمز أمام المربية بسبب عشق جُل

هكذا قال من كان بحرًا في الكلام
تارة ينثر الدُرّ، وينظمه تارة أخرى
لما عشق هرمز جُل
أدمى قلبه بسبب تلك المحبوبة
لما تعب من تلك الحسناء التي تشبه عيناها عيني الغزال
صار مثل أسد ثمل قفز من القيد
ذاب في المساء مثل السكر بسبب جُل
وانصهر من الحرارة مثل الشمع بتلك النار
أخذ يصيح مثل بلبل
سُفك دمه في التراب بسبب جُل
وخزته مائة شوكة في قلبه بسبب جُل
وضاع قلبه من يده، ووقعت له واقعة
كان يذرف الدم من عينيه على الأرض
وكان قلبه مثل حبة قمح على المقلاة
هكذا صار من حرارة العشق وحرارة الحمى
مثل جزوة مخفية تحت الشعلة
تأججت ناران مثل ريح
وتنفستا على قلبه وروحه
هكذا اضطرب بسبب النارين
وصارت النار مثله، وصار هو كالنار
من كثرة النار التي اشتعلت في قلبه العاشق
كان الفظ يحترق كالنار حزنًا عليه
اختفت النار تحت الحجر
وكان ذلك المحزون يفر من تلك النار

خافت الروح على القلب بسبب انعدام الصبر
ولما كان القلب عاشقًا، فقد انعدم صبره

يلزم الصبر قلب مستقر
لا يأت الصبر من المتيم والعاشق

لما لم يجد هرمز في نفسه صبرًا
تألم كثيرًا بسبب الفراق

قال لقلبه: ماذا فعلت أيها المشئوم؟
فقد ابتعدت عن الدر الوضاء

حل عليك الإقبال من فوق السطح
ثم ضاع من يدك، وبقيت أنت في المصيدة

ما دام الإحسان لا يلائمك
ينقضي عليك الزمان وأنت في شدة

شخص يأتيه القمر من السماء
كيف تسعه الأرض؟ فكر!

شخص حصل على كنز بدون عناء
كيف لا يفتحه بيديه؟!

شخص حظى بدُرّ وضاء بدون صدف
كيف يغيب عنه ليلًا ونهارًا؟!

واأسفاه! أين جميلتي؟
فقد انحنى ظهري مثل الهلال بسببها

واأسفاه! فقد ابتعدت عن مثل ذلك الدُر
وأذرفت بحر دم بسببه

واأسفاه! فقد اختفى مثل ذلك الكنز
وصار كنز روحي مثل المزبلة بسببه

من فعل هذا الذي فعلته؟ ماذا أصنع؟
ما دمت قد بقيت عاجزًا خلف ستة أبواب! فأيهم أفتح؟

ما دامت لي عينان في الآفاق
صرت جاهلًا بسببهما كالطاق

لما انقضى النهار، وهرمز مشغول بهذا الأمر

تعب قلبه من هذا الحمل

كان يطوف حول البستان دائمًا

مثل ثمل مضطرب، وهو يترقب المربية

الخلاصة، وصلت المربية العجوز يومًا

ووضعت مصيدة الخداع من أجل هرمز

لما رأى هرمز المربية في البستان

وكأنه عطشان رأى الماء الجاري

ذهب إلى المربية مثل الخجول

وعيناه كالينبوع خجلًا منها

لما رأت المربية هرمز أمامها

وقد ألقى بظله على ذلك الوجه الشبيه بالشمس

قطبت جبينها بسببه

ومشت غاضبة منه، وحقدت عليه

تجاوزته، وتجاهلته

ولم تخجل منه، وآذته

لم تلتفت إلى هرمز، وقالت:

لا شأن لي بهرمز أبدًا

لما رأى هرمز المربية حاقدة عليه

ووجدها خائفة وغاضبة بشدة

ذهب إليها، وقال: أيتها المربية!

لا تجعلي ثروتي في مهب الريح في النهاية

لقد هذيت أمامك

وهرأت بسبب السُكر

ابصقي الآن على جهلي

لم أعلم، وأخطأت، فاعفي عني

كنت قد سقطت عاشقًا ثملًا

ولا يؤاخذ أي شخص ثمل

لو أظهرت المكر والخداع في اللهو مثل هذه المرة

فلا عجب من السُكارى

لا تعاديني أيتها الفضية الصدر

فلا أحد يخاصم السُكارى

تأتي من السُكارى أعمال غير لائقة

لما تصح الأعمال، أُكثِر منها

إذا رأيتِ كراهية مني بسبب السُكر

فلماذا تعاديني في اليقظة

لما كنت فاقد الوعي بسبب السُكر

فلماذا تتمردين عليّ في اليقظة

حين ترين عملًا غير لائق في السُكر

فلا يمكن الحديث عنه في الصحو مرة أخرى

لقد صرت الآن مثل الشمعة بسبب عشق جُل

وصرت لقمة مجهولة كالشعرة

ما دمت قد رأيتِ وجهي مثل البنفسج بسبب عشقها

فلا تضعيني تحت الحذاء بسبب القسوة

لقد احترق سيخي وشوائي بسبب جُل

وغرقت في الماء بسبب هذه النار

بالله! داويني أيتها المربية!

وعالجي ألم الحيرة في النهاية

ما دام طائر قلبك قد مضى، تذهبين وتطلقين عليه السهم

كما وضعت مصيدة خانقة في طريقه

ما دمت قد أوقعتيني في مصيدتك

فأخرجيني منها لحظة

أحسني أنتِ، إن أسأتُ أنا

فقد أسأتُ إلى قلبي

أحسني أنتِ ما دام يمكنك الإحسان

فالإحسان لم يضر أحدًا قط

لا تغضبي أيتها المربية، ولا تحتدي

واصنعي حيلة لهذا المبتلى في لطف

انظري، فقد فتنت بالعشق

وافتضحت

لا أملك القوة أو الحيلة أكثر من هذا

وقد ضاع قلبي من يدي، فلا تعاندي أكثر من هذا!

تملكيني محترقًا مثل الشمع

فامنحيني الفراشة، لو ترغبين

ما دمت أنا مثل شمع الناس في السحر

فماذا يحدث لو تمنحيني الفراشة في ذلك الوقت

قال هذا، ونثر اللؤلؤ

من عينيه المخمورتين

انقلب قده السروي بسبب حرقة العشق

وجرى على وجهه نهر من الدم

لما ابتلى بهوى جُل

طار قلبه في الهواء مثل الذرَّة

من كثرة الدم الذي سال من عينيه على وجهه

بكت المربية عليه منتحبة

وقالت: يا هرمز!

لا أريد سفك دماء كبدك مرة أخرى

ما دامت روح جميلتي حية بك

لماذا لا تكون المربية عبدة لك؟

الآن مضى ذلك، من ثم أنا عبدة

كيف تكون أنت عبدًا ما دمت أنا حيَّة؟

جعلتك مغرمًا بمحبوبة

وأنا أضحي في سبيل غرامك بالروح

لما خفت على نفسي من غرامك هذا

كانت رأسي مثل عنكبوت

ماذا يحدث لو أن شيئًا لا يتأتى من العنكبوت
لكن يجوز له كتم الأسرار في النهاية
الأفضل أن أضع هذا السر خلف الحجاب
مثل العناكب، منذ البداية
أمزق الحجاب ليلًا ونهارًا بسبب الحزن
ولا أفعل شيئًا سوى طي الحجاب
الآن أذهب بذلك العذر إلى الحسناء
وأخبرها بهذه المحبة
أحمل الاثنين كليهما مثل القمر والشمس
وأجلس الشمس والقمر وجهًا لوجه
لما يجلستا قارورتا السكر معًا
يشاهدا الدنيا مثل الذبابة
ما دمت أضع السُكرين في قارورة
فكيف يطير الذباب على العاشقين
ما دمت أملك حجابًا مثل العناكب
فلا أجلب الذباب حيًا إلى الحجاب
لو أنني أرى ذبابة على هذا الباب.
أضرب بيدي على رأسي مثل الذبابة
تحدثت المربية حديثًا في كل شأن
وقرأت عليه كثيرًا من الرُقى والتعاويذ
كثيرًا ما روجت سوق جُل
وملأت دنيا العشق بالألحان والسُكر
الخلاصة وضعت له في الليل
المتاع والعتاد في خلوة الحسناء
وحددت موعدًا في الخفاء
يجتمع فيه الشمس والقمر
هكذا صار قلب هرمز من السعادة
وكأن باطنه صار مثل الزعفران

جاءت المربية إلى جُل مثل الريح

وقدمت مثل الوردة المتفتحة، وهي تنثر السُكر مثل البلبل

قالت لها جُل: يا أعز من روحي!

أي خبر أتيتِ به من البستان؟

كيف أسأل عن غبار الطريق؟

قولي: أجئتِ أسدًا أم ثعلبًا؟

قالت لها: يا جُل! إنني لم أر شابًا مثل هرمز

في الدنيا!

طاول الفلك في الهمة

وجاوز العالم في الرفعة

أعلى قدرًا من *أفريدون*(٢٢) وجمشيد

استمدت الشمس رونقها منه

لم أر مثل هرمز في الحُسن

كأنني لم أكن قد رأيته من قبل

لما رأت، عيناي لونه البرتقالي

ذهل عقلي، وقطع يده

له فم صغير مثل الفستق

شفتاه مقيدتان خجلًا من المربية

هكذا فقد القلب الصواب بسبب خطه

كأن خطه سفك دمي

إن ممارسة هذا العشق حلال لكِ

مستحيل أن يكون هناك رجل مثل هرمز في الحُسن

وبهذا المعنى صعد قلبي إلى السماء

حتى يمكنه عشق قمر على الأرض،

أجيز لك أن تحبيه

فهو جدير بالمحبة

إذا لم تقضي له حاجته، فلمن تقضي الحاجة؟

إذا لم تعشقيه، فمن تعشقي؟

لما رأيتُ ذلك الطائر بدون حب

وضعت له حفنة حبوب في المصيدة

الخلاصة: لقد احتلت عليه كثيرًا

ولما رضى، تخوفتِ أنت

ووعدته لما يحل الليل

يطلع عليك صبح وصالها

احفظا القلبين معًا في طرب وبهجة

ليلًا حتى النهار

سوف يخمد هذا النفس في النهاية

فاظفري به لحظة أيتها الحسناء!

لما سمعت جُل هذا الكلام من المربية

أضاء وجهها كالقمر

قالت لها: يا عزيزتي، يا من بك القلب ينبض!

كيف أستطيع أن أشكرك؟

ماذا أقول؟ كل شيء أقوله، ليكن أكثر منه

وليرحم الله مثل ذلك الفم واللسان

لقد وضع الله الرحمة في قلبك عليّ

أحسنتِ، رحمك الله

أنا ووجه الحبيب الليلة

مثل الفستق والسكر معًا هذه الليلة

سوف تتذوق جُل العاشقة السكر طوال الليل

مع المحبوب حتى النهار

لو يطلع الصبح على ليلنا

يطلع علينا وفق رغبتنا

كُشف النقاب عن وجه الفلك

وأضاءت آلاف الشموع الذهبية

وامتلأ الفلك بالشمع المضيء؛

لأنه كان يتزين بالدُر حتى النهار

لما طلع النهار، وحل ليل آخر
غربت الشمس، وطلع القمر
كان هرمز قد جلس منتظرًا
حتى يلتقي جُل في البستان
كان يترقب، ويشحذ أسنانه
من أجل سُكَّر تلك الشفة الضاحكة
كان قلبه يخفق في صدره
إذ كيف يخرج شوك جُل من القدم
لما مضى هزيع من الليل، وأضاء ضوء القمر
أشرقت جُل النضرة مثل الشمس
جاءت إلى البستان مثل القمر، وخلفها المربية
مثل الشمس، وخلفها الظل
لما رأى هرمز قمرًا في ضوء القمر
فقد قلبه صوابه، وتأوه
كان يتوجه نحو القمر مثل الطائر
ذليل القلب، ذابل الوجه
أقدمت جُل البهيجة السروية القد
مختالة مثل طائر التذرج
عملت الطلسم بالعين
وحلت مشكلات العشق بالغمزة
رفعت ختم المحبة عن الشفة
ووضعت على الوجه جواد المشترى
سدت الطريق على الكواكب بالغمزات
ووضعت يدها على السُكر، وهي تبتسم
بدت وقد ألقت الجديلة على الأرض
مبتسمة الشفة مقطبة الحاجب
ارتدت ديباجًا ملونًا
وقد زُين الديباج بذلك الديباج

كانت من جنس الروم؛
لذلك كانت مثل الشمع من رأسها حتى أخمص قدمها
كانت في غاية الرقة، وكان لها طبع حسن
فما أطيب رقتها! وما أحسن طبعها!
لما رأى هرمز وجه المحبوبة
قبل وجه الأرض أمامها
لما سلك قمره الطريق
تقدم، واستولى على القمر
لما وقع ظل من الأرض على القمر
سقطت جُل ذات الوجه الشبيه بالشمس في الطريق
حيته جُل، وسقطت هذه الشفة السُكرية
وغصن الياسمين ذلك في الخميلة
ثملا كلاهما، ولم يتجرعا الخمر
صارا كلاهما مثل من فقد صوابه بدون خمر
غاصت قدم أحدهما في الطين بسبب العشق
ووضع الآخر يده على قلبه بسبب العشق
أضاء أحدهما مثل القمر
وصار الآخر مثل سمكة خرجت من الماء

وصول جُل وهرمز إلى البستان والغناء على الرباب

لما شاهدت المربية العاشقين على هذا النحو
ورأت روحيهما محلقتين خارج العالم
قالت لجُل: يا من امتلأت الخميلة بنورك
وثملت البلابل بسببك
أخجل وجهكِ القمر
ومنح فمك السكر للبن

لقد فقدت الصواب تمامًا بسبب الهوس

ولما جئت هنا، رحلت عن المكان

انهضي يا جُل في البستان

فقد عجزت بسبب السُكر، ولا تعانديني يا جُل

لك في كل مكان رأي مختلف

ولكن كل عمل له مكان مختلف

كانت جُل العاشقة تتصبب عرقًا

مثل المطر؛ خجلًا من قول المربية العجوز

في النهاية نهضت من جانب الطريق

وتأهبت للمرح

كانت قد أمسكت بيد المربية في يد

وبيد هرمز الثمل في اليد الأخرى

كانت تمضي وسط البستان

وهي تتوسطهما

كانت هناك خلوة في زاوية البستان

كانت لائقة بالشمس والقمر

اقترنا الشمس والقمر معًا

وجاءا إلى ذلك البرج من الطريق

جلسا، وكانا يشرحان الحال

قلباهما مملوءان بالرغبة، والمكان خال

لما ابتعدت قليلًا عن ذلك المجلس

اضطرب الفلك في الدوران بسبب ذلك السرور

لما ثمل هرمز، أخذ عودًا

وغنى أغنية من حجاب الأسرار

كان يعزف على العود منتحبًا

وكان يجعل من العود جسرًا بسبب دم العين

لما صب ماء الذهب من الحرير

سكب القلب الدم من حرير كل هدب

أنشد هرمز قائلًا: أيها المحبوب!

بدت الدنيا مثل الجلاد، فامنح الخمر

امنح كأسًا من الماء الشبيه بالنار بسرعة

فقد مضى العمر من جعبتنا مثل الدخان

امنح الخمر المعتق في النوروز باستمرار

فإنني أملك قلبًا مملوءًا بالعشق، وصدرًا مملوءًا بالنار

احضر ذلك الماء الشبيه بالنار زمنًا

فلا أثر للأمس أو الغد

ما دامت البراعم قد سقطت من الأشجار

فامنح الخمر الشبيهة بوجوه المحظوظات

تعال حتى تسمع خرير الماء

وترى البراعم، وتشاهد ضوء القمر

كثيرًا ما ارتدت البرعمة الطاهرة العباءة

وسحبت وجوهنا على الأرض بالعباءة

هات الخمر الخالص

فإن داءنا لا رأس له ولا قدم

قال هذا، وكان يهيم بسبب عشق وجه المحبوب

وينزف الدم من الصدر

شاب ثمل وعاشق على هذا الحال

قلبه مملوء بالكلام، لكن لسانه أخرس

لا يبقى شجاع في مثل هذا المكان

سواء أكان مجنونًا أم عاقلًا

جاءت المربية، وسكبت الماء على الوردة

صار ذلك الماء على وجه جُل مثل ماء الورد

خرجت جُل فانية عن نفسها بسبب العشق والسُكر

وقد أدمنت الخمر بسبب الهوى

ذهبت إلى صحن البستان مع حبيبها

وأدمت بسبب النرجس

كان الصبا يتناول جرعة من قحف الشقائق

وكانت الخميلة تتدلل مثل العروسة

ظهرت دقائق القدرة

في أوراق نقاش الفطرة

خلعت عرائس الخميلة البراقع

فوضعت آلاف الأطفال بدون زواج

كانت الخميلة مثل مريم في الصفات

فجاء عيسى ابنًا للخميلة

لما أنشد ذلك السرو الشامخ

رقصت جُل مثل غصن العوسج

تحدثت الوردة والبلبل بالاسرار طوال الليل

وأسهبا في حديث العشق

الشباب والسُكر والربيع

والدنيا آمنة فما أطيبه وقتًا جميلًا!

اقترنا جُل وهرمز معًا

وصارا كالزجاجة المحطمة بسبب الدم

أمسك هرمز بجديلة جُل بيد

واحتسى الخمر من الكأس الملون باليد الأخرى

لما طافا العاشقان في المكان زمنًا

ذهبا من شاطئ الجدول إلى الخلوة

كان قلب هرمز يخفق بسبب انعدام الصبر

عله يلمس جُل

كان يرى وصال اللبن والدهن عيانًا

وكان يرى القلب في تلك النار مثل القطن

لما علمت المربية، أطلقت اللسان قائلة:

لا تخدعيني

خجلت جُل من كلام المربية

وكانت تتناول السكر واللبن بسبب الخجل

كان العرق يتصبب من جُل خجلًا منها
وكانت جُل تختبئ تحت السنبل
جلست مع المربية، وقلبها مملوء بالغم
وقد سقط الندى على وردها بسبب الخجل
في النهاية خرجت المربية المسكينة
استمع الآن كيف صار حالهما
صار هرمز مثل طاقة الطاق، واضطرب
وتحدث عن السُكر
قال لجُل: يا من شفتيك الياقوتيتين ممطرتين للسكر
وعيناك ساهرتان بسبب السُكر
القمر جار كواكبك الثلاثين
والسُكَّر أخو شفتيك الياقوتيتين
أنتِ شمع، وتملكين أحمال السُكّر
وأنا كالفراشة حول شمعك
ما دامت للفراشة رغبة في العشق
فلا مفر لها من دهن السراج
صرتِ، مقيمة معي مثل شمعة
فامنحي فراشتي قطعة سُكّر
امنحيني قطعة سكر من مائة قطعة في النهاية
إذا لم تمنحيني الكثير؛ فامنحيني قليلًا
أحسني إليّ بقبلة صدقة
فالصدقة تدفع البلاء
امنحيني قبلة، فأي مجال للملال؟
فالتذوق حلال الليلة
ما دام ملك خوزستان لكِ اليوم
فلا تبخلي بقطعة سُكَّر أيتها المبهجة
لما ثملت روحي بالكأس الملكي
فاجعلي قلبي قويًا بقبلة

في النهاية لما تحدثا كثيرًا معًا

ناما معًا مثل اللبن والسكر

لما تدللت جُل

رغبت في الطرب

لما تجاوز دلالها الحد بسبب الجرأة

طلبت المعذرة بشفة كالسكر

ما أطيب ذلك الحضام وتلك المعذرة!

فهذه اللحظة أطيب من كل شيء تقوله

تعانقا

وقبلا بعضهما البعض

جعلا القمران وجهيهما متقابلين مثل الجوزاء

واختلط شعرهما بسبب القبلات

تلامست أياديهم

وتحدثا بأحاديث طيبة

لما تكون الحكاية أحلى من السُكَّر

تكون أطيب كثيرًا من الشهد والسكر

لما أحبا العاشقان بعضهما البعض

كانا عقلان في رأس واحد

حصلا على أسباب السعادة

وضعفا الثملان معًا

قال هرمز في سدى الليل

أيها الصبح! لا تطلع إلا على شفة المحبوب

احذر أيها الصبح! ولا تطلع بسبب الفضول

لا تجعل الخلوة مزبلة لحظة

لا تطلع؛ فالليلة لنا شأن معًا

إن تجارتنا رائجة في الليل والنهار

ما دمتُ باقيًا الليلة حتى الصباح مثل الشمع

فإنني أموت؛ لو تبتسم ابتسامة الليلة

إنك أسيري الليلة أيها الصبح
أموت لو تطلع بسرعة
كل شخص له شأن مع قمر
يمر الليل عليه في لحظة، والسنة مثل شهر
ليل الوصل الذي يسعد القلب
يبدو أقصر كثيرًا من لحظة واحدة
كان قلب هرمز يغلي في تلك الليلة
وكان يشرب الخمر باستمرار؛ خوفًا من طلوع النهار
كان يقول لجُل: يا صاحبة الفم الناثر للسُكَّر!
نثرنا نحن الجوهر بسبب شفتيك
أزعجنا وردة، وتخلصنا
وغرقنا في السُكَّر حتى الرقبة
أخذنا ثأرنا من العمر
بهذه المعاملة مع الحورية
رأينا عين السوء وفق رغبتنا
وحققنا رغبة قلبنا
لا أعلم أن مثل هذا الليل سيطلع نهاره عليّ
وأنا مبتهج
لا يرى الخلق مثل هذا الليل بمثل هذه السلامة
حتى يوم القيامة
في النهاية لما تعبا السكر والشهد
تعاهدا، وقالا:
لو يمهلنا الزمان
نقضي العمر سويًا في سعادة
كان غصن الياسمين يَعِدُ الشفة السُكَّرية
وكان قلبه يصيح، وكانت روحه تردد لا حول
لما تعاهدا الاثنان
قالت جُل: لقد أتعبتَ الشفة

كفاكَ يا منبع الدلال!

فقد تناولتَ كثيرًا من سُكّرنا

تعال؛ حتى نهنأ بالنوم، ونضحك

فقد ألقينا مفتاح القبلات في البحر

أجابها هرمز: أيتها الياسمينية الرائحة!

ماذا يوقظ المتحدث من هذا النوم؟

لقد أشعلتِ النار في العالم هذه الليلة

وتضحكين على العالم بقبس منها

لست أنا ذلك الطائر الذي يقنع

بشربة ماء من ينبوع عذب

ما دام ليس هناك ذباب؛ فالسُكَّر قوتي

وسوف أنسج خيوط الحجاب مثل العنكبوت

الشخص الذي يحظى بمثل ذلك الكنز المخفي

يغلق فمه بماء الحياة

ينبغي عليك النهوض من طريق الأعمى

فلا يستقيم أمري في قاع النهر

لا تمنحي الخمر للنائم الليلة

ولتتطهري بمائي الليلة

تذوقي سُكَّرك ما دمت أنا موجودًا

وأريد أنا أيضًا الزبد من اللبن في لطف

ما دامت هناك قطعة من السكر، يلازمها لبن

ماذا أقول؟ ينبغي للسهم هدف

أشق الجلد عن الفستق

فالفستق عمل بدون أجر أيتها الحبيبة

ما دامت شفتاكِ زكاة ماء الحياة

وما دامت لكِ زكاة في كل مكان

ما دمت أنا فقيرًا، فامنحي هذا الفقير العاشق

زكاة عن كل نبات

ماذا تريدين مني أكثر من هذا في النهاية؟
ألم يفتقر إليك أحد قط!
حين تنعمين عليّ بنعمة
ينعم الله عليك بعشرة
اطلبي كثيرًا من السُكَّر
فلا يستحسن البخل من الطيب
كان الهوى يدعو هرمز للتعليم
ليضع الألف على حلقة الميم
لما جعل هرمز تلك الألف مختلفة
جعلت جُل ساقيها مثل اللام ألف
أشاحت تلك الحورية الفضية الصدر بوجهها عنه
قائلة: لتبعد تلك الألف عن ميمي
لن تجد الألف السبيل إلى ميمي
لا تملك الألف شيئًا، فاطلب قبلة
لا تنتظر مني سوى التقبيل
فلن تحصل تلك الألف على شعرة من ميمي
إن رأيتَ هذه الميم مثل الفضة
فالحجر لا شأن له بالفضة قط
يريدك قلبك القاسي
أن تلقي حجرًا مرة واحدة
شحذت أسنانك من أجل السُكَّر
فتناولت خوخًا مضرًا
لو رضي قلبك منا بالقبلة
ليكثر الله لك السُكَّر من فم جُل
وإذا لم يرض، امتنع عن الحماقة
طاب ليلك، ها أنا قد مضيت، أيها الحبيب!
ما دام مقصودي منك هو اللقاء
لكن مثلي، لو كنت مشتريًا

إن قدر الوردة في البستان أيها الحبيب
أن تبقى في البرعمة خلف الحجاب
لما تخرج من الحجاب لطيفة رقيقة
يشمونها، ويلقونها في التراب
يحطموها مثل كرة العنبر
ويحرقوها مثل العود الخام في المجمر
الفص الذي حصل عليه الصقال من المنجم
يمزق الفلك الدائر قلبه
احذر! ولا تقصد محبتي
فالوردة في البرعمة أفضل من الياقوت في الصخر
لو تريدني، دع هواك
واتركه في مكانه
إنك لا تحصل من حبي على شيء إلا السُكَّر
فلا تنظر بالحب إلى درجي مرة أخرى
احفظ مفتاح الدرج المحكم الغلق اليوم
إذ كيف يصير ذلك الأمر أيها المبهج؟
غضب هرمز من جُل مرة أخرى، وقال:
لا تضايقيني أيتها المحبوبة اللطيفة!
لا يحصل أحد على نصيب منكِ بدون حزن
فالحسناء ليست غريبة على الورد
لماذا لا تحققي رغبة القلب
إلى متى تبدين الراحة، وأنت لا تشعرين بها؟
تسوقين الأدلة على حبك
ولكنكِ لست أكثر عشقًا مني بالله
كيف ابتعد قلبكِ عن نقش عشقي
فلا يمكن فصل النقش عن الحجر
بلى كان نقشك على الحجر نارًا
فقفزت هذه النار من حجرك مسرورة

ما دمت تعلمين طبع الزمان

فلماذا تضطربين في خلية النحل هذه؟

ما دمت تريدين إنجاز عمل

انجزيه أولًا، فالنهاية غير واضحة

يجوز أن تقضي علينا دورة الزمان

في النهاية

لا عجب أن لا يمهلني العمر، فلا تدَّعي

ولا تتمردي، ولا تتعجلي أيتها الوردة الثملة

وإذا لم تحققي رغبتي

مضيت، وافترضي أنك لم تسمعي اسمي

إن آلمتُ شفتيك بأسناني

فقد جعلت القبلات مرهمًا لها

أمسكتُ شفتيك الياقوتيتين بأسناني

حتى أتذوق دمهما

ما دمتِ قد سفكتِ دمي، فقد مزقت شفتيكِ

حتى أتجرع الدم منهما بالهناء

الآن مضيتُ، فأي عذر اعتذر به لك الليلة؟

فليلتي غاب عنها القمر بدون حبك

لما قال هذا، أرادت أن تنهض من المكان

فسقطت الوردة مثلما تسقط الجديلة على القدم

لم تستحسن جُل مثل هذا

وألقت الدرع مرة في النهاية

جعلتُ قلبي حبة في شباكك

وجعلتُ خطبة العقل باسمك

لما أضع رأسي على قدمك، افتخر

ولما أنثر الروح على قدمك، أزهو

أنت لي روحي، يا من تطلب الثأر من روحي

ولا أعرف أحدًا خارج روحي سواك

ما أطيب حرقة قلب الحبيب الخائن!

ما أطيب حزن الحبيب المحزون!

رأيت وجهي على القدم مثل أطراف الثياب

فاضطربتِ، ولملمتِ الطرف

لا تبتعدي عني أيتها الحسناء بسبب القسوة

فلا يكون هناك نور لقمر قاس أبدًا

ما دمتِ قد جذبتِ القلب إلى وسط الخط

فقد نقشتِ خطا في القلب، وهربتِ

وضعتيني على الباب مثل الحلقة

وحرقتيني كالشمع، وسكبتِ عليّ الجاز

الآن تتأوهين غضبًا مني

وقد جعلتِ قلبي أسير الألم

ما دمتُ صبورًا عليك مثل تراب الطريق

فضعي رأسك على طرفي مثل دمع العين

لا تكن لطيفًا يا عزيزي

فلن يؤثر كلامك في جُل

إن ميلي إلى الطرب أكثر من ميلك كثيرًا

ولكني أخشى فضيحتي

فتحت جُل اللطيفة فمها بالسكر

وكانت تقرأ التعاويذ، وتضع رأسها على الخط

في النهاية أثَّرت تلك التعاويذ على هرمز

وحولت قلبه عن تلك المحبوبة

فقال لجُل: يا من أنت قليلة الإيذاء مثل الوردة

لا تتألمي بسببي لحظة مثل الوردة

ما دمت لا تحققين رغبتي الآن

أجعل خطي يدمي وفقًا لرغبتك

ما دمت لا تسيئين إليّ، فأي قرار لي

أنا المهموم اتفق معك

قال هذا، وضايق السكر

وقد دخل القمر في السرطان بسبب ذؤابته

سرق ماء الحياة تارة

وحمل سُكَّر شفتيها بدون مقابل تارة أخرى

وضع قنده على الشهد تارة

ومزق قلادتها تارة أخرى

تناول السكر من لب الفستق تارة

وأنهك ياقوتها بمرجانه تارة أخرى

جعل أمره مع الفضة كالذهب تارة

ووضع يديه على خصر المحبوبة تارة أخرى

جعل مائة حلقة من تلك الجديلة المدرعة

مثل الحلقة في الأذن في لحظة

جرح عنابها بالفستق تارة

وكسر البندق على السكر بالقبل

ناما العاشقان سكارى هكذا

حتى هبت الريح على الأرض في وقت السحر

لما غلب جيش النهار الليل

أسعد نسيم الصبح الروح

ترامى إلى الأذن صياح طائر السحر

من البحر الأسود في الصباح الباكر

قفزت جُل الثملة بسبب ريح الصبح

انظر كيف كانت جُل ثملة في الصباح؟!

لما نهضت جُل، نهض هرمز أيضًا

وطلب من جُل الخمر صبوحًا

قالت له جُل: تفوح منك رائحة زكية

ويصيبك الصداع من سُكر الأمس

امنحنا الخمر بيديك، نحن المخمورون

وبعد ذلك اسمح لنا بالخروج

يجب علينا الرحيل؛ ما دام النهار قد طلع، ونحن سُكارى
حتى لا تدركنا عين السوء
ما دام الكأس يمتلئ بالحرمان
فإنه يدير رأسك في النهاية
قالت الحورية هذا، واحتست الخمر، ومنحت الخمر
وكانت تتحدث عن ماء القدح
لما احتست تلك الملائكية ماء القدح
صمتت مثل الجن في الماء
سقطا المدللان
وثقلتا رأساهما بسبب السُكر
وضع واحد رأسه في طرفه
ووضعت الرأس غمها وسط الروح
صارت قدم واحد وسادة للآخر
وقد وضع للحبيب وسادة فضية
ليس هناك خبر للعاشقين عن نفسيهما
ولا أثر لهما عن هذا العالم أو ذاك
تخلصا من حَسن الدنيا وسيئها
وتحررا تمامًا من الحاجة والدلال
سمعتُ صوتًا من ثمل فحواه:
إنني أشرب الخمر؛ لأفنى عن نفسي
لما ألقى الصبح العباءة من عجلة الفلك
طرح بياض الصبح آلاف الأشعة الصفراء
أشرق نور الصبح من خلف المرتفعات
وخرج دُر الصبح من قاع البحر
لما طلع النهار، دخلت المربية العجوز
فرأت العاشقين، وقد غاصت أقدامهم في القير
لم يوجد نقل ولا شمع
ولم يبق خمر ولا مجلس

أضاءت الدنيا، وانطفأ الشمع

وانسكب الشراب، وتحطم الكأس

امتلأ الدار بأجزاء الأقداح المحطمة

واتسمت الأرض بسمات شارب الخمر

دخلت المربية، وصرخت؛

فقفزت المبهجة من مكانها بسبب صراخها

لما رأى هرمز جُل، وقف

وحياها، وهو ثمل في مكانه

لما ألقى التحية على ذلك القمر

جعل القبلات دليل الطريق

نهضت جُل ذات الوجه الشبيه بالشمس

ومضت المربية خلفها مثل الظل

اتجهت إلى القصر

وكانت تقول: يا رب! من النهار حتى الليل؛ شوقًا إلى ليلتها تلك

كانت تشعر بالدوار بسبب ذلك السُكر تارة

وبسبب ذلك الدلال، وتلك القبلات والأحضان تارة أخرى

كانت تتذكر ذلك الطرب وتلك السعادة تارة

وكانت تصيح بسبب تلك الرغبة تارة أخرى

كانت تشرح تلك الجاذبية تارة

وكانت تستيقظ تارة، وتنام تارة أخرى

انظر الآن أي جفاء فعله الفلك

حتى فرق الاثنين بعضهما عن بعض

بدا الفلك وكأنه ممثل

تلون كل لحظة بلون مختلف

أتعلم ما هو الفلك أيها الرجل العاقل؟

إنه راع للغريب، قاتل للقريب

لما مضت مدة من الأيام على هذا

شعرا جُل وهرمز بخيبة الأمل

صاحبهما التوفيق تارة، والفشل تارة أخرى

تجرعا الكؤوس تارة، وتبادلا الرسائل تارة أخرى

جلسا معًا تارة، وافترقا تارة أخرى

حزنا تارة، وسعدا تارة أخرى

حققا رغبتهما في الدنيا زمنًا

ولكن الفلك سخر منهما

لا تدق ساقية الفلك

لأن الطاحون يدور وفق رغبة المِجْرَف

كانت جُل تغرس حبة مناسبة في القلب

وكانت تدير الساقية بالطرب

أي سرور! وأي حزن اعتراها حيث ذهبت!

وقد سقط الجميع في ساقيتها

لم يعرفا هذه الدنيا منذ البداية

وماذا سيحدث لهما بعد ذلك

تأتي الدنيا بمائة وخزة من البوص مع قطعة السكر

ولحظة سعادة فيها تجلب بعدها عام غم

إذا ضحكت جُل في الدنيا يومًا

فانظر؛ فقد بكت بحرقة بسبب الزجاجة

لا سعادة للإنسان في الدنيا

الإنسان السعيد ليس إنسانًا

خطبة ملك إصفهان لجُل

هكذا قال ذلك الفصيح البليغ

الذي لم أر شاعرًا أفضل منه

لما أصبح الليل نهارًا، والتقط هذا الطير الطائر

الثريا من الليل مثل حبة الذرة

ولما ثقب الفلك الطيلسان الأخضر

استترت الأرض بالحرير الأخضر

كان ملك خوزان قد جلس على العرش

فجاء رسول الملك من إصفهان

جاءه بخبر عن ملك إصفهان فحواه:

إن ملكًا مثل السُكّر يريد جُل

فليهيئ أمر ذلك الشمع زمنًا

ويرسل السكر من خوزستان

فقد نثرنا على الطريق

ماء الورد الإصفهاني؛ من أجل ماء الحياة

فلترسل السعيدة الحظ إلى إصفهان

وترسل سكر جُل

مدينة إصفهان كلها

مهيأة لوصل جُل، فأي وقت للفراق!

جاوز رنين كئوس الشراب القمر بسبب السعادة

وسلك العقل الطريق مسرعًا مثل الريح

انسجم المغنون مع المتألمين

وفتر الهواء من آهات السُكارى

بقى الصبوح في الصباح

وسقط الندى على وجه النهار

أعد عطارد رسالة جديدة

وبدأ السماع الحسن الألحان

العين الناثرة للدر وردية اللون من السُكَّر

وغمزات الغزال مخدرة بسبب السُكر

ليست هناك أية بقية للسرور اليوم سوى جُل

لأن الورد يلزم النوروز

لما وصلت جُل رسالة بهذا المعنى

وأن الملك وضع مصيدة لذلك الطائر

وأنه سوف يبعد السُكَّر عن خوزستان

ويقيم لها حفلًا أسوأ من مائة مأتم

وأنه يهيئ كل الأمور للعروس

ويوفر لها الحرير منذ شهر

اشتعلت النار في روح جُل بسبب هذا الغم

وغرست الدنيا مائة شوكة في شريانها

لما جعلت الدنيا من قلبها بحر نار

أصابها الفلك بالعجز تمامًا

وصلت آهة قلب جُل إلى الفلك

واشتعلت النار في جنبها بسبب القلب

جلس المسك التعس والقمر المتعب

قلبها يخفق، وفمها مفتوح

سقط السُكَّر أسفل حلقة الميم

وخمش البندق الفضي ورقة الورد

قلب ومئات الآلاف من نيران الحقد

وجه ومئات الآلاف من قطرات الدمع

جاءت الحسناء إلى جُل

تأخذ موافقتها على العقد

لما رأت جُل، وقد تخضبت بالدم

أدمى قلبها

فقد مزقت غصن الياسمين القميص مثل الوردة

وأجرت جدول شقائق من النرجس

جلست ذليلة وسط الدماء

وهي تبكي

سمعت الكلام كله عن العرس

واتخذت منه مأتمًا

ترامى الكلام إلى الأذن

وفقد العقل الإدراك

لا رَأْيَ للقلب، ولا تدبير للعقل

وقد كبَّرت على العالمين أربع تكبيرات

فتن هوى هرمز جُل

فنسيت وجودها

لما رأت تلك الحسناء المستقبل هكذا

اغتمت في تلك اللحظة

لم تتحدث، وصمتت، واستراحت برهة

واستراح ذلك التاج على العرش

أعطتها الحسناء السيئة الجواب رسالة من الملك

في لطف فحواها:

أرى ثمان جنات لي

لما أرى عقد زواج السُكَّر والوردة

ساقك هذا العقد إلى العقبى

وبقيتِ به مثل عقد الجوهر

لا ينبغي أن تغضب جُل

فلا يمكن لأحد الهروب من المقدر

أنتِ شمس، ويلزمك قمر

أنتِ خاتون، ويلزمك ملك

كل شخص يشتاق إلى الزواج

الله هو الذي بلا زوج، لأنه واحد

لو تتزوجين مثل الآخرين!

فإنكِ فريدة في الحسن، ولتتزوجين

يلزمك الزواج

ما دمت قد تزوجتِ، فلا يمكنك الاستغناء عن الزواج

ما دمت قد تزوجت رجلًا، فاسعدي

واطلبي الزواج، لعلك تتزوجين ملاكًا

ما دام حاجبك طاق العين في النهاية

فاطلبي الزواج مثل العين في النهاية

حرقتيني أيتها الحسناء مثل الشمع، فماذا أقول؟

امنحيني فراشة حتى تبقى في محلتي

قالت لها جُل: يريديني الملك مجنونة

لأنه يريد فراشة من شمع مثلي

لا أريد مغادرة فراشي

أي فراشة أمنحها للملك، إنني لا أريده!

أعلم يقينًا أن الملك لا يريد

أن تصير الوردة ماء الورد في إصفهان

لا أريد نطع العُرس

لن أضع وجهي على وجه الملك، ولا أريد المَلك

لا أميل إلى الحرب معه في الميدان

ولا أجول بالجواد معه

أترجل بالطلعة البهية

وأصل إلى النطع بالفضل يومًا

لو أن له من الذهب مثل حجم الفيل

فإن لي منه قيد ثقيل مثل الفيل

ليبتلى الملك في الغربة بسببي

وليمت صاحب هذا النطع مرتين

لما وجدت تلك المرأة إجابة جُل على هذا النحو

ووجدتها ثقيلة الرأس مثل السُكارى

رأت في قلبها نفرة ونفورًا

ووجدت القرب منها مثل البعد عنها

مثلت المرأة أمام الملك، وقالت:

إن تلك الحسناء لن تكون زوجة لك أبدًا

حين تقول لها: تزوجي، تقيم مأتمًا!

فليس ذلك الطائر هو الذي يتخذ عشًا

صارت جُل مثل السوسن بعشرة ألسنة مرة واحدة

وقالت: لقد تخلصت من هذا الأمر مثل السوسن

لا أريد الزواج، ولن أتخذ زوجًا

وإن مت بلا زوج مثل النار

ماذا يحدث لو تخمد النار بدون زواج

فكل من يقترن بها، يحترق

لذلك أفرغ من أمر الزواج مثل النار

فإنني لا أمنح قطرة، وأنام وأنا نضرة

ماذا يحدث لو أن ترابي لا يصير غبارًا

وأبي لا يرضى عن إيذائي في النهاية

هكذا صار ملك خوزان من تلك الإجابة

وكأن نخاعه قد خرج من عظامه

استدعى فيلسوفًا حكيمًا يستشيره في أمر

سرو الخميلة تلك

وقال له: لماذا أبحث في مضيق

عن طريق إلى دم هذه الحقيرة زمنًا

فص القلب مقيد بها

حتى إن القلب مثل الخاتم في قيدها

قال له الحكيم: رأيك هو الأفضل

فالملك هو الأسمى، وأنا الأدنى

ولكن كل شيء تفعله وأنت تشعر بالإخفاق

لو أنه نور، لا يمنحك النور

ما دامت ابنة الملك محزونة بسبب هذا الفكر

فلا يجب أن يسلك هذا الفكر السبيل إلى قلبها

ما دمت تثني الغصن وقت الزراعة؛ لا يثمر لك

يمكنك غرسه ولكنه لا يمنحك الثمر أبدًا

ما دامت جُل لا تقبل ا لزواج

ينبغي الكف عن هذا الكلام

ما دمت تحسن القول؛ يجب أن تكثر منه

يجب أن يكون العالم كله لك

أفسد القضاء تدبيرنا

ويسر الأعمال في وقت العسر

إن أشق مائة شعرة بالتدبير

لا يمكن أن تحيد شعرة عن القدر

يجب أن تبدأ الرسالة

وتفرغ القلب من هذه الأفكار

عندئذ ينبغي إرسال الكلام الشبيه بالسكر من القلب

بواسطة رسول الملك

أعجب الملك بذلك الرأي السديد

ونفذ ما قاله في الحال

جاء كاتب، وكتب الرسالة

بدأ الرسالة بسم الله

بعد ذلك افتتحها بعدة كلمات عن جُل

لأنه لا يمكن حل هذه العقدة

لو أقول هذا الكلام لجُل

تشنق نفسها بجديلتها

يمكن اجتناب مثل هذا الحبيب

ويجدر بك ألا تقحم نفسك في مثل هذا الأمر

إذا لم تكن جُل لك، فلا تحزن

فلا تنقص إصفهان بسبب وردة

تصير الأب الذي يبحث عن الرضا

إن تريدك الفتاة، فلتكن لك

لما كتبوا الرسالة وطووها

ختموها بالمسك والعنبر

وعهدوا بها إلى رسول الملك

سلك ذلك القاصد الطريق

وذهب إلى الملك، ولما قرأ الملك الرسالة

استدعى الأكابر من كل قصر

قال ملك خوزستان غاضبًا:

إنني الملك الوحيد الجدير بالزواج من ذلك القد الفضي

اسمح؛ حتى تأتي جُل حبيبتي

ما دام قلبها يحفظني، فهي محبوبتي

نتبادل الحب مثل السُكَّر

ونكون كلانا في غلاف واحد كالفستق

أكون لجُل مثل العين في الرأس

وأكون المسئول عن نفقات السُكَّر

الآن غضبت من قولي

فكيف يمكن إخضاع تلك السعيدة؟

البحث عن الوفاء عند الفاسق محال

فإن لعهد الوفاء عام قحط

كثيرًا ما سمعت أذني عن عهد الوفاء

ولكنني لم أره قط، ومن الذي رآه؟

هناك خبر عن الوفاء، لكنه ليس عيانًا

لو أن الوفاء موجود، فهو ليس من نصيب هذه الدنيا

أنا اليوم شمع الملوك

تتباهى إصفهان بي خلف الحجاب

لو تعاديني الدنيا

أسمل عين الدنيا المؤذية الدنيئة

ولو تُثني هذا النطع الرمادي

ترى النطع ممزقًا، والرماد مبعثرًا

البحور السبعة في عيني ليست إلا كفًا

والنيران السبعة في عيني ليست إلا غبارًا

لو تتخذ الدنيا رونقها، اضطرب

وأقلق بسبب ذلك المعنى الذي لم يُفهم

الزرقة واضحة بسبب سيفي

وهي بحر جوهر برّاق

لو تفكر المرأة الحامل فيّ
تسلك طريق العدم هكذا
الهلال عزيز وإن كان قديمًا للغاية
والمحدث النعمة ذو قيمة في رأيي
إن ملك خوزستان اليوم
يسر من مَلك مثلي
يهوى الحرب بسبب سوء السمعة
ويستعار من مصاهرة ملك
لماذا يتألم قلبي بسببه؟
ولسوف أظهر له الشجاعة في هذا الزمان
قال هذا، وأخرج الجيش
وأرسل الغبار من الصحراء إلى الفلك
جاء الجند من كل جانب مثل النيران
وصعد غبار الفلك فوق الفلك
ارتفع صوت البوق الذهبي من ميدان القتال
حتى الثريا
كانت مائة طبلة من طبول الحرب تدق في مائة مكان في لحظة
وكانت الأعلام ترفع في كل قدم
كانت السيوف تلمع تحت الغبار
مثل الكواكب السيّارة التي تتلألأ خلف الغيوم
من كثرة الجند الذي التحم بعضه مع بعض
صار جبل الحديد مثل بحر متلاطم الأمواج
كانت الأرض تهيل التراب بسبب أقدام الجياد
وكان الهواء يغربل التراب مثل المغربل
أظهر الليل الزنجي الأسنان من الشفة
تحت قلعة هذا الفلك الدوار
وقعت آلاف الطيور في الشباك
ومضوا من القصر الأزرق إلى السطح

وقفت كل نجمة تنظر إلى الجيش

بمائة عين شبيهة بالنرجس

لما خرج الليل من خيمة الفلك

انقلبت النجوم مثل ذيول الجياد

صاح طير الصباح

وملأ الدنيا ضجيجًا من السماء إلى الأرض

لما شعر الناس بطلوع النهار

قصدوا الطريق مستبشرين

سيق الملك والجيش من إصفهان

وسلكوا طريق خوزستان جميعًا

لما علم ملك خوزستان بمجيئهم

جمع الجيش، وأدرك الأمر

استعد ملك خوزستان للحرب

وفتح الخزانة، وتصدق بالأموال

إذا لم تمنح جيشك الأموال

فكيف يحافظ عليك بدونها؟

جعل الجيش مثل قارون بالفضة والذهب

وخرج الجيش من خوزستان

جُرِّد الجيش على وجه الأرض كله

واصطفت طلائعه

مجموعة تحمل السيوف القاطعة في أيديها

وتزأر مثل الأسود غضبًا من الأعداء

ومجموعة أخرى مسلحة بالحراب

مغطاة بالحديد من رأسها حتى أخمص قدمها

مجموعة ممسكة بالسهام

مصطفة لدنيا العدم

ومجموعة أخرى تلقي السهام بدون هوادة

متأهبة لحرب المتمردين

مجموعة تسن الحراب

وتقف عابسة، وتثير الفتنة

اتخذت أسود الحرب طرفًا

بأقواس من مدينة **جاجي**(٢٣) وسهام من خدنج

أمسكت مجموعة بآلات الحرب الثقيلة

وقد بسطت اليد، وعقدت الوسط

ترامى إلى الآذان صوت الطبل

وكأن السماء تدق الطبل مع الأرض

هكذا سرى صوته في العالم

كأن العالمين اختلطا بعضهما ببعض

انتشر الرجال من المغرب إلى المشرق

وتصاعد الغبار من الصحراء إلى الفلك

لما صفا الفلك من غبار الغيوم

ظهر الرعد من صوت الطبول

كان البرق يطأطئ رأسه بسبب السيوف

وسُد الطريق بسبب الجنود المسلحين

امتلأ الغرب والشرق بالأمطار الدامية

بسبب تلك الغيوم، وذلك الرعد، وذلك البرق

صار وجه الأرض كله عجيبًا

وجرى نهر عميق من الدم في كل ناحية

صارت الأرض بحرًا متلاطم الأمواج من دم الرجال

وصار الدرع مثل الطوب اللبن، وأصبح الجوشن مثل الكفن

ارتص القتلى في كل ناحية

حتى سُد طريق الحرب أمام الجند

انقلب الجسد من فوق الجواد، و انحنى الرأس على الجسد

صارا الفلك والصحراء بحرين من الدماء

هُزم ملك خوزستان مرة واحدة

بسبب عهد الفلك الدوار الكاذب

هُزم، وعاد إلى مدينته

مثل الدجاجة الخائفة من الباز

كان يعد أمر الحرب طوال الليل حتى النهار

وكان يحترق مثل شمع مضطرب

في تلك الليلة مثلت جُل أمام المربية

مثل الشمس التي تتقدم الظل

تخضب الهدب الشبيه بالإبرة بالدم

فلا يمكن القضاء على الحمى بالخيط

تمزقتُ بسبب القلب

ولا يمكن حياكة أجزائي معًا بالإبرة

لو يستولى الملك على مدينة خوزستان

تموت جُل من هذا الخذلان

لم أسعد بهرمز

ولم يكن لي مثل هذا الوجه في يوم آخر

قالت لها المربية في لطف: لا تقتلي نفسك!

فالليلة ليلة الحمل، ويسبقها النهار

لو أنكِ خائفة، فتمسكي بالأمل

واحتفظي بمحبة تلك الشمس في قلبك

لو أنه طاووس، فالحية تتعقبه

ولو أنه النمر، فالحسك يتعقبه

ما دمت تملكين هرمز، فاعقدي العقد

لا تحترقي بالتأجيل، وأبرمي العقد

ما أكثر الأشخاص الذين سقطوا بسبب الهوس!

وجاء آخر، وسلبه الشرف

حارب ملك إصفهان من أجلك

ووضع لكِ هرمز السُكّر في فمك

تألم واحد من أجلك

وجلس آخر على حافة الكنز

واحد يضرب بالسيف بسبب عشق وجهك

وآخر يحظى بوصالك

الآن باب السعادة مفتوح لكِ مرة واحدة

والطريق طويل بينك والغم

ابتهجي اليوم

ولا تحزني على الأمس أو الغد

فلا يحضرنا إلا اليوم

وقد مضى الأمس، ولا خبر عن الغد

سُرَّت جُل بقول المربية

وانطلقت بسببها مثل السرو

لما سكب هذا الطاس الذهبي دمع الثريا

من الطست في اليوم التالي

هُزم جيش الزنجي مرة واحدة

وصارت الأرض صفراء مثل الصندل مرة واحدة

علا صياح المستيقظين في البكور

وانبعث صهيل *شبديز*(٢٤) من الصحراء

انبعث صوت الطبل من بعيد

وصدر صوت البوق من حلق الناي

من كثرة الناس الذين انتشروا في الأرض في ذلك الوقت

كأن القيامة قد اختفت في كمين

استقاما جناح الجيش وقلبه في كل ناحية

وقد نهض القلب من الصدر مثل الجناح

وفي أثره وقف جيش بآلاف السيوف مثل قطرات الغيم

وفي يد كل جندي سيف

هكذا اختلط حاملو الرماح

وضلوا الطريق الواضح على الأرض

إن كانت تمطر الزئبق مثل المطر

كان يستفز رماح حاملي الرماح

من شدة سرعة الحراب

كانت تطيح بالسيوف المصقولة

جمع قادة الجيش، الجيش

وأدوا صلاة الموت على العالم

خطفوا السيوف مثل أوراق الكراث

وكانوا يحصدون الرؤوس من الأجساد كالكراث

من كثرة الدم المسفوك؛ انزلق الجند في الطريق

وصار وجه القمر شفقًا من صورة الدم

سد التراب المشام بسبب الدم والبصاق

لم يبق سبيل إلى الأرض، فقد سدته الأفلاك

نجت الدنيا من المتمردين في ذلك اليوم

ورفعت الأرض رأسها إلى السماء من الغبار

في النهاية هزم ملك خوزان

وقلبه مثل الشمع المحترق

لم تقدم له يد الإقبال أية معونة

ولا يأتي المُلك بدون حظ

كان هرمز قد وقف في ناحية

متأهبًا وهو يركب جوادًا مسرجًا

قَيَّد الفتح قَيدَهْ بأهداب السرج

وعقد سهمه الهلال على الأرض

على رأسه خوذة مثل المرآة

وعلى صدره درع مصنوع من جلد النمر

نثر النار من الحديد بالسيف

وقد بقي في الحديد مثل جبل الفضة

جاء نضرًا مثل شجرة

وطلب مبارزًا، وجال مدة

كان الظفر ظهير سيفه

وكان عدوه يضع نعله في إصبعه

هكذا صاح صيحة من أعماقه؛

فارتعد كل شيء من الجبل حتى القش

قفز الجيش بسبب صيحته من المكان

ولم يعرف شجاع رأسه من قدمه

كان بهزاد شابًا من إصفهان

وكان بطل الملوك

مثل أمام هرمز ممسكًا بالسيف في يده

وصاح بشدة مثل أسد ثمل

إنني لا أبالي بالقادة

فكيف أنظر إلى أي إنسان؟

لو يبدو رجل لعيني

يظهر في مرآة جسدي

لا تملك الدنيا ملكًا سواي

وإذا ملكت، لا تملك ملكًا مثلي

دخل هرمز، وبسط ساعده

وكان يحمله من التنور بقوة

أصاب بهزاد بحربة في صدره

وأرسله إلى الجحيم بضربة

لما جرح قلب بهزاد

هتف هاتف من الفلك: أحسنت!

ضج أهل خوزستان إلى حد أن

رعدًا انطلق من الأرض إلى السماء

كان هرمز يطرح الرجال على الطريق

حتى إنه طرح أكثر من خمسين رجلًا

كان سيفه يرسل الشفق كالأمطار

وكان السيافون كالبرق المحترق بسببه

من كثرة دماء أعدائه التي سفكها

اهترأ الجوشن على جسده

لما ملأ هرمز صحراء خوزان بالدم

نُكّس علم ملك إصفهان

انهزم، ووقعت الهزيمة

وأخذ أولئك الجنود الغنيمة

حصل أولئك القوم على كل شيء

حتى إنهم لم يكونوا في حاجة إلى شيء آخر

عندئذ دعا الملك هرمز في إعزاز

فكانوا يفسحون له الطريق من كل ناحية

دخل هرمز من الباب مسرورًا

فأثنى عليه ملك الزمان كثيرًا

منحه قيادة ذلك الجيش

وأعطاه التاج بيديه

قال له: لا أعلم قطّ

أن رستم[٢٥] خرافة بالمقارنة بهرمز

أنت ظهير قادة الدين

وأنت البطل على وجه الأرض كله

ليقترب منك الظفر، ولتبعد عنك عين السوء

وليحزن حسودك، ولتسعد أنت

إذا لم يبق هذا المتمرد

لما بقي التاج على العرش

من أي بحر ومنجم كان هذا الجوهر؟

ولأي بستاني كان هذا الابن؟

له طلعة مثل طلعة جمشيد

ويملك عظمة الشمس في طلعته

يصير مائة فيل أمامك نملًا على الأرض

بسبب هذا العلم وهذه العظمة وهذه القوة

يعلم الله كيف كان هذا الأمر!

فإن هذا الأمر خارج عن حساباتنا

لما جاوز الملك الحد في تدليله

أجلسه شخص على الجواد، وأعده له

أثمرت شجرة سعادته

وصار ملك الملوك عامله

امتلأت الدنيا بمنجزاته

وتحدث الخلق عنه

تدللت جُل مسرورة به

وتعبت شفتاها بسبب الضحك

كانت تظهر المرجان من درج ياقوتها

وكانت تهب الحياة للدنيا بشفتيها

لما انقضت مدة

استأنف الفلك اللاعب اللعب

الفلك لاعب، وأنت مثل الطفل

مغرور بالخيال العلوي والسفلي

لما تقع على كعبه كثيرًا

تنشغل بمشاهدة وجهه

ما دمت طفلًا؛ فاذهب، وابتعد

وإلا فكن مغرورًا إلى الأبد

طلب القيصر الخراج من ملك خوزستان وذهاب هرمز رسولًا

ألا أيتها الفاختة الحسنة الحلق

إن حلقك مبهج للخلق

تملكين الجوهر داخل القلب؛ فاخرجيه

واسفكي دم مائة حلق بحلقك

انظم الكلام، وتحدث

ما دمت قد عقدت طوق المعنى؛ فاكشف الأسرار

أنر الدنيا بكل صوت

وأشعل شمع الروح في كل لحظة

ما دمت قد تركت متاع الدنيا

وحطمت القفص، وفضلت العقبى

الآن لو أن لديك قصة، قصها

وعرِّف الغرباء كلهم بها

أوف الكلام حقه بالفصاحة

هكذا قال ذلك البليغ:

إن القيصر الذي كان أبا هرمز

كان أكثر رفعة من الفلك

لم يكن هناك ملك أعظم منه في وقته

وقد أضاء القمر في الفلك الدنيا من أجله

كان الفلك أجيرًا في ديوانه

وكان يأخذ خراج العديد من البلاد

أرسل رسولًا إلى ملك خوزستان

من دار ملكه، وهو مسرور، برسالة فحواها:

لو تريد أن تظفر بالعرش والتاج

يجب أن تدفع الخراج لي

أخرج إيراد خوزستان، وارسله

فقد ورد اسمك في الفهرست

لا تتمرد، وكن تابعًا لنا

ما دمت قد أطعت الأمر، كن ملكًا

لو تحيد عنا مثقال شعرة

تهيل التراب على رأسك، ولا تجد رأسك

ضاق الملك بذلك الكلام

إلى حد أن الدنيا اضطربت بسبب ضيقه

تأوه، وذبل وجهه

وأظلم عليه الفلك اللاجوردي

استدعى كبار رجال الدولة

وتحدث بهذا الحديث أمام الحكماء

إن القيصر يطلب الخراج من البلاد

وإذا لم أمنحه له، أرى البلاء منه

لا أستطيع محاربته

ولا يمكنني دفع الخراج له

لا أحد يتولى الملك في هذا الزمان

إلا بموافقة القيصر

لما أخرج عليه زمنًا

تخرج الدنيا عليّ

كان حكيم كبير حاضرًا

يحل المشاكل بدقة شديدة

مرّ بكثير من السرور والحزن في الكون

ورأى فساد العالم على كل لون

اغتم قلبه في صدره

واشتعل رأسه شيبًا

صمت لسانه بسبب الفكر

وجعل فمه درج جوهر في الكلام

قال للملك: يا من الفلك قصرك

والسماء عتبتك

ليكن لك سخاء البحر وحلم الجبل

وليُهزم جيش حزنك

حين يتفاءل ملك

يجد الزمان ظهيرًا له

لا تحيد عن ذلك الوجه أبدًا

لا سبيل لك في أن تدير ظهرك لتلك الناحية

لقد تفاءلت بهرمز هذه اللحظة

فكيف تتجاهل مثل هذا الفأل؟

نَصْرَكَ في هذه الحرب
وفتح لك باب السلم
ليس هناك شخص مثل هرمز في الكلام
كان يعرف كثيرًا، وهو صغير في العمر
كان متحررًا، وكان يعلم الكثير
حتى إنه كان بعشرة ألسنة مثل السوسن بسبب التحرر
كان يجيد التركية
والرومية والعربية
لما كان هذا الحلو الكلام رومي اللغة
فإنك لو ترسله إلى القيصر، فهو لائق
إرسله رسولًا إلى القيصر
وافتح الخزانة، وارسل إليه الذهب
احفظ إقليمك من القيصر بالذهب
فبالذهب يصبح كل عمل مثل الذهب
ما دمت تملك الذهب في اللب، تملك الصديق
وإلا فإن كل شيء تملكه، تملكه قشرًا
تلزم عدة أحمال من الفضة والذهب
وكثير من الجواهر والدر
وثياب بالغة الجمال من كل مكان
وملابس منقوشة بالذهب وصندوق حرير
ويلزم كذلك البخور والصندل والمسك التتاري
والعبير والعنبر والعود القِماري
ومائة غلام وسيم
يُقَبِّل الفلك ترابهم في الأنحاء
أتراك يبهجون الروح في السحر
وتبدو الدنيا في أعنيهم شعرة
ومائة سهم تسبق الأفلاك
وتضع التراب في عين الرياح بسبب سرعتها

يقدمون الدنيا للبرق

فتقفز منهم مائة دنيا كالبرق

ومائة جارية أكثر بهاءً من القمر

وأجمل من شمس الفلك

كن يسلبن العقل والروح

ويركلن الدنيا بأقدامهن

وقباء وعمامة فاخرة

مرصعان بالدُرّ والجواهر

على هذا النحو، أرسل هدية من كنز الجوهر

مع الفرسان إلى القيصر

حين يقبل القيصر الهدية من هرمز

لا يطلب الخراج منك أبدًا

أخبرتك بالصواب

وأنت تعرفه جيدًا؛ لذا اختصرت القول

طاب رأيه للملك، وهكذا فعل الملك

لما أجمع الجميع على الرأي، جاء كل واحد بدليل

أعد الملك كنزًا من الذهب مثل الجبل

وزين الجواري بمائة زينة

مضت تلك الحسان في الهوادج

مثل جبل فضة في زاوية حصن

اختال الغلمان المائة مثل السرو

وتمنطقوا

وبعد ذلك منح خلعة لهرمز

لم تكن الشمس قد رأت مثلها أبدًا

لما أخذ هرمز الرسالة اللائقة

ودعه، واحتضنه

رحل هرمز عن خوزستان بسرعة

حتى إن البرق حين يومض يكون مثله

ماذا أقول؟ لما قطع الطريق في النهاية

جاء الابن، ومضى إلى إقليم الأب

أرسلوا رجلًا صاحب قبول

لاستقباله معززًا

لما حل يوم آخر، أظهر هذا الفلك المقوس الظهر

مائة صنف من الأيادي في المرآة

لما وصل هرمز معززًا

نزل، واستراح من عناء الطريق

لما علم الملك بالدُرّ الوضاء

دعاه إليه في اليوم ذاته

دخل هرمز، ومثل بين يدي الملك

وأطلق اللسان، وأثنى على الملك

بعد ذلك حمل هدية الملك له

وعرضها عليه، وطأطأ رأسه

لما رأى القيصر الهدايا الكثيرة

لم ير في نفسه حقدًا على ذلك الملك

لما رأى ذلك الملك هرمز من بعيد

فاض قلبه بأمواج من النور مثل الشمس

كان صبح المعرفة يشرق عليه

فظهر النور لقلبه

احتار في أمره من كثرة ما بكى

ولم يخف بكاؤه على أحد؛ من كثرة ما بكى

ولكنه كان يخفي الدمع

وكان يسترق النظر إلى وجهه

كان يرى قمرًا يرتدي القباء مثل السرو

وقد خفق القلب بسبب حسنه

عاهده مخلصًا

واشفق عليه

ووضع يده على وجهه من كثرة البكاء
فقد كان الجيش يقف في كل ناحية
والأعجب أن هرمز أيضًا بكى
دمًا في الحال
أحسن الشيخ الفريد قول هذا المثل:
الحب والدم لا يجتمعان في الزمان
أذرف ابن الملك ذلك والملك الدم من كل عين
بسبب دم العين
بكيا المشهوران كثيرًا
ثم ضحكا، مثلما يضحك الورد بسبب المطر
لم يعلما لماذا ذلك البكاء؟
ولم يتضح لهما على من ذلك الضحك؟
كان الزمان يهب الملك ولدًا
وكان يصل الأب بالابن
رأت أم هرمز وجه غصن الياسمين ذلك
من بعيد قضاء وقدرًا
لما رأت وجه ذلك السُكري الشفة من القصر
جرى اللبن في صدرها
وخفق قلبها، وأذرفت عيناها الدمع سيولًا
وتصببت عرقًا، وكانت تسكب اللبن
لم تتحدث إلى أحد، وأضاءت الدنيا
كالقمر من وراء الحجاب
صار قلبها في صدرها مثل طائر مضطرب
وأصبح مثل فلك مضطرب ومتقلب
تجمعت الحسان حولها
وجعلن من أرواحهن مائة كأس دم على ثيابهن
نثرن ماء الورد الطازج على وجهها القمري
وأذرفن الدموع على طريقها من عيونهن

لما هادت جبل الفضة تلك إلى صوابها
ماج قلبها مثل البحر
أطلقت اللسان قائلة: إن هذا الشاب الوضاء
الذي مثل أمام الملك اليوم
ابني وهذا يقين
ولو تسألن الملك، يقول كذلك
هو شمع عيني وقلبي وسراجي
وهو ضياء القلب ونور العقل
تركتُ كل شيء، واشتعلت ناره في
واضطربت بسبب ذؤابته المتمردة
هكذا أشعل حبي له النار في القلب
وسوف يتعلم القمر الإضاءة منها
هكذا تعلقت الروح بطريق وصله
حتى بقي قيدي مقيدًا بقيده
كأنه القيصر تمامًا
لعل القيصر بحر، وهو جوهره
لا يرى أي أحد نظيرهما في الأقاليم السبعة
فهما تفاحة انقسمت إلى قسمين
لقد سلب قلبي الاستقرار مرة واحدة
وعهد به إلى الاضطراب
مسني جن، وألقى عليّ مثل هذا السهم
لماذا يتساقط مثل هذا اللبن من صدري؟
تنفستُ نفسًا، فسلك الطريق إلى روحي
لماذا يشبه وجه ذلك القمر القيصر
جننت، ولم أجد أثرًا له
لماذا أذرف القيصر الدمع الدامي بسببه؟
أعلم يقينًا أن الأمر عجيب جدًا
وأن الفلك اشتبك مع قلبي

قالت هذا، وصرخت بشدة

فقفز الملك من فوق العرش بسبب صراخها

جاء من صدر الحضرة إلى المنظر

وبعد ذلك مثل أمام ذلك الصدر الياسميني

رآها على هذا النحو، وقصت له ما حدث

وحكين له الحسان ما حدث لها

لما كان الملك يراها مضطربة هكذا

وكان يرى ثيابها مبتلة باللبن

كان من يستفسر عن تلك القصة في البداية

قد سقط، فماذا تقول له؟

جلست خلف الحجاب، ولم تعلم

أية ألاعيب مستورة خلف الحجاب

عندئذ استدعى القيصر الجارية، وقال لها:

اشرحي لي حالك

قولي: من أين تعرفين الصلة؟

حتى سميتِ هرمز ابنك!

قولي: متى كان لك ابن؟

ومتى كانت لك علاقة بأحد غيري؟

لو تحتفظين بسرٍّ مخفي وراء الحجاب

أفشيه لي، لماذا تتمهلين؟

لماذا يجب إخفاء داء - يمكن علاجه - عني

بالجهل؟

لو أن لك سرّ، فافشيه لي

من أمرك أن تضعي ختمًا على لسانك؟

قالت الجارية: يا دارا الثاني!

لتدم حياتك مثل الخضر

اسمع الكلام، واعلمه، وتمعنه

إنه في ذلك الوقت الذي قصد فيه الملك الحرب

كانت لي جوهرة من الملك خلف الحجاب
وكانت لشجرة القيصر ثمرة جديدة
لما أشعلت الخاتون النار، وهي تقصد
القضاء عليها مثل الشمع
حملته فلانة سرًّا في وقت السحر
ولا أعلم بقية لهذه القصة
الآن مضى ما يقرب من عشرين سنة على ذلك
إنه حال عجيب! ما هذا الحال؟
احتار الملك بسبب قول الجارية
وأظلمت عيناه المنيرتين
اشتعلت النار في مفرقه مثل الشمع
وغرق جسده في دموعه
نثر جيحون من عينيه منتحبًا
وطرد الجارية ذليلة بسبب الغضب
لما استغرق زمنًا في ذلك التفكير
طلعت الشمس. وكأن الملك قد فقد صوابه
أمر رجل؛ فجاء بهرمز
قبَّل هرمز الأرض، واقترب من القيصر
دعا له، ومجده، وأثنى عليه قائلًا:
ليكن السرور والنصر حليفين لك
لتبقى خالدًا في الزمان
ولتظلك الشمس مثل الفلك
رق الملك بسبب طلعته وحديثه
ودعا بأن يحفظه الله من عين السوء
وقال له: أيها الفاضل! الباحث عن الفضل
حدثني عن مولدك ووطنك
قل من أي نسل أنت؟
أخبرني عن هذا الحال بسرعة

إن علامة الملك ظاهرة عليك

لم يكن المكر حسنًا أبدًا؛ فقل الحقيقة

لما علم هرمز بقول الملك

تعجب من أسئلة الملك تلك!

أطلق اللسان وقال: أيها الملك الحكيم!

لقد سئلت عن هذا السر كثيرًا

هذا الشك الذي ساورك

ساورني قبلك

كثيرًا ما سُئلت هذا السؤال في كل مكان

ماذا أقول؟ ما دمت لا أعلم الحال؟

عطف عليّ رجل في مدينة خوزستان

وهو بستاني بستان الملك الخاص

رباني، وعلمني كثيرًا

وحافظ عليّ مثل روحه من عين الأغيار

لم يأخذ مني أي مقابل للإحسان

ولكن قلبي لم يخفق له

لا يشبه وجهه وجهي

ولا يتحرك أي حب له في قلبي

عجبت لأمري

فإنني بلا نسب من ناحية العقل

إنني اليوم بلا أهل في الزمان

من ثم ما دمت بلا أهل، فأنا وحيد

لا أستطيع الانتقال من مكان إلى آخر

فهم يُعدُّونني مسلوبًا في كل مكان

لما سمع القيصر هذا الكلام من الولد

طمع في نسبته إليه

منحه قلبه في صدره الدليل مائة مرة، وقال له:

إنه نور عينك، فاحفظه

حين يفتيك قلبك في عمل

يفتيك أفضل من مائة مفتي

قال لهرمز: اخرج يديك من ردائك

واكشف عن جسدك، واظهر ساعديك

كان للقيصر علامة على المُلك

كانت تدلل على أجداده

لما وجد الملك تلك العلامة على ساعده

انخرط في البكاء من السرور

فقد القلب استقراره بسبب انعدام الصبر

فاحتضنه بسبب العطف

أمطر الدمع من العين الممطرة للجوهر

وقبَّل شفتيه الياقوتينين الممطرتين للسُكَّر

بعد ذلك استدعى أمه

وبشرها بولدها

دخلت الأم، واحتضنته

واتخذ وجهها لون الجوهر بسبب رؤيته

كان صياحها يعلو إلى الفلك

وكانت تنزف الدم من القلب القاسي

هكذا أقام الثلاثة مأتمًا

حتى إن العالميّن احترقا بسبب تلك النار

اجتمعا الحفل والمأتم في مكان واحد

واختلطا السرور والحزن يا للعجب!

اضطرب الثلاثة جميعهم

وقد التفت الحسان حولهم

الخلاصة لما وجد الملك كنز الجوهر

وجد قلبه أكثر من مائة كنز من السرور

عزم على أن

يرسل شخصًا إلى خوزستان

حتى يحضر «مهمرد» إلى الملك

الخلاصة ذهب الرجل، وأحضره في ستة أشهر

لما دخل «مهمرد» من باب الإيوان

ومثل أمام القيصر

وجد هرمز واقفًا بجوار الملك

وهو يرتدي تاجًا مرصعًا على رأسه

لما رآه هرمز، اعتراه حال

وأحضره إلى جواره باحترام

وبالغ في رعايته

جزاء المعترف بالإحسان للإحسان

عندئذ طلب منه القيصر شرح الحال، وقال له:

اشرح لنا حال هذا الابن بالصدق

لما وجد «مهمرد» قبولًا من ملك الروم

صار قلبه الحديدي مثل الشمع

أطلق اللسان، ونظم الجوهر في الإجابة

وشرح الحال كله من أوله إلى آخره

ثم وضع «مهمرد» ذلك الخاتم الذي كانت الجارية قد أعطته له دليلًا،

والمكتوب على فصه اسم القيصر

على الأرض في حرمة

فأطلق الملك اللسان مثل السوسن قائلًا:

إن المنجم الماهر قال في ذلك الوقت:

سيكون لي ولد فريد

يصير مثالًا خالدًا في العالم

ولكن سيعترضه في البداية أمر صعب

لعله كان هذا، والآن دَوْر الحظ

لما رأى القيصر العلامة أمامه

صار قلبه طيبًا مثل ماء الحياة

منح الفضة والذهب للفقراء بوفرة
إلى حد لا يرد في الحسبان
عمدوا إلى الطرب بسبب ذلك السرور
وزين الخلق الدنيا
جلس المنشدون في كل سوق
مجموعة مجموعة مثل حور الجنة
صاح الرباب منتحبًا
فعاد صوته من الفلك
وضعت الخمر المصيدة لصيد العقل
فثملت كل شعرة في المسام
يقطر الطير الشراب من منقاره
وحبة الرمان مثل خال التفاح اللطيف
جلس الورد البديع اللون تحت القطرات
وامتلأ القدح بالخمر
الشراب مباح بسبب الدمع والبكاء المرير
والابتسام واللهو مباحان
ألقى العارفون الخرق
بسبب سرور السُكارى وسعادتهم
كان الرباب يغني
ويسلب الفقير روحه
كانت الكمانجة تلتهم العصا من الغلظة
وكان السكر يتجرع اللبن من صوتها العذب
هكذا لم ينقطع الضرب على الدف
حتى صعدت روحه إلى الفلك
وقع الوتر على قدم الصنج فجأة
والتحم بدائرة الدف
نثرت أوتار العود السكر
وعزف الموسيقار النغمة الداوودية

اصطف السكارى المقترعين

مستبشرين من أجل نصف جرعة

لم يناموا الليل، ولم يهدأوا في النهار

ولم يستقروا لحظة بسبب ذلك المبهج

طَرِب الملك وابنه بهذا السرور

وكانا يتجرعان الخمر شهرًا

ازداد جمال ذلك العزيز

بالطرب والسرور والهناء

لم يتركه الملك في السوق بدون قناع؛

حتى لا تؤذيه عين السوء

لما أقام خسرو ستة أشهر في بلاد الروم

سلب الملك القلب

جاوز حبه لجُل الحد

وصار قلبه بحرًا من الدم بسبب ذلك الهوى

أصابه الألم والمرض

وسقط عاجزًا في تلك الغربة

لم تصبر روحه زمنًا

ولم يقو قلبه على الفراق زمنًا

لم يكن قلبه له، ولم يتنفس ذلك الشخص

نفسًا بدون رفيقه

لما كانت جُل قد اختطفت قلبه من قبل

فكيف ينبض قلبه بدون جُل؟

قال له أبوه: لماذا ذهبت عن الماء

وتكدرتَ مثل جديلتك المتمردة

لو أن لك حاجة عند أبيك اطلبها

فالقول منك، والفعل مني مباشرة

أجابه خسرو: إنني اليوم

أحترق بسبب نقضي للعهد

إن ملك خوزستان الذي منحني المدينة والإقطاع
له حقوق كثيرة عليّ
لما كان يرسلني بالرسالة
جاء، ووقف على قارعة الطريق
وأقسم عليّ في البداية: ألا أقيم في بلاد الروم
سوى وقت معلوم
كما يوجد كثير من الرجال هناك
كانوا قد أحسنوا إليّ كثيرًا
هكذا أريد- ما دمت أملك الرفعة-
أن أمنح كل واحد منهم خلعة
لما أذهب إلى هناك قويًا
يراني هذا الصدر بهذا الجاه والقدر
أجزل العطاء كالمطر
وأكافئ المحسنين
لما أفرغ القلب من هذا الفكر
أعود إلى الخدمة بسرعة
علم الملك يقينًا أن ذلك الطائر الرفيق
لن يتخلى عن رغبته
ولو يمنعه عن الذهاب إلى الملك
ينحل جسده من المرض
للأب مع الابن اسلوب لطيف
ولا يمكن تدارك الأمر بالحدة
لم ير نهاية لذلك الأمر سوى الصبر
ولكنه سمح له على مضض
هكذا منح مهمرد
ما منحه البحر في مائة سنة
عالج كل فقير
وتصدق بكنز مملوء بالجوهر من أجل ألمه

أحسن ذلك الحكيم المحنك حين قال:

اعمل الطيب، وألقه في الماء

وبعد ذلك منح خسرو بيشًا

معه عشرة خزائن، ومضى خسرو

لما رأى الأب وجه محبوبه

أذرف كثيرًا من الدمع الدامي

قبّل شفتيه، واحتضنه

وقال له: يا من أنت بمثابة العين في الرأس بالنسبة إليّ

ليتك تأتي بسرعة مثل الأسد

فإننا نموت؛ لو تتأخر

لما انطلق خسرو مثل **كيخسرو**(٢٦)

وكأنه سهم انطلق من القوس

كان يسوق الفرس وخلفه مهمرد

وكان يسير مثل النار في الحطب

هكذا كان يمضى ذلك الماهر السريع

حتى إن الريح كانت تسير على الأرض بسبب غباره

لما وصل الجيش إلى خوزستان

لم يروا من خوزستان سوى الاسم

خربت تلك البلدة

مثلما يدمر العالم بطوفان ماء

تساوت المنازل والقصور بالتراب

وصارت الأرض خالية، ولم يبق باب ولا حائط

خربت المدينة على هذا النحو

وعشش فيها البوم

اجتثت الاشجار، وسقطت الأغصان

وتسلل الجيش إلى الشق مثل الثعبان

لم تبق قطعة حرير في **شوشتر**(٢٧)

ولم تبق جميلة في الأهواز

بحث خسرو عن شخص في الطريق
وسأل عن خوزستان، وعن الملك
فأجابه الرجل المحنك
إن خلق هذا الزمان محزونون
فرّ الملك إلى قلعة بعيدة
وافتقد أمر الولاية كله النور
لما مضيتَ، طلب قائد جيش إصفهان
جيشًا من إقليم شاهان
جمع جيشًا من كل ديار
لا يحصى، ولا يعد
وجاءوا إلى خوزان وفي قبضاتهم السيوف
ولم يتوقفوا عن الحرب أسبوعًا
وفي النهاية استولوا على مدينة خوزستان
وتقدموا إلى خرابة مثل السكارى
بحثوا عن الطريق إلى قصر الملك أولًا
ثم سلكوا الطريق إلى ابنته
حملوا جُل المحرومة فجأة
وتركوها للخدم
ثم اصطحبوها من مدينة خوزستان
إلى إصفهان
جلبوا علينا كثيرًا من الدمار
ليتعس الظالم دائمًا
لما سمع خسرو هذا الكلام، صار
وكأنه أسلم الروح مثل محبوبته
عاد من هناك إلى بستان الملك
وناح منتحبًا، وانخرط في البكاء
تخضب بالدم من رأسه حتى أخمص قدمه بسبب البكاء
مثل شريان لم يكف عن الخفقان

كل مكان كان له فيه شأن مع جُل

خلصه من شوك الهجر

لا يبكي الغيم في النوروز

مثلما كان يبكي هو على جُل محترقًا

لما كانت العين الشبيهة بالنرجس تدمي

كانت تجعل أرض البستان روضة

كان يطوف تحت الخمائل ثملًا

وكان يضع يدًا على يد بسبب حرقة العشق

في النهاية عجز الملك هرمز بسبب ذلك الأمر

وصار القلب العاجز قويًا في مثل هذا الأمر

مزق الثياب مثل ا لعاجزين المهمومين

وجلس على الأرض

بسط فراشًا من الحصير

ووضع رأسه على وسادة البلاء

صارت الأرض بحرًا بسبب بكائه

وفتن قلبه

اعتلت صحته، وأصيب بالحمى

وزهقت روحه تمامًا

تأوه من قلبه

وجرى دم العين على جسده

أطلق اللسان قائلًا: أيها الفلك الظالم

جعلتني تعيسًا

اسودَّ نهاري بسبب سوء الحظ

واشتعلت نار قلبي المحترق في

كثيرًا ما عانيت ألم القلب بسبب جورك

ماذا تريد مني، عدّني ميتًا

ما دمت قد قصدت موتي

جعلتني بائسًا بسبب جُل

أين أنت يا جُل؟ خذي روحي

تعالي حتى أغرس وردة مثلك في قلبي

أين أنت يا جُل؟ لقد هجرتيني

اقتربتِ من القلب، وابتعدت عن الجسد!

أين أنت يا أيتها الوردة الزكية الرائحة؟

اخرجي إلى شاطئ الجدول في النهاية

القلب مضطرب بدون وجهك

حتى إن انقضى عمري، فشأني هو عمرنا

ظلمتيني، وليس هناك أسوأ من هذا

وليس هناك لون آخر بعد اللون الأسود

ظل هرمز على هذا الحال ما يقرب من شهر

حتى دخل رسول فجأة من الطريق

أحضر رسالة من جُل إلى الملك فحوها:

احذر، واقطع الطريق

حتى ترى وجهي مرة أخرى

فأين تراني سوى في الكفن!

رسالة جُل إلى خسرو في الفراق والابتلاء

ألا أيها التدرج الحسن الأخضر الثياب

إنك سوف تكون رسول جُل

أنت في النطق جميل المعاني

فاخرج إلى الميدان، وانظم المعاني

تملك لسانًا جوهريًّا ناثرًا للجوهر

كما إنك تقطر الدُرّ في كل كلمة

بداية الرسالة: بسم الملك الذي

لا سبيل لشعرة بدون اسمه

امتلأت أحلاق الأرواح بالسُكّر بسبب اسمه

ورُصِّعت سيوف الألسنة بالجوهر بذكره

اندلعت النار في الدنيا بسبب عشق اسمه

وسد الطريق أمام القافلة

ليس لدُنيا العشق رأس ولا قدم

وليس هناك مرشد سوى دم القلب

العاشق هو الذي يدمي من رأسه حتى أخمص قدمه

مثل الوردة، وتغوص قدمه في الدم أولًا

لو يحترق في العشق مثل جُل

يصل الليل بالنهار في عشق جُل

أملك قلبًا، وأي قلب، هُجر

واضطرب بسبب دم العين

ضاق من مذهبه

وضحى بالروح في سبيل المحبوب

وضعه فراقها وسط الدم

وأخرجه دمها إلى الشاطئ

ما أطيب الموت بمائة ألم!

فإنه جعلني أودع وادي فراقك

عجزت بسبب ألم الفراق

لو تأخذ بيدي، فأين أنت؟

أشعل فراقك النار في روحي

حتى إنني لا أستطيع طرحها خارج الروح

تعال حتى أحفظك بداخلي سعيدًا

فلا تشتعل النار فيّ

تألم قلبي، وإن كان حجرًا

وقد تحطم بسبب هجرك مثل القدح

يعتريني حال الآن بسبب الهجر

فأشعر كأنني في الجحيم

ما دام الجبل يتصدع في فراقك بسبب الغم

فكيف تكون لجُل طاقة أكثر من هذا؟

من كثرة ما سبحت في الدم ألمًا عليك

فكأنني عين الألم من الرأس حتى أخمص القدم

لو أنك تعلم بألمي

لتمنيت لي الموت دائمًا

لو تعاني الألم يومًا مثلي

لا تئن، ولتكن رجلًا

هكذا أصابني حزن بدونك

قُسِّم على مائة عالم

ما أكثر الحزن الذي لا يستطيع الجبل حمله

وقد تحمله هذا القلب الحزين في سعادة

أنا التي أصبح الحزن جبلًا على عاتقي

وقاد قلبي جيش الغم

أملك كثيرًا من الغم، ولا أملك المدد

أدمى قلبي، ولا يهتم بي أحد

أصابت روحي آلام كثيرة بسببك

ليكن داؤك دوائي

إلى متى قسوتك؟

لا تقبل هذا الألم لي في النهاية

دهش العقل بسبب عشقك

ولم يصب أحد بهذا الجنون

فنى قلبي عني

وضاع أمر قلبي كله من يدي

أملك قلبًا مفتونًا بعشقك

وطرفي يمتلئ بالدم بسبب العين، والعين تفيض بالدم بسبب القلب

كل شخص يكون له شأن معك

يصاب بكثير من هذا الجنون

الآن ضاع أمري كله من يدي

فقد ضاع قلبي وحبيبي من يدي

ضاع قلبي العاشق مرة واحدة

ونظر العقل في أمر القلب

لم ينزل قلبي في منزل الجسد

وقد فرّ مني، ولم يقف معي

إذا كان القلب يسكن هذا المنزل

لكان الأجر والشكر عليّ

ما دامت العين ثملة بسبب طوفان الماء

فقد خربت المنزل بسبب السُكْر

ما دامت ليست هناك معونة، فماذا أصنع بعشقك؟

عجزت، ولا أعلم ماذا أصنع؟

ماذا أقول؟ ماذا أكتب؟ كيف أفعل؟

حتى أصف حال هذا القلب المخضب بالدم

هكذا منحني عشقك القوة

حتى إنه جعل العالم نملة في عيني

إذا لم يكن القلب عاجزًا هكذا

لما أصبت بكل هذا البلاء أبدًا

وإذا لم ينحل الجسد هكذا

لما عادت السعادة إليّ

ماذا يصدر من مثل هذا القلب سوى الملامة

ماذا يأتي من مثل هذا القلب سوى الندامة

سلبني القلب، فكيف احتمل أعباء هذا القلب؟

ولا أملك رأسًا في جسدي، فكيف أدبر الأمر؟

ما دمتُ قد مت بدونك، فأي تقصير مني؟

ما دمتَ لا تعلم بحالي، فما التدبير؟

لم أبق بدونك لحظة بلا حزن

فإنني أكابد في كل لحظة مائة ألم

أحزان الدنيا كلها
ليست أقل من حزني، بل إن حزني أكثر منها
أملك كبدًا مملوءًا بالدم وقلبًا مملوءًا بالحرقة
واسودَّ نهار زمني المشرق
لم أشتم وردة بدون وخز شوكة
ولم أتجرع شرابًا بدون خُمار
لم أر أثرًا للسرور أبدًا
ولم أحقق رغبة القلب زمنًا
لم أر الدنيا مضيئة بعينيّ
وإن رأيتها، أنت بدوني، فإنني لم أرها
لا أعلم ولدتُ لأي طالع
فقد وقعت في مصيدة البلاء
جلستَ أنت مع الحور الفضيات الصدر
وجلست أنا في الدم و الرماد
أنت مسرور، وأنا محزونة، هذا غير جائز!
إن جاز لك هذا، فليس هناك وفاء في النهاية
إنك لم تفي بعهدي أبدًا
ماذا سوف تقول؟ الله معك في النهاية
لا أقول عنك خائنًا أبدًا
فقد كان هذا من سوء الحظ، ولنمضي
لا تسألني عن حالي، ولو تسأل
فإن رائحة الدم تفوح من روحي المحترقة
لا تسأل القلب عن حاله
فقد جرت بحار الدم منه
إنني جلست في منزل الأحزان
غريبة وحيدة حائرة
تعال، وشاهد منزل أحزاني
وانظر إلى عينيّ الباكية زمنًا

ما دمت أنا روح بلا استقرار
فقد اعتزلتُ العالم بأسره
ربما صرت عجوزًا، مع أني شابة
أقيم في عش واحد مع *السيمرغ*(٢٨)
اعتزلت الخلق زمنًا
وصرت و حيدة في الوحدة
أدمى قلبي بسبب فضيحتي
وزهقت روحي بسبب وحدتي
ما دمت قد أجلستني وحيدة في الأرض
فمِن مَن تأتيني الملامة هكذا؟
أيها القلب! إلى متى تبقى في القيد هكذا؟
وإلى متى تظل في هذه الحيرة؟
أدميت بداخلي
وجعلت طرفي بحرًا متلاطم الأمواج من الدم
لماذا لا تنهض من أمامي
فإنك تسفك دمي، وتنازعني
يقولون لي: إنك لن تموتي بسهولة
أو تضعفي في عشقه
ما دمت لا أموت أقل من مائة مرة في يوم واحد
فلماذا لا أستهين بهذه الروح المحزونة
إنني لا أخشى الموت
فكل إخفاق لي أكثر من مائة موت
لا أبالي الموت بدونك
ولا تملك جُل ورقة بدون وجهك
الوردة النضرة ذابلة بدونك
والحياة بالنسبة إليها موت بدونك
أنا الشخص الذي يتحرر من نفسه تمامًا
ولو أن لي طبع السيد، فأنا أقل من غلام

لو أنني أجذب النار من القلب

أسحب قدم الجبل من الطين في لحظة

ولو أتأوه من القلب

أغير على القمر

ولو أنوح بسبب الحزن

أقطر الدم منتحبة من القلب الحجري

ولو أتنفس نفسًا

يحل الدمار على العالم بأسره من نواح القلب

ولو أملأ الزمان بالدخان

ترى الدخان خالدًا بسبب النار

يتصاعد الدخان إلى السماء السابعة؛ بسبب هذه الحرقة

وسرعان ما يلقي الفلك الأرض إلى الجحيم

يصير العالم بأسره خرابًا

بطوفان ماء من عيني

أستطيع أن أذرف الدُرّ من الأهداب

حتى يملأ الأرض والسماء

أستطيع أن أحرق العالم

حتى لا أرى أحدًا آخر في العالم

ولكني أخشى أن يحترق حبيبي

لو أحرق الزمان

إن قلبي في انتظارك أيها الحبيب

أنثر العين من أجلك

انتظرتك الوردة الحمراء

وحل بلاء الموت الأحمر

لما بدت عيني بيضاء بسبب الانتظار

اسودَّ زماني مثل عينيك

من كثرة انتظار وجهك أيها القمر؛

وضعت الأذن على الباب، والعين على الطريق

كل صوت كان، سمعته منك
ورأيت وجهك الدنيا بأسرها
ما دمت أراك دائمًا في روحي
فلماذا أكون هكذا بسبب انتظارك
يحل عليّ النهار كله بالغم حتى الليل
وتزهق روحي مثل الشمع ليلًا
أحترق طوال الليل حتى يحل النهار
لما يطلع النهار، يصير ليلي نهاري
إلى متى أنتظر على هذا النحو؟
إلى متى يتعلق قلبي بالنهار والليل؟
إذا كنت في انتظارك قبل هذا
فالآن أنا في انتظار الموت
لي كنز يتساقط من العين
لأن ذلك الكنز يجري في عيني
صرت ذليلة في الأرض هكذا
لأن عيني مثل بحر يفيض بالدم
كيف يمكن التيمم في البحر
ولكن من يستطيع أن يتوضأ بالدم
لما أدمى قلبي في صدري بسبب عشقك
هكذا مضى، وخرج من عيني
ارتفع مائة غصن من الدم في الرأس
لأن تلك الأغصان نمت على أرض القلب
صار غصني في العين دائمًا
لأن الغصن كان مقطوعًا دائمًا
ما دامت تنمو لي في القلب دائمًا
فأنا لست يائسة أن تظهر لي الصدر في النهاية
لو يتأخر عليّ الربيع
كيف أحفظ طرفي تحت الغصن؟

صعد دم قلبي كله

واتخذ طرفي بحرًا من الدُرّ

تعال لمشاهدتي مرة

حتى ترى البحر في طرفي

لو ننام، فسرعان ما يمضي ذلك

فإن نومي مرّ مثل المنام

ما دامت عيني تنثر الدر دائمًا

فقد نامت في الدم، واستيقظت لذلك

الآن عيني يقظة مثل الكوكب

لو أنك لا تصدق، فانظر أيها الحبيب!

ما دامت عيناي لا تغشيان بسبب الدم

فلا يصيبني الضعف أبدًا بسبب اليقظة

لا أموت بسبب انعدام النوم، فماذا أصنع؟

من يعلم قدر لياليّ الطويلة

يُسأل القلب المهجور عن غم الهجر

ويُسأل المتألم عن طول الليل

انظر، إنني حين أنام

يسقط كل هذا الماء عليّ من العين المغلقة

يطوف قلبي كل ليلة بدونك في وقت النوم

ولكن في الدم

لما يبتل فراشي بالدم

تلتهب عيناي بسبب نار القلب

ما دام فراشي مبتل

يسبح قلبي، وتلتهب عيني بدون شك

تعال، أيها الحبيب! فأنا حبيبتك

لو سلبتني القلب، فأنت روحي

كيف أبتعد عن روحي؟

لا أملك قلبًا صبورًا، فكيف أصبر؟

إن صبري على النار المشتعلة

أطيب كثيرًا من بعدي عنك لحظة

أي أمر هذا؟ فالفراش ناريّ

لبقائي بدونك زمنًا، هذا هو الأمر

لست كافرة، ولا أريد البعد عنك

فالكفر هو الصبر عنك لحظة

لما حرك عشقك الدم في القلب

نزفت عروق عيني بسبب ذلك الدم

بدا قلبي مثل النار، وبدت عيني مثل الغيم

فكيف أصبر وسط الغيم والنار؟

أعجب لأنني بقيت بلا صبر!

أنت قمر، وبقيت أنا وسط الغيم

أعجب من مشكلتي هذه!

فقلبك حجر والنار في قلبي!

ألا أيتها العين! امتلأي بالدم والدمع

فقد التهمتِ نفسك، وأحضرتي المرهم

ألقيتِ نظرة على القمر جاهلة

وطرحتِ قلبي على الطريق مثل الظل

الآن تريدين وصل القمر

أنت نملة، كيف تسلكين الطريق إلى القمر؟

ما دام وجهه قد بدا لعينيك

فقد ظهر، لما سلبك الدم

ما دمت قد أخطأتِ، وأنت تعلمين أيتها العين

فلماذا تجعليني أطوف في الدم أيتها العين؟

تعلمين أنكِ وضعتيني في الدم

فلا أستطيع أن أخرج القدم

وجعلتيني يقظة بسبب دم القلب

ولونتِ الدمع لي بمائة لون

إن جسدي ضعيف، وقد أصيب بالمرض بسببك
وهكذا انقلب قلبي بسببك
لقد فعلتِ بقلبي ما فعلتِ
الآن اسكبي الدم؛ حتى تطوفين فيه
أيها القلب! إلى متى تسبح على اليابس
فقد اضطربت بسببك مثل الزئبق
ما دمتَ قد رحلتَ عن صدري، واخترته
فقد سال منك الدم الذي سلبته مني
إذا لم تحترق بنار هرمز
لما أصابني كل هذا البلاء أبدًا
سلكتَ طريق عشقه
وظننتَ أنه طريقًا سهلًا
وها أنت تثور في كُل لحظة
وتنعزل بسبب انعدام المروءة
ما دمتَ قد تذوقت سُم هجره الآن
فقد أعرضت عنه كالمخنث
الآن لو أنك جدير به لحظة
فاصبر في شجاعة؛ لو أنك شجاع
لو يلزمك عناقه
تجرع أقداح سم الحرمان
لا أعلم بأي قلب سوف تتجرأ
على خوض هذا البحر المضطرب
ما دامت عيناك تدمي
فإنك تسبح في كثير من بحور الدم
صرتُ تراب حورية مثل الرياح
ولا يصير تراب أحد مثل الريح
أيها الحبيب! احتضر قلبي بسببك
ولكن لم تحل مشكلتي بسببك

إنك سريع مثل الطاحونة الدائرة لأن

كل شيء تحمله؛ ثقيل

اعترضت حلقي كثير من الغصص

متى سوف يطيب عملي؟

تحرق روحي، ولا ترد لي قلبي

وإذا مت، لا تناديني

أدميتَ قلبي

حين أخرجت الدم من صدري

من كثرة الدم الذي بقي في قلبي بسببك

غاصت قدماي في الطين حتى الرأس

أنا متألمة وذليلة في البعد عنك

وقد بقيت منتحبة في الغربة

ألا تأتِ في الغربة زمنًا!

ألا تبحث عن أثر للغريب عنك!

هكذا تقيدني كثيرًا لأنك

تعاهدني على الوفاء

ما دام عشقك مقيمًا في قلبي

فإن طرفي مملوء بالدر اليتيم

يظهر عندي كثير من الجوهر بسببك

لأن عيني تسكبه على الأرض بسببك

سلبني أمري هذا الرفعة

من بين مئات الآلاف من المتألمين

أدمى قلبي وجانبي مثل عيني

بسببك

في قلبي أثر خفي من وصلك

لذلك أحيا بدونك

إذا لم أحظ بتلك الرائحة منك

لما كانت روحي في جسدي

ما دمتُ أحيا بك بدونك

فلماذا أمطر دم الكبد بسببك؟

معاذ الله؛ إنني لا أقول عنك جذابًا

ولكني أسكب الماء على النار بدونك

هكذا أنا لا أعرف الرأس من القدم ولا القدم من الرأس

بسبب الاشتياق إليك!

اشتعلت النار فيّ بسبب فراقك

وغَرُب نهاري بسبب شوقي إليك

ما دامت عيناك المنيرتين تكفياني

فيكفيني أنت رجاء في العالم

لو أن العين المنيرة تلازمني مثل الروح

لما كانت الدنيا خرم إبرة بالنسبة إليّ

أعادي نفسي غضبًا من روحي

أنت في الروح، ولا أرى أنا الروح

بحثت عن أثر لك في القلب في كل وقت

الآن أبحث عن أثر لي في القلب

أطوف معقودة الوسط مثل النملة

حتى أمثل أمامك يومًا

لو كان لي رزق مثل النملة

لكان طلبك أسهل عليّ

امنحني ذراعًا كالنملة، وخذ روحي

حتى أحلق معك، لو أستطيع

أخطأت، ولا يمكن الوصول إليك

فالنملة لا تستطيع التحليق معك

لي رجاء في سماء العشق

حَسن الوجه مشرق كالشمس

إذا لم تبق ذرة من رجائي هذا

فليطب ليلي، ولا تبقى لي شمس

ماذا أصنع؟ أعرض عن كل شيء

لو يطلع صبح رجائي أيضًا

ولكن الصبح لا يكون إلا صادقًا

ولا يليق به ألا يطلع عليّ

شغلي كله أمنية مطالعة وجهك

ولا غرض لي سوى الرجاء فيك

الخلود في ألم الهجر

أسهل كثيرًا من اليأس

لو يمزقوني إربًا إربًا فلا أملك

أنا المسكينة حيلة سوى الرجاء

إذا لم يكن الرجاء في روحي

لما كان إيماني بروحك

هكذا فإنني أحيا بالرجاء

ولا يحيا أحد بالخوف أبدًا

أيها القلب لو أنك تملك ذرة من الأمل

كيف تملك طاقة الشمس؟

يصيبك اليأس، وتتحدث كثيرًا!

ماذا فقدت حتى تبحث عنه كثيرًا!

أنت مثل نملة عرجاء في بئر

فكيف تسلك السبيل إلى طاووس الفلك

لا أرى من حبيبي أية معونة في أي أمر

لما أمعن النظر

لا ترى غباره، إذا صرت ريحًا

تنصهر وإن صرت فولاذًا

لا أراك جديرًا به

فاذرف الدمع الدامي بسبب الهجر

ما دمت لست محرمًا؛ لكن أنيسًا لنفسك

ما دمت قد أصبحت مفلسًا؛ لقامر بنفسك

احتضر قلبي أيها الحبيب بسبب اليأس

واعترضته غصص العالم كل يوم

ما دام وصلك غير ممكن لأي شخص

فكيف أمنح القلب لحظة وصلك؟

كفاني هجرانك شربة غم

كفاني داؤك- الذي بدون دواءً - مفرحًا

قلبي وَفيّ لك، والعين معلقة على الباب

وفاؤك في قلبي مثل العين في الرأس

لو تفصل رأسي عن جسدي مثل القلم

لا تجد مني سوى الوفاء

أضع الرأس على خنجرك مثل الماء

لو ابتعد عنك بالنار

ولو تسفك دمي مثل الخنجر

أجعل الرأس مثل الجوهر بسبب الخنجر

اختبأت بسبب خنجرك

لأنني أريد البقاء معك بدونك

لو أموت وَفيّة لك

لا أنقض عهدي معك، ولا يقل وفائي لك

أحفظ الوفاء لك مثل روحي

واحتفظ لك بكثير من الوفاء في قلبي

لو تسرع إلى قبري يومًا

لا تجد شيئًا سوى رائحة الوفاء

ولو ينقضي عمري بالهلاك

تفوح رائحة الوفاء من ترابي

أدميتَ قلبي، وودعتَ روحي

أية خصومة فعلها القلب؛ حتى لا تقيم معه

مضيتَ، وقلما فكرتَ فيّ

وتجاهلتني

الآن لا تنتهي من الخصومة معي

حتى تعيد لي قلبي مرة أخرى يومًا

لو تمر مائة سنة على هذه الدعوى

ربما تفنى روحي

لكني أحفظ عهدك

وما زلت أعتلي الطاق بسبب دم القلب حتى الآن

ماذا أقول لك؟ ما دام قلبك لا ينجذب إليّ

آه من هذا القلب الذي لا يستحوذ على القلب

يقولون لي: اكتبي رسالة إلى ذلك المعشوق

وعنفيه بسبب الدمع الدامي

وليست هناك رسالة من رسائلي العديدة

إلا وضجَّ فيها الدمع عليه

إذا كنت في التراب، أو ارتديت الثياب

بقيتُ في مثل هذه الضجة

ما دام لا يفتن بك فماذا أفعل؟

إنني أعشق جديلتك وعينيك

ألا أيتها الجديلة الشبيهة بالصولجان، أين أنت؟

فقد صرت مضطربة مثل الكرة، فأين أنت؟

لو تطأطئين الرأس لي مثل الصولجان

أجعل رأسي لك مثل الكرة من أجل الميدان

إذا جعلتَ الصولجان من المسك الأسود

جعلتُ رأسي مثل الكرة المضطربة

أنت مسك، وأنا عين الغزال أيها الحبيب

لم نكن كلانا في غلاف واحد

إنك لست مسكًا، تبدو عنبرًا

ولكنكَ لا تسبح في بحر عيني

لو تأتي إلى هذا البحر زمنًا

أجعلُ الدنيا تضطرب مثل البحر بسببك

إنك لست عنبرًا، ولكنك قيد الروح

تأسر مائة روح في كل حلقة

أنت قيد، وأنا مجنونة متألمة

فلا تدعني بدون قيد أو جنزير

ألا أيها النرجس! لقد بقيت مخمورًا

وابتعدت عن ماء عيني

إذا جلست في ماء عيني

لا ترى عيني؛ بسبب ماء عيني

تعال حتى ترتوي من ماء عيني

وتجد في الندى لؤلؤًا براقًا

لست نرجسًا، أنت لوز طازج

لا تنظر إلى خارج الحجاب

ما دمت قد إحتجبت عني

لماذا مزقت حجابي بعد ذلك؟

لستَ لوزًا أنت سحر البلاء

تبدو إنسانًا في وقت السحر

لقد رأيتك ساحرًا

أنت ساحر حسن المعاملة دائمًا

ما دمت حَسن المعاملة أيها الساحر المكار

فأنا إنسانة في النهاية، فانصت إليّ

ما أطيب اللص تحت طاق الحاجب

أنت رام بالسهم وماكر دائمًا

ما دمت تحتل مكانًا في الطاق

وما دمتُ أنا الطاق، فتعال إليّ

ألا أيها الخط الذي هو ذيل للقمر

أنت ذلك الخط القابع على دمي

ما دمتَ في دمي، تهرب كثيرًا

فتعال، حتى لو تسفك دمي

قضيتُ أيامًا مع الخط بدونك

الآن أصبح محرومة من الخط بدونك

إنك لستَ خطًا، وقد بقيت خضرة بلا ماء

وبقيتُ أنا بلا نوم بسبب عشقك

أسرع يومًا إلى ماء عيني

فالخضرة تبدو بالماء حسنة للغاية

لقد صرتُ ترابًا فلو أنك تملك الخضرة

لماذا لا تنمو في التراب؟

اخرج أنت من التراب؛ حتى أخرج أنا من الدم

ولكن كيف أخرج بدونك؟

إنك لست خضرة، أنت ببغاء

تبسط الريش والجناح فوق الخضرة

ما دمت البلبل المحبوب

فتعال، وقل كلمة في النهاية

ألا أيها الفستق السفاك للدماء

جعلت قلبي مثل قطعة فستق

يبدو فمك مملوءًا بالسُكَّر

ولكن لو تكون مالحًا؛ يبدو أفضل

تعال أيها الفستق أمامي زمنًا

حتى أثير ضجة في الدنيا أمامك

إنك لست فستقًا، ولكنك سُكَّر

فلماذا تتجاوز هذا القلب المحزون؟

ألا أيها السُكَّر، سقطت في الفم

والتهمت كبدي، لذلك فإن لونك لون الكبد

انظر إلى سكري وعودي اليابس

تعال، وضع يدك على خصري

لو ترى هذا الناي بدمي

تغلي أكثر من هذا الناي مثل السكر

انقطعتَ عن شمعك بلطف

وقَطَّرتَ دمي بسبب ذلك الانقطاع

إنك لست عسلًا، أنت ياقوت مذاب

أنت نار وماء في آن واحد

الشخص الذي مزج الماء والنار معًا

لماذا هو قليل الاقتران بي أنا المسكينة

تعال، لو تبحث عن الفم، فالقلب موجود

قل لي مرة أخرى، لو أن هناك مشكلة

ما دمت تعلم أنك تضيق بهذا القلب

فلماذا تُعَيِّر قلبي؟

فمك ليس سُكَّرًا، إنه ماء الحياة

والنبات الأخضر من الخط الأخضر

أموت في كل لحظة مائة مرة بسبب الهجران

فاغمرني بماء الحياة

لو تقطر قطرة من ماء الحياة

في حلق روح هذا العاشق

لي روح، وليست تلك الروح مكافأة لي

وإلا لما مت بعيدة عن وجهك

قلبي مملوء بالنار، وعيني مملوءة بالدمع

لو تقترن بي، فهذا هو الصواب

ألا أيها اللؤلؤ الموجود في الدرج دائمًا

على هيئة ثلاثين نجمة في برج

أنت، لؤلؤ ومرجان أبيض

وعيني ضريرة من اليأس بسببك

تخرج من البحر مثل المرجان

فماذا لو تسلك السبيل إلينا؟

إنك لست مرجانًا، أنت نجم

يمكن الاهتداء به في البحر

ما دمت لا أرى النجم في البحر

أضل في مثل هذا البحر لذلك

إنك لست نجمًا، أنت دُرّ يتيم

لامع ومستوٍ ومستقيم

من أسرني في الغربة؟

ما دمت دُرًّا يتيمًا بلا نظير

تعال نفشي الأسرار معًا

ونشرح أحزاننا القديمة

ألا أيتها الكرة الفضية المستديرة

صار خطك عنبري الرائحة من الصولجان

ما دمتَ فوق القمر؛ كيف تكون في البئر؟

والأعجب أن البئر مقلوب

ما دمتَ تعيسًا مثلي

فكيف أكون أنا في البئر: وأنت فوق القمر؟

لو أنك تتجه إليّ مثل الكرة

أقبِّل قدميك مائة قبلة مثل الصولجان

ما دمتَ تقول إنني أتألم بدونك

فقد بقيت ذليلة في منحنى الصولجان

أنت كرة ميدان الحُسن

كأن الدنيا ممتلئة بالقيل والقال عنك

إنك لستَ كرة، أنت تفاح فضي

لم أر مثلك تفاحًا لذيذًا حقًّا

لو أنني لا أملك الجسد ولا القلب ولا القوة

اضطرب كثيرًا بسبب ذلك التفاح اللذيذ

لك خال على تفاحك الفضي

وقد اضطرب حالي بسبب خالك

لعل ضرر اصاب تفاحك ذلك

فخرجت بذوره فجأة

سلامي إلى ذلك المحبوب الشبيه بالقمر

فقد غاب عني ضوء القمر هكذا

سلامي إلى تلك الذؤابة المبعثرة

التي تملك قدمًا في النار مثل الوردة

سلامي إلى ذلك الجزع المؤلم

الذي يملك في القوس سهمًا نافذًا إلى الكبد

سلامي إلى تلك الشفاه الياقوتية الضاحكة

التي هي قرينة الأسنان اللامعة حقًا

سلامي إلى ذلك الفم الصغير

الذي له خط فستقي على الشفاه الياقوتية

سلامي إلى الثلاثين درة البراقة تلك

التي تسكب العتاب على الفم أحيانًا

سلامي إلى ذلك التفاح النضر

ما دمت أملك وجهًا محترقًا خاليًا منه

سلامي إلى ذلك الخط المغطى بالجوهر

الذي يمكن أن يكون حلقة في الأذن

سلامي إلى تلك الشمس الملكية

التي ألقت الجديلة السوداء على القمر

سلامي إلى ذلك الشخص حتى القيامة

الذي لم أر منه السلامة أبدًا

لم أتفوه بواحد من مائة

من ذلك الألم الذي أدمى روحي

كل ألم أتذكره منك

يجعلني أصرخ بكل عروقي مثل الصنج

أمسكت القلم بدون وجهك

وكتبت الرسالة كلها بالدم

لو ترى الرسالة مخضبة بالدم

اعلم يقينًا أنك ترى دخان النار

كل دم تذرفه العين من خلف الحجاب

يبقى محزونًا بسبب آهاتي

كان قلبي ينصهر من اللهيب

وكان القلم يكتب

ماذا أقول أكثر من هذا أيها الرفيق؟

فلا يمكن شرح حزني في رسالة!

ماذا يحدث لو نتواصل معًا؟

فقد بقيت محزونة وأنا بعيدة عنك

ليكن لك مائة سرور مقابل كل غم لي

ولتتخلص من هم الدنيا

ليجعلك الله عطوفًا على هذا المسكين

قل آمين، من أجل الحق

وصول رسالة جُل إلى خسرو وحزنه وذهابه إلى إصفهان في إثرها

ألا يا منطق طير المعاني

إنك تعلم لغة الطيور كلها

ما دمت تصيح كثيرًا ولا غير

فتحدث عن منطق الطير

تحدث حتى يعود البلبل الثمل إلى طبيعته

وأحسن الصنعة مرة أخرى

ما دام جنزير الكلام قد تشابك

فقد انفتح الطريق لألمي في كل حلقة

ما دامت ليست هناك نهاية للكلام أبدًا

فإنه يجهز على الروح في كل لحظة

ينظم الطبع قصة في كل زمان

أولًا بأول لا جرم

حين يكون البلبل الثمل حلو الكلام

لا يقف على غصن واحد دائمًا

كثيرًا ما يطوف حول الأغصان مثل المضطربين

بسبب عشق الوردة

لما تكون قيمة الرجل أسمى من الثروة

يرتفع شأنه في كل لحظة

المعاني مضطربة مثل البلبل

والكلام مثل بستان مملوء بالنقوش

الآن أريدك أن تنثر الجوهر على الدنيا

مثل الأمطار من أجل المعاني

هكذا قال ذلك البليغ الفصيح

الذي زين الكلام بالصنعة:

لما قرأ خسرو هذه الرسالة وحيدًا

أدمى قلبه من ألم هذا الكلام

ماذا أقول عن ما فعله بنفسه

فقد جعل العالم قبرًا والقميص كفنًا

أدمى بسبب القلب

وذهب العقل من رأسه، والاستقرار من قلبه

هكذا فقد الصبر والسكينة

كأنه صار ناري القوام

قال: ما هذا الحال في النهاية؟

محال أن يكون هناك شخص أكثر اضطرابًا مني!

ذاع سرِّي في العالم مثل النهار

وجاوزت حرقتي الحد، فماذا أصنع؟

أطلق الفلك سهم القضاء على روحي

وأصاب صدري بالبلاء

أُحصى دمعي بسبب الأرق

وأنقش صورة على دمعي عديم اللون ذلك

أصنعُ صورة من دم العين؛
لأن القلب ينبغي له رفيق بالضرورة
أين أنتِ يا جُل؟ انظري إلى حرقتي
يجعل الحبيب ليلي طيبًا، فانظري إلى نهاري
لو أبقى في الهجران مائة سنة
فإنني أبقى على أمل وصالك أيتها الحبيبة!
تبقين في الجسد، ما بقيت الروح لي
ولا كان هجرك أو بقاؤك بدوني
إن لي في الهجر أمل الوصال
ولكن أمنيتي في الوصل مستحيلة
ماذا أقول؟ فمن هجر الرفيق
لم يتحدث مع أحد، ولم يطع أحد
صرف الجيش من أمامه
وعجز في أمر جُل
لم يبق له صبر، فمع كل هذا الحزن
لا يمكن لأحد أن يغمض عينيه
على هذا النحو طلب الملك جُل
ومضى إلى إصفهان مع ثلاثين شخصًا
لما سار أولئك الفرسان أسبوعًا
ضلوا الطريق بسبب الثلج والأمطار
لم يعرفوا الطريق، وضلوا
وتفرق الجيش
لما ضلوا الطريق شهرًا
ظهر ماعز جبلي
بدا الماعز لطيفًا
فابتهج به خسرو
لما رأى خسرو جوادًا يتعقبه
جعل الأرض ممتلئة بهلال السماء

مع أن جواده كان ينطلق كالسهم

لكن الماعز لم يتوقف عن الجري لحظة

الخلاصة لما طارده كثيرًا

ضاع الصيد من الملك ليلًا فجأة

أظلمت الدنيا بسبب ذلك الجيش الزنجي

واحتار ملك الروم في أمر الدنيا

كثيرًا ما سلك ذلك الطريق من أوله إلى آخره

ولم يجد خبرًا عن الطريق أو الرفيق

عجز، ونزل في مكان

ضعيفًا بلا ماء أو زاد

جف لسانه في فمه بسبب ندرة الماء

واختفى المسك تحت غبار الطريق

قفز من فوق الجواد رخش(٢٩) مثل رستم

وأحكم وثاق رخش

وغلبه النوم، فجعل من السرج وسادة

وجعل الأرض فراشًا مثل يوم القيامة

أظلمت نجوم الليل زمنًا

وبقي على الحجر الصوان حتى الصبح

غلبه النوم في تلك الليلة

حتى أشرقت الشمس على وجهه الشبيه بالقمر ذلك

لما استيقظ الملك من النوم الهانئ

اضطرب قلبه بسبب نوم الأمس

كثيرًا ما نظر إلى الصحراء من كل ناحية

ولم ير في تلك الصحراء غبارًا للجيش

زهقت روح قلبه المحزون

إذ كيف يمكن التضحية بالروح بسهولة

سلك الطريق راضيًا

وكان منطويًا على نفسه بسبب هذا الفكر

قطع الصحراء حتى عجز

واتجه من هناك إلى الجبال

ليس هناك عشب ولا ماء للجواد

ولا طعام أو شراب لخسرو

نزل عن الجواد شبديز عاجزًا

وصاح مثل طيور السحر

احتار في أمره

وأجرى من الأهداب مائة طوفان

اعتلَّت صحته

بسبب ألم العشق وندرة الماء والضعف

كان يسقط بسبب العطش تارة

وكان يتحسس شبديز تارة أخرى

لما ظهر الهلال ليلًا

استراح الملك في زاوية

طرقعت عرائس الفلك في حجاب الدلال

الأصابع، وخلعت الخواتم

لم ينم الملك في تلك الليلة طوال الليل وحتى النهار

كان صابرًا تارة ومحترقًا تارة أخرى

لما تجلى هذا الطاووس الذهبي

صار العالم مثل الذهب من ريشه وجناحه

نثر الذهب الخالص على الوجه الفضي

وجعل العالم مثل الليل من كثرة البحث

مضى خسرو في الصباح

وخلفه فرسه مترنحًا

تصبب الملك عرقًا، وأصابه العجز

وتعلق قلبه بتلك الخرساء

تمزق نعل الملك من المسير

إذ كيف يمكن السير على الشوك بالنعل

مضى تارة، ووقف في مكانه تارة أخرى

وأصابت قدميه بثور كثيرة

تصبب وجه خسرو عرقًا بسبب الحر

ماذا أقول؟ فقد امتلأ قمره بالشفق

كان العرق على وجه الملك الشبيه بقطعة من القمر

مثل الثريا أمام القمر

عجز خسرو بسبب ندرة الماء

حتى إنه أجرى مائة بحر ماء على وجهه

قال: يا مبصر البصيرة!

الخلق طرف شعرة من فيضك

عجزت بسبب ندرة الماء في هذا الطريق

وكابدت ألم مائة سنة في هذا الشهر

أجهدني الحرّ تمامًا

ويئست بسبب برودة الدنيا

إلهي! إذا لم تعينني اليوم

فمن يراني غدًا؟ لو أبقى اليوم!

ماذا يحدث لو تشعل سراج حسن الحظ

في هذا القيظ وهذه الشدة

فلتحل مشكلتي هذه

وترشدني إلى الطريق في هذه المتاهة

وجد الفلك البعيد الليل والنهار منك

وحصل الخلائق على أرزاقهم ليلًا ونهارًا منك

أرزقني

فإنني أعلم أنك تعلم بعجزي

لما عجز ذلك الملك بسبب الحزن

رأى من بعيد سربًا من القطا على الجبل

تدحرجت من وسط الجبل

واتجهت إلى حوض صغير

لما رأى خسرو سرب القُطا من بعيد
توجه إليه مع أنه كان متعبًا
علم أن هناك أمرًا خفيًا خلف الحجاب
وأن ينبوعًا جاريا أمام فوج القطا
كان الملك يرى كوثرًا جاريًا مملوءًا بالماء
وقد التهب قلب الشمس غيرة منه
لو كان مثل ذلك الينبوع شمسًا
فكيف يبقى صفاره خالدًا؟
هكذا كان صافيًا إلى حد أن الشمس المنيرة
تكدرت أمام صفائه
تبختر خسرو حول الخضرة
وغسل وجهه بماء الكوثر فوق الخضرة
كان ساحل الماء والماء العذب
جنة، والكوثر على حافتها
ألقى رضوان بيديه النار في ماء الحياة
بسبب ذلك الكوثر
لما رأى الملك ينبوع الماء الجاري ذلك
رآه أعذب من روحه مثل ماء الخضر
شرب كثيرًا من الماء مثل المستسقى
بعد ذلك سقى جواده رخش
جلس زمنًا على ساحل ذلك الماء
وبقى بسبب حرارة روحه الملتهبة
غسل خطه المسكي، ووجهه القمري
من غبار الطريق وترابه
غبر التراب الملك حتى إن
الغبار صعد من خطه إلى القمر
لما ارتوى، تذكر القطا
ولكن كأن الريح قد حملت القطا

نظر كثيرًا إلى كل ناحية

لم ير عشًا للقطا في الجبل

نام الملك بسبب انعدام القوت والقوة

وقد وضع رأسه على قارعة الطريق

استيقظ من النوم وقت العشاء

واضطرب بسبب اليقظة

فقد هبت الريح وسقطت الأمطار قضاء!

في تلك الليلة المظلمة على تلك المنطقة الجبلية

لما أسدل الفلك ستار المطر

ابتل طرف خسرو الرومي

لم يكن هناك مأوى للملك ولا ملاذ

ولم ير وجهًا لسائر في الطريق

أمطر الفلك الجوهر من الغيم

وصار الهواء زنجيًا سفاكًا للدماء

كان الليل مثل البئر بسبب السواد

لأن السواد يلقي بالدخان فيه

مرَّ الليل على الملك وكأنه يوم القيامة

بسبب طوله

لما غسلت الأمطار ثوب المأتم

محا البياض الكحل عن العالم

لما أضاء ليل ذلك الملك الساهر

لم ير غبار شبديز من سوء الحظ

لما ضاع جواد الملك

كان يترجل، ووجهه مخضب بالدم

حزن قلبه

وسقط بين سلاسل الجبال

ملّ قلب الملك المتعطش إلى الموت

الحياة بسبب العجز

لم تبق له قوة

وسقط برأسه وقده الفضي

ألقى القوس، و جعل الجعبة وسادة

وسر القلب المحزون بموته

كان هناك زنجي آكل للحوم البشر

كان عمله السلب والنهب دائمًا

وصل ذلك الكلب الدنيء خفية

إلى ذلك المكان الذي كان خسرو قد نام فيه

كان قده مثل شجرة الدلب

وكانت أنفه مثل برج الحصن

كأن عينيه طاسة من الدم

وكان في إحدى يديه قضيب من حديد

لما رأى الملك ذلك الزنجي الأسود

صارت الدنيا أمام عينيه مثل وجه الزنجي

قال في قلبه: أعانني الحظ

فكان حملي مثل ذلك الحمل الصغير

إذا لم يكن جسدي ضعيفًا على هذا النحو

لما نجا هذا الخسيس من سيفي

أيتها الدنيا! ليست فيكِ رائحة من الوفاء

ولا تخطئ طعنتك بسبب مهارتك

لا يأتي منك الوفاء أبدًا

ولا يجد الأعزاء منك سوى الذلة

دخل الزنجي، وأمسك بيده

لما رآها مثل الفضة، ربطها مثل الحجر

لما عقد يديه، أرسله في الطريق

كيف يمكن فعل هذا مع عاجز؟!

سار متعجلًا خلف الزنجي

في طريق مملوء بالحصى مثل خط من الكحل يمتد ليلًا

ظهرت قلعة مثل الجبل

وقد جلست على بابها مجموعة من الزنوج

خندقها منخفض حتى ظهر السمك

وهي مرتفعة إلى ظل القمر

كانت قمة القلعة في الهواء من بعيد

كأنها دلو هذه الأفلاك السبعة

جاء زنجي إلى خسرو

وأمسك بيده، فتعقبه خسرو

أخذه بسرعة، وأطلق يديه في القلعة

ولكنه قيد قدميه بقيود ثقيلة

أحضروا شابًا أمامه

فأكله في الحال

لما رأى خسرو الحياة على ذلك النحو

يئس من الحياة ومن الشباب

اتجه نحو السماء منتحبًا

وبعد ذلك نثر الجوهر على الأرض

قال: يا رب! لا يخفى عليك أن

هذا المضطرب قد توكل عليك

أصبح في قلبي شيطان بسبب آكل لحوم البشر هذا

فاحفظني بفضلك من هذا الشيطان

لو حان وقت تسليم الروح

فلا يمكن تسليمها على يد شيطان

أجيز أن تكون روحي ترابًا

وألا تكون معدته القذرة مكاني

يا واهب العقل! حررني من هذا القيد

ما دمت الرحمن، فارحمني!

لو كنتَ فقيرًا أو ملكًا

ما دام هو معينك؛ فاطلب العون منه

لو بعينك لحظة

يُذهِب عنك الهم والحزن

لعل الزنجي القبيح كانت له ابنة

كان لها رأس خبيثة مثل قدر جدير بالأكل

وبطن تشبه الجبل من السمنة

وكان قدها في النعومة مثل المبرد

لما رأت الفتاة شمسًا في القيد

رأت شفتي خسرو شرابًا من القند

كانت ترى و جهًا شبيهًا بالقمر

حلو الكلام

خطه مثل النمل

يلتقط العنبر المبعثر حول الورد بمخالبه

اضطربت روح الفتاة بسبب عشقه

وغلت بسبب ذلك الخط والوجنة

هكذا اندلعت النار في روحها بسبب ذلك القمر

حتى إنها تعلمت من روحها إشعال النار

احتجبت حتى حل الليل

وبدت الدنيا مرتدية عباءة زرقاء

لما أضيء مجلس الفلك

بالنجوم

جعل الفلك بحر الدُرّ يغلي

ووضع الليل ذلك الدُر كله في الأذن

حل الهلاك على ابنة الزنجي

وزهقت روحها بسبب الهم

خرجت مثل الشمع المنطفئ

وأشعلت سراجًا في الليل المظلم

لما وضعت ذلك السراج، أحضرت مائدة

وأعدت شواءً من فخذ الماعز

وقالت له: يا من أنت مثل عيني في رأسي
لم تر الدنيا قائدًا مثلك
القلب كله حب وبُغض بسبب حبك
والعين كلها مسك وخزف من مسكك
الجسد كله أذن، والسر في عسلك
الروح كلها عقل، والدلال من عينيك
أنا روح مفعمة بحبك
هائمة في صورة وجهك
ولكن محبتك شغلتني؛
فعانقت جسدك المحزون
ضع الملح على قلبي الشبيه بالشواء
واجعلني في التجربة على المحك
لما كان الملك يرغب في الطعام
فقد مضت عليه عشرة أيام بدون طعام
انقض على المائدة، وتناول خبزًا كالسُكَّر
وتجرع المحنة من شفة نديمته
لما كان يتناول لقمة من المائدة
كانت دموع الفتاة تملأ مائة قدح
لما كان يفتح فمه؛ لتناول لقمة
كانت عين الفتاة تجري مثل الينبوع
لما كان ينظف يديه من دهن الشواء
كان قلب الفتاة المكتوي يسلم الروح
لما فرغ خسرو من تناول الطعام
فرغت تلك الفتاة من أمر روحها هناك
لما فرغ الملك، خدعته بالسُكر
وأوقعته في حبها عن طريق الدلال
قال للفتاة: مع أنكِ سوداء
فقد قتلتيني باللطف، ماذا تريدين؟

ما دمتُ قد تعلقت بكِ
فقد قيدت بقيد أسوأ من مائة قيد
أنا مسرور بتقييدك قدمي
وأنا أسيرك من الرأس إلى القدم
قال هذا، وعانق تلك المهمومة
بمائة حيلة
هكذا قبَّلها قبلة عذبة
فاشتعلت النار في الفتاة من عذوبتها
مع أن تلك السوداء استحسنت ذلك كثيرًا
ولكن الملك استاء كثيرًا
هكذا جعلتها قطعة سكر مقيدة
حتى إن قلبها ضاع من يدها كالريح
لما أسرج الملك الجواد، أحضرته له
فركبه في لحظة
الخلاصة لما استقام أمره كله
استفسر عن حال القلعة والزنجي
وسألها: ما صلتك بهذا الزنجي القاتل للبشر؟
فالتجمل مع الزنجي شديد الصعوبة
تُقبِّل حور السماء أرضك
وها أنتِ قد أقمتِ مع شيطان للأسف
لو تطاوعيني
يستند مسندك إلى القمر
أطلقت الفتاة اللسان، وقالت: أيها القمر!
إنه أبي، وأنا ابنته أيها الملك
جيشه مخلب الشيطان الماكر
وقد عجز أمامه مائة إبليس
يأكلون جميعهم الناس، الخلاصة إنهم
سَمَّنوك من أجل ذلك

ولكن ما دامت لي روح في الجسد
فالحكم لك، والطاعة عليّ
لو أن لي مائة روح، أضحي بها
ولكن كيف أتخلى عنك؟
لا أجعلك تغيب عن عيني
وأعلق خرزة خوفًا من عين السوء
سر قلب خسرو بالفتاة
وعطف على تلك الفتاة الشبيهة بالقمر
وقال لها: إدلي برأيك في هذا الأمر
إذ كيف أتخلص من مثل هذا العبء؟
ما دمتُ في قيد حبيب متمرد
فإنني لا أستطيع لمسك
قلبي أسيرك، وعيني دامية
تلطفي، وأخرجيني من هذا القيد
حين أخرج من قيدك
التقط السكر من قندك ليلًا ونهارًا
وأتناول السكر من الفستق الوردي اللون
ما دمت قد تناولت السكر، أقترب منك
لما سمعت الفتاة القبيحة ذلك القول اللين
ابتهجت
ورغبت في الوقت ذاته
أن يعانقها الملك
قالت لخسرو: يا أساس الدلال!
إن عينيّ المحبوب معلقتان على وجهك
جعلتَ شفتيك مملوءة بالشهد ومثيرة للاضطراب
وجعل سكر ذلك الشهد الأسنان سهامًا
صار خطك طوقًا حول القمر
وضل العقل أمام خطك

وضع السرو رأسه على الطريق لقدك

ووضع المسك رأسه على القمر بسبب سروك

بدا جسدك الفضي، فضي الصدر

ظهرت الفضة بلون الذهب غيرة منك

لا تحزن، ما دمت أنا حبيبتك

فأنا أحرسك من كل سوء

ما دمتَ أنت حبيبي، انسجم مع الحبيب

فسرعان ما أدبر حيلة هذا الأمر

ما دمنا نشعر بالرضا

فلتبقى أنت وأنا والطرب والدلال

هكذا أعلم أن الملك ثمل الليلة

وأنه جلس لتجرع الخمر مع العسكر

ما داموا قد سكروا جميعًا، فانهض

وهاجم أولئك السكارى، واسفك دماءهم

دمر الأعداء

واهدم الدنيا على أرواح الأشرار

قالت هذا، وخرجت من أمام الملك

جاءت سيرًا على الأقدام، ولما مضت إلى الخدمة مضطربة

مثلت أمام السُكارى في صحن القلعة

وتفقدت أحوال المعربدين

رأت الأب مع خمسين شخص هناك

وقف كل واحد منهم على رأسه

لما رأت الفتاة الزنوج منقلبين

رأت مائة عالم خارج هذا العالم

ذهبت إلى خسرو بسرعة، وقالت له: انتبه، وانهض

واسفك دماء السكارى في ذلة

فإنك لا تحصل على مثل هذه الفرصة مرة أخرى أبدًا

وإن حصلتَ عليها، لا يسمح لك أحد

قالت هذا ومنحته آلة من الفولاذ
ليحطم القيد
لما تحطم قيده، حمل سيفًا
وسفك دم أولئك القوم بدون هوادة
لما فرغ من أمر الزنوج
حصد قلوب كثير من الزنوج
كان في القلعة كثير من الأسرى
سَمَّنوهم جميعًا ليقدموهم قرابينًا
استسلموا للموت
وجلسوا، وقد قيدت أيديهم بأرجلهم
لما رأوا ضوءًا في الليل من بعيد
امتلأ قلب كل واحد منهم بالنور مثل الشمع
توجهوا إلى الضوء
بصعوبة بالغة وبقيود شديدة على أرجلهم
على أمل أن يمنح ذلك القوم الخلاص
بصفة خاصة
قال العاشق الثمل مثلًا حسنًا فحواه:
الغريق يتعلق بأي شيء
لما رأوا وجه خسرو فجأة
كأنهم رأوا يوسف في البئر
علقوا أعينهم على طريق الملك
ووقفوا متألمين أمام خسرو
وقالوا: أيها الفتى الوسيم الذكي!
لقد أكل الزنوج منا الكثير
وأقسمَت الدنيا على الفتك بنا
فخلصنا من هذا الأسر
لما سمع الملك قول الأسرى
ابتهج كالوردة

سرعان ما حطم قيود الأسرى

وأطلق كل من كان مقيدًا

كان هناك رجلان صائبا الرأي جميلا الوجه

كانا شجاعين مثل الأسد

أحدهما فرخ والآخر فيروز وهما قاطعا طريق

كان للصيّن وجهان عجيبان كالفلك

فتن قلب الملك بهما

وكأنهم كانوا أصدقاء

طاب حديثهما للملك

فاستفسر منهما عن أمورهما

قال فرخ زاد قاطع الطريق

وقد قبل الأرض أمام خسرو:

إن حالي وقصتي طويلة للغاية

وسوف أختصر الكلام ما دام الوقت وقت كشف الأسرار

كان في نيسابور ملك مظفر

عادل واسمه شابور

لعلكم تسألون مخبري الأطراف

عن أوصاف شابور

وتسألون كل معشوق ومحبوب

عن أثر له في كل مدينة وفي كل مكان

أخبرا الملك عن كل مدينة

فقد سافرا في كل ناحية

كان في الحُسن صاحب جمال في الدنيا

وهو يملك الحُسن، ويبلغ الكمال في الملاحة

كانت ابنة قائد خوزستان

حسناء جميلة مثل القمر المضيء، وسكرية الشفة

كان لغصن الياسمين عارض وردي اللون

وكانت تسمى جُل بسبب لطفها ورقتها

وصف فصحاء العالم
جُل بعشرة ألسنة مثل السوسن
إذا لم يكن للشمس نور
لكانت تظهر من بعيد خجلًا من وجهها
لو ترى الشمس وجه ذلك القمر
تضطرب بسبب جمال شعر ذلك القمر
يرسمون على الإيوانات في كل ديار
صورة لوجهها
لما يتأملون تلك الصورة
يستلهمها عباد الصورة كلهم
حياة الدنيا من قولها
ونقش وجهها منتزه الروح
لو يرى عاقل تلك الصورة
يظل حائرًا مثل النقش على الجدار
ولو تقع أنظار الناس على ذلك الوجه
يتحدثون عن لطف وجهها
لما سمع الملك شابور عن هذا الحال
كان يرفرف بالريش والجناح في الهواء مثل طائر
هكذا ثمل الملك بسيرة تلك الحسناء
وكأنه ضحى بروحه في الدنيا
كنا أنا وفيروز خادمين
وافتدينا الملك بمائة قلب
منحنا الملك كثيرًا من الذهب من أجل صورة جُل
ثم أرسلنا في طلبها
لما وصلنا إلى خوزستان في النهاية
اشترينا تلك الصورة بمائة دينار
لما حصلنا على صورة جُل
عدنا من خوزستان في اللحظة ذاتها

فضللنا الطريق، وتوجهنا إلى هذه القلعة

ووقعنا عاجزين في يد الزنوج

تبدو صاحبًا مباركًا

فقد تحرر كل هؤلاء الخلق على يديك

الآن نحافظ عليك بشدة مثل الروح في الجسد

فقد جعلنا إقبالك محظوظيّن

ماذا أهديك؟ فأنا لا أملك سوى الروح

وأنا أحيا بسببك، ولا أخفي هذا

الشيء الجميل الذي أحتفظ به معي

من متاع هذه الدنيا قطعة حرير

منقوشة بنقش جُل

وهي مبهجة للمضطرب

صورتها جذابة

وكأنها معنى الروح

لا تتصورها، فالمصور ضروري

حتى يمكن تصوير مثل هذه الصورة

الهلال لا يصور

لأنه لا يضحك في هذه الصورة

لو تعلق هذه الصورة على الحائط

تسقط صورة الحائط في الحيّ بسببها

الوصف صامت بسبب هذه الصورة

ولا يمكن وصف هذه الصورة، وعلى أي نحو كانت!

قال هذا، ثم وضع تلك الصورة- التي كانت

تحت ثيابه- أمامه بسرعة

لما ذهل خسرو أمام الصورة

فتن قلبه بالصورة

حفظ الملك الصورة جيدًا مثل روحه

وحافظ على تلك الصورة التي حازها في روحه

لما أصبحت عيناه نهر دم بسبب تلك الصورة

فارقت عينيه صورة الناس

سأل الملك العاشق عن

صفة تلك الصورة مثل عابدي الصورة

كثيرًا ما كان قد رأى نقشها قبل ذلك

وسأل عن صفتها حتى يسمع الوصف

اعلم أنه كان يرى الصورة بعينيه وقلبه

وحتى تفيد أذناه أيضًا

قال فرخ لخسرو: أيها الفتى!

إنني أتعجب من حالك!

فمن كثرة معرفتك بهذه الصورة

تبدو أنت و هي من مكان واحد

ابتسم الملك لذلك القول

وأظهر دُر الأسنان من مرجان الشفة

تأوه من القلب كثيرًا

فقد غابت عنه سنة وشهر

قال خسرو لفيروز وفرخ:

أيها الصعلوكان الشريفان!

لو تحفظا الأسرار

أقول لكما، لكني أخشى أن تضعفا

لما سمع الرجلان السرّ من خسرو

أقسموا كثيرًا في البداية

ما دمت قد حفظت أرواحنا

فإننا سوف نؤدي لك الحق مخلصين ما دمنا أحياء

لا يخفى وفاء الرجال

والدليل على هذا الكلام حال الشجعان

كيف يكون وفاءنا الطاهر أذى

وحق الروح ليس حقًّا هيِّنًا

الخلاصة لم يتمهل خسرو

وأقر بالموضوع من أوله إلى آخره

لما وقف كلاهما على ذلك السر

تعاهدا وأقسما

جددا العهد مع خسرو

وبالغا في الوفاء

قالا له: من يرى مثلك في المُلك

في السماء والأرض؟

ليزداد مُلك شخص مثلك

وليدب الخلاف بين أعدائه

أنت شمس، وبقية الملوك نجوم

لا يعتزلوك إلا في الليل

ما دمتَ شمسنا نحن الضعفاء

فسوف نرافقك كظلك

لما أطلقت الشمس المضيئة السهام فجأة

ألقت الدنيا الجوشن على الرأس بسبب النور

أضاء الإيوان المعنبر

وصار الفلك أزرق اللون، وصارت الصحراء كالعصفر

لما نهض ذلك الهندي من الطريق

ألقى الفلك أولئك الزنوج في البئر

لما فرغوا من أمر الشياطين

صرخت تلك الفتاة من خوفها

كثيرًا ما كانت تلقي نفسها على الأرض منتحبة

وقالت: لا أقبل من خسرو مثل هذا العمل السيئ

أنا فتاة وأنت ملك شاب أيضًا

والشاب يخشى على نفسه كثيرًا، وأنت تعلم

ارحم شبابي

واعف عن روحي، بروحك

قال لها الملك: إنني لن أحرمكِ من هذه القلعة
أبدًا، لو تريدين
ولو تريدين، ارحلي
فإنك تعلمين جيدًا، وشاوري نفسك
قالت للملك: يا من سلكت الطريق إلى روحي
إنك عالم بروحي تمامًا
ما دمت أعلم أنني ميتة بدون جمالك
فكيف أحيا بدونك لحظة؟
افصل رأسي عن جسدي لو تريد
وإلا فاحتويني
نحني عنك جانبًا
فلن أحيد برأسي عن قدمك
انقسم قلبي قسمين بسبب حرقة عشقك
وحرقة العشاق حرقة عظيمة
قنعت منك بالرؤية
وأنت تعلم أنني قد خضبت بالدم
أنت مَلِكي ما دمتُ حية
لا يفصلني عنك سوى الموت
إذا أسأتُ، أسيء أنت أيضًا
أو اجلس، وأوف بعهدك
لما تألمت كثيرًا، وتأوهت .
تألم قلب خسرو لألمها
وقال لها: لا تحزني
ولن أتحدث إلا بما يرضيكِ
لو تقنعي مني بالرؤية
أشتريكي بهذه الرغبة
لما كف ذلك الملك عن الكلام
رضت الفتاة بذلك الكلام

بعد ذلك أرسل الملك شخصًا إلى الأسرى
وأحسن إليهم كثيرًا
ثم خرج الملك وفيروز وفرخ والفتاة
من القلعة جميعًا
مهد الجميع الطريق في النهاية
وفتحوا باب الكنز القديم
سحبوا الدواب المحملة بالأحمال في الطريق
وجذبوها من تلك القلعة إلى الصحراء
ركب النبيلان والملك والفتاة الجياد
وساقوها من داخل القلعة
كثيرًا ما ساق الأخيار الجياد
حتى وصلوا إلى مدينة إصفهان
نصبوا خيمة عالية
وطلبوا متاعًا لائقًا بها
دخل الملك الخيمة ثملًا
وقد خفق قلبه، وجلس نائحًا
تحمس الفلك من حرارة القلب
وقد جعل الأرض مدرًا بسبب العين في عشق جُل
كان قلبه قد اعتاد على الدم
وأجرت عيناه نهرًا من ذلك الدم
لم يسترح في النهار أو ينام في الليل
وقد تصبب وجهه عرقًا، وأصابت الحمى قلبه
كان يدمي مثل القمر تارة
ويقلى في المقلاة مثل السمك تارة أخرى
امتلأ قلبه بالحرقة مثل الشمع تارة
وصرخ طوال الليل والنهار تارة أخرى
كان يتناول الشراب فاقدًا الوعي تارة
ويعزف على الرباب تارة أخرى

كان ينشد نشيدًا مؤلمًا وهو متعب تارة

وكان يتغزل، ويثير الفتنة

لما كان ينوح مع نفسه

كان يُجرى مائة بحر من دم القلب

بقى في الغربة متألمًا

ونثر الدم مثل سحاب الربيع

كان نقش تلك الحسناء أنيسه في العالم

لأن نقش جُل كان نديم نرجسه

بقى طوال الليل مثل النجوم

متعجبًا أمام صورة قطعة الحرير

كان يذرف الدمع على الصورة تارة

ويحسدها تارة أخرى

إذا كان الأصحاب ينصحونه

فإن نصائحهم لا تفيده

كان يقول لقلبه: أيها القلب! كم أنا مقيد بسببك

قيودي كلها قيدًا قيدًا بسببك

نحيتني عن التاج والعرش

وألقيتني على الوجه مثل ذؤابة المحبوب

تخيلت المستحيل

وقُدتَني مثل القتلة

ضعتَ من يدي، وسقطت

ووضعتَ مرادك في مهب الريح

الآن مضى يوم حُسن الحظ

وازداد الجسد إخفاقًا وشدة

في النهاية توجه يومًا إلى السوق

وقد تألم قلبه بسبب محبة جُل

كان يتألم بشدة بسبب العشق

وكان يعقد عمامة على رأسه

كان يطوف حول المدينة، وفي كل طريق
ويستفسر عن أحوال أهل المدينة
بحث عن الوسيلة عند أرباب البصيرة
وتحدث عن طباع الخلق
صار حكيمًا بين العلماء
وأصبح فقيهًا من كثرة العلم
لما مضت فترة، صار صاحب فنون
كان أكثر علمًا بكل علم من أهل ذلك العلم
لما ذاع صيت علمه
جاوز حُسن سمعته الحد
وصل خبر إلى ملك إصفهان:
أن تاج الأخيار شاب
وقد جاء من مدينته إلى هنا
وهو شديد المهارة في الطب
إذا امتحنه شخص في مائة سؤال
أجابه في لحظة
لم يوجد شخص آخر مثله في الدنيا
ولم يوجد جوهر أنقى منه
كأنه ليس إنسانًا، إنه ملاك
مجبول على الثقافة والعلم
لسانه مفتاح القيد الصعب
لم يُر شخص أعذب قولًا منه
لو أن شوكة في قدم جُل الآن
من سيخرجها سوى هذا الشاب؟
في الحقيقة، سر الملك كثيرًا من هذا الكلام
وأرسل شخصًا طيبًا لتقصي حال هرمز
خرج رجل ماهر من الإيوان
وقاد الجنيبة، وحمل الخلعة إلى هرمز

حياه بتحية من الملك المبارك

الذي كانت السماء عرشه، والشمس تاجه

وقال: إن ملكنا لديه مريض

يشفق عليه القلب كثيرًا

لو ترافقه لحظة

تكون محرم أسراره، فمن يكون أهلًا لذلك غيرك؟

انهض الآن، ما دام الطريق ليس بعيدًا

واتعب القدم، واذهب إلى المريض

فقد تحدثوا عنك كثيرًا أمام الملك بالأمس، وقالوا:

إنك بلا نظير في العلم

لما سمع خسرو ذلك الكلام

خفق قلبه في صدره من السرور

حين استقام أمره في النهاية بدون حزن

فما أطيب السرور الناجم عن تحقيق المراد!

كان يقول لقلبه: أيها القلب!

لماذا لا يطلب الرجل الفقير الكنز في النهاية!

وكان يقول أحيانًا: أيها الشاب الحائر!

ماذا يلزم الأعمى سوى عين مبصرة!

مع أنك كابدت ألمًا بلا حد

فقد وصلتَ إلى الكنز الذي كنتَ تبحث عنه

الآن تعرف الطريق إلى الكنز

أريدك أن تملك قلبًا مطمئنًا كذلك

املك عقلًا راجحًا بالعلم

وكن ثابتًا بشجاعتك

إذا لم يعالج الطبيب ألمه

لا يرجى منه علاج شخص آخر

لما قال لنفسه مجموعة من الحكم والأمثال

اعتلى الجنيبة، ومضى في الحال

سار، حتى نزل في البلاط

فرأى قصرًا بديعًا مثل الجنة

لما وقع نظره على جمال الملك

سلك الطريق إليه

أثنى على الملك كثيرًا، وقال له:

لتبعد عنك عين العدو

وليكن الفلك عتبة بلاط الملك

ولتكن السماء أرض عدوه

ليفيد من غصن العمر، حتى إنه لو يقول: أنا الخضر

يقوى على ذلك

امتحنه الشيوخ الذين كانوا أمام العرش

مائة امتحان

لما كان جوهرًا ثمينًا في كل علم

تفوق عليهم مثل الجوهر

لما كان- كل ما قاله- صوابًا

مدحه الملك كثيرًا، وأثنى عليه

لما كان خسرو ماهرًا في العلم

أرسلوه لمعالجة جُل

ذهاب خسرو إلى مخدع جُل لمعالجتها

ألا أيها الطاووس الأخضر المقدس!

صورة أطلس الفلك من رأسك الخضراء

غبارك وبخارك الأرض والسماء

الكواكب في الطبق من أجل نثارك

مع أن العالمين يظهران شامخين

فهما عينا وجودك

ما دام كل شيء موجود هو مجلى لك

وكل نَقْش نُقِش هو فيضك

انقش الكلام زمنًا

ما دمتَ تملك كلامًا جديدًا، فاترك الكلام القديم

الكلام تذكار عن الناس

والصمت عمل الأخرس

تحدث ما دمت تملك فكرًا صائبًا

فإنك كثيرًا ما تصمت

هكذا قال ذلك الفصيح البليغ

الذي لم أر شاعرًا أفضل منه

لما رحل الملك عن خوزستان إلى إصفهان

احترق قلبه مثل الشمع بسبب عشق جُل

لما ذهب ورأى وجه جُل

وجد قلبه مفتونًا بجُل بسبب رؤية وجهها

هكذا اضطرب من نظرة

وكأنه صار جاهلًا عن العالمين

لما نظر الملك إلى وجه جُل

قطبت جُل حاجبيها بسبب الحقد

رفع الملك القصب عن القمر غاضبًا

فتأوه اللسان كثيرًا بضربة واحدة

كان يعقد جديلة القمر المسكية تارة

ويملأ طرف السكر بالمرجان تارة أخرى

كان يجعل الأرض مثل الشقائق من النرجس تارة

وكان يملأ الهواء بالندى من الأهداب تارة أخرى

انشغل بالثروة زمنًا

وبعشق الحبيب زمنًا آخر

هكذا كانت جُل ذابلة بسبب ذلك الملك

وكانت تخشى الموت إذا رأته

كانت تطرد الملك من أمام الباب زمنًا

وكانت تدعو المربية زمنًا

كانت تلقي الحجاب على الوجه القمري زمنًا

وكنت تقذف الملك بالحجارة زمنًا

كانت تنثر تراب الطريق على مفرقها زمنًا

وكانت تغرق ثيابها في الدم زمنًا

لم تكف عيناها عن الدمع لحظة

لم تأوى إلى فراش النوم زمنًا

كانت عيناها تدمع طوال الليل والنهار

كان نهارها أكثر سوادًا من الليل

لم تسترح يومًا طوال الليل حتى الصباح الباكر

ولم ينم الطير أو السمك من صراخها ليلًا

توهجت من نار القلب مثل البرق

وأسقطت الأمطار من عينيها مثل الغيم

صار فراشها نهر جيحون من دمع عينيها

وأدمت الدنيا بسبب ذلك النهر

صار قلبها مثل قدر يغلي

وكان يخفق بشدة

كانت تنثر الجوهر على الذهب من الجذع النضر

وتضع حفنتين من تراب الطريق على رأسها

لما كانت تذكر ذلك الذي لم يغب عن الذاكرة

كانت تنادي عليه، وتصرخ

لما كانت تنطق باسم المحبوب

كان قلبها يفارق جسدها، وكانت الطمأنينة تزول عن قلبها

لم تنم، وإذا نامت لحظة

كانت السماء والأرض تحزنان عليها

لما كانت تذرف الدمع الدامي من عينيها

كان فراشها يجري طوفانًا من دمعها

إذا كان الليل يعلم بحرقتها

لَمَا طلع له نهار حتى يوم القيامة

وإذا كان الصبح يرى مأتمها

كان يسقط في الصباح حزنًا عليها

وإذا كانت الثريا ترى دُرَّ دموعها

كانت تنقلب مثل دمعها غيرة منها

وإذا كان الشفق يرى عجزها ذلك

كان يصير مثل الذهب من وجهها الزعفراني

وإذا كان القمر يعلم بحزنها

كان الدخان يتصاعد منه فجأة

وإذا كان الشمس ترى حرقتها وألمها

كان شعرها الأصفر يصبح خرقة من الألم

وإذا كان الفلك يرى سفك دمها

كان قلبه يدمي لَلمًا عليها

وإذا كان الجبل ذاته يرى ذلك الحزن

كان يرى الدنيا جبلًا على قلبه

وإذا كان البحر يراها في مثل هذا الألم

كان الغبار يتصاعد منه في لحظة

وإذا كان الغيم يراها في ذلك الحزن

لم يكن يمطر إلا الألم والحسرة

أجرت سيلًا من عينيها على نفسها تارة

والتهمت نفسها مثل النار تارة أخرى

كانت تضيء مثل الشمع تارة

وكانت تتوهج مثل ضوء القمر من كثرة الألم

كانت تعتلي السطح ويدها على رأسها تارة

وكانت تتحرك مثل الحلقة على الباب تارة أخرى

ظلت في المصيدة مثل البلبل تارة

وبقيت على الباب تارة، وفوق السطح تارة أخرى

كانت تهبط من فوق السطح تارة

وتعتليه تارة أخرى

لما كانت تسلك الطريق كسيرة القلب

كانت كلاب المحلة رفاقها

كانت ترافق الكلاب زمنًا

وكانت تجلس لحظة، وتعود

توجهت إلى السطح مرة أخرى ليلًا

وكانت تشبه طائر السحر بسبب آهاتها

إذا كان الليل ذاته ليلًا مضيئًا

من يعلم؟ على أي نحو كانت في الضياء!

لما كانت ترى القمر، بدون وجه محبوبها

كانت تتدحرج على السطح

لم تسقط أمطار على السطح أكثر

مما أسقطته عيناها زمنًا

ماذا أقول؟ كيف كانت؟ وعلى أي نحو كانت؟

لا أعلم أن مثل ذلك يمكن أن يكون أبدًا!

من كثرة ما دار ذلك القمر حول السقف والباب

اضطرب الطير والسمك طوال الليل بسببه

من كثرة ما هبت الريح بسبب آهاتها

صاحت طيور الهواء

من كثرة ما اشتعل النفس من نار القلب

احترقت أجنحة طيور الليل كلها وريشها

لما غاصت قدماها في الطين حول السطح

توجهت إلى الباب مرة أخرى، ويدها على قلبها

سقطت على وجهها أمام الباب زمنًا

ورافقت الكلاب في الحيّ زمنًا

أحضرت العظم للكلاب زمنًا

وهمهمت مع الكلاب زمنًا

أذرفت الدمع من العين على الباب زمنًا

ونثرت التراب على رأسها بسبب العشق زمنًا

كانت حاسرة الرأس، مغبرة القدم

ومزقت الرداء على الجسد بيديها

تأوهت المربية المسكينة

وكأن تلك الحزينة كانت قد أسلمت الروح

استدعت جارية وأمرتها

بأن تُسَمِّر السطح والباب بسرعة

هكذا أغلقت الأبواب على تلك الحسناء

فلا يمكن أن تهب عليها ريح طيبة

لما عجزت جُل؛ كانت تطلب الخمر من المربية

لأن شأن جُل لا ينصلح سوى بالخمر

ذهبت إليها المربية، وأحضرت الخمر في الحال

وتعقبتها مجموعة من الحِسان

جلست تلك الحسناء والشمع أمامها

الخمر في يد، ويدها الأخرى على رأسها

لما كانت تلك الممطرة للسكر تشرب كأسًا

كانت تملأه مرة أخرى بدم العين

لم تترك كأسًا خاليًا من الخمر قط

إلا وتملأه بالخمر في الحال

لما حلت نوبة خسرو مرة أخرى

لم تكن تأكل، وأصابها الإحباط

هكذا كانت، وهكذا تجرعت الخمر

فما أطيب صياحها ونحيبها!

كانت شابة محزونة ذليلة

بسبب الفراق والاشتياق والعشق والسُكر

لما كابدت جُل مائة نوع من الألم

سقطت ثملة حزينة

تأوهت آهة من الكبد، وأية آهة

فقد سلكت الطريق إلى السماء السابعة

قالت: لقد احترق بيدري في النهاية

واحترق الدم كله في جسدي بسبب دم القلب

هكذا صاحت بسبب نار القلب

حتى احترق سقف المحزونين

أذرفُ الدمع من الأهداب

وأحسدُ الرفاق على ذلك الدُرّ

أتخضب بدماء عينيّ طوال الليل

وأغرق في جيحون عينيّ منتحبة

أصابني العجز من صراخ القلب طوال الليل

وأنا أئن مثل الناي والمزمار

أصرخ طوال النهار بسبب غم القلب

وأغلي وأفور مثل بحر ناري

إذا كان لِلَيْلِي أمل في النهار

كيف تكون في قلبي كل هذه الحرقة

ما دام ألمي لا تظهر له بداية

فإن ليلتي ليس لها غد

صارت السماء من آهاتي

وكأنها غائمة، وقد نثرت النار

كل مكان يتصاعد الغبار منه

تصير كل ذرة شرارة من آهاتي

ماذا أقول؟ كيف كانت تلك المضطربة

فقد كانت حرقة روحها تزداد في كل لحظة

رأت تلك المبهجة حلمًا عجيبًا ذات ليلة

وأن هرمز سوف يأتي إليها في اليوم التالي

فخفق قلبها المكتوي بشدة

وكان شرابها من دن دم الكبد

كانت تحترق بشدة في تلك النار على هذا النحو
وكأن السرير كان يحترق من حرارتها
كانت تتأوه قائلة: يا عالم أسراري!
جاوزت حرقتي الحد، فماذا أصنع؟
بآهات صدور السهارى
بدم عيون الأتقياء
بذلك الدمع الذي يتساقط من عين العاصي
حين يشتد عليه الأمر
بذلك التراب الذي ابتل بالدم
والذي يحتوي قتيلًا مظلومًا
بتلك الأنفاس التي تصعد من كبد
رجل عاجز في وقت السحر
بتلك النار التي تستعر
في صدر صاحب السلامة في وقت الندامة
بتنهيدات أرواح الكرماء
بدموع عيون اليتامى الحارة
بشيخ محني الظهر مثل الصولجان
وصلت كرته إلى حافة الميدان
بطفل امتلأت عيناه بالدمع، وامتلأ قلبه بالحرقة
برجل متعطش إلى ورقة الوردة النضرة
بذلك الألم الذي يتألمه الشيخ العاجز
على تراب شبابه
بألم عروس ذليلة
أسلمت الروح محزونة من ألم النزف
بالمشتاقين إلى أسرار الحقيقة
بنقاد سوق الطريقة
بذلك القلب الذي يظل عارفًا بالنور
بتلك الروح التي تتجنب الدنس

بحق مُلكك

ماذا أقول؟ إنك تعلم الأمور الأخرى

خذ بيدي، وأغثني

ثم أعرك أذني كثيرًا في النهاية

حررني من ضائقة الدهر

وخلص قلبي من هذه الغصة وهذا القهر

إذا سررت يومًا في العالم

صرخت آلاف الأيام

لا نهاية ليوم حزني

ولا تبدو بداية لغمي

بكت النجوم كلها منتحبة

بسبب بكاء تلك الحسناء

في النهاية لما تحولت من حال إلى حال

نجاها الحق تعالى من ذلك الغم

استجاب لدعائها في النهاية

وأصاب سهم الدعاء الهدف

آلاف الأرواح فداء الصبح الذي

يصيب الهدف بسهم الآهة

لما بسط طائر الصبح الجناح

نثرت عروس السماء الجوهر

طلع الصبح مثل الرمان الضاحك

وضحك ضحكة على الفلك الدائر

أمسك بقضيب من الفضة في فمه

على شكل قبة ذهبية مقسومة إلى قسمين

لما أضاء هذا الطاق الأزرق

ظهرت علامة المعرفة

دخل هرمز العاشق من الباب

معقود اليدين وعلى رأسه عمامة

رأى قصرًا مملوءًا بالنور مثل الجنة
جنة مملوءة بحور الجنة
كان هناك عرش أمام الصفة
مرصع كله بالذهب
بُسط فراش أمام العرش
واستلقت عليه جُل الوردة النضرة
جلست المربية بجوار وسادة جُل
وقالت لجُل:
لقد حل شاب غريب هنا
ماهر في علم الطب
لو يقرضك هذا الرجل هرمز
يمكنه علاج كل هذا الألم
لما سمعت جُل هذا الكلام، نظرت إليه؛
فخفق قلبها من تلك النظرة
رأت شابًا على رأسه عمامة
وعلى قده كتان مثل أوراق الورد
له خط حول شمسه
وَصَلَهُ خط من جمشيد في الملك
شفتاه مثل قطعتي ياقوت
واختبأت ثلاثون نجمة خلف شفتيه
ذؤابته مرتدية حلة من العنبر
تثير كل شعرة منها مائة فتنة
وجه كانت له مائة مربية من أوراق الورد
قمر كان له مائة ظل من المسك اللامع
لما وقع نظرها على وجهه الوردي
اقشعر بدنها مثل الورقة
صارت حلقة في الأذن أمام خطه
غلى دمها مرة واحدة

ذهبت السكينة عن قلبها، ومضى العقل عن رأسها
وصارت أسيرة لينبوعه الشبيه بالعسل
لما تعلقت عيناها بوجه ذلك الشاب
تدحرجت إلى هرمز مثل الحيران
قالت للقلب: لا أعلم، أهو هو؟
فقد ثملت جُل اليقظة بسببه
لما لم يكن أحد نظيره، فإنه هو
إذا كان هذا هو، كان هذا حسنًا
تعال حتى نراه
لماذا نسترق النظر إليه هكذا
قالت مرة أخرى: لا يمكن أن يرى
هَرمز جُل أيضًا
لما استغرقت جُل في التفكير
غلت بشدة بسبب نفاد الصبر
قالت للمربية خفية: هذا القمري الوجه
تملك طلعته قطعة من القمر
لم يقيدها قيد سوى قيد هرمز
انظري إلى وجهه ورأسه وقده
لا أعلم أهو هو؟ أم شبيه له
فالقلب المتحرر منه مثل الأسير له
أجابتها المربية في الحال: أيتها الحورية!
كثيرًا ما يشبه الإنسان الإنسان من بعيد
ليس هناك قلب تعيس مثل قلبك
ماذا تريدين أن تفعلي؟ ليست هناك وردة في مائي
طاب لكِ العشق حقًا
وتعزفين ألحان العشاق
لعل ذلك الصباغ كان يدعي الفضل
فلما طاب له اللون، لَكَمَ لحيته

قالت هذا، وأغضبت جُل
وأحزنت قلبها بذلك الكلام
نظرت المربية بطرف عينها
وألقت الظل على ذلك الوجه الشبيه بالشمس
لما رأت هرمز، عرفته أيضًا
لكنها تركت أمره لجُل
دخل هرمز، وجثا على قدميه
وقاس نبضها بيده مثل الأطباء
تأملها، وعرف نبضها جيدًا
ولكنه جعل نفسه أعجميًا
العجيب أن الدنيا لم تضطرب هناك
كان قلبه يحترق، لكنه لم يتكلم
أمر لها بعلاج، ونهض سريعًا
جاء مثل النار، ونهض مثل الدخان
لما خرج هرمز، أسقطت جُل
أمطار الربيع من عينيها منتحبة
هكذا قُيِّدَ قلبها بسبب هرمز
حتى إن النار اشتعلت في جميع أوصالها
كانت تئن طوال النهار والليل
وكان قلبها يرغب في ذلك المحبوب
كان هرمز يشعل النار مثل الصبح
بسبب الغم في اليوم ذاته والليلة ذاتها
كانت روحه تحترق في تلك النار
حتى إن لسانه كان يفيض بأمواج من النار
كانت الحبيبتان تتربعان في صدره
وقد تعب خسرو من السهد
قالوا له: استحضر قلبك
أنت عاقل، فاستحضر عقلك

ما دمتَ تفوقنا في العقل والتمييز

فلماذا يجب أن تذل في هذا الأمر

يلزمك القلب والعقل في مثل هذا اليوم

ويجب عليك الصبر على النار

بقي على هذا النحو في تلك الليلة حتى النهار

لم يسترح بسبب حرقته مثل الشمع

لما أشرقت الشمس من منحنى الفلك

ظهرت من تحت الفلك الأزرق

كأنها كانت،تنسج ثيابًا مغزولة بالذهب

فكانت خيوط الذهب تضيء عجلة الفلك

ذهب خسرو إلى جُل في الصباح الباكر؛

ليلقي نظرة عليها

لما وقف في دهليز ذلك الإيوان

أجرى قلبه سيلًا من الدمع

ليس وجهًا ذلك الذي يصير بلا أنيس

ليست أوراقًا تلك التي تتخلى عن الوردة

قال لقلبه: أيها القلب! كن عاقلًا

وانصت لحظة لو أنك تبصر

كن ملتزمًا بالشريعة، واخجل

وانظر خلفك

قال هذا، ومضى في ذلك الدهليز

وذهب إلى غصن الياسمين السروية القد تلك

لما رأت قطعة القمر تلك هرمز

أذرفت الدموع على وجهها

كانت تُخفي الدمع الشبيه بالدم تارة

وكانت تسترق النظر خفية تارة أخرى

كثيرًا ما جادلت قلبها

لقد بدَّل الطب هرمز

قالت في وقت: إنه ليس هرمز أبدًا
نمتَ مثل هرمز، وأنت لست هرمز أبدًا
لو أنه هرمز، كان يحتار
فكيف كان يصمت أمام جُل؟
الشخص الذي يصير فراشة في خيالي
كيف يطيق شمع جمالي؟
لو أنه هرمز كان يضطرب
وكان يتحدث بالاسرار
كثيرًا ما يشبه الناس بعضهم البعض
وكثيرًا ما يشبه سراج الليل النجوم
قالت زمنًا: إنه روحي بلا شك
أية روح وأي قلب، إنه محبوبي!
لو يصبر الفلك عن النجوم
فأين يختفي القمر؟
أعلم يقينًا أنه هذا القمر بلا شك
ولكنه احترق من ألم هذا الطريق
لما احترقت، احترق قلبها في صدرها
أي قلب! ماذا أقول؟ بل احترقت الروح
ينبغي لي أن أكابد كثيرًا من الألم
حتى أرى وجه طبيبي
إنه رَجُلي في هذا الألم الذي أكابده
وهو طبيب ألمي على كل حال
الآن أشرح له هذا الألم
فإنه طبيبي؛ وسوف أفشي له سرِّي
لما جاوزت حرقتها الحد في النهاية
صار يومها أكثر سوادًا من مائة سحر
صار عقلها مثل السهم في السرعة
وسقط قوس طاقها من فوق الأهداب

قالت للقلب: هذا هو محبوبك الوسيم
أهذا الطبيب ملاك أم ابتلاء؟
ماذا أصنع؟ حتى يصبح رفيقًا لي
ماذا أصنع؟ كيف أفشي له السر؟
إنني أخشى فضيحتي
إذا سألته شيئًا عن هذا السر
لما كان المكان خاليًا، ولا يوجد أحد
خاصة أن المكان غير بعيد كثيرًا
ولما اضطرب حالها بسبب هذا التفكير
سألت سؤالًا على سبيل الرمز
قالت له: من أين أنت أيها الرسول؟
فإن لك معرفة في قلبنا
خبرنا عن أصلك
فقد اشتبه الأمر علينا
ابتسم هرمز بسبب تلك الحسناء
وضحك مسرورًا في وجه الأنيس
عرفت جُل من تلك الضحكة خديعة هرمز
- الشبيه بالشمس- في الحال
قالت له: يا من نور الدنيا منك!
لتبعد عنك عين السوء في الزمان
لو أنك هرمز، اشرح حالك
أو أرى جمالك في المنام
أدميت خطي مرة أخرى
إن رأسي على خطك وعيني ممطرة للجوهر
لقد استولت شفتاك الياقوتينين على وريدي
وأمسك خطك الأخضر بخناقي
أغلظ خطك لوجهي الرقيق
وتفوح من وجهي رائحة الخجل منك

اضطربت من الحزن
وأنا بعيدة عنك لمدة سنة
بقيت على السطح، وأنا بعيدة عنك
وقد امتلأ قلبي بالدم، وبقى جسدي مثل الشعرة
أخرج قدم قلبي من الوحل
ولا تجعل رأس أحد في الوحل مثلي في النهاية
ما دمتَ قد خطفت القلب، وسلبتني الروح أيضًا
فقد أتعبتَ قلبي، وودعتَ روحي
ما دمت أنا أسيرة في يدك بسببك
فلا تأسرني لو أنك أسير
قال هرمز: أيتها الياسمينية الرائحة!
لا تتحدثي معي في هذا الشأن
إنكِ تعلمين على أي نحو أنا بسبب حبك
أنا عاجز بسبب حبك مثل الهلال
شردت من الروم، وأنا بعيد عنك
وتوجهت من هناك إلى هذه الناحية
صنعت آلاف الحيل والتدابير
حتى تحدثت معك
أنا اليوم ذليل مثل الظل
وسقطتِ أنت على الأرض مثل الظل عاجزة
يأتي المسافر إليك بذلك الأمل
والظل يتعقب الشمس
ما دام ليس هناك وقت أو مكان أيتها الحياة
فكيف أطلب منكِ الإنعام
اعلمي أيتها الحسناء أنك حتى تسعدين
فلتفرحي من أمر نسبي
فأنا ابن قيصر الروم
تسجد النجوم لي بسبب مكانتي

شرح لها قصته

بالتفصيل

لما سمعت جُل أنه ابن ملك الروم

وهو فلك الملك وبحر العلوم

ابتهجت جُل مثل الوردة المتفتحة لذلك

وعضت إصبعها بأسنانها بسبب ذلك الأمر

قالت لهرمز: الآن، وقع الأمر

ووخزت شوكة جُل مرة أخرى

في ذلك الوقت الذي كنتَ فيه بستانيًا

ولم يكن لك مُلك في العالم

لم تكن تنظر إليّ في ذلك الوقت

فكيف تنظر إليّ وأنت في المُلك

ماذا أقول؟ فقد ابتهجت روحي في جسدي مثل الوردة

بسبب هذا السرور

من يعلم أن عديم الأصل هذا

كان قد وضع قدمه في المكان اللائق

بحمد الله أنك مَلك الآن

ولست ابن مهمرد البستاني

الآن مضى ذلك، بعد هذا دبر أمري

وصالح نفسك من أجل المصلحة

لا تتركني عاجزة على الفراش هكذا

وليس لي حبيب في العالم سواك

لا تتجنبني يا طبيبي

وخلصني من ملازمة الفراش هذه

كن طبيبًا، وحل محلي

وحول هواي عن هذا الموضع

عجزتُ، فانهض من المكان

وساعدني على الهرب من هذه المدينة، واهرب

أنت تعلم أنني شردتُ بسببك
وصرت عاجزة مسكينة على هذا النحو
فَقَدَ أبي المُلك بسببي
ولكن جُل فقدت الروح بسببك
اشتعلت الفتن بسببك
فابتعد أبي عني، وابتعدت أنا عنك
الآن الشيء المحمود
هو الوصال الليلة ولا مفر
لما يلقي الفلك بظله على الأرض
تأتي إليك المربية خفية
وتنزلك في هذا الإيوان العالي
في عباءتها ونعليها
لعل لحظة تنقضي علينا هذه الليلة
ويزول الغم عنا بهذه السعادة
أحتفظ بكلام قديم لخطك
ولا أكن أذى له في صدري
ما دمنا قد جددنا عهد العشق
فقد ذاع صيتنا
نجدد العهد
ونقترن معًا كاللبن والعسل
بقى خسرو في ذلك المكان حتى منتصف النهار
وكان يتحدث أمام المبهجة
بقى الملك في ذلك المكان فترة
حتى يعجن المعجون من أجل ذلك القمر
لو كان شخص يجيء إلى هنا من أجل عمل
كانت جُل ترسله مثل الغبار
لما أصاب سهم جُل الهدف
انطلق خسرو مثل السهم

خرج من الإيوان أمام الأصحاب
وشرح أحواله للفضلاء
لما سمع أصحابه الكلام
سروا كثيرًا من قوله ذلك
لما اشتعل الفلك مثل الطاس
سقط الشفق من حلق الليل مثل الدم
لما غاصت قدم الدنيا في القير بسبب الليل
جاءت المربية العجوز إلى هرمز
قالت لهرمز: انهض، واخرج
وارتدي العباءة، وضع قدميك في النعل
سر خلفي. وعندئذ أحمل أنا
شمعة أمامك في هذا الطريق
بلى لما ينشغل العشق بأمرك
يجلب لك الحبيب من الدرع إلى العباءة
مضى في النهاية، وصار ذلك الشمع في الطريق
ودخل كاللص من الباب فجأة
لما سار هرمز خلفها
صار في لحظة عند المحبوبة
خرج العاشق المتألم من العباءة
ودخل الخيمة من الصفة
لما وقعت أعينهما بعضها على بعض
التفا على بعضهما البعض مثل الثعبان
خرج جيش العشق عن الكمين
وألقى العاشقين كليهما في الطريق
لم يتحدثا المتمردان لحظة
واندلعت فيهما النار بسبب القلب المكتوي
كأن ذاكا القمرين
سمكتان ترتعشان على النار

لما عادا الشملان إلى صوابهما

وقد تشابكت ذؤابتاهما معًا

كثيرًا ما كانا قد اكتويا بالهجران

ولم يحققا رغبة القلب لحظة

لما سألهما الصبر عن الحال

كان الشباب والعشق والمكان خالٍ

كان الملك يتناول السكر من شفتي جُل

وكان يشرب ماء الورد من ينبوع الكوثر

لما كان الملك يتناول السكر من تلك الشفة

كان يحتضن معشوقته جُل

ما أطيب سعادة الملك في تلك الليلة!

فلم يحظ أحد بتقبيل تلك الشفة

ضحك زمنًا بسبب الشفة الضاحكة

وأخذ الياقوت من الأسنان زمنًا

لما رأت جُل مثل ذلك الحال من المحبوب

تأوهت بسبب نار القلب

قالت له: يا من نقضت العهد!

وأصبتني بمحنة الهجران

لما احتضنتني

وجددت الأمر

فاذهب وأغلق هذا الباب على نفسك

فلا ينفتح لي قط سوى بالقبلات

إنني أملك الحضن والقبلات؛ فانهض بسرعة

وانعم بهما

خذ رأسي تحت إبطك مرة أخرى

واكشف الرأس، وضع قدمي في الوحل

لماذا طفت حول العباءة مثل العود؟

فقد تناولت سكر ميت

شفتاي الياقوتيتين ممطرتان للسكر

فلا تضعف أمام قطع السكر هذه

لماذا لا توافقني أيها الحبيب؟

وعدتَ من هذا الطريق عطشانًا

قبضتني وبسطتني بعنف

يا طبيبي الذي قاس نبضي هكذا

أنت لص ونقودي سليمة

ما أطيب إقبال هذه الجعبة اللطيفة

لما رأى قلبي اللصوصية على وجهك

انزوى منه مباشرة

الليل مظلم، وأنت شديد اللؤم

إذ كيف يمكنك إنهاكي؟

خفق قلب الملك بسبب انعدام الصبر

فقد كان يتألم من الهجر منذ زمن بعيد

كان يلتف على قدم جُل

وكأن أربعة مسامير سمرته في المكان

هكذا انطوت جُل على نفسها في حياء

فالطفل في المهد، والجواد في القيد

لما جاوز الأمر الحد

دخل ملك الروم حتى يزيل الختم عن الشمع

قال خسرو: أيتها الظالمة!

لم أر حبيبًا خائنًا مثلك

ما دمت قد تركتيني ذليلًا

فكيف أطلق اللسان في اللقاء؟

لما قفزت من فوق الجدار مائة مرة

فلتخرجيني من هذا الحائط ذليلًا

ربما استيقظت مثل الحارس

وطفت طوال الليل حول هذا الجدار

كيف أمنحكِ القلب مرة أخرى؟
وأنا ذليل في النهاية
لا أعلم لماذا يكون الشيطان مرشدك
لعل جداري كان واهيًا
هكذا سعيتُ كثيرًا في إعداد الحيل
واستهنتِ أنت بها كثيرًا
أي طائر أنت؟ فلما بسطتِ الجناح
سقتيني من أمامك
تركتيني بسبب الدلال تارة
وسلبتيني الروح بسبب المحبة تارة أخرى
لستِ أفعى فلماذا لا توافقيني؟
ولماذا تلقي هذا السم في النهاية؟
ما دام للسنبل زهر
فكذلك يمكن أن يكون لجُل أيتها الفريدة
قالت له جُل: يا من أنت مثل روحي العزيزة
أتدلل لو أنك تختال عليّ
لما سقطت جُل عاجزة بسبب الفكر
فأي أمر أصعب من هذا في النهاية
إنك تعلم أنني لما كنت أسيرة لكّ
كم خفق قلبي بسببك!
وضع قلبي الجوشن على كتفه بسبب هذه الحرقة
ولم أر ليلة لك مثل النهار المضيء
ما دمت قد اضطربت مثل الفلك الدائر
فاكشف الرأس، ولا تتمهل
لم تعاهدني في اليوم الأول
وكان حبي حبًا مهملًا
ولكن ما دمنا قد تعاهدنا معًا
فانقد القلب كل هذا المؤجل

الآن ما دمت تراني متألمة ومريضة

تظنني مزلاجًا، وتجذبني

ما دمت تتعلل لجُل هكذا

فالأفضل أن تعدها ميتة

هكذا خفق قلب خسرو لرفيقته جُل

في كل لحظة بسبب ألمها

قال لجُل: يا سراج البساتين!

إن ضياء قمر وجهك شمع الأرواح

سرقت غمازة ذقنك الكرة من الفلك

وسلبت جديلتك السوداء الليل الرائحة

وصل السحر للعالم من بابل

واضطربت القلوب بسبب عينيكي قلبًا قلبًا

القلب والروح خرقة، وجديلتك ثناياها

العالمان حلقة، وشفتاك فص

لا تسخري من العاشق المضطرب

فسوء السُكر ليس عجيبًا من الثمل

لا تؤذيني؛ فأنا مريض

ولا أصدق هذا إلا منك

هكذا أنتِ نشيطة ولطيفة في المرض

فكيف تكونين في الصحة؟

أنتِ روحي وأسمى من روحي أيضًا

وأي شيء أفضل من الروح وأسمى منها؟

مع أنني صرت ذليلًا خجولًا

فلا تغضبي مني أيتها المحبوبة القاسية

مع أنني سيد الخاصة والعامة

إلا أنني غلام غلامك بالقلب والروح

قال هذا، وابتهج العاشقان

بسبب التهور

فتحا فميهما

وتناولا السكر

لما تمنطق الناي مع السكر والوردة

صارت شفته العذبة مثل قصب السكر

كانت تدير ظهرها للمحبوب تارة

وكانت تتدلل تارة أخرى

كانت تطلب منه ثمن الدلال تارة

وكانت تعتذر عن القبلة تارة أخرى

لما شرب ماء الحياة من الضفة الضاحكة

كثيرًا ما عجز الإسكندر

واغتنمت جُل الفرصة، وأرادت

أن يحملها الملك من إصفهان

لما استتب الأمر للعاشقين

ناما لحظة

لما استغرقا الرفيقان في النوم

لا أعلم أين ذهب ذلك الدلال كله؟

لما طلع الصبح على جواد الفلك

المثير للفتنة

حل الصبح، وعقد حاجبيه

واكتسى بالحرير مثل دودة القز

لما أضاء ذلك الإيوان العالي

دخلت المربية العجوز

أيقظت

القمر المضيء وسرو الخمائل من النوم الهانئ

لما كانت عين الملك ناعسة مخمورة

سقط من البهجة على ينبوع النور

جعلته حين جُل ينام مرة أخرى

وملأت كبده بالدم وقلبه بالحرارة

في النهاية وضع قدميه في النعلين
واستجدى السُكَّر من شفتيها الياقوتيتين
خرجت المربية أمامه بالشمع
وحملته من هناك إلى الإيوان
لما حل اليوم التالي، جاء ملك إصفهان إلى جُل
مقبلًا
رأى وجه جُل شديد النضارة
ورأى شفتيها شديدة الحلاوة
كان يرى شفتين ضاحكتين مثل الياقوت
وقد عض العقل شفتيه بأسنانه بسببهما
كان يرى وجهًا جديرًا بالحُسن
وقد أدار القمر وجهه للحائط بسبب ذلك الوجه
لما رأى الملك وجهًا حسنًا جديرًا به
رأى في كل شعرة من شعرها آلاف العشاق
لما رآها الملك فضية الصدر وسكرية الشفة
وقمرية الوجه، فقد صوابه
قال لجُل: يا معرض الحُسن!
وجهك الجميل بستان الجمال
احتار القمر بسبب وجهك
فكان يظهر تارة ويحتجب تارة أخرى
ضج السرو بسبب قدك
وتخلص من قده
تألم السُكَّر من شفتي فمك
واضطرب لذلك
لم أعد ثملًا بعينيكِ
وصرت لاعبًا كالمحتال
كم تجعليني أطوف في الدم بسبب عشقك
ألا تعلمين كيف حالي في عشقك!

ما دمتِ درة الدرج النفيسة

فلا تكوني كالحمام في البرج في النهاية

هكذا أوقعتيني في مصيدتك

ولا يحررني منك سوى نزف الدم من مشامي

لماذا سلبتِ جسدي الروح

ما دمت قد استوليتِ على الروح، ولم تذكريني

إذا تعللتِ بالمرض

فقد شفيت الآن أيتها الفريدة!

ما دمت قد عانيت الكثير من المرض

فما أطيب القربان الذي قدمتيه لعين السوء!

المرض يناسبك أيتها الحسناء!

فوجهك المريض مثل الزينة!

عشقك بالنسبة إليّ مثل الحاجب دائمًا

ولكنك تتمردين عليّ مثل الجديلة

تجرحيني بغمزة من العين

وتسلبيني القلب بطعنة من العين

تُسكرين قلبي بعينيكِ

لأنكِ تملكين القدرة على السُكر

لما صار القلب فراشة على صورة وجهك

جننتُ بسلاسل شعرك

لما رأيتُ القلبَ في القيد

رأيت هوى ذؤابتك متعبًا

لا تتمردي أيتها الحسناء، واخضعي لأمري

فقد ملأتِ طرفي بدم القلب

لو تعرضين عني؛

لكي أتركك، فهذا محال

صرخت جُل بسبب كلامه قائلة:

الغوث منك أيها الظالم الفظ

أبعدتني عن المُلك

وجعلتني عاجزة بين خلق العالم

أغرت على مُلكي

والآن تقصد روحي

قالت تلك الحسناء هذا، وفقدت الصواب

فتعجب ذلك الملك من أ مرها

استدعى هرمز من الإيوان

وأعد الديوان من أجل أمر جُل

قال لهرمز: اصنع حيلة في النهاية

لعل هذه المرأة توافقني

لقد مرضت بسبب التفكير في هذه المرأة

فشُر عليّ في أمر هذه المرأة

فقد جَعَلتُ العقل حائرًا بسبب الجهل

وجَعَلتُ العين المبصرة ضريرة بالبكاء

أدعوها إليّ منتحبة تارة

وأطردها من أمامي ذليلة تارة أخرى

لا يجدي النحيب ولا تفيد المذلة

هذا ما عندي. فقل ماذا عندك أنت؟

أجابه هرمز إجابة حسنة قائلًا:

ربما كابدت جُل لوعة القلب

لو تريد العودة إلى الصواب

لا ترتبط بالحسناء بعد هذا

لعل قلبها يهدأ مدة

ويتحسن مزاجها

أعد لك الآن كل ما يمكن إعداده

وأرفع رأسك من هذا البلاط إلى الفلك

هكذا أتدبر الأمر شهرًا آخر

فلا تعرف طريقًا آخر سوى طريق الملك

أعالجها من ألم القلب
وأحضرها طائعة إلى الملك
لن أحيد عن خدمتك أبدًا
فحق نعمتك عليّ كبير
طاب حديث هرمز للملك
ومنحه ما لا يمكن منحه قط
منحه الملك مقدارًا من الذهب والفضة
لم يكن أحد قد جاد به في الأقاليم السبعة
لما وجد من الملك كثيرًا من الرعاية
قال له الملك: سوف تحصل على مكافأة أخرى
هكذا أجعل مكانتك فوق الفلك
فيقبِّل قمر السماء عمامتك
إنك فاضل وصامت وصائب الرأي
مبارك اليد وحسن اللقاء
لو أملك الذهب، ولو أملك المال
أمنحه لك لأنني أتفاءل بوجهك
قال هذا وأرسله معززًا مكرمًا
إلى إيوانه مرة أخرى

مرض جهان افروز أخت ملك إصفهان وذهاب هرمز لعيادتها وعشقه لها

ألا يا فارس جَوَاد المعنى!
أنت في الفكر بحر زاخر بجوهر المعنى
جعلت الدنيا القاسية لطيفة
بكل جوهر نظمته
تأتي بالشمع من الحجر الصوان
وتضيء من الشمع شمعة

هكذا تظهر ذلك الشمع المضيء

وتضيء شمعتك مائة جمع

الدنيا مضيئة من شمع خاطرك

لا تغيب؛ فالجمع حاضر من أجلك

ما دمت تضيء شمع الآفاق

فأنر سراجًا من أجل العشاق

هكذا قال ذلك الذي كانت له مهارة في الكلام

وزين الكلام في كل لحظة بزينة جديدة

إن ملك إصفهان كانت له أخت

تشبه السرو المختال

عُرِفت بالحُسن في العالم بأسره

كان اسم تلك الحسناء جهان افروز

سقطت ذات الساعد الفضي تلك طريحة في الفراش

بسبب ألاعيب الفلك الماكر

أرسل ملك الملوك إلى هرمز بسرعة

فقد سقطت لنا عاجزة أخرى

فانظر إلى العلة، واستمع إلى الكلام

ولا تقصر، ودبر الأمر بسرعة

لما سمع هرمز كلام الملك

ذهب إلى قصر أخت الملك

رأى قصرًا مثل الكنز المحفوظ

احتارت العين لجماله

وُضع سرير ذهبي أمام الصفة

ونامت جهان افروز عليه

اصطفت الحور حول سريرها

وقد أمسكن بالعنبر والكافور في أيديهن

وضعن ماء الورد والعود على وسادتها

في صينية ذهبية مستديرة

وضعت نقابًا على وجهها مثل القمر

واسترقت النظر إلى وجه الملك

توجه الملك إلى سريرها

وتعلقت القلوب كلها بذلك القمر

لما نظرت إليه جهان افروز

اضطربت الدنيا أمام عينيها

رأت وجهًا مضيئًا مثل الشمس

وشفة مثل ياقوت **بدخشان**(٣٠)

رأت قده كالسرو، ووجهه كالقمر

ورأت خطه زمردًا، وشعره مسكيًا

كان القمر يتمرد بسبب خطه

وقد أحضر خطًا إلى القمر بالحُسن

عقد خطه يديه حول القمر

وكان يعقد الوردة الندية على النخل في الخضرة

لما كانت جديلته تبدو ممطرة للمسك

كان خطه يبدو دقيقًا

كان خطه يرسم حلقة حول القمر

وكانت جديلته تقطع الطريق في المدينة

ملك وجهه في الحسن ذاك وهذا أيضًا

وله سنابل من العنبر على وجهه القمري

كان غصن الياسمين يرى القمر في العنقود

وكان يرى القلب منزويًا بسبب ذلك العنقود

لما أظهر ذلك الدر الوضاء وجهه

اسوَّد يوم جهان افروز

غلى قدها الفضي على الفراش الناعم

مثل بحر يفيض بالنار

اشتعلت في روحها نار شديدة

فارتعدت، وسقطت من فوق ذلك السرير

هكذا كانت تلتهب من تلك النار التي بداخلها
حتى إن القميص كان يحترق خارجها
اسوَّد الزمان أمام عينيها
وفقدت الصبر والاستقرار
كيف يصبر شخص في العشق
والقلب لا يطيقه لحظة
لما فقدت تلك المحبوبة غير الصابرة العقل
أسقطت تلك الحسناء كثيرًا من الأمطار بدون سحاب
بقيت الجواري حائرات حولها
ونثرن ماء الورد و المسك مثل الأمطار
لما تنبهت تلك العاشقة
بكت كثيرًا مثل ثمل مثقل بالذنوب
خجلت من حالها، وتعجبت
وشعرت بالعطش، وجفت شفتاها
قالت لقلبها: أهذا بلاء أم أنه طبيب؟
فقد غرق وجهي في الدمع بسببه
أدرك هرمز أن غصن الياسمين تلك
وقعت في عشق هرمز مضطرة
ذهب، وقاس نبضها
لما قاس نبضها، نهض من المكان
قال: أفدت من هذا الأمر
فذات الوجه الحسن هذه عندها انتفاخ
يجب إعداد العلاج المناسب لها
لعل العلاج يكون لائقًا بها
قال هذا، وخرج من الديوان
ونامت جهان افروز هائنة في الدم بسببه
قال هرمز للأصحاب: لقد احترق قلبي
وانشغلت بأمر جهان افروز

لا أعلم كيف أجافيها

ما دمت أعلم أنني سوف أكابد البلاء بسببها

أنا هنا حزين القلب

أحسنتُ ويلزمني هذا

ولكن ماذا أفعل ما دام الأمر قد وقع؟

ومثل هذا حدث كثيرًا في الدنيا

قال له الأصحاب: اسعد حالًا

فقد قالت لك: اثمل بمثل هذا العشق

ستسعد كثيرًا بهذا المكان اليوم

لأن أميرتين تعشقانك

تحبك جهان افروز وجُل

فلماذا تأسى على الدنيا؟

الشخص الذي يجاور هاتين الرفيقتين

لماذا لا يركن إلى العالميّن؟

لا يقل شأني بسبب تلك الحسناء

لما يكون العاشقان ثلاثة فهذا أفضل

لا يجوز أن يكون هناك أقل من ثلاثة

فالقِدر لا يثبت بدون ثلاثة أقدام

الآن يناسبك العشق

فتاجر؛ ما دمت تملك رأس المال

يتحسن أمرك بالمعشوقتين

فالحَمَل ذو الأُمّين يكون أكثر سمنة

ونفث في الطب

ونضج خبزك من الوجهين

فلتمارس العشق في الخفاء مسرورًا

ولا تجعل قلبك مستاءً من أمر الدنيا

هكذا ضحك الملك من ذلك الكلام

فسد الطريق على الكلام بالضحك

كان خسرو يحترق بسبب الوسواس طوال الليل حتى النهار

مثل شمع كان يحترق حتى السحر

لما ظهر الدف الذهبي الدوار

ألقت النجوم الأنوار الفضية في الدف

ذهب خسرو طبيبًا إلى جُل

ومنحها الدواء الجديد من أجل الداء

لما كانت جُل خالية برهة

قال لها رمزًا عن جهان افروز

وإنه منذ التقتني تلك المعشوقة

سَلَبتْ روحها القلب

الدنيا مزينة بوجه جُل

فما دخل جهان افروز؟

ماذا يحدث لو يحترق قلبي بسبب جُل؟

ولماذا أعشق جهان افروز؟

قل لجُل: املأي قلبي بالحرقة

وقل للدنيا: ابقي بدون جهان افروز

قال هذا، وذهب من أمام جُل

إلى قصر جهان افروز الميمون

ظلت تلك الحسناء البهيجة محزونة طوال الليل؛

حتى ترى وجه خسرو في اليوم التالي

منحت زمام القلب إلى يد الشيطان

واضطرب قلبها تمامًا

لما رأت خسرو، صار وجهها كالياقوت

من الألم، وبسبب الخجل

خجل قلبها

ودخلت المخدع من الحياء

لما أُسر القمر في المخدع

جعلت طرفها دجلة بسبب الثريا

لما ظهر تفاح هرمز من الخط

أسقطت حبوب الرمان على الوجه

كانت تجري نهرًا على وجهها من عينيها

وكانت تجعل الكمثرى على تفاحه

لما كانت تبسط اليد الفضية

كان أساس العشق يصير أكثر إحكامًا

لما حصلت روحه على شريان القلب

كانت ترى جسده شريان روحها

لما أصبحت يد الملك على الشريان مباشرة

خفق قلب الفتاة مثل الدم في الشرايين

خفق القلب، وأدمى

ليُقَبِّل يد ابن الملك

بعد ذلك كان شريان الفتاة ينفر بسرعة؛

لأنها تقبِّله على يده في كل وقت

جلس العاشقان وجهًا لوجه

وقد تشابك شعرهما

أحكما بناء العشق

وتشابكت حلقاتهما

كانا يتحدثان بدون رسالة أو صوت

ولو أنهما يخفيان الأسرار بعضهما عن بعض

أشارا بطرف العين

وتركا العبارة

كانت جهان افروز تقول للقلب مرارًا

أيها القلب ليس هذا المحبوب سوى ملك

لقد رأيت فيه سمات الملوك كلها

ولم أسمع منه كلامًا سوى في الأدب

يخبرني قلبي أنه ملك

ووجهه شاهد على العظمة الإلهية

لما تطرقت هذه الفكرة إلى قلبها

منحت قلبها إلى ذلك المحبوب

قالت لخسرو: أيها الأستاذ العالم!

أرسلك الملك إلى هنا من أجل ذلك

حتى ينشغل قلبك بأمري

وتحل مشكلتي بسرعة

ألقيت النار داخل قلبي

فلماذا تخمدها بالبرد؟

إنك تبقى بداخلي

فماذا يجب عليك أن تفعل معي الآن؟

لا تتمرد، واخرج هذا العناد من الرأس

حرقتني من الداخل، فعالجني الآن

كنت أقول تغلغل بداخلي

وما أعلمه أنك تخرج عليّ

ماذا فعلت لك أيها الحقير؟

لا تكن بوجهين

اندلعت النار بداخلي

فلا تعتلي الجسر على هذا النحو

منذ وضع يده على يدي

ضاع قلبي من يدي بسببه

أي حزن كان هذا الذي أصاب روحي بسببه

فلا يمكنني الخروج من هذه المحنة

انشغلت بهذا العنيد

واندلعت بداخلي شعلة نار

بقيت في الحرقة من الرأس إلى القدم

ولا أعلم هل بقيت جهان افروز؟

أخشى عين السوء في هذه المحنة

وأخاف على نفسي من فضيحتي

ذهل العقل، وخافت الروح

أي عقل لم يصبه ذلك الأمر

أرادني العشق لحظة

وأصابني بكثير من الجنون

لو أخفي هذا الحزن في قلبي

ماذا أصنع مع وجهي الشبيه بالزعفران؟

ولو أخفي وجهي خلف الحجاب

ماذا أصنع مع قلبي المحزون؟

أصابني هذا الداء- الذي بلا دواء- بسبب القلب

واندلعت هذه النار المشتعلة بسبب القلب

لو مرضت مائة سنة

لكان هذا أفضل كثيرًا من هذه التعاسة

جاء بلائي في دوائي

أي اضطراب هذا الذي أصاب روحي!

أمرت، واستدعت الملك

فأجلسوه عندها معززًا

قالت له: ألا تسأل كيف حالك؟

مع الحرقة الداخلية والخارجية!

من ثم استفسر عن أحوال حرقتي

واسأل عن طول لَيلِي

الأطباء الذين يسألون عن الرفيق

الأفضل لهم أن يسألوا عن المتألمين

لو تعاني المرض مثل الرفاق

افعل الأفضل من هذا، وواسيني

ما دمت تعلم باشتياقي

فلا تحرقني بلهيب الهجر أكثر من ذلك

عالجني، فأنا لم أحد عن الحق

في المحبة

أحقق لك كل رغبة ترغب فيها

وأنعم عليك في كل خطوة

اعقد الأمل فيّ وفي عيادتي

كن طبيبًا، وانشغل بأمري

ليس لي من أمري هذا سوى التعب

ولا صلة لك بأمري

لا تفكر في مرضي

وكأنك لا ترى ألمي

لعلك لا تجد رعاية مني

فلا تكون السيئة جزاء الحسنة

كان لها جارية صغيرة ماهرة

كان اسمها حسنا

كان قدها مثل سرو الجداول

وكانت تتبختر مثل القطاة

وجهها كالقمر، وذؤابتها كالعنبر

صدرها كاللبن، وشفتاها كالسكر

فمها صغير مثل خرم الإبرة

ووسطها كالحبل

شفتاها الياقوتيتين ضاحكتان

أسنانها اللامعة تعويذة الحسان

حملت عيناها سهام الأهداب

واصطاد كل هدب مائة روح

منحته جهان فروز حسنا

لما رآها خسرو، أعجب بها

لما تجلت حسنا أمام الملك

تدللت

سلكت الطريق إلى الملك مثل أسد الغابة

واحتالت تلك العيّارة كالثعلب

احتار الملك من حُسن حسنا

فقد أظلم القمر أمام صورة وجهها

هكذا سلبت تلك الحسناء خسرو القلب

فحملها إلى المنزل بسرعة

كان يرى فم تلك السكرية الشفة صغيرًا

وكان يرى القلب على بعد مائة فرسخ

لما فتن بها الملك العاشق؛

أدمى من كثرة المحبة

لما ألقت حسنا البرقع في زاوية

قبّلها الملك خمس قبلات أو ست

لما أغار على قلبها متعجلًا

أعد أمر الطرب

لما رافق الملك القمر شهرًا

وقع في حبها

على هذا النحو أحبا بعضهما البعض

وبقيا معًا مثل الوردة والسكر

لما مرّ شهر على هذا الأمر

ذهب خسرو إلى جُل في الصباح الباكر

وقال لها: لو يأتي الملك إليكِ

لا ترديه، واجلسيه معك

اخدعيه، واحتالي عليه

واضحكي في وجهه، وانسجمي معه

ما دام الملك قد سُرَّ برؤيتك

فاطلبي منه الخروج إلى البستان

حتى تخرجي من بستان الملك خفية في السحر

أنت وتلك المربية العجوز

هكذا أحملك إلى بلاد الروم بسهولة

وتتبخترين من الدلال مثل القطاة

لا يعفر التراب طرفك

ولا تنثني شعرة على جسدك

ما دمنا قد وقعنا في المصيدة مثل الطيور

يجب السعي في البحث عن الفرصة

طاب كلام الملك لجُل كثيرًا

فقالت له: يا من حافر جوادك وجه القمر

لا تترك جهان افروز بمفردها

ولا تدع فتاة في هذا الأمر

ما دمت تعلم أنها تحبّك

وأن قلبها قد وقع في مصيدة عشقك

وما دمت تعلم ما ألم العشق

فلا أريد مثل هذه العيشة لأي كافر

ماذا تدبر لهاتين العاشقتين

ويبدو أن الأمر ليس على ما يرام

ما دام لي أمل الحياة في الدنيا

فإن جهان افروز ثقيلة عليّ

أرى الدنيا أكثر ظلمة في ذلك اليوم الذي

أرى فيه وجه جهان افروز

ما دامت لي روح وحياة خلف الحجاب

أظن أن جهان افروز قد ماتت

أنا التي بقيت حائرة في أمرك

وظللت في الغربة بعيدة عن عشقك

هكذا شردت من أجلك

واخترتُ الغربة، وصرتُ عاجزة

إنك تملك قلبًا مثل الحجر أيها المبهج

وترشقني بالحجارة كل يوم كل يوم

لتكن الدنيا شوكة في عين خسرو

لو يفضل أحدًا على جُل

لو أحب أحدًا سواكِ

فإنني لا أملك عقلًا أو ميثاقًا، بل أملك قشرًا

أنتِ نور القلب أيتها الملائكية

ولا كانت لي لحظة طيبة بدونك أبدًا

لما جاءت جُل الشبيهة بالسكر قالت:

يا من ملك الفلك مات أمام وجهك

ليفيض قلب عدوك بأمواج الدم

ولتكن الموجة من ذلك القلب أكثر من مائة بحر

أنا يا عزيزي التي أوفيت لك

وسلك قلبي طريق رضاك

توجهتُ بجسدي ووجهي إليك

ووضعتُ رأسي على قارعة محلتك

ما دامت قدماي في محلتك

فإنني أراقبك

أنا طاهرة القلب في عشق وجهك

وقد عفرت وجهي بالتراب أمام وجهك

لا أرى الدنيا مضيئة بدون وجهك

ولو تراها أنت بدوني، فأنا لا أراها

لا يفارق وجهي وجهك

ولا يخون وجهي وجهك

أنا وفية لك بكل شعرة

حتى لا يكون في هذا نفاق أو رياء

لو لم تجعلني أبكي فهذا حسن

فلم يكن لي وجه نضر أبدًا

أذرف الدمع من عيني لأسباب كثيرة

بدون وجهك

منذ ألقى بي قلبي في هذه المحلة

شَقَقَت دموعي وجهه

لم تبق لي رغبة سوى في البكاء

يلزم وجهك حاجبي

لما رأت عيناي وجهك اللطيف

اخترتك من الأرض بأسرها

أرى القمر في وجهك في كل شهر

وأرى قلبي متجهًا إليك

لو أنظر ناحيتك

لا أستطيع النظر إلى وجهك

لم أر مفرًا لي من وجهك

ولا أرى نظيرًا لك في الوجه

لو أواجه وجهك

أشيح بوجهي عن أوجه الحسان

ولو تبتلي وجهي بمائة بلاء

كيف ترى مني النفاق والرياء؟

ولو أخونك

أعاقب وجهي بألم الهجر

ولو تعرض عني مرة

أدير وجهي إلى الحائط حزينة

إنني لم أنظف الوجه من غبار محلتك

وأنت غير محزون، والسعادة تبدو على وجهك

لو أرفع القدم عن خطك

أضعها مثل النقطة في وسط الدم

بسبب عشق البيغائين

أضع القدم على الرأس على شكل دائرة

لما أرى ذلك العارض مثل الفضة

تتشاءم أنت من أن أجلس عليه

إنني مثل الخط المستقيم معك دائمًا

وأصبح مثل المسطرة على الخط بسبب تلك اليد

أكتب على القمر أمامك أيها القمري الوجه
وإلا فاجعلني كالمحبرة سوداء الوجه
أنقلب على رأسي كالقلم أمام خطك الأخضر
وأطوف مثل الفرجار
أنا مطيعة لك
ويتساوى لساني وقلبي بالورقة
لما قالت جُل هذا الكلام، خرج خسرو
استمع الآن كيف صار الحال بعد هذا
لما مضى شهر على مرض جُل
دخل ملك إصفهان في الصباح الباكر
كان يرى شفتي جُل مثل الوردة المتفتحة
وكان يرى روحه حية بسبب شفتيها
لما خجل السُكَّر من ابتسامة جُل
ضاق؛ لأنها كانت محزونة
لها ذؤابة عنبرية مثل الوهق
في كل شعرة منها كمين لروح
وجهها شديد الحُسن والجمال
يفوق كل حُسن تتحدث عنه
ثمل العقل في وهقها
بقى وجهه مثل القمر في شصها
لما رأى الملك ذلك القمر الفضي القوام
رأى حول القمر المسكي مصيدة
استراح قلبه في شباك جُل
فالشباك تليق بالراحة في الدنيا
قال لجُل: يا من السكر صورة شفتيك
كل ليل لك أفضل من كل نهار
ليكن القمر والشمس تاجا مفرقك
ماذا أقول؟ وليكن لكِ من كل واحد منهما مائة

إذا حان الوقت أيتها الحسناء القاسية

فلا تجعلي الملك كسير القلب بسببك

لو تريدين الذهب أو ترغبين في الفضة

ولو تطلبين مُلك الأقاليم السبعة

جميعها لك يا من أنا غلامك

ما دمت أنا غلامك، فهذا كاف

من أكون؟ إذا لم أكن كلب محلتك

أي كلب أكون؟ إذا لم أكن غلامك الهندي

فقدت الصواب وسط حلقتك

أنا الغلام حلقة في أذنك

هكذا أنا حلقة في أذنك، وأعرف الحق

فاعركي أذني، وامنحي رأسي للنخاس

إنني غلامك الهندي الحارس

أدللك وأبكي لبكائك

تبحثين عن غلام طيب، فابحثي عن غلام مثلي

وسمي حسن حظك باسمي

ما دمت ترين قلبي يغار عليك

فإن شفتيّ يا بستان، ووجهي مملوء بالدمع بسببك

لا تكوني عديمة الوفاء لي أكثر من هذا

فقد عجزت بسبب ألم الفراق

قالت له جُل: أيها الوفي في الزمان!

أنا المحبوبة الوحيدة لك

قلبي مكتو، ولو أنني أتكلم كلامًا سخيفًا؛

فلا تتضايق مني؛ فأنا حادة الطبع

أنت تعلم أنني منذ عشقتك

أبعدت عن المُلك

لا كان في طريقك غبار بسبب جُل

فالوردة تصير مثل الشوكة في عين جُل

ليكن الفلك محملك السريع

ولتسعد بتحقيق رغبات القلب ليلًا ونهارًا

الشخص الذي يتمرد على ملك مثلك

لا يملك العقل الراجح

الآن تخليتُ عن العناد

فتذوق السكر من شفتيّ جُل

الآن شفي مرضي تمامًا

وتضاعفت قوتي، وزال ألمي

ماذا أقول؟ ما دام هرمز طبيبي

فإن جسدي له نصيب من العافية

هرمز طبيب مسعود الطالع

والهندي ملك الدنيا دائمًا

إذا لم يكن هرمز هذا طبيبك

لما كان لك نصيب من جُل العنيدة

منذ قاس نبضي في البداية

اعتراني البسط، واختفى القبض

كل حيلة ودواء أعده لي

لا يجوز القول إنه أساءه بل الحق إنه أحسنه

الآن كل مكان ينزل فيه

لا يستطيع الحزن البقاء فيه

لو يركد الماء في مكان

يصير لونه وطعمه غير مستساغين

الآن حمل قلبي من هذا الإيوان

وقد رغبت جُل في ذلك

امنحني يومًا أرى فيه بستان الملك

وبعد ذلك أسلك الطريق بسرعة

استرق السمع إلى تغريد البلبل زمنًا

وأبكي زمنًا فوق تيجان الورد

يطيب تغريد البلبل خاصة في البستان

وقد امتلأت إصفهان بالورد مثل جناح الغراب

خشى قلبي على روحي بسبب الضيق

ومن قسوة الدنيا عليّ

اندلعت النار في قلبي، وأدمى كبدي

ويتجدد حزني في كل لحظة

لو يتم السماح لي بالذهاب إلى البستان

تفرغ رأسي من هذا الألم

أعود إلى الصواب الآن إن كنت ضالة

وأطلب من الملك الآن الذهاب إلى هذا البستان

لعل قلبي يبتهج مرة

وإلا أخرج مترجلة

لما أعود، لا أملك أي عمل

سوى تقبيل الملك واحتضانه

ولكن ما دمت لا أريد إيذاء القدم

فإنني لا أطلب أقل من كنز مقابل القبلة

ولو أن التقصير منك

فلا تشتر إذا لم ترد، وتذوق

هكذا سر قلب الملك من ذلك الكلام

وليكن حال كل قلب يشعر بالحزن مثل حاله

لم يكن الملك يعلم ذلك المكر والتلبيس

فَجُل أستاذة وتلميذها إبليس

مثال الماكر الماء القليل

الذي يصير بحرًا مظلمًا فجأة

ولكنها أسيرة في مثل هذا المكان

ويجوز لها أن تسلك سبيلك المكر

قال لها الملك: يا وردة بستان روحي!

أمامك حديقتي وبستاني

لا أضن على معشوقة مثلك بالجنة
فماذا يساوي البستان؟
اذهبي بمفردك؛ لو تلزمك الوحدة
لعلك ترافقيني في وقت آخر
اذهبي بمفردك ما دمتِ لا تريدين رفيقًا
فأنت شمس ولا تريدين القمر
توجهي نحو ذلك الخلد المملوء بالحور
واذهبي بمفردك. فالشمس تفيض بالنور
اذهبي حتى تعودي من هذا البستان بسرعة
وتخلصي القلب من هذه الحرقة
اذهبي بمفردك فالوحدة غير مضرة
ما دام ماؤك لا يجري في نهرنا
لم تنم الدرة الوضاءة لحظة في تلك الليلة قائلة:
متى يتنفس الصبح على وجه الليل؟
كأن تلك الليلة ثابتة في المكان
وقد قيدت نجومها نجمة نجمة
كانت ليلة مثل جدائل الحسان الطرازيات
في السواد والطول
نادى مناد في الزمان
إن الليل والنهار خالدان
لما سلك القمر الطريق في الأفق
خرجت شمس يوسف من البئر
لما ألقيت السفينة ذليلة في البحر
جلست تلك المعشوقة الحسناء في الهودج
عندئذ ركبت مائة جارية
ووقف الخلق ينظرون
كان الخدم والحراس يتوجهون إلى كل ناحية
كانوا يضربون على الخشب، فكان العقل يفقد الصواب

لما اتجه ذلك السرو الشامخ إلى البستان

ضج الورد والسرو

كان بستانها جنة تحت ظلال طوبى

وكانت الورود مثل السُرُج

كان البستان مثل الفردوس الأعلى في الجمال

كانت جُل الحور العين في ذلك الفردوس الأعلى

أقامت الطيور الحسنة الصوت

على أغصان الأشجار مزهوة

كان الماء يجري في أنحاء الخميلة

ويسري حول البستان

لما اعترض الصخر الماء الجاري

كان الماء الفضي يهدده

خرَّ الماء الجاري في الجدول قائلًا:

إنني ذهبت، ولكن لن أعود مرة أخرى

لما بكى الغيم في السماء

ضحك وجه الأرض كله

اضطربت الأوراق

وفاضت الأحواض بالماء

لما أطلقت الأمطار السهام

ألقى الماء الدرع في الحوض

لما صنعت الأمطار درعًا من كل سهم

أعدت من كل ماء آلاف الأشكال

لما توارت الغيوم خلف الجبل

توهجت الصحراء بسبب الشمس الملتهبة

خلعت الحسان الفضيات الصدر

ذات الوجوه القمرية الثياب في الطريق

صارت تلك الرقيقات عاريات

من أجل اللعب في الماء

علقن الأُزر على الورد النضر

وقفزن في الماء مثل النار

العجيب أن تلك المبهجات

طلين الشمس بالمدر في ذلك اليوم

كانت مجموعة تتسلق الأشجار

ومجموعة أخرى تناطح الإيوان برؤوسها

سبحت مجموعة

وغاصت مجموعة أخرى تحت الماء

تسلل الماء إلى أذن واحدة

اعتلت واحدة رأس الأخرى، واعتلت واحدة كتف الأخرى

ارتعشت كل واحدة من البرد مثل الصفصاف

فجرت من الظل نحو الشمس

هكذا استرخت تلك الحسان في الدفء

فظهر الماء في عين الشمس

لو كان هناك شيخ هرم

لصار شابًا طريفًا في الحال

كانت جُل قد جلست على الشاطئ

وكانت تضحك مثل السكر طوال الوقت

من ناحية أخرى دخل خسرو

وذهب لعيادة ذات الصدر الفضي تلك

لما لم يكن يرى جُل في الإيوان

أسرع إلى الملك الإصفهاني

قبّل الأرض أمام ذلك الصدر

وقال للملك: يا من أنت في رفعة السماء!

لتكن الدنيا طوع أمرك، ما دامت باقية

وليتحقق لك كل ما يرجوه قلبك

ذهبت إلى الخاتون، فوجدتها في البستان

وكأن الدنيا مثل السراج من نورك

قلبها محموم، والجو حار

فلماذا ذهبت من هذا الإيوان إلى البستان؟

الآن لو تذهب إلى البستان مرة أخرى

يظهر المرض نفسه مرة أخرى

الأفضل أن تحضرها اليوم في الهودج ليلًا

على مهل

لعل المرض لا يعاودها

فالطبيب لا يهمل علاجها

قال له الملك: أيها الطبيب الشبيه بعيسى

لقد أمضت جُل أقل من يوم في النزهة

الآن تلك ليست جُل لو تراها أنت

لقد صارت معي مثل السكر بعد العداء

صارت وفية وحسنة الطبع

وقد اندلعت النار في قلبها بسبب حبي

الكلام الذي قالته لي اليوم

لم أكن قد سمعته منها من قبل

عشقني قلبها الآن

وتخلص من سوء الطبع والحدة

قال هذا، وجهز خلعة

ومنحها لهرمز، فنهض هرمز بسرعة

لما صار وجه الفلك الصديء أسودَ اللون

سلك القمر الطريق تحت السواد

جاءت جُل إلى المربية وقالت: انهضي

واسلكي الطريق مثل الرسول السريع

فهذا الوقت وقت رحيلنا

وليس في الطريق عسس ولا حراس

ينبغي الرحيل ما دام الليل قد حل

وجلست الثريا في القاع أيضًا

قالت هذا، وعندئذ فتحت باب البستان

كانت ليلة مثل جناح الغراب في السواد

مثل هذا الليل بدا أمام عين تلك المبهجة وهي فانية

أكثر إشراقًا من النهار

الشخص الذي يتوجه إلى المحبوب

لا شأن له بالليل والنهار

كانت تفكر في الأمر

وكيف ترى وجه المحبوب بسرعة

ما أطيب اختيار أقرب طريق للمحبوب

وأنت تعلم أنك يمكنك رؤيته

لما قطعت جُل والمربية مسافة من الطريق

وصلا إلى خيمة هرمز

كان خسرو قد أعد زاوية

وجهزها من أجلهما

دخلت جُل والمربية الزاوية خفية

ولم يناما لحظة خوفًا من الملك

لما بسط طائر الصبح الجناح

وأيقظ الغافلين

غلت الدنيا مثل بحر مملوء بالنار

بسبب طلعة الشمس المتمردة

غطى غبار الزعفران الأرض

واكتست عروس السماء بالحرير

لما أضاء وجه الأرض

طافت الحسان جميعهن في كل ناحية

أسرعن إلى قصر جُل المحبوبة

ولم يروا غبار جُل في الهواء

لم تكن المربية في البستان ولا جُل

فأخبروا الملك

بأن جُل والمربية اختفيا من البستان

واحترقت قلوبنا على جُل مثل الشقائق

لم نكف عن البحث زمنًا

ولا يجد أحد أثرًا لهما

كأن جنًّا اختطفهما

إذ كيف يمكن قول هذا الكلام في النهاية؟

غضب الملك من ذلك الكلام

وأدمت شفتاه بسبب دم القلب

لم يبق صبر في قلبه ولا سكينة

وقد تحطمت رغبة القلب تلك، ويئس

قال لهن في النهاية: كيف كان الحال؟

لم تكن جُل طائرًا، حتى تخرج من الإيوان

لعل جُل صارت بلبلًا، وطارت في الهواء

وفرّت إلى خوزستان، ومضت عن شباكنا

وإذا مضت جُل، فأين ذهبت المربية؟

إنني لم أر أمرًا قط أعجب من هذا!

لو حمل جن القمر من البستان

لماذا لم يترك العفريت في المكان؟

ولو كان للجن معرفة بالقمر

فلماذا لم يحرر ذلك الشيطان؟

إذا حمل الجن الحورية من البستان

فأي شأن كان له مع العجوز القبيحة؟

لا أعلم ما هذه الأحوال؟

ربما كان في هذا الأمر مكر واحتيال

خَدَعَتْني حتى علقت بشباكها

فذهبت إلى البستان، وهربت منه

كأن شخصًا أخذها من الطريق

وحملها من البستان ليلًا فجأة

بقيت عاجزًا في هذه الأفكار

من يعلم هذا الذي فعلته بي

ضاق الملك بألم العشق كثيرًا

وأرسل الفرسان كل واحد إلى ناحية

نادى منادٍ فجأة

كل من يعلم شيئًا عن تلك الحسناء

يحصل على ثروة من الخزانة

لا يمكن أن يحصيها في زمن

دعا الملك المحترق القلب- وهو منشغل بهذه الأفكار

وحزين- هرمز في اليوم ذاته

شرح له حال جُل كله

حتى إن هرمز اضطرب من قوله

قال للملك: ألمْ أقل لا يجب حملها إلى البستان

ودماغها مملوءة بالهوس

كيف يناسب التنزه شخصًا

قلبه مفعم بالألم

إذا لم يكن القلب مسرورًا بالتنزه

لم تكن النزهة بالنسبة إليه سوى رياح

حين يكون قلب الإنسان مسرورًا، وهذا هو الأصل

فهذه هي النزهة في كل فصل

قال هذا، وقال للملك: أيها السيد!

لا ينبغي أن تتقيد بهذا الغم

اخرج من هذا الأمر بسهولة وبدون عناء

مثل الشعرة من العجينة

علم قلبي بهذه المشكلة

وأن تلك الحسناء حملها جن من الطريق

لعلها نثرت الماء مستاءة

فماؤنا نار للجن

لعل هواء كان في الماء

فخطف جُل

أحرك حلقة الأسرار هذه الآن

لعل هذا الباب ينفتح على يدي

بعد ذلك ملأ طستًا بلوريًّا بالماء

ووضعه أمام الشمس المنيرة للدنيا

ورسم خطًّا حول ذلك الطست

وكان يدور حول الطست، وهو يقرأ التعاويذ

كان يتنفس في الماء الصافي تارة

وكان يرسم خطًّا في كل ناحية تارة أخرى

نفذ هرمز كل حيلة كان يعرفها

أمام الملك الماكر

وقال له: ليبشر الملك

فقد حمل جن القمر من بستانك

فقد كان لجُل النضرة جن قرين

وقد اختطفها ذلك القرين

ولما كانت المربية قد نامت معها في مكان واحد

فقد علقها الجن من قدم واحدة

الآن كلاهما على وجه الأرض

ولكن على ربوة جبال الصين

أطلب الأمان من الملك أربعين يومًا

حتى أجلس في الخيمة خفية

أتفرغ للأمر، وأقرأ التعاويذ

وأهزم الشياطين في الخيمة

أحرق الكثير من الأعواد اللينة في الخيمة

وأروض الجن تمامًا

أحتال كل حيلة أعرفها

وأقرأ التعاويذ المختلفة

ولكن أريد أن يعلم الملك
ألا يدعوني إليه طيلة أربعين يومًا
ولا يرسل أحدًا إليّ أيضًا
لأنني سوف أغلق الباب عليّ
ما دامت هذه الأربعون يومًا قد مضت
أعلم يقينًا أن الحرقة فارقت الملك
أظهر الفن أمام الملك
وأخرج فضية الصدر تلك من الصين
وما دام هذا الأمر قد تم على يدي
فسوف يعود القلب المحزون إلى صوابه
ولكن ما دمت قد أظهرت المهارة
فقد أسعدت قلب الملك كثيرًا
أطلب كنزًا من الذهب لمهارتي
وأريد مائة جوهرة زيادة
قال له الملك: ما دمت قد هيأت الأمر لي
يكون الطلب منك، والعطاء مني
لا أبخل عليك بأي شيء تريده
ولو تطلب مني المُلك
لما قال الملك ذلك الكلام لهرمز، ذهب إلى الباب
وأسرع إلى قصر جهان افروز
لما رأت جهان افروز طلعته
رأت قلبها وروحها بلاطيّن له
ليس هناك سبب يدعوها إلى إفشاء الأسرار له
ولا تستطيع أن تشرح له الرموز
لا صبر لها على الصمت، ولا طاقة لها على الألم
شفتاها يابستان، وقلبها ملتهب، وآهاتها حزينة
هكذا قالت جهان افروز لخسرو:
يا من لم أر لك قرينًا على وجه الأرض

هكذا وقع أمر لملك الملوك

فسقطت في طريقه شوكة من جُل

الآن اعلمي أيتها المبهجة

أنني تركت الخدمة أربعين يومًا

أجلس خفية في زاوية الخيمة

لعلني أجد أثرًا لتلك المفقودة

احتارت جهان افروز لأمره

وأذرفت الدمع مثل الأمطار من الأهداب

بدا وجهها مثل النيلة

وضعفت قواها بسبب ذلك الحزن

كان هرمز قد جثا على قدميها

فكيف ينهض بسرعة من المكان!

لما رأت تلك المضطربة رأسه على قدميها

لم تتمالك نفسها

قالت لهرمز: ها أنت مضطرب

ولم أر مضطربًا مثلك قط!

لعلك غبار الطريق، فتضطرب

ما إن جلست حتى ذهبت!

إنك تشبه الشبع في الحدة والسُكر

فلم ير أحد وجهك حين جلست

لا تستقر عندي لحظة

ربما امتلأ فراشي بالعقارب!

تَعُدُني من آكلي البشر

ولا تقترب مني، ما دمت تستطيع

الآن ما دمت لا تستقر على الأرض

فقد اضطربت مثل الطير في الشباك

اذهب ودبر الأمر للملك بسرعة

وأخبره عن جُل بسرعة

يمكن رؤية الهلال بعد ثلاثين يومًا أيها المبهج
ومضيتَ أنت أربعين يومًا
قالت هذا، وأذرفت دمعًا غزيرًا
مثل الغيم بسبب الغيرة
احترق قلب خسرو لكنه
خرج من أمام تلك المحبوبة يائسًا
عاد إلى الخيمة في الحال
وأخلى خيمته من المتاع
قال للأصحاب: تجرعت السم بلا شك
وينبغيْ الرحيل عن هذه المدينة بسرعة
ذهبنا نحن السبعة: ثلاثة رجال وأربع نساء
جميعًا خفية في هذه الليلة
إن هذه الفتاة الزنجية بلاء لي
ولكنها وفية لعشقي
لا يجب قلتها، ولا ينبغي حملها
ولا يمكن الحياة معها ولا الموت!
المرأة الثانية: حسنا المبهجة
لا يقول اتركها إلا سيئ الأدب
والمرأة الثالثة: المربية، والمرأة الرابعة: جُل
ومن الرجال: خسرو وفيروز وفرخ
قال هذا، وأحضر الدابة
فنثرت الغبار من الأرض إلى السماء
انطلقت الدابة مثل الريح
وسبقت الفلك في المسير
قطعوا ستين فرسخًا في الصحراء
في يوم وليلة
كثيرًا ما ضلوا الطريق
وتغلبوا على الصعاب متعاونين

ساقوا الجياد، حتى مضت عشرة أيام

فوصلوا إلى الصحراء من الجبال

ظهرت قلعة في تلك الصحراء

عجز الوهم أمام بُعدها

كانت القلعة تعلو الأفلاك

وكانت أوسع من ساحة الأرض

كأنها كانت ظهيرًا للفلك

وكانت الكواكب حولها مثل النوافذ

هكذا كان سطحها يناطح الأفلاك

وكانت تجعل وجه السماء على الأرض

هكذا انحنى برجها من حمل الفلك

كأنها حملت ظهر الفلك في بطنها

كان هناك شاب فوق الحائط العالي

قد جلس حارسًا للفلك العالي

قال خسرو للأصحاب: استعدوا للقتال بسرعة

في هذا الزمان

فهذه القلعة مكان اللصوص الأشرار

لم أرها مطلقًا، ولكن هذا واضح

لما بدا خسرو في الصحراء

صاح الحارس من أعلى

لما سمعه خسرو

رأى خيمة شديدة الارتفاع

لما وقف الرجال أمام الخيمة

أرسلوا النساء إلى أعلى

لما مضت لحظة، انفتح باب القلعة

وخرج منها عشرون فارسًا

زأروا كالأسود

ووصلوا إلى أولئك الفتيان

أمطر الملك وفيروز وفرخ ثلاثتهم،
ثلاثة أشخاص بوابل من السهام في لحظة
لما غرق أولئك الثلاثة في دمائهم
تحلق اللصوص المتفرقين مرة أخرى
وضعوا أولئك الأشخاص الثلاثة في الوسط
وصار أولئك القادة الثلاثة هدفًا لهم
عقد الملك هرمز وسطه على شاكلة جبل
مثل أسد مهيب
غلى السيف في كفه مثل النار الملتهبة
لكنه كان لامعًا
هكذا شتتهم مرة واحدة؛
فاضطربوا كالفلك بسببه
لما طرح البعض، وقيد البعض
وقف في ذلك الطريق مثل شجرة
كل من يأتي من اللصوص مرة أخرى
كان يخضب سيفه بكبده، ويقضي عليه
لما رأى اللصوص شجاعة هرمز
كانوا يلتقطون أنفاسهم مثل النساء؛ خوفًا منه
تعجب صاحباه من مبارزته وقوته وانتقامه
وامتدحاه قائليَّن:
إذا كان رستم يرى بسالتك هذه
كان يسارع إلى قيادة جوادك
وإذا كان عبدًا لك، فهذا لائق
فإن لك اليد الطولى في فنون العالم
يمكنك أن تأتي بمائة دليل على كل أمر دقيق
فأنت ملك محظوظ
لم يعلم القائدان
أن الفلك فعل فعله فجأة

هرع اللصوص الثلاثة إلى أعلى

فرأوا النساء

فصدوهن فجأة

وأحضروهن من الطريق إلى القلعة

عندئذ خرجت الفتاة الزنجية

وتقدمت وفي يديها بعض الحصى

اتجهت إلى اللصوص، وقذفتهم بالحجارة

ولما أطلقوا السهام عليها؛ هربت من الخوف

أصابوا كبدها بسهم

واستقرت الحربة في خاصرتها

انحنى قدها كالقوس بسبب السهم

وانقطع نَفَسها، وأسلمت الروح

انبعث صوت من القلب عند الموت:

يا هرمز! تعال حتى أراك مرة أخرى

انظر فقد ثأرت الدنيا مني

قالت هذا، ورأت وجهه، وأسلمت الروح

هذا هو أمر الدنيا العجيبة!

وهذه هي ثمرة شجرة العشق!

انظر، أي حزن أصاب تلك العاشقة المسكينة!

حتى أصيبت بسهم في بطنها في النهاية

كانت تقاسي في حياتها

فأسلمت الروح في شبابها بمرارة

لما قبض الفلك القابض للأرواح روحها

خلصها من أمر الدنيا في الدنيا

هرعت إلى كل ناحية زمنًا

وقد جاءت من التراب، وذهبت إلى التراب

لما قتلت الفتاة، قفزت المربية

وطلبت الأمان، وجلست على التراب

لما رى اللصوص وجه تلك المربية

وجدوها بلا نصيب من الحُسن

قطعوا حلقها في ذلك الوقت، وهي تنتحب

وألقوها على الأرض ذليلة

وقالوا: خلصنا هاتين التعيستين من هذا الزمان الصعب

فماذا كانتا تفعلان هنا؟

الفتاة والمربية العجوز كلتاهما شديدتا القبح

فهذه مثل الثلج، والأخرى مثل الإصبع

لكن لهاتين المرأتين نصيبًا من الجمال

ويجب حملهما هدية إلى المدينة

كانت تلك المربية العجوز تطوف بين التراب والدم

بجديلة مثل اللبن

لما اضطربت مدة وسط الدم

اعترى تلك المضطربة حال

تألمت كثيرًا لأمر الدنيا

وفي النهاية ماتت في يد الدنيا

ماذا يمنح الفلك الإنسان منذ البداية؟

حتى يأخذه منه مرة أخرى في النهاية!

أيها القلب! لماذا تنشغل بالعالم؟

فإنك لا تضحك فيه، ما لم تبكي مائة مرة!

لماذا تتعلق بهذا السجن الفاني؟

فالقافلة لا تنشغل بالطريق

تنتهي الحياة سريعًا مثل الشمع

ولا مفر لك من هذه الدنيا

الحياة تنقضي في لحظة

والشخص الذي لا يملك تلك اللحظة؛ تحرر

ماذا سوف تفعل في الحياة

التي لا تدوم لحظة؟

لماذا تتعلق بشيء سوف

تحرمك منه الأيام

ما دمت قدمت؛ لا تبقى لك زوجة ولا ولد

يتحرر قيدك من القيد في أسبوع

لا تبقى لك فضة ولا بستان ولا روضة

ولا يبقى لك جسد ولا قلب ولا عين مبصرة

لما يَسلبوك كل ما تملك

يحضروك إلى صحراء المحشر ذليلًا

لما تأتي إلى صحراء المحشر، تعلم

كيف أضعت عمرك هباءً!

لا تشغل القلب بالدنيا الخائنة

ولم يبق لك منها عرش ولا زرع

ما دمت تعلم أنك لم تر سعادة طوال عمرك

في هذا السجن الفاني

ماذا سوف يرافقك سوى الحسرة؟

يكفيك هذا من هذا المنزل المظلم

لو يدللك الفلك اليوم

لا تأمن له؛ فإنه لا ينسجم مع أحد

لقد صار الفلك المنحني الظهر مثل *زال*[٣١]

متعدد الزوجات كثير الأولاد

لن يسلم أحد من القتل

سواء أكان شيخًا هرمًا أم طفلًا رضيعًا

ولا يبالي سواء أكان هناك مأتم أم عرس

فإنه لا يملك القليل من دود الأرض هذا

***

لما كانت جُل ترى المربية، وهي تسلم الروح

وكانت تراها وقد سقطت بين التراب والدم

لم تطق ذلك الظلم والذلة
فصرخت بسبب الدنيا، وانتحبت
شقت الكتان على جسدها
ومزقت قميصها مثل الوردة
صار المدر صحراء من دماء عينيها
واسودَّ التراب من سواد عينيها
كانت تتأوه، وتقول: أيتها العزيزة!
لماذا أسرعتِ الخطا إلى الرحيل؟
وضعتِ رأسك على بابي مثل الحلقة
وأسلمتِ الروح منتحبة، وأنت مطيعة لي
ضحيت بالقلب والروح في سبيلي
وأوفيتِ لي كثيرًا
لقد كنتِ روحي وحياتي في الدنيا
ما دمت قد رحلتِ؛ فاسلبيني الروح
لقد كنتِ حزينة على شبابي
فلا أريد الحياة بدونك الآن
لقد كنتِ أنيستي في كل بلاء
وأشفقتِ عليّ في كل جفاء
واأسفاه! إنك لم ترطبي شفتيك بالطرب
وكابدتِ الألم طوال عمرك ولم تيأسي
يسرتِ لي الأمور، ووافقتيني
وعطفتِ عليّ، وحفظت أسراري
يا إلهي! لقد مت في شبابي
وسئمت هذه الحياة
كان حاجبي طاقًا من الطرب دائمًا
وفي كل لحظة يفارقني حبيب
يبعدني الفلك في كل لحظة- بسبب انعدام الوفاء-
عن رفاقي

لا عجب أن ينفصل ظلي عني

مثلما فارقتني مربيتي

ماذا يحدث إذا رحلت تلك العطوفة؟

وقد كانت روحي تمضي في إثرها

لما رأى اللصوص وجه جُل فجأة

ضحكوا مثل البراعم بسبب ذلك القمر

نظروا، فكانت حسنا معها

كانت إحداهما الشمس، والأخرى كوكبها

أخذوا الجميلتين وحملوهما إلى القلعة

وعهدوا بهما إلى الحراس

لما مضى اللصوص من المعركة إلى القلعة

قصد خسرو أعلى القلعة

لما جاء ابن الملك إلى الخيمة

رأى امرأتين وقد سقطتا على وجهيهما

رأى السيدتين مقتولتين في ذلة

ووجد الاثنتين الأخرتين قد فُقدتا

أقر الأشخاص الثلاثة معًا

أن اللصوص الأخساء فعلوا ذلك الأمر

قتلوا القبيحتين فجأة

وحملوا الجميلتين من الطريق

ساء أمرهم

واشتد الخطب بأولئك الأشخاص الثلاثة

كان الملك المضطرب يسقط دماء القلب كالأمطار

أمام الأصحاب

قال للأصحاب: احتالت جُل كثيرًا

وكابدت البلاء كثيرًا، وحزنت

وشعرت بكثير من الغم في كثير من المدن

الآن صارت مثل اللقمة، ووصلت إلى الشفة

خطف واحد هذه اللقمة من يدنا

ولكن ما الفائدة من هذا ما دامت جديرة بالسلب؟

لو أبعثر مائة شعرة بالتدبير

فلا يمكن لشعرة الهروب من المقدر

كان هؤلاء الأشخاص الثلاثة معًا طوال اليوم

وقد أفشوا أسرار جُل وسمعوها

لم يجدوا سببًا لرحيلهم

أو بقائهم واستقرارهم

قالوا جميعًا: لو نبقى شهرًا

لا يسلك واحد منا الطريق إلى القلعة

ربما نصبح طيورًا، ونطير

ونحط على برج هذه القلعة

هكذا أدمى قلب خسرو من تلك الغصة

وسال الدم من عينيه

صار وجهه كالزعفران، وجفت شفتيه

وكان ينثر حفنتي تراب على شعره المسكي

قال للأصحاب:

ماذا يساوي ذلك العاجز المسكين عند اللصوص الكافرين؟

إلهي! أنت تعلم كيف حالي!

وأنت مرشدي وإمامي

ارحمني، فقد صرت مسكينًا

وشردت عن مُلكي

حطم قيد هذا المضطرب بفضلك

واجمعني بالمفقودتين

إنني لا أملك من الدنيا سوى الاحتضار

ولم أحقق رغبة القلب زمنًا

لم أر قلبي بلا حزن لحظة

ولم أر نفسي مسرورًا لحظة

أدمى قلبي، بحقك الخاص

تخلصني من هذا الألم الليلة

لما جاوز ألمه الحد

دخل صاحبه لمساعدته

قال فرخ الحرّ لخسرو:

ليفرغ الملك من أمر جُل

فإنني كثيرًا ما قطعت الطريق

وكثيرًا ما التزمت بهذا الأمر

أسرق ذلك القمر هذه الليلة أيضًا

وإلا فلا تدفع لي أجري

سر قلب خسرو من ذلك القول .

وكأنه كان شيخًا، فصار شابًا

كثيرًا ما أثنى على فرخ، وقال:

لتبقى خالدًا أيها الرجل العاقل

أمضيا ذلك اليوم على هذا الأمل

حتى غربت الشمس فجأة

لما غربت الشمس عن الفلك

امتلأت بحور الفلك كلها بالجوهر

أخرج ملك الزنج جيشًا من الحبش

جعل عتبة الفلك كالقير

كان الليل حالكًا

وقد جلس الحراس للحراسة

جاوزت الليلة الحد في السواد وصارت

مثل النيلة والدخان الممزوجين بالقطران

كان الليل حالكًا، وكان فرخ زاد غاضبًا

وقد ارتدى السواد مثل إنسان العين

لما تشابه قباء هرمز بالليل

لم ينفصل الليل عنه، ولم ينفصل هو عن الليل

لما خرج فرخ من أمام هرمز
كان يعود بمفرده من خلف القلعة
كان خندق القلعة غارقًا في الماء
وتجمع الماء حولها أيضًا
لم ير حارسًا خلف القلعة
قد اعتلى جسرها منذ زمن بعيد
ألقى الوهق على برج معمور من بعيد
من أسفل ساتر تلك القلعة الترابي
جرى مثل القطة، وصعد
كان أفضل من الكلب في الجري مائة مرة
رأى أسفل السور سقفًا عاليًا
فألقى بالوهق على الجدار المرتفع
جاء من السور إلى السطح في لحظة
ورأى ضوءًا في جانب المكان
توجه إلى نافذة حافيًا
فوقعت عيناه على رجل وامرأة
كان ذلك الرجل الظالم يقول للمرأة:
أيتها المرأة! لا تتخاذلي أكثر من هذا
ما دمت قد صقلت الخنجر للعداء
فإنك متعطشة لدمي بسبب الغلظة
لماذا لا تتحدثين بما أرغب؟
لماذا تحرميني من رغبتي؟
إذا لم تحققي لي رغبة قلبي؛
فإنك لا تملكين في القلب سر الحفاظ على الروح
تعالي، واخضعي لرغبتي
واطلبي هوى رفيقك
كانت تلك المرأة حسنا المحبوبة
وقد انقلبت في الشباك مثل الطائر

كانت تقول للص: أيها السيد!

قيد يد ملكنا أولًا

ما دام الملك قد وقع في أسرك، قيدني أنا

لأنني خائفة منه وقلقة

لما تأسر أولئك الثلاثة

أفتديك بقلبي وروحي

احملهم من الطريق، وعندئذ

اطلب رغبتك برغبتك

كانت تتحدث على هذا النحو أمام ذلك الرجل

لعلها تتخلص من ذلك الخسيس

لما دنا فرخ من النافذة

سمع صوتًا من مكان بعيد

توجه إلى ذلك السطح مثل الدخان

وأي دخان، لا يمكن القول كيف كان!

رأى قصرًا مفتوح الإيوان

وقد جلست جُل فيه، ووضعت شمعًا

جلس لص أمام جُل

فمه مغلق، وعيناه غائرتان

لما رأى فرخ جُل

صفّر لها من فوق السطح من الفخر والتوفيق

لما ألقت جُل نظرها ناحية السطح

أدركت صفير الرجل المحتال

توجهت إلى السطح، وفتحت له الباب

ومنحته السلاح والسيف في لحظة

قالت لفرخ: في القلعة عشرة رجال

ومجموعة أخرى من القواعد العواجيز

إذا لم يكن لك سبيل إليّ

لما كان رجل أو امرأة يبحث عني

الآن ما دمت قد جئت، فانهض بسرعة، واحذر

واجعل الدخان يتصاعد من هذه المجموعة الشبيهة بالنار

فقد تخضب قميصي وزينتي بالدم حزنًا

على مربيتي

في تلك اللحظة التي اختطفني فيها اللص من المكان

تألم قلبي لموت المربية

لم أعرف أحدًا قط في تلك اللحظة

ولم أكن أنظر أمامي أو خلفي

وإلا كيف كان اللص يحملني بسرعة؟

ولكن هذا الأمر كان تقدير الله

قالت هذا، ونهضت بسبب الحزن على المربية

إذ كيف استعديت لقتال اللصوص؟

انطلقت جُل مثل غصن السرو

وأسرعت إلى فرخ الحرّ

لما وصلا إلى دار حسنا

صفّرا لحسنا على سبيل الحيلة

لما نظر ذلك اللص الخسيس من الخلف

سرعان ما جعلت حسنا رأسه كرة في الطريق

لما فرغوا، استعدوا للهرب

وبحثوا عن بوابة القلعة في كل ناحية

أخرجوا رجلًا وامرأتين إلى الطريق

ومن هناك سلك الأشخاص الثلاثة الطريق

لما كانوا يجوبون في القلعة

وجدوا عشرة رجال محتالين قد ناموا في القلعة

في أقل من لحظة شق الأشخاص الثلاثة

العشرة أشخاص نصفين بالسيوف

لما فرغوا من أمرهم

سلكوا الطريق من هناك إلى أعلى

قيدوا أيادي النساء جميعًا

وعندئذ فتحوا باب القلعة

نادى الملك وفيروز

فأجاب كل واحد عليهما

هكذا سر الملك من صوت جُل

وانطلق في الطريق مثل المجذوب

لما وصل أولئك الأحرار إلى هناك

أغلقوا ذلك الباب، واستراحوا

كانت جُل المضطربة تسقط الدم على التراب

وقد تراكم التراب على قميصها البالي

أذرفت الدمع من عينيها النرجسيتين

فجعلت أديم الأرض مثل الأرجوان

نما الورد من أمطار دموعها

أين رأيتَ الوردة التي نمت بالدم؟

صاحت، وضجت مثل البحر

كأنها شقائق نمت فوق الصوان

ضاق قلب الملك بسبب تلك القمرية الوجه

وقال لجُل: لا نصيب لكِ من العقل

ما دامت المربية قد قتلت، فما التدبير الآن؟

فلا دواء لألم المقدر

لا يتراجع القضاء بسبب بكاء جُل

ولا يتبدل تقدير الله مرة أخرى

ما دامت الفتنة قد اشتعلت بسبب هؤلاء اللصوص المنحرفين؛

فلا يستقيم لنا مثل هذا الأمر بدون قتل

لا تخرج الجرة من الماء سالمة

وما أطيب الحجر والجرة الصلبة!

تحزنين حتى يوم القيامة

ولا ترين المربية مرة أخرى!

إنكِ تعلمين يقينًا أن المربية العجوز
ملَّت الفلك الكئيب كثيرًا
كثيرًا ما رأت شرَّ الدنيا وخيرها
وكثيرًا ما تكلمت في شتى الأمور، وكثيرًا ما سمعت
لا تحزني على المربية هكذا؛
فإنها قد قضت عمرها كله
احزني على تلك الفتاة الزنجية في النهاية؛
فقد كانت أحسن كثيرًا من المربية
احزني عليها؛ فإنها أفضل من المربية
ولها نصيب من الثقافة والحسن
للفتاة ميزة في القتل؛
فاللصوص غزاة، وهي شهيدة
ضحكت غصن الياسمين من قول خسرو
كأنها كانت ميتة، ثم عادت إلى الحياة
كانا طوال الليل على هذا الحال حتى النهار
حتى رفعت الشمس العلم على الفلك
غلت الأرض مثل نهر النيل
وارتدى الفلك النيلة مثل الصوفي
خرجت عروس السماء من خلف حجاب القار
تتهادى مثل الطاووس
لما تفتحت وردة الشمس على الفلك
سقط شعاع الكواكب في الجاروف
طافت المرأتان مع فرخ والملك وفيروز
حول القلعة في اليوم التالي
وجد خسرو كثيرًا من المال والنعمة
سواء أكان ذهبًا قديمًا أم ثيابًا جديدة
منحها كلها لفيروز وفرخ قائلًا:
ليكن لكما منها أضعافًا مضاعفة

كثيرًا ما أثنى فيروز على الملك

وكذلك فعل فرخ، وقال:

نحن من عبيدك أيها الملك

وازدهر زماننا برؤيتك

إنك نافذ الأمر علينا

ماذا تقول؟ أي مكان لنا!

لو تمنحنا الذهب أو الفضة

لا تجد منا سوى الرضا

لا نحيد عن أمرك مطلقًا

فنحن بدونك اقل من تافهين

لما عقدوا أحمال الفضة والذهب معًا

انفصلوا بعضهم عن بعض

قال لهم خسرو: ابقيا لو تريدان

وإلا فاسلكا الطريق من هنا

بعد ذلك ذهبوا جميعًا إلى التل

ومضوا إلى المرأتين القتيلتين

طهروا المرأتين من الدم

ودفنوهما، وقلوبهم تدمي

جميع الخلق الذين كانوا في الأفلاك

خضب طريقهم إلى الأرض بالدم

أنت كذلك أيها الرجل العاقل

تكون دمًا تارة، وحفنة تراب تارة أخرى

الشخص التعيس تحت الفلك

رجوعه بين التراب والدم

ما دمت تتلون بهذا اللون الصديء

فلونك لون الجيفة، مهما كنت حيا

لو تكدح في مائة عمل؛

تصدأ، وإن كنت من الفولاذ

ما دام لا يمكن البقاء هنا
فكيف يمكنك النوم آمنًا؟
لماذا تنام طوال الليل؟
فإنك سوف تنام حتى يوم القيامة!
جسد الإنسان حفنة تراب ودم
وهو غافل بين المجيء والذهاب
انظر، على أي نحو كان المجيء!
فما أطيب الدم والألم رفيقًا له!
انظر، كيف كان الرحيل؟ ومتى كان؟
فالموت والحسرة يعقبانه دائمًا!
انظر إلى مجيئك وذهابك
فإنه بقدر ما يزداد ينقص!
الشخص الذي لا يخجل
لا تذرف عيناه الدمع في كل لحظة

دفن جُل للمربية
وذهابها إلى بلاد الروم مع خسرو

ألا أيها الغصن الشبيه بغصن طوبى! كيف حالك؟
لا تكن معلقًا هكذا مثل الغصن
مررت في الشرق والغرب مثل البرق
ولكنك خارج الغرب والشرق
أنت مثل السراج في مشكاة الحسن
سراج أغصان البساتين الثمانية
ما دامت عيناك مبصرتين بنور الكونين
فزيتك من زيتونة القدس
تضيء بذلك الزيت حتى
تحرق شمع السماء

ما دمت غصن شجرة لا مكان

فقد ارتوت شجرتك بماء الحياة

اطلب شعاعًا من ذلك النور المبارك

وأعمِل العقل حين تتكلم

سيطر على الطبيعة بالمعاني

واكشف وجوه عرائس الكلام

بعد هذا تعلم سحر الكلام

أيها البليغ!

واأسفاه يوجد قمر، ولا يوجد مشتري

والدنيا مملوءة بالجوهر، ولا يوجد جواهري

نظم الكلام سهل

ولكن إذا لم يكن عذبًا، يكن جهلًا

حين يجيد الرجل البليغ

لا يجوز أن تختلف النهاية عن البداية

لو يكون التلميذ ضعيف الأساس

يكون دليل آفة الأستاذ

الآن انصت أيها الرجل العالم

وانظر إلى عروس نطق المعنى

هكذا قال من كان شيخًا هرمًا

سعيد الحظ من كان متكلمًا

لما دفنت جُل المربية في التراب

سلكت الطريق من هناك إلى بلد أخرى

سارت جُل وحسنا الحسناء وخسرو

مع الأصحاب قطاع الطرق

هكذا ساقوا الجياد في الصحراء

فصارت كالريح العاصفة على وجه الأرض

إذا كان يترك كل واحد منهم العنان

كانت تطوي الدنيا في قفزة واحدة!

ساقوا الجياد على اليابس شهرًا
وظلوا في سفينة شهرًا أيضًا
لم يخرج خسرو من البحر
وصل إلى حدود بلاد القيصر
ساقوا الجياد عشرة أيام أخرى
حتى اقتربوا من قصر القيصر
كان فرخ زاد قاطع الطريق يمضي من المنزل مسرعًا
حتى بلاط خسرو
استأذن الملك، ودخل
عندئذ شرح له الحال، وكيف صار
بكى الملك المحزون كثيرًا في تلك اللحظة
وتأوه من روحه وقلبه
غضب الملك من ذلك القول
وتعجب من أمور الفلك العجيبة!
كان يقول أيها الفلك الذي لا قيمة له و لا اعتبار
ما أطيب القيود والطلاسم الملتوية!
لم يحظ أحد قط بمهارتك
والعالم بأسره مضطرب بسببك!
نادى منادٍ في المدينة
ليزينوا المدينة بأسرها
يزينون المدينة من أجل الملك
ويجعلون الدنيا جنة الخلد المبهجة
هكذا يعدون الزينة مسرورين
لتصير الروم تاجًا على مفرق العالم
في كل ناحية اتجه إليها فرخ زاد
وجد شيئًا آخر من كل مانح
قصد الخلق الطريق
وأخبروا نساء المدينة

فخرجت مائتا خاتون في عشرين مهد منسوج بالذهب
وتقدمهن فرخ
لما وصلوا إلى خسرو
رفعن النقاب من على وجوههن الشبيهة بالقمر
قبّلن الأرض أمام الملك
وقضين تلك الليلة في ذلك القول والسماع
لما تخبطت هذه السماوات السبع
ظهرت آلاف الطيور الذهبية
خلا برج السماوات السبع هذه
من طيور الأنجم
خرج القيصر في اليوم التالي
لاستقبال الابن البهيج
أمامه وخلفه عشرة آلاف فارس
وكل من كان من السادات
لما وقع نظر خسرو على القيصر
نزل من فوق المركبة احترامًا
قبّل عشرة أماكن من الأرض أمام الملك
وبعد ذلك انحنى، ثم وقف
بكى الملك بسبب محبة القلب
وتقدم خسرو إلى القيصر
احتضنه الملك، وبكى منتحبًا
بكى كثيرًا أثناء السعادة
أجلس السادات الرجلين
وأبعدوا القوالين عن ذلك المنزل
لما وصلا الملكان مزهوين
بسطوا الأطلس تحت حوافر الجواد
اشتعلت الفتنة زمنًا
وغبر التراب والغبار الصحراء بأسرها

سارت الجنيبات والهوادج

وجرى خادم في كل جانب

اعترى *يلان*(٣٢) حال في المقابل

فأخلوا طريق الروم من الخلق

انقلبت آلاف المظلات الذهبية

وكانت تظهر في كل ناحية

كانت جُل قد جلست في هودج

فوق دابة سريعة

رأس تلك الدابة مثقلة بالذهب

وشعرة منها تنكس ألف رأس

وحول جُل هوادج أخرى

احتجبت فيها مائة وخمسون حسناء

جياد مسرجة

أَزِّمتها مرصعة وأطواقها ذهبية

فاضت الأرض بأمواج من الذهب والجوهر

عالم من الرجال والنساء في العالم

كانوا قد أقاموا طاقًا في كل مائة خطوة

حتى اتصلت بطاق السماء

جلست الحسان وجهًا لوجه

وكن يتجرعن الخمر الملون في كل ناحية

كان الموسيقار يغني

فكان البلبل يكثر من الصياح على الوردة

كان الكأس يدور على أنغام الصنج

وكانت أنغام الصنج تمضي فرسخًا

كان صوت الصنج ينبعث من خلف الحجاب

وكان الناي يجيبه مثل السُكَّر

ذهل العقل، وامتعض

وكان كأس الخمر يغلي مثل القدر

لما أفرغت جُل الكأس

أسلمت آلاف الأجساد الأرواح

ضجت المدينة بأسرها مثل البحر

من الجلبة وصوت الشراب

ولم يستطع الفلك الهرم أن يغلق فمه

في العالم بسبب السرور

ذهاب خسرو وجُل إلى البستان

لما مضى شهر على الزينة

ذهبت الحسناء وذلك الملك إلى البستان

كان لخسرو بستان خارج المدينة

تتراجع أمامه الجنة في الحُسن

في روضته ثلاثون خميلة

ألقى الورد بعَرَقه في حوضه

أي حوض، فالشمس ضياؤه

وماء الورد ماؤه

جرى الماء في نواحي الخميلة كلها

لذلك كانت رياحينها نضرة

السرو الشامخ يملؤها

والطرق مغلقة تحت الصفصاف والعوسج

يعلو الخميلة أشجار الدلب

والسرو والصفصاف والرمان

هكذا كانت الأغصان ممتلئة بالثمار

إلى حد أنها سدت الطريق أمام الأمطار

من خفة أغصانها الجذابة

لم تر السماء وجه أرضها

كانت ضفاف جداولها خضراء

وكان فيها كثير من الطاوويس والبط

أمام البستان قصر مثل الجنة

طوبه: طوبة من الفضة وطوبة من الذهب

وُضعت الأرائك الذهبية في كل ناحية

متقابلة حول الحوض والإيوان

وطُرحت الثياب الملونة الواردة من كل مكان

وبُسِطَت بُسُط من الحرير

هكذا أعدت الزينات بكثرة

حتى إنه لا يمكن شرح هذا الترفه

كان قصرًا مرتفع الإيوان

ناطح سقفه الثريا

أمام صفته عرش من الفيروز

مرصع ببعض الياقوت

قبته الذهبية عالية

كانت تمطر شذرات المسك من أعلى

كانت تنثر المسك في كل لحظة

ولم يكن ذلك الذي تفعله بسبب الغلظة

خراج الأقاليم السبعة في جانبه

وفي وسطه طوبة من الذهب وطوبة من الفضة

لم تكن البُسُط والفراش والثياب بالقدر الذي

تعرف الريشة رسم شرحه

كان قصرًا مثل معرض الصين

كان قصر جُل من أجل هذه الخلوة

جلست جُل على العرش مثل القمر

ووقفت الحسان أمام العرش

واحدة على رأسها تاج مرصع

وأخرى مرتدية ديباج أزرق

وقفت آلاف الممشوقات القوام كالسرو

على أقدامهن؛ وقد ذهل العقل بسببهن

العالم مطوي في ذؤاباتهن
ولا حيلة له مع أعينهن
ألقين النقب على وجوههن من الخجل
وقد تساقط السكر من شفايفهن الياقوتية على الطريق
وقفن جميعًا أمام جُل
وبقين في المكان؛ لرؤية وجه جُل
جاء ابن الملك ليلًا
وقال لجُل: هيا يا ابنة القمر!
امنحي الخمر؛ فالنوروز غدًا
وينبغي إعداد حفل بهيج
الآن تعالي مرة؛ حتى نحتفل معًا الليلة
أيتها الحورية!
فقد غطى الماء الزلال وجه الأرض كله
وهبت ريح الشمال
ألقي نظرة أيتها المحبوبة على الصحراء
فقد خرج لب الفستق من القشر
تصاعدت النار من الحجر الصوان
وأدمت الجبال بسبب الشقائق
الدنيا نضرة، والأيام ربيع
السماع حسن، والشراب عذب
لا مفر من التنزه في هذا الموسم
فالطير المنتحب صوته خفيض
كانا الثملان معًا على هذا النحو
حتى عقد النهار متاعه هاربًا من الليل
نزل ملك الشمس فجأة
من فوق جواد الفلك الأشهب
ترجل الملك الذهبي الوجه الفاضل
من فوق الجواد كالفيل

لما أطل الهلال من الفلك

والدخان الأزرق

قاد الليل جيشًا يرتدي السواد

وانتشر من الأرض إلى السماء

ظهر الجواد شبديز مع زوال النهار

ومضى النهار، فحلَّ الليل بسرعة

طرب جُل وخسرو معًا

ليل أطيب من نوروز الشباب

والخمر صاف مثل ماء الحياة

ثمل جُل وخسرو كلاهما

ووقف خسرو ممسكًا ذؤابتها بيده

ارتدت ذؤابة جُل المراوغة السواد

وصار الليل مثل النهار من ضياء جُل

أضاء وجه تلك الدُرَّة الوضاءة- الشبيهة بالنهار-

الليل الحالك مثل النهار

صارت الأرض مسكية الرائحة من رائحة شعرها

جفت شفة السُكَّر أمام قندها

تناثر السكر في خوزستان من ضحكتها

وأطلق عبدها السهم في إصفهان

أشعلت جُل النضرة النار فيه؛

فضحك، وأمسك بذؤابتها

سقط قلب الدنيا في خرقتها

ووضع العقل حلقته في أذنها

لما ألقت جُل- الحسناء مثل السرو-

الوجه على الرأس، والرأس على الصدر

ابتلت ذؤابتها بالمسك النديّ

وأظلم الضوء من ضياء وجه جُل

صب القدح الشفق في حلق جُل

تصببت جُل عرقًا من الخمر مثل القدح

لما كانت جُل ترفع البرقع من على الوجه؛

كان البستان يتأوه من الخجل

وإذا كانت تطرح الشعر الأسود على الرأس

كانت تلقي القمر والشمس على الرأس

وإذا كانت تلك الرقيقة تتناول الكأس؛

كان النفير العام يعم الفلك

تسول السُكّر السكْر من شفة جُل الياقوتية

وقد ارتدى ذلك السكر خرقة بنفسجية

كان وجه تلك الحسناء يتوهج من الخمر

فكان يضيء للملك في الوحدة

لما نهضت تلك القمر من فوق المسند

خفق القلب المنزوي

لما نهضت جُل الثملة من المكان

قال لها الملك: لقد ثملتُ

لما تنهضي، تجلس السلامة

لما تجلسي، تقوم القيامة

أدمى قلب خسرو دائمًا بسببك

لأنني متعلق بقلبك مثل الدم

امنحيني هذه الليلة الشراب بيديك

فخرابي من عمار حسنك

لا تضعي جديلتيك- الشبيهتين بهنديين مدرعين

يغيران على الترك- على كتفيك

تناولي الخمر الزعفراني معي لحظة

ولا تتمردي أيتها الفضية الصدر مثل الذؤابة

قال هذا، وأعد عجينة السكر من شفتيها الياقوتيتين
وطوق خصرها بيديه
تأوهت تلك القمر غيرة من الملك
فقد كانت هي العاشقة، وكان الملك المعشوق
صارت ذؤابة جُل الهندية النضرة ألعوبة
في يد التركي المغير
ألقى الجوهر على النطع، والوجه على الملكة
ووضع السكر على الورد، والقصب على القمر
تناولت القمرية الوجه الخمر من يد الملك
وقد كانت الخمر وردية اللون والرائحة مثل وجهها
كانت تسقط السكر، وتتدلل بشدة
وكانت تتجرع الشراب المر في لطف
كانت تقبل الكرم بالسكر
وتمسح التراب بالمنديل مع كل جرعة
أطلق خسرو الثمل اللسان
وقال لجُل: يا من فقدت الصواب بسبب السكر
ما دمت ثملة؛ فامنحي الخمر من شفتيك للسكارى
واجلسي لحظة، فقد نام السكارى
لا تستائي من لهونا
واسعدي لحظة، ولتسعدي معنا
كان طائر السحر يصيح منتحبًا
اخفض النواح أيها الطائر الذهبي
لما سمعت جُل كلام الملك، نهضت
ومثلت أمامه، والخمر في يدها
كان خسرو يخجل أمام قدها
وكان يتلقى السهام من عينيها النرجسيتين
جعل قدها مثل السرو الشامخ
وسرعان ما استقر أمام قدها

كانت تبسط كمها على الملك

فأمسك ذيل القمر بتلابيبها

توجهت إليه بالذؤابة المسكية

وقالت: ليكن مباركًا عيد أنسه

بقي الملك وجُل كلاهما معًا

وكانا يطوفان حول الخمائل ثمليّن

امتلأت مشامهما بالمسك من رائحة الخمر

وجففا الشفايف الندية بالقبلات

ذهل قلب جُل بسبب الخمر

واشتعلت النار في وجهها

لما اندلعت النار في شفتي جُل بسبب الخمر

وكأن النار قد اشتعلت في نعليها بسبب الخمر أيضًا

أظلمت عينا الملك السفاكتين للدماء

شوقًا إلى حمرة وجنات جُل

ذهب إلى جُل ويده على قلبه

حتى يضع يديه في الطين مع جُل

قالت له جُل: يا من سلكت طريق الظلم

الغوث من يدك الظالمة!

ما دام لا حاصل لك مني

فخذ هذه الخمر؛ فليس هناك ساقي سوى جُل

عاتبتني مرة أخرى

كأن لم يبق لك حساب

أنا ثملة بعينيك، وثملة بالخمر أيضًا

احزن في النهاية بسبب هذه الثملة

تمزق قلب جُل من النرجس، وقالت:

أنت نرجس، وتملك هذا الحطب!

خطك مثل المسك والعنبر الخالص

وكلامك مثل السُم، وشفتاك ترياق!

لا تكن شهوانيًا هكذا

فالشهوة تمر مثل السيل

لو تكن هناك لذة في ذلك الشيء الذي لا يبقى أكثر من لحظة

فلم تكن تلك اللذة سوى وخز

تحرر من الشهوة بالسُكر

وابتعد زمنًا عن كل شيء موجود

ما دمت قد ثملت، طف مع جُل لحظة

حول بساط الصحراء الصديء

حتى تبتهج في العالم

اسعد مدة في العالم مثل جُل

ثمل الملك بسبب حديث جُل

وسقط ثملًا، وفقد الصواب

فَقَدَ قلبه الصواب بسبب النوم الهانئ

فقد غلى قلبه من حرارة الليلة الماضية

ألقى الصبح على وجه الزمان

لبن الليل مثل الطفل

وبسط يديه المعقودتين على صدره مثل الأطفال

وكشف الجِلال عن وجهه الوردي

أطل من فراش الفلك

وضحك، وملأ الدنيا بالسُكَّر

لما رفعت عروس الخضر الخضراء العلم

مثل الطاووس على هذه المظلة الزرقاء

خرجت من الحمل مثل المظلة المنسوجة بالذهب

وانقضى عام ناثر للفضة على الدنيا

لما صار هذا الطاووس الذهبي في الحمل

تبدل ذهبًا زمنًا

توهجت الجبال كلها بسبب الشقائق

وارتدت الصحراء كلها حلة من الخضرة

كأن تراب الصحراء اختبأ تحت الغبار الأخضر

ذرة ذرة بسبب الخضرة

تخلل الهواء ماء الخضر

وغطى كنز قارون الأرض

كانت الخميلة تتجرع الكأس من يد جُل

وكانت رياح الصبا تمشط شعر كل غصن

اتخذ ساحل الجدول درعًا من الخضرة

وتمنطق الجبل بالشقائق

كأن الخميلة كانت تملك مدرسة

لأنها كانت تملك كثيرًا من الأطفال في البستان

تفتحت آلاف الورود حديثًا مثل الأطفال

وحملت ألواحًا من الأوراق الخضراء

لما كانت رياح الصبا تتجلى عليهم بمائة روح

كانت تضع كل وردة إصبعها على اللوح

كأن الدنيا العجوز أصبحت شابة

وصارت الأرض من الخضرة مثل السماء

طارت آلاف الدمى ذات الثياب الصدئة

من فوق الأغصان مثل الرسائل

سبحت آلاف الطرائف الساحرة الغمزات

على وجه الينبوع

خرجت الآلاف من ذوات العيون الجريئة الكحيلة

من خلف الحجاب

أطل آلاف الأطفال الرضع الصغار

من المهود

صاح العندليب على الوردة منتحبًا

فتحدثت الوردة في ا لمهد مثل عيسى

صاح البلبل الآكل للسكر من فوق غصن السرو

بسبب سكر الحبيب

صنعت الخميلة مروحة من ريش الطاووس

وصارت روح الصبا مثل الروح المحبوس

تناولت الخميلة الحساء من يد الوردة

ووضعت حلقات في أذان المسطحات

سلكت مشاطة ريح ا لسحر الطريق

إلى عرائس الخميلة في لحظة

هبت رياح الصبا عاصفة في العالم

فمزقت غطاء الوردة الأخضر

ضحكت شفايف ثلاثة أشياء مرة واحدة:

المزارع والجداول والمحبوب

أضاءت الدنيا المبهجة الشمع

وأحاطت جنة- مرتدية حلة- بالجمع من جميع الجهات

خصلات شعر الأرض مثل السنبل

وجه البستان الطلق مثل السوسن

أشهرت الشقائق الخناجر من فوق الجبل

فأطلق السحاب سهام الندى لا جرم

ارتدى البنفسج خرقة فيروزية

ووضعت الزهرة الصفراء التاج الموشي بالذهب على رأسها

بدا ريش الطاووس بنفسجيًّا

ونثرت البراعم الدُرّ، وقبلت الأرض

جذب البنفسج الثمل من شدة السُكر

الشقائق إلى الحجر الصلد، وعاتبه

كان البنفسج طفلًا بسبب العجز

ولكن لم تأت منه قوة الشباب

جثا البنفسج على ركبتيه صامتًا

مثل الدراويش

كان البنفسج يرتدي الخرقة في *الطامات*(٣٣)

ولكن النيلوفر من أهل الكرامات

فقد بسط النيلوفر سجادة على الماء
مثل الأصحاب المرتدين للأزرق
لما تموج الماء بسبب رياح النيروز
اتخذ النيلوفر من وجه الماء درعًا
لما ألقت عليه الشمس الحرارة والضوء
حمل الدرع، وألقى به في الماء
بدا الأرجوان مثل الفأس، وكان يسفك الدم
وكأنه دم الكبد
خضبت الثياب كلها بالدم؛
فخرجت الألسنة من القفا
وقع الكافور في المصيدة خِفية
فصار شعره مثل القطن وهو في شبابه
ماذا يحدث لو كان يوم الشباب يلد شيخًا
ولكن السحاب كان يرضعه في كل لحظة
لما بكت أعين الينابيع
ضحك الياسمين
لما ضحك، ظهر لسانه
أطلق اللسان، وبدا فمه
بدت الشقائق مثل العود والمجمر
النار خارجها، وداخلها العود العنبري
اندلعت النار على هيئة شعلة
كان قلبها يحترق في تلك النار كالعود
جاء البلبل الثمل راقصًا
فالوردة تتجلى بمائة طريقة
لما ناح البلبل على الوردة
ألقت الوردة الحربة، وارتدت الدرع
كان الصدأ ينفصل عن المهد
فصارت عمامته قباء بقطرة ندى

لما بقت الوردة اللطيفة في يد الصبا

دعت الله أن يدفعها عنها

لما كانت الوردة تدعو، كان البستان يسمع

وكانت رياح الصبا تهب في وقت الدعاء

لما أدمى نصل الوردة بسبب دم القلب

نثر كف السحاب الدُرّ عليه

لما أخذ الدُرّ، ظهر أصفر اللون في كف الذهب

فقال للبستاني متألمًا:

خذ الذهب، والدُرّ من العاجز

واعطني الأمان أسبوعًا في النهاية

في النهاية لم يأخذ الرجل ذلك الدر أو الذهب الخالص

ولم يمنحه أسبوعًا مهلة

لما كانت الوردة قصيرة العمر

كانت تنادي على القمري منتحبة

كان القمري العذب الصوت يتغنى بالوردة

وكان يقرأ «ق والقرآن» طوال الليل

شرح درس العشاق مثل الموسيقار

فاضطرب البلبل العاشق مثل موسى

كان يطوف في الروضة بسبب السُكر

وكان يكرر ذلك الدرس طوال الليل

أطلق البلبل اللسان مثل داود

وكان يتلو زبور عشقه على الوردة

لما كانت الوردة تكبِّرة بمائة لسان

كانت الفاختة تقرأ التفسير لشجرة الورد

كانت الفاختة تقول طوال الليل: يا حيّ!

إلى متى أظل بعيدة عن أغصان طوبى؟

لما كان الزرزور يقص سيرته من فوق شجرة السرو

كانت الشقائق تصيح

لما كان بلبل يغرد على غصن

كان يجيبه بلبل آخر

نَظَمَت البلابل حبات الدُرّ بالتغريد

وحكت الحكايات طوال الليل حتى النهار

انبعث صوت الصنج من الأغصان غصنًا غصنًا

فظهرت آلاف الطيور الملونة

لا أعلم من كان له بستان مثل هذا؟

وإن كان كذلك، كان في السماء!

وصف حفل خسرو

جلس الملك الرومي مثل جمشيد

على رأسه تاج لامع كالشمس

ووقف السادات والوزراء العظماء جميعًا

وقد عقدوا أيديهم

وقف الفتيان في ناحية من الطريق

ووقف المخنثون في الناحية الأخرى بوجوههم القمرية

ارتدى المخنثون الحرير المنسوج بالذهب

وقد توهجت رؤوسهم بسبب الخمر

تمنطقوا، وارتدوا عمامات ذهبية

واصطفوا أمام الصفة

تحلق الفتيان مثل الخط المسلسل

وقد كللت التيجان رءوسهم

أمسك كل واحد بكأس ذهبي

مثل القمر الذي أمسك الثريا

كانت الخمر تنتقل من شجرة ورد إلى شجرة ورد

وقد ألف وجه الوردة لون الخمر

دارت الكأس على الرجال بسرعة

في المجلس مثل الخربوزك

أطلق الكأس المملوء بالشراب السهام

على حلق الطائر السمين

نثر الشراب من كل نوع السكر

بعثر الطائر كأسًا مملوءًا بالخمر

سرت صلاة الخمر إلى أذن

فقدت الأذن الأخرى الصواب

كان بخار العود يتصاعد عشرين فرسخًا

فألفت المشام رائحة الدخان

ألقى البخور البخار على الرؤوس؛

فانتشر غبار المسك في المجلس

أظلم هواء الشمع المضيء

من رائحة العود

الحسناء ذات الوجه الشبيه بالنوروز تشبه العيد السعيد

والقمر المنير - كالشمس - يرتدي المخمل

نثر الكأس السكر في المجلس من مخلبه

مثل طائر السحر

رقص نقش البلاط

من ألحان أناشيد العشق

ثملت صور الحائط من صورة الخمر

في الكأس المرصع بالجواهر

استقر الخمر المضطرب في طرف العين

فرقص إنسان العين من السُكْر

نطقت شفايف الأتراك العابسين الوجوه

بكلام سيئ مثير للفتنة في كل ناحية

أضاءت وجوه الحور وكأن

الجنة أنارت الدنيا

ضحكت الخمر في الكأس مثل الوردة

من شفايف الحسان الياقوتية اللامعة

أضاء شعاع الشمع المجلس

وآنس السماع أرواح الجمع

لما سقط ضوء الشمع على الكأس

وقعت الشمس في المصيدة ليلًا

صار الليل نهارًا بسبب نور الشمع

وابتهجت الدنيا

لما هبت ريح الصبح على العالم

وصل الصبوح إلى الأصحاب

أطفأ الصبح صفار الشمع

وصهرت الريح شحم الشمع

تجرع القمر الحساء من دم الشفق

وجعل الليل من الطبق الذهبي غطاء الرأس

امتلأ كأس الصبوح

بالماء المر اللزج

جلس الأصحاب جميعًا لتناول الشراب

مثل جبل فوق النار

صارت الصبوح في أذان الطيور

مثل الموسيقار وقول أبي الفتوحي

سلك القدح مع الصنج والناي العراقي

السبيل إلى الناي وصنج الساقي

خفق القلب في الصدر الضيق

وثمل الرجال جميعهم من الخمر

فتحت الكأس أربعة عروق من الشفة

فصار دم الجسد مباحًا بسبب السُكْر

كان الليل طيبًا، وضوء القمر مبهج

وكان القدح يطوي ضوء القمر حتى الصباح

قال العاشق الثمل للساقي:

امنحني الخمر؛ ما دامت الوردة قد ضاعت من اليد

إذا ثملت الروح اللطيفة بسبب الخمر

فلا تكن ثقيل الظل، وانجز

امنحني الخمر الطيبة بسرعة؛

حتى يتوارى قمري خلف الزرقة

أصبح مثل الثمالي

فلا تبدو لي شعرة منتبهة

قال هذا، وطلب السماع

وتخلص قلبه من الألم بفنائه عن نفسه

غناء المطربة

دخلت فتاة محبوبة فجأة

وقد نثرت المسك الندي على الوجه

معشوقة مُعينها الجمال

نما خطها الأخضر فوق الورد

عزفت الحسناء الوردية اللون الألحان

وسلكت طريقًا وعرًا بالدلال، وهي مسرورة

سال ماء الذهب من المضراب

وقطر لسانها الدم بسبب جرح القلب

في كل ضربة كانت تضربها على العود

كانت تضرب الهلال بالكمثرى

ارتدى الصوفي الخرقة من حلاوة الروح

فقد كان عزف تلك السكرية الشفة طيبًا للغاية

كانت السكرية الشفة تحرق العود مثل النار

وكانت تنثر السكر، والحق إنها كانت تعزف جيدًا

كانت تقول شعرًا عذبًا، وهي مسرورة

وكانت تنشد هذا الغزل منتحبة، وهي ثملة

لا تنم أيها الساقي، وامنح الشراب

وصب الماء من الكأس على شفة روحي

صب الماء عليّ الماء الجاري بسريعة

كأن العالم أصبح شابًا من جديد

ما دمت سوف تضع الوجه في التراب مثل الوردة

فامنح الخمر الوردية مع صياح البلبل

كثيرًا ما ينمو الورد ممزق القلب

وقد جعلت أنت الوجه في التراب مثل الوردة

امنح الخمر، فأنا الليلة شبه ثملة

وقد جئنا من أجل الرحيل

لما تجرعنا كأسًا في الصباح

تناولنا العشاء في الصباح مع الخمر بلا شك

احضر يا أخضر الخط الكأس الوردي الرائحة

فقد ظهر الخط الأخضر على ساحل الجدول

ما دام ماء الخضر في كأسنا

أين نذهب؟ لو أن الموت يتعقبنا!

ماذا تقول؟ اذرف نهرًا من دمع العين

فقد ذهب الأمس، وليس هناك أثر للغد

انهض لحظة، لماذا هذا العجز؟

لقد انتهى العمر، فلماذا هذا التمهل؟

اذهب، وأدرك اليوم الذي تملكه

وانسجم مع الحرقة التي تشعر بها

اغتنم هذه اللحظة التي تبقى فيها

واقهر هذه الأحزان التي تصيبك

ما دمت تستطيع، تحرر من نفسك لحظة

فلا يساوي سرور العالم لحظة حزن

ما دامت الأيام ستفيض بنهر من الدم

فامنح أيها المحبوب الخمر الشبيهة بالدم من الكأس

اسعد اليوم، لماذا تطلب الغد؟

اضطرب لحظة، لماذا تطلب الهوس؟

اجتث وتر الحزن من الطرب

واشرب الخمر مسرورًا، واسعد بها هيا

ما دمت تملك أمر هذه الدنيا في يديك

فإنك تملك الضرر والفائدة والعدم والبقاء

اذهب، وتب، أو لا تتب

فماذا يبقى؟ لا يبقى رجل ولا امرأة!

لما سمع خسرو هذا الكلام؛ صاح صيحة من الحرقة

وقال: أيتها المبهجة!

مع أنك تغنين في راحة

إلا أنك تضعين الملح على الجرح

صبي الخمر بيديك أيتها الحورية!

لا جرحت يداك قط!

سالت آلاف الدموع الدامية

من عين السُكارى

اضطرب سُكارى الليل

وقت الصبح كالعاشقين

تحلق المستيقظون صباحًا حول الملك خسرو

في صحن البستان، وهم يذرفون الدمع

جميعهم مخمور، وقد لعبت الخمر برؤوسهم

وكانوا يترنحون والأقداح في أيديهم

صار القدح طيب القلب حتى القيامة

من آهات السُكارى رقيقي القلوب

لما جلس السُكارى أمام الحوض

علا تغريد البلبل

كان ضوء الشمع ينعكس على الماء من ناحية

وكان ضوء القمر يسطع من ناحية أخرى

ضج الصنج والناي من ناحية

وانبعث صوت الشراب من ناحية أخرى

كان العود يحترق على المجمر من ناحية

وكانت الروح والقلب يحترقان من ناحية أخرى

انتشرت رائحة الخمر في العالم من ناحية

وسقط الندى على وجه الأرض من ناحية أخرى

وقفت الحسان في ناحية

ووقفت ذوات الشعر المسكي في الناحية الأخرى

أمسك المطربون العود من ناحية

وعكف الفتيان على الخدمة من ناحية أخرى

الدنيا مثل الجنة والحور والساقي

ولم تبق أية بقية من أي نوع

السماع والسُكر والعشق والشباب

والورد المتفتح وصوت الأغاني

الخمر والماء الجاري ونور القمر

وتغريد البلابل والشمع الساطع الضوء

ما دامت وجوه الحور ونغمات الصباح

قد اجتمعت كلها، فماذا تريد بعد ذلك؟

لما دارت الخمر عدة دورات كالفلك

علا النواح من السُكارى مرة واحدة

انبعثت النغمات من كل أوتار الصنج وترًا وترًا

فجرى القلب مائة فرسخ

كانت الحسناء البربرية تتبع طريقة البربر

وكانت تتغزل في لطف

كانت الملائكية الوجه تعزف على الوتر

فكان الوتر يصيح لا حول

لم ينم البلبل لحظة بسبب السُكر

وكان يحدث الوردة عن الطريق الشائك

كان العقل يدعم الخمر

وكان القلب يمضي من الصدر إلى طرف الإصبع

لما كانت تلك الحسناء تعزف الألحان

كان النجم يحلق فوق الفلك

لما كانت تعزف برقة على الأوتار

كانت الطيور تهبط من السماء بسرعة

لما كان نور الشمع وصوت الألحان

امتلأ المجلس بالنور والصفاء

كان وجه المحبوب يتلألأ في ضوء الشمع

وكان القلب يخفق من حرارة الخمر

كان ضوء الشمع وصوت إرم

وكانت حسناء شديدة الجمال، وكان خمر شفتيها كَرْمًا

كانت تصب الخمر للمفلسين

وكان الوتر يعزف للسُكارى

فنت كل القلوب في ذلك المجلس عن نفسها

كان شرب ماء زمزم أنشودة

بدأت المعشوقة الأرجوانية الوجه

الغناء في مهارة

حملت الصنج أمام الملك

وغنت هذا الغزل

قول الغزل وعزف الرباب والطرب في مجلس خسرو

امنحني الخمر المريحة للروح صبوحًا

لأن الراح ريحاني وروحي

اشرب الخمر من القدح المملوء حتى حافته هذه الليلة

فليس للغد أمل في الليل

مضى الأمس كالريح، ولم يأت الغد

ولم يكشف سر حزننا

استمتع بالربيع مع المستيقظين صباحًا

فإنه يهديك أوراق العمر المتساقطة

لما بسط طائر الصبح الريش والجناح

فحلق بالريش والجناح؛ حتى يسعد الحال

لو سررت بدورة الخمر

تخلصت زمنًا من جور الفلك

لما تختطفك دورة الخمر زمنًا

اجلس لحظة مسرورًا بالطرب

لما تسقط سفينة العمر في الدوامة

لا تأمن أن تشرب شربة ماء

أيها المستيقظ في السحر! امنح الخمر

وقَبِّل الفستق (الفم) خفية

ضج مثل السُكارى

وخذ ثأر العمر نقدًا زمنًا

امنح الخمر، فكلنا مطيعون

ونحن ضيوف الدنيا منذ وقت بعيد

امنح الخمر أيها السرو الممشوق بسرعة

فسرعان ما تخلو الدنيا منا

يطمئن قلبك مسرورًا

لو تجد الخمر مرادها فيك

تعال حتى نسعد هذه الليلة

ونتخلص من الحزن مثل السرو ليلة

نبسط الرداء مسرورين

ولما يحل الأجل، نسوق المركبة

املأ القدح لحظة على صوت الصنج وأنين الناي

وامنحه باستمرار

علا صوت السُكارى في الدنيا

فخذ ثأر الدنيا بسوء السُكر

الخمر والمعشوق والعشق والنوروز!

ينبغي التوبة عن التوبة اليوم!

احضر تلك الخمر الذكية الرائحة مثل المسك

حتى تترطب الشفة اليابسة بخمرنا

لما قالت المطربة ذلك الغزل

سقط ابن الملك في البستان ثملًا

حملوه إلى قصر جُل من البستان

صار وجه جُل بسبب ذلك محترقًا مثل الشقائق

لما حل اليوم التالي على هذا الطاق المقرنس

ارتدت الدنيا الحرير الأصفر

اصفرّ وجه الأرض كله

وصارت السماء لا جوردية

جاء خسرو، وجلس على العرش

وأمسك الكأس بيديه مخمورًا

أعدوا مجلسًا جديدًا

وبدأوا الإعداد للطرب

ساقي الملك الخاص بدون لحية

فقد كان قلبه ينزع لحيته بسبب الاضطراب

سلب شفتيها السكر وتذوقه

منح الذهب مخلصًا، واشترى إساءته

إذا بعت العالم يليق بك

من أجل ذلك الشخص الذي اشتريت منه قبلة

قطعت شفتاها طريق الشيخ والشاب

وكانت الشفاء والراحة لكل عاجز

أذّن الساقي لصلاة الخمر المرة

ولم يترك بقية بسبب حلاوتها

لما استولت الخمر على الملك

قال للمطرب: لقد فقد خسرو الصواب

اقطع أيها الموسيقار الطريق إلى إصفهان

من أجل إسعاد ملك إصفهان

حمل جميل مثل يوسف العود

وتغنى بنغمات داود

لما علق السكري الشفة الحرير على العود

انبعث صوت داود من خلف الحجاب

لما عركت أذن البوق

دار الفلك على رأسه مثل البوق

ازداد الشراب في مجلس الصلاة

فصاح القلب، وضجت الروح

جاء الطائر المكتوي مُرَحِّبًا

فنادى الكأس للصلاة بمائة لحن

كانت الخمر بلا حد مثل الدم

وكان الكبد في الجسد يتجدد بذلك الدم

كانت تلك الخمر ماء السرس للكبد

الشخص الذي يتناول تلك الخمر، لم يكن شخصًا

مر وقت، فوضعوا مائدة

وجذبوا دنيا إلى الدنيا

انتظر الكأس الشراب

وامتلأ القدح بالماء حتى حافته

احضروا مائة نوع من ماء الورد

وملأت الحسان القدح الشبيه بالزئبق

لما ألقى الدف الجديلة على فوهة القدح من كل جانب

مثل الصنج

ولما مر الشراب، وضع الطباخ

لحمًا كثيرًا من كل نوع

لم يكن القمر المستدير قد رأى أبدًا
مائدة من موائد السماء مثل مائدة ذلك الملك
وضع الخبز على المائدة في كل ناحية
ووضعت الهريسة في كل ناحية
ووضع اللحم والتقلية والحلوى والشواء على المائدة
ولبن الطيور أيضًا
ما إن تناولوا الطعام حتى أسرع الخادم
وكان يغسل يد كل واحد بالماء في الطست
لما رفعوا المائدة من أمام خسرو
سلكوا الطريق إلى المجلس مجددًا
طلب الملك من الساقي الوردي الوجه كأسًا
وطلب السماع العام من كل مطرب
فأدى المطربون المشهورون
ما كانوا قد تعلموه
لما انتهى الملك من الاحتفال
رافق جُل في الطرب
تجرعا خسرو وجُل الخمر معًا في سرور
لمدة ستة أشهر مثل الشمس والقمر
كان الشباب والعشق والسرور
ماذا يكون أطيب من العشق والشباب
ابتهجا معًا زمنًا
ولكن هناك أمر لم ينقض
اتفقا على أن يطلب خسرو
جُل من أبيها معززة مدللة
انظر الآن، إلى أين سيصل بهم الحال
بسبب هذا الدهر المتقلب؟
انتبهٔ حتى أفشي الأسرار
وأقص قصة جُل الشبيهة بالسُكَّر

ما أطيبك يا عطار! فإنك بفضل الله وبحمده

تملك مُلكًا

أنت أعجوبة عصر الكلام

وقد أوفيت الكلام حقه من المعاني

ما أطيبك بليغًا، أحسنت، أحسنت!

ما أحسنك ناظم للدُرّ، أحسنت، أحسنت!

انظر إلى الثنايا في ذؤابة الكلام

فما أطيب الكلام العذب البليغ!

ما دمت قد أكثرت من الصنعة

فقد استغاث الطبع مني

أنا اليوم الملك في مُلك الكلام

وقد تحدثت في كل أمر دقيق

صرير قلمي يعلم سيئ الطبع العروض

وضميري ميزان الكلام الموزون

يغلي ضميري في جنان جميلة

ويضعه الحور في آذانهم

ضميري مثل الخليل

لأنني حلو اللسان

معاني ضميري لا تحصى

يكفيني أن الخلق لا يعينوني

الغاية لا تتدخل في المعاني

ولا تقبل هذه السلاسة النقصان

هداني الحق إلى المعنى

وفي هذا المعنى معانٍ بلا نهاية

علم ملك إصفهان باصطحاب هرمز لجُل

ألا يا واهب النور للبصيرة

أنت كنز طلسم الخلق

أنت كنز، والدنيا مملوءة بالجوهر منك

أنت فلك، والفلك مملوء بالكواكب بسببك

انثر الجوهر على الدنيا من كنز العشق

وصب شراب المعرفة في حلق الروح

اجعل الدنيا مخلصة للخلق

واجعلها ضيقة على العميان

اظهر النور مخلصًا

وامنح المعرفة للعالميَّن معًا

علم نفسك الاحتراق مثل الشمع

احترق أنت، وأضء الدنيا

ما دامت لديك القدرة؛ فلتقل كلامًا عفيفًا

وتُحدِّث المخلص والفتاة أيضًا

ينبغي عليك الإفادة من كل علم

والإقدام في ميدان الكلام

لو يبقى عنك تذكار في الزمان

يكون عوضًا عن العمر المديد

أي شيء أفضل للرجل من التذكار

الذي يبقى بعده زمنًا

الآن قص قصة

تستطيع أن تأسر الدنيا بها زَمنًا

هكذا قال من نُثر عليه الجوهر

من سحاب المعاني

لما بدأ هرمز في ذلك المكر

حتى يستعيد جُل من الجن مرة أخرى

طلب الأمان من الملك الإصفهاني أربعين يومًا

فمنحه الأمان كما أراد قلبه

ولكن ملك إصفهان احترق أربعين سنة

بسبب القلب خلال تلك الأربعين يومًا

نفد صبره، فمتى يأتي هرمز؟

ومتى تنتهي تلك الأربعون يومًا التي بلا نهاية؟

عجز، وذاب من الحرقة

كأن تلك الأربعين يومًا كانت ذكرى الأربعين له

لم تخمد نار قلبه نهارًا

ولم ينم ليلًا حتى النهار

لا تنام عين العاشق أبدًا

ولا تكون عيناه بدون دمع أبدًا

كان يفكر ليلًا ونهارًا

حتى تأتي تلك المبهجة بعد أربعين يومًا

لما تعود، أمهد الطريق مرة أخرى

وأخلع النعلين من قدميها، وألقي بهما أمام الباب

لا أبعدها عني لحظة

وأجعلها تنفر من كل ما يحدث

كان ذلك الملك الغافل يحسب الحساب

ولم يكن ذلك الحساب لعاقل قط

قال له العقل: أيها الملك!

من السذاجة أن تخط خطين، لو أنك تملك العقل

لما انقضت الأربعون يومًا في النهاية

لم يعلم الملك المهموم شيئًا عن هرمز

جلس ذلك الملك مخضبًا بالدم في الصباح الباكر

إذ متى يدخل عليه هرمز من الباب؟

كثيرًا ما جلس ذلك الملك، ثم نهض

ولم يظهر أحد في ذلك الطريق

كان يقول في قلبه: أصبر اليوم

حتى يسطع قمري غدًا من بين السحاب

يأتي إليّ هرمز في الصباح الباكر

وقد اقتفى أثر جُل

واصل الليل بالنهار على هذا الأمل

ولكنه قال: يا رب في تلك الليلة حتى النهار

أدمى فراشه طوال الليل

وقد أصبحت الأرض مثل نهر جيحون من دمعه

كان دُرّه (دمعه) يطوف في عينيه بسبب ذلك الوسواس

فصارت أهدابه ألماسا

لما كان الدُرّ (الدمع) يظهر في عينيه

كان طرفه يصير بحرًا من الدر

كان يذكر وجه جُل تارة

وكان يصيح شوقًا إليها تارة أخرى

كان يضطرب مثل الطير تارة

وكان يعتلي السطح تاركًا العرش الذهبي تارة أخرى

كان ينهض إلى الباب مثل ريح الصبح تارة

وكان يغلق القلب بمفتاح الصبح تارة أ خرى

قال: أيها الحكيم العديم الوفاء!

ما دامت الأربعون يومًا قد انقضت، فكيف لا تظهر؟

لعله وقع في يد جن أيضًا

فحمله الجن؛ لذلك برأ مني

واصل الليل بالنهار من الحرقة مثل الشمع

ولكن نهاره التالي كان أسوأ من الليل

لما فتحوا باب برج الفلك

أعدتِ الكواكب المنازل

أسرع الجميع إلى ذلك الباب دفعة واحدة

واختفوا لما طلع الصبح

لما بسطت الشمس سواعدها في الميزان

مثل تنور مملوء بالنار

اشتعلت نار طيبة في التنور

فعمَّ الدنيا بأسرها طوفان من النار

لما رفع طاووس جناح الفلك المرصع العلم

متجليًا آلاف التجليات

أرسل الملك رسولًا إلى هرمز قائلًا:

يا أستاذ! مَرّ ذلك على الأستاذ

قل: لماذا كل هذه الإقامة؟

تعال؛ ما دامت الأربعون يومًا قد انقضت

لقد خفق قلبي بسبب الحزن

حتى انتهت هذه الأربعون يومًا بلياليها

أخط خطوة، وكف عن العمل

ولا تجعل هذه الأربعين يومًا شصا مثل ذؤابة جُل

لا أملك عملًا آخر ليلًا ونهارًا

سوى أن أحصي النهار والليل

لقد تعاهدت معي هذا العهد

الآن لا تحيد عن الوعد

لو تجلس، أو تنهض

لا تجلس هكذا، ولتأتي هذه اللحظة

إذا أخذت جُل، فلتحضرها إليّ

وتسعدني، وتأتي إليّ

لما سمع ذلك الرجل هذا الكلام من الملك

أثار غبار الطريق بقدميه

ذهب ذلك الرسول السريع إلى هرمز

مثل السهم الذي أصاب الهدف

لما اقترب من باب هرمز
وجده مغلقًا كالحديد
دق الحلقة على السندان في لطف
ولما لم يجبه أحد، دق الحلقة بشدة
طرق ذلك الطارق الذليل الباب
لم يُفتح له الباب، واهتز الجدار
كان يطرق الباب زمنًا
وكان ينادي من خارج الباب زمنًا
لما كان ينادي كثيرًا من الخارج
كان يجيبه الصدى من الداخل
خرجت جارة بلا ظل فجأة من الخيمة
مثل الشمس
وقالت له: لا تطرق الباب أيها الطارق السمج!
ولا تدق على الحديد البارد أيها الفظ!
لقد مضت أربعون يومًا منذ خرج هرمز
من هنا في وقت السحر، مثلما يخرج السهم من القوس
وقد حمل معه ثلاث نساء ورجلين
وربما عهد بالإيوان لشخص آخر
لما سمع الطارق هذا الكلام من المرأة
نهض من المكان مثل الدخن
عبر الممر في الحال مثل الريح
وذهب إلى الملك، وأخبره بذلك الحال
قفز الملك من المكان بسبب حديث الرجل
وكان يضرب يدًا على يد مثل الأسد
كان يعض شفتيه بأسنانه تارة
وكان يتوسل بفتوة الروح تارة أخرى
كان يهذي بسبب التفكير تارة
وكان يضج تارة أخرى

كان يقطع عروق عينيه بدون منخز
وكان قلبه يزمجر من الحزن، وهو فان
تأوه الملك آهة حزينة؛
فقد علم أن هرمز قد حملها
قال: أحسنت أيها الكلب الشؤم
وأحسن هذا الرومي الدنيء العمل
لما أسأتُ، هلكت
الشخص الذي يسيئ، يصيبه السوء
أعلمُ يقينًا أن هذا الفكر غير معقول
فقد حمل هذه المرأة هكذا
لا أعلم على أي نحو نافقني؟
فقد اقترنت به جُل مثل الخمر واللبن
لا أعلم أي خداع وسحر فعله
حتى سلكت جُل معي مثل هذا المسلك؟
لا أعلم أي خداع خدعني به؟
وحمل جُل مثل الريح
جعل ذلك الكلب الكمثرى طوبة بالسِحر
ربما أصابت الطوبة الصدر الشبيه بالرمان
أصابت طوبة منه قلبها
فصبت الماء على طوبته فجأة
لعل حجر سقط في نعلها
فنسيت نعلها مثل الطوبة
لعله سقط في نعلها
فترك لي النعل، وقفز خارج الباب
هكذا مضى بلا نعل ذلك المشئوم
فقد هلك النعل في طرف المترجل
لعل هرمز صار مثل الإسكافي
الذي رتق أجزاء جُل، ومضى

اسودَّ وجهي بسبب هذا الإسكافي
فهو كافر نعمة، وخائن للعَلَم
لو كان يُضرب بحذائي على قفاه
لما وضعني تحت حذائه
المرأة الفاسقة جديرة بالسيف
إذا ضربت به يومًا، فهو يوم الندم
ينبح الكلب على الغريب
ويسر بالوجه المألوف له
الكلب أفضل منه؛ فالكلب لا يدع الشريك في المسكن،
يصير غريبًا عنه
واأسفاه! فإن ذلك الكلب قد قفز من شباكي
واشتعلت النار في جسدي بسببه
واأسفاه! إذا وصلني الخبر بسرعة
ولكن ماذا أفعل؟ فقد وصلني الخبر متأخرًا
من حدث له هذا في الدنيا؟
ما أطيب عمل الدنيا! فتدبر أمر الدنيا
أكرمتُ تلك المرأة المشئومة
وجلبتُ البلاء لنفسي
لم أتحدث سوى بما تريد
ولم أنم طيلة سنة بسبب فراقها
ما دمت قد اخترتها حبيبة في الدنيا
من ثم كنت أعمل على راحتها
إذا كنت أمر عليها ليلًا
كانت النار تشتعل في الناي عشرة أيام
كانت تمزق القميص في ضيق
وكانت تشد شعرها، وتتمرغ في التراب
كانت تتأوه من القلب منتحبة
وكانت تسوقني إلى الخارج في ذلة

وإذا وقفت في الطريق بعيدًا

لما كانت عيناها تقع على البلاط

كانت تغمض عيناها عن عيني

هكذا كانت تضع المرهم لذلك المتألم

كانت تخفي وجهها عني خلف الحجاب

وكانت تطوف في كل ناحية هربًا مني

كانت تفزع مني

كما يفزع الطفل من الزنجي

ماذا يحدث لو كنت ملكًا بالقال والقيل

وكنت في عين جُل مثل عزرائيل

هكذا كانت تخاف مني تلك الجافية

وكنت أخشاها أكثر منها

إذا رأتني في مكان خال

كانت تشيح بوجهها عني

لم تكن تريد الجوهر ولا الثياب ولا الذهب

أو تطلب الزينة أو الماشطة أو الحلي

كانت تحزن لسروري

وثقل على قلبها حبي

إذا كانت ترى وجهي في المساء

كانت ترى بلاد الهند في المنام ليلًا

كانت تعدني مغتصبًا لها

وكانت تتفوق عليّ في الاحتيال

قلت: ربما لا ترغب في رفقتي

بسبب الخجل

قلت: ربما تخجل من الملك

من شدة العفاف

قلت: ربما كان بقاؤها معي ضررًا لها

بسبب المرض

ما أعلم أن تلك المشئومة الحقيرة

سوف تخرج من داخل الحجاب

تقول لي: ارسل معي شخصًا إلى البستان

ولما أعود، أكْثِر أنت من التفرج

لم تتعلق بي قط

جمعت الدُر من ذلك، واضطربت من هذا

واأسفاه! إذا أخبرني شخص

كنت أرسل الجيش في الحال

لم تخمد حرقة قلبي لحظة

ماذا أصنع؟ ماذا أفعل؟ فقد مضت الأربعون يومًا

أي كلب كان ذلك الذي حمل جُل من الطريق

ولم يخش الملك، أو يفكر فيه؟

جعل نفسه حكيمًا وطبيبًا بالتلبيس

حتى حملها من الطريق مثل إبليس

ولكن ذلك الرجل كانت له تلك القدرة

لأنه كان طبيبًا حلو اللسان

لما كان ذلك الرجل العالم عفيفًا

سيطر على جُل بسبب العفة

الذنب ذنبي أولًا في هذا الأمر

فقد كانت ذليلة في المدينة

رفعتُ رأسه من التراب إلى الفلك

وهكذا كافأني ذلك الكلب الخسيس

ما دامت جُل قد تركت المكان، فمن أتعقب؟

فقدت الحبيبة، فعن من أبحث؟

الخلاصة، كان يذرف الدمع ليلًا ونهارًا بسبب هذه الغصة

في حرقة مثل الشمع

لم ينم ليلة زمنًا

ولم يكن له ماء في الكبد سوى الدم

كان قلبه يحترق في صدره من النار مثل الناي

وكان يحترق غيظًا بسبب كراهية جُل

بقي الملك الظالم على ذلك النحو

حتى يتضح الأمر

اضطرب داخل الحجاب بسبب ذلك القلب

فأمور الحجاب تفوق الحصر

الآن تأتي إلى حال خسرو شاه

ذهبت إصفهان، ولنسلك هذا الطريق

غيرة حسنا من جُل ومكرها

هكذا قال من كان أستاذ العالم

كما كان حسن الطالع في الكلام

لما بقى خسرو مع جُل ستة أشهر

كانت سعادته مع جُل تتجدد في كل لحظة

كان يتجرع الخمر الوردية مع جُل تارة

وكان يقترض مائة قبلة من جُل تارة أخرى

كان يسدد ذلك الدَيْن لجُل تارة

وكان يمنح جُل ثمن الدلال تارة أخرى

كان يحتوي صدرها الفضي تارة

وكان يستبدل تراب طريقها بالذهب تارة أخرى

كان يجدد البهجة زمنًا

وكان يبدأ الخلوة زمنًا

كان يتذوق السكر من وردته زمنًا

وكان يتلذذ بفمها الناثر للسكر زمنًا

لما ملك محبوبة مثل جُل

لم يتذكر حسنا زمنًا

ما دامت جُل موجودة، فمن يتذكر حُسنا

لما يوجد الدر، فمن يفكر في الزجاج

لما توجد الرأس، قلما يأتي التاج

لما يسطع القمر، قلما تظهر الكواكب

لما يطلع الصبح، من يبحث عن وصال النجوم؟

لما يحضر الماء؛ يبطل التيمم

مضت مدة طويلة حتى مثلت حسنا أمام ابن الملك

ولم يتذكرها الملك

مضت مدة طويلة حتى كانت تظهر نفسها للملك

وكان الملك يتخلص منها

سعدا خسرو وجُل معًا في الليل وفي السحر

وكانا مثل الخمر واللبن دائمًا

غلى قلب حُسنا بسبب جُل

فنهضت تارة، وفقدت الوعي تارة أخرى

حزنت بسبب الغيرة منها

وصار طرفها بحرًا من دموعها

طاب لي هذا الكلام من عالم

قال: الغيرة أكثر حرقة من النار

لا تغير المرأة من شخص مبارك

فغيرة المرأة مثل ضربة السيف

يجوز ألا تكون الرأس في مكانها

ولكن لا يكون الاستقرار مع حرقة الغيرة

يعلم ما هي غيرة الإنسان الشخص الذي

يحيا بالحسد ليلًا ونهارًا

ليلة، كانت تلك الليلة أكثر سوادًا من القار

ليلة حالكة مثل نهار البُعد عن المحبوب

الدنيا أكثر ظلمة من وجه الزنجي

كانت مثل عين النملة من الضيق بالنسبة إلى حُسنا

أنفاسها نار مشتعلة بسبب آهة القلب
دموعها تتساقط، وصدرها يحترق
كانت حُسنا تفكر في حيلة طوال الليل
إذ كيف تطيح بجُل من الصدارة
أعدت حيلة، وكتبت رسالة إلى جهان افروز
بسن القلم
كانت جهان افروز سيدتها
وكانت حُسنا جاريتها الهندية المفضلة
شرحت في تلك الرسالة حال هرمز
وأن هذا الفتى الماكر ملك، وقالت:
إنه ليس طبيبًا، هو صاحب عمامة
وهو ابن قيصر الروم وملك
لو يغضب من الفلك يومًا
يذر غضبه التراب في عين الفلك
لو يظهر أمام الشمس
تُقَبِّل الشمس والقمر الأرض أمامه
جيشه يفوق الآلاف
احسبي كل قطرة مطر بمائة جندي
لا نهاية لجياده
ولكن عددها عدد حصى الصحراء
هكذا هو ملك، وقد شرحتُ لك حاله
هكذا احتال على جُل
كان ذلك المكار طبيب المكر
وقد كان لهما أمر معًا قبل هذا
ولما كان خسرو راغبًا في محبة جُل
جاء من مدينة الروم إلى إصفهان
أحضرها من إصفهان بمائة حيلة
وخرج بها إلى طريق رازيان

بسرعة لا تأتي من جواد عربي

ولا تأتي من مائة لص رازي

لما ظفر بجُل، حملها من الطريق

وأخذها ليلًا من بستان الملك فجأة

علمتُ في منتصف الطريق

أن تلك المرأة جُل، وأنه ملك الروم

إذا علمت هناك بهذا الأمر

كنت قد أخرجت الملكة من هذه المحنة

حزنتُ كثيرًا لهذا الأمر

ولكن ماذا أفعل؟ ما دام الأمر قد وقع

في تلك الليلة التي خرج فيها من إصفهان

طلب قلبي سيدتي

لم يتركني هرْمز

وإلا كنت قد أنجزت هذا الأمر كما أريد

الآن جُل و ابن الملك

يتناولا السكر تارة، ويتجرعا الخمر تارة أخرى

لا يكفا عن الطرب ساعة

وقد احتضر قلب حُسنا بسبب الغيرة

ما أكثر العار الذي يلحق بإصفهان

إذ تسرق امرأة شخصًا من ملكة الملوك

كل مكان في العالم يقولون فيه هذا القول

يقولون لا حول بسبب فضيحة ملكتنا

ماذا يحدث لو أنني لست من أهل تلك الحضرة؟

فإنني لا أحتمل فضيحة الملكة هذه!

ما دام هرمز خسيسًا على هذا النحو

فإنني أعد هذا عارًا، وأنت تعلمين

إرسلي شخصين من الثقاة

حتى أسرق جُل من هذا الملك على حين غرة

وأعهد بها إلى شخص موثوق به

فإنني احتفظ لها بكثير من المكر والحيلة

الآن كتبت هذه الرسالة

وأخبرتك بالحسن والسيئ

لما فرغ القلم من الرسالة

جاءت إلى السوق، وحملت الرسالة

اقتربت من التجار

وكانوا كثيرًا من الشيوخ والشباب

كان أحد التجار إصفهاني

وكان خبيرًا بأمور التجارة

دعته حُسنا إليها في ذلك الوقت

وسألته عن الظاهر والخفي

عاهدها التاجر في البداية

أن يحفظ أسرارها

خلعت جوهرة من ساعدها

ووضعتها مع الرسالة أمام ذلك الرجل

قالت له: احمل هذه الجوهرة وخذها

ولكن احفظ سري هذا، وأوصله

لما توصل الرسالة إلى تلك المحبوبة

تأخذ آلاف الجواهر الأخرى

امنح «جهان افروز» الرسالة في يدها

واطلب منها كل ما تريد

الآن أريدك أن تتجه إلى إصفهان

في الصباح

وتحفظ سر هذه الرسالة مثل روحك

ولو تريد تحضر الرد

لما تحدثت تلك الجاهلة في كل شأن

أقسم ذلك الإصفهاني على الالتزام

خرج من مدينة الروم مثل الريح

أي ريح! إنه أسرع من كل شيء أذكره!

ذهب إلى البحر، وسافر في البحر

ومرّ من هناك أيضًا إلى الصحراء

جاء إلى إصفهان وقت العشاء

وتوقف ليلًا حتى وقت الصباح

لما طلع النهار، قصد الطريق

وصار وجهه أصفرًا بسبب صفرة وجه النهار

سلك الرجل الطريق بسرعة

وتوجه إلى «جهان افروز»

مدح الرجل الذكي جهان افروز كثيرًا

وهو أمام مخدعها

فتحت جهان افروز الإيوان في الحال

لأنه وضع تلك الرسالة أمامه

فتحت تلك الملائكية الوجه الشبيهة بالشمس الرسالة

فاسوَّد وجهها بسبب الغيرة من جُل

صارت الدنيا في عينيها مثل السيف

وكأن جهان افروز قد ماتت

اشتعلت النار فيها

وصار صدرها الياسميني مثل الشقائق

كانت تضرب بيديها زمنًا وتشد شعرها

وكانت تمص شفتيها، وتلطم وجهها زمنًا

صار ظفرها أزرق، ووجهها مثل الدم

تخضب حريرها الأخضر بالدم

عندئذ حملت تلك الرسالة إلى الملك

فعلم الملك بأمر تلك المحبوبة

تخضبت ثيابها بالدم

وابتلت الرسالة بدمعها

من كان يعرف حال تلك القمر وأمرها
وقد علم قلبها بعشقها
أمرت؛ فحملوا تلك الرسالة في الحال
وسلموها إلى ملك إصفهان
لما قرأ الملك رسالة حُسنا تلك
فقد صوابه
لما قرأ تلك الرسالة، وعلم بما فيها
اعترته غصة مثل السم
استغرق الملك في هذه الأفكار
وطأطأ رأسه زمنًا مثل المجذوب
لما ثاب إلى رشده، فقد صوابه
ومضى الفراق خلفه، والعقل أمامه
دعا شخصين، وتحدث عن حُسنا (قائلًا):
كل ما قالته حسن للغاية
ينبغي عليكم الذهاب بسرعة
لعل قمري يسطع في السماء
إذا سرق هرمز جُل، وهذا صواب
أسرقها أنا أيضًا، وهذا هو الجواب!
رحلا الاثنان كلاهما عن إصفهان في الحال
مثل مذنب خرج من النار
لما وصلا من الصحراء إلى البحر
أبحرا، وعبرا البحر
في النهاية لما سافرا إلى بلاد الروم
عرفا طريق قصر جُل
لما تحدث يونس عن الحوت
نثر الشفق الياقوت حول الفلك
ذهبا الرجلان إلى بلاط الملك
وكانا ينظران إلى كل ناحية من الطريق

على هذا النحو وقفا كلاهما من الصباح الباكر
حتى حل الظلام
لما مرّ أسبوع، وفي الصباح
خرجت حُسنا من الباب مثل الريح
رأتهما فجأة، وعرفتهما
ولكنها ألقت النظر على الطريق في تلك اللحظة
اقتربت منهما بسرعة أمام ذلك الباب
ودعتهما من خلف الحجاب
لما وصلا كلاهما إلى حُسنا
سألوا، وقالوا، وسمعوا
هكذا قالت لهما حُسنا المكارة:
ينبغي إعداد صندوق لا مفر
تلزم دواب حسنة وسريعة
تجدر بذلك العمل، وتليق به
حتى أسرق جُل في الصباح
وأسلمها إلى الرجلين مثل الريح
تضعان أنتما جُل في صندوق
وتعقدان يديها خلف رأسها
تكممان فمها بنقابها
وتقيداها في عباءتها
قالت هذا، وتعقبتهما
وجرت من ذلك المكان إلى مكانهما
لما علمت بمكان الرجلين
جاءت إلى إيوان ملك الروم
لما انقضت عشرة أيام، أنجز ذلك الرجل الأستاذ
العمل بمهارة
اغتنمت حُسنا الفرصة، ودعت جُل إلى مكان خال
وأطلقت اللسان في الحال مثل الألماس

قالت لجُل: يا سيدة البلدة!

إنك سيدتي وراعيتي

لا يملك أي ملك قمرًا مثلك

ولا يجد اي قمر ملكة مثلك

لا تلد أية أم ابنة مثلك

ولا يثمر أي قرن محبوبة مثلك

يشتهر الحسن بسبب وجهك

ويصير السكر حلوًا بقولك

لو أتحدث عن شفتيك الياقوتيتين، فهي مفرحة

ولو أتحدث عن ذؤابتك، فهي مبهجة

تملكين صدرًا مثل البللور اللامع

وتملكين فمًا مملوءًا بالسكر

لا يبدو أي موضع فيك أفضل من الآخر أبدًا

فإنك جميلة من الرأس إلى القدم

إنك مع كل هذا الحسن والجمال

لا يسعد شخص معك، فماذا تقولين؟

شخص جلس مع حور الجنة

لماذا ينهض بالمعاملة السيئة؟

شخص يقترن بملكة

كيف يعاشر مسكينة؟

شخص يحظى بجميلة مثلك

لماذا لا يُسر برؤيتك؟

بقيت في النار بسبب مشكلتي

أكابد الحزن في قلبي مثل النار

أخاف أن أفصح بسِّري لأحد؛

فأخشى على روحي بعد ذلك

الآن ما دام الأمر قد جاوز طاقتي

لقد أصبح قلبي مثل بحر دم بسبب هذه الغصة

لن أفشي سري
ولكن حتى يحين وقت الكلام
لو تعاهديني، وتفي بالوعد
أأتمنكِ على هذا الأمر
بشرط لما تسمعي سرِّي
تحفظيه، وتخفيه
ولو تقولين سرِّي الخفي لأحد
تتخضبين بدمائي في الوقت ذاته
لما سمعت جُل كلام تلك الحَسناء
لم تجد حيلة سوى أن تعاهدها
لما عاهدتها جُل، وأقسمت
قالت حُسنا: أيتها السيدة!
إن خسرو ليس مخلصًا لك
وينافقك دائمًا، ولا شك في هذا
هكذا يخالف قلبه لسانه خلف الحجاب
كما كان من قبل
كان قلب خسرو معك مثل النار
وقد بقى لك الدخان من ناره
لا يشفق عليك لحظة
وينافقك
إنك تعلمين أن خسرو في عنفوان الشباب
وهو أسد مفترس في الشدة والقوة
إذا كان يفكر في وصلك
كيف تواجهين قوته
الشاب الذي يعلم بالمعشوق
ولو ينبغي له ا عتلاء العيوق
يسير في الطريق
حتى يحقق مراد قلبه من المحبوب

شخص يحظى بالعشق والشباب
يجد معشوقة مثلك يسيرة المنال
لم يكن له عمل سوى تجرع الخمر
ربما كانت له محبوبة في الخفاء
إذا كان مشغولًا بأمرك
فلماذا يتعفف عن وصلك؟
اعلمي أيتها الحسناء أن خسرو في الناحية الفلانية
يملك معشوقة وجهها مثل قمر السماء
لا تملك جمالًا بلا نهاية فحسب
ولكنها تحظى بغاية اللطف
مع أنها مثل حور الجنة
لكنها قبيحة إلى جانب حُسنك
إذا لم تحظ بقدر من اللطف
لما احتار خسرو بسببها هكذا
إن خسرو مهموم بعشقها
كأن قيد قيده مقيد
لو يفكر يومًا في الصيد
يبتهج بالمحبوب
منحها مقدارًا من الذهب والثياب
وكأنها ابنة القيصر
كان الملك المبهج يسير خفية
إلى تلك الحسناء كل يوم كل يوم
لو تريدين الملك، أفكر في الأمر
وأحملك خفية إلى ذلك الإيوان
لما تجاسين خلف الإيوان خلسة
تدركين العلاقة بينهما
ترين أية حيلة يجب صنعها
حتى يعتزلها خسرو

تشاهدين طلعة تلك المرأة السيئة

التي تعلق بها الملك على هذا النحو

لما سمعت جُل ذلك الكلام

أدمت أوراق وردتها جميعها بسبب الغيرة

هكذا أصاب روحها ألم

حتى إن الدم نزف من عينيها

هكذا اشتعلت فيها النار، واحتمَّت

كأن النار قد اشتعلت في الوقود

قالت لحُسنا: الآن أرشديني إلى تلك المرأة المشئومة

التي عشقها ابن ملك الروم

وحتى أرى وجهها

أجلس في زاوية مستورة عنها

عندئذ أصنع خيلة

وإلا أسلك الطريق إلى مدينتي

حملتها حُسنا، وهي مطمئنة

وأخذت الجوهرة إلى مكان الرجلين

ذهبت مثل النار، وعادت مثل الدخان

تركتها لهما، وعادت بسرعة

لما رأت جُل مكانها هكذا

رأت الدنيا مثل الدخان أمام عينيها

صار قلبها بحر دم بسبب مكر حُسنا

وسال من ينبوع عينيها

لم يتركوها حتى تتنفس

وأغلقوا فمها بإحكام

قيدا ساعديها البللوريين معًا

وأحكموا قيد جسدها خوفًا على أرواحهم

وضعوها في صندوق ذليلة

وحملوها في تلك اللحظة من هناك

لم يسترح الرجلان في الطريق ليلًا أو نهارًا
ما داما قد استوليا على القمر
لما وصلوا من اليابس إلى البحر
ركبوا سفينة
كانا يفتحان باب الصندوق على تلك العاجزة
مرة في كل يوم
هكذا اختفت حورية الجنة
عن أهل السفينة في تلك الشدة
كانا يقولان: صندوق مطلي بالقار
فيه جارية بلا نظير
كانا يحملاها من أجل الملك
كانا يحملاها خفية مثل القمر
لما أبحروا خمسة أيام
سقطوا في دوامة في ذلك البحر
هبت ريح عكسية على البحر
فكان الموج يعلو حتى الثريا
كان الموج يحمل السفينة إلى القمر تارة
وكان يغوص بها حتى ظهر السمك تارة أخرى
علا صراخ أهل السفينة
كأن العالم قد انتهى مرة واحدة
في النهاية تحطمت السفينة
وتعلق لوح بغبار الريح العكسية
أسلم أولئك المظلومون المساكين الأرواح اللطيفة
في ماء البحر المالح
وصل قليل من ذلك القوم على قطعة خشب
من وسط البحر إلى الشاطئ
كان الصندوق يطوف في الدوامة
فكان يمضي إلى السمك تارة، وإلى العيوق تارة أخرى

كان يذهب من دنيا إلى دنيا

من وقت إلى آخر بفعل الريح

نجا سباحان ماهران

من الدوامة

أذاعا الخبر في كل مدينة:

إن السفينة غرقت، ومات الخلق

الآن، أيها الرجل الحسن القول والفعل

احفظ جُل في ذلك الصندوق

ما دامت لجُل قصة طويلة

فاذهب لتَقُص قصة هرمز

عودة إلى بداية القصة

ألا أيتها القطاة العالمة بالمعاني

لقد تجرعتِ ماء الحياة مثل النار

بقيتِ إلى جوار الخضر وإلياس

وانشغلت بنظم الدر والألماس

على بابِك ينبوع مثل ينبوع الخضر

لماذا بقيت ضمن العجائب مثل *الإسكندر*(٣٤)

عودي من الظلمة إلى الينبوع

وانثري الجوهر اللامع من الينبوع

خزان ينبوعك هذا من هناك

اعلم يقينًا أن هذا الجوهر من هناك

أنت أيتها القطاة مثل الجوهر في المنجم

وقد تمنطقت بالسيف دائمًا

ما دمت بليغًا في الكوكب الدري

فلتتحدث مثل القطاة

أنت دائمًا مثل القطاة اللطيفة

تحط في كل لحظة فوق حجر

تقفز من منجم الجوهر مثل القطاة

وتنتقل من هذا الصخر إلى ذاك

تخرج كل لحظة من الجبل مثل القطاة

وتهبط إلى قعر ينبوع الجوهر

لو أنك تدرك المعنى المتين

تجلس على الصخر مثل القطاة

تُخَضِّب المنقار بالدم مثل القطاة

وتشعل النار في الحجر بالكلام

تُنازع الصخر

حتى يصير ذلك الحصى خصمك.

معرفة خسرو بظهور جُل

هكذا قال ذلك الحكيم المبدع:

لما فُقِدَت جُل من قصر الملك

بحثوا عن جُل في كل ناحية

ولم تأت ريح بخبر عنها

صاح الملك، وأذرف الدمع

وتفجر مائة مجرى دم من قلبه بسبب الغيرة

كان يقول لقلبه: جعلني الفلك السيئ القليل الكلام

أدمي عدة أيام

أيتها الدنيا! أذليني بقدر ما تستطيعين

فما أطيب تمردك!

أطوف في الدم منتحبًا مثل الفلك،

لماذا لا أحترق في النهاية مرة واحدة؟

لقد احترق جسدي غيرة من جُل

وقلبي مملوء بالنار، وعيني مملوءة بالدمع

كيف أذرفت عين هذا المحترق الدمع؟

والنار قلما تشتعل في الماء!

كيف تؤثر النار في؟

فالمحترق لا يحترق مرة أخرى

أنا الذي جعلت التراب مدرًا بسبب دمع العين

واندلعت النار من آهة القلب الحزينة

أملك قلبًا يئن تحت جبل من الحزن

مثل قشة عاجزة، تحمل جبلًا

جننت بسبب حرقة الهجر

ماذا أصنع مع حزن يوم الفراق؟

أين تستقر معي أيها القلب؟ ومتى؟

وقد سلب حزنك النوم من قلبي المجروح

ما دامت قد اختفت، أرى العالم في النهاية

كيف أرى العالم في النهاية؟

أغمضت العين على الدم زمنًا

وهي مملوءة بالدم، والدم يسيل منها

إلهي! خلصني من هذا الألم

وحررني من حرقة الهجر والآهة الحزينة

اكشف لي هذا السر الخفي

فقد شق عليّ مرح الشباب

ما دامت قد قيدت الروح كما تريد

فقد فك الفضل الإلهي تلك العقدة

كانت امرأة هندية من مطبخ الملك

قد رأت وجه جُل في الطريق في ذلك اليوم

كانت حُسنا تمضي أمامها مثل السهم

تمثلت أمام خسرو، واعترفت

عندئذ دعا الملك حُسنا إليه
لما وقع نظر حُسنا على الملك
ارتعشت من الخوف مثل أوراق الصفصاف
وقد صار وجهها زعفراني، وانقسم قلبها نصفين
عجز لسانها عن الكلام بسبب تلك الهيبة
كأنها تعترف على نفسها
أذكر هذا الكلام من قول عالم:
لا يتفق الجبن مع الفعل السيئ
كل شعرة تطلبها من الرأس إلى القدم
كانت تدلل على جرمها
لم تتروى المسكينة عن ذلك الأمر
وأدمت روحها بسبب ذلك الأمر
أدرك ابن الملك في الحال
أن ذلك الأمر هو الذي وقع لحُسنا
انتقم الملك الرومي مثل الأتراك
وانقبض قلبه مثل شعر الزنجي المجعد
قال لحسنا: أيتها الكلبة! أفشي السر
قيدتيني، تكلمي
قولي: ماذا فعلتِ مع الياسمينة الصدر تلك؟
ماذا فعلت مع المحبوبة الوردة المتفتحة؟
لما سمعت حُسنا هذا الكلام من الملك
قالت للمك: لا علم لي بهذا الحال
إنك تعلم مدى حفظي للأمانة
ووفائي وعهدي ومحبتي
ولكن خلا منجم القلب من الكلام
ويمكن معرفة الحال بالكلام
الشخص الذي يعتاد المماطلة في الكلام
يملك لسانًا صادقًا في المماطلة

لماذا تماطلين يا من أنا تراب محلتك؟

فإنك تتصببين عرقًا بسبب المماطلة!

أمر الملك، فقيدوها مثل الكلب

وجلس خادمان عند رأسها وقدميها

ضربوها بالخشب

وسفكوا دمها

حُسنا تشرح مكرها لخسرو

صرخت تلك المسكينة المكارة قائلة:

الأمان أيها الملك الأمان!

اعطني الأمان؛ حتى أتكلم

ما دمت قد منحتني الأمان؛ أكشف السر

منحها الملك المجير الأمان

وأصغى إلى حديثها

كانت تريد السوء لخُجل من ذلك العمل

فحملت هي يا للعجب هذا العبء

يجوز أنه لما تسلك الطريق

تضطرب، وتقع في البئر

أطقت اللسان، وشرحت مكرها

لم تماطل، وشرحت القليل والكثير

قال لها الملك: أيتها المشئومة الجافية!

لماذا أصبحتِ خائنة على هذا النحو؟

الخلاصة، بكت كثيرًا

عندئذ ألقاها في البئر ذليلة

لما علم الملك بألم خسرو

تألم لألمه

لما يرى الأب ألم الابن

يخفق قلبه في النهاية

قال لخسرو: اصبر

ولا تقتل نفسك، واستحضر قلبك

حتى أصنع حيلة اليوم

وأبحث عن أثر القمر المبهج

أكتب رسالة إلى إصفهان

وأطلب جُل من ذلك الإقليم

إذا لم يرسل الملك جُل تلك لنا

يا.مره جيشنا

رسالة القيصر إلى ملك إصفهان

قال هذا، وأمر كاتبًا

أن يخطف القلم من كرة عطارد

لما أمسك كاتب الملك بالقلم

زين الرسالة باسم الحق

الله المنزه عن الكم والكيف

رب العالميّن بأسرهما

ملك العالم الذي صنع هذا الفلك العتيق

وجعل العقل مربي طفل الكلام

المحسن الذي أوجد العالم

ولم يكن له أي مقصود في العالم

لا موجود سواه في الحقيقة

ولا حد لطريقه، ولا بداية لملكه

نجاة العالم من ظل فضله

والكائنات مثقال شعرة من فضله

يجعل من النجوم شمعًا بهيجًا
يُذهِب الليل تارة، ويأتي بالنهار تارة أخرى
يجعل السكر في القصب، والأطلس في التوت
ويجعل التافه من الرجل، والرجل من التافه
صنفوا كثيرًا من التصانيف في وصفه.
كثيرًا ما عرَّفه بعضهم لبعض
كانوا يفكرون آلاف القرون
وفي النهاية أصيبوا بالعجز والحيرة
بعد ذلك أثنى على عيسى
المسيح الطاهر الروح، الصائب الرأي
اعلم أيها الملك أنه ليس هناك مخلوق على وجه الأرض
تمرد علينا
نحن من نسل الملك ذي القرنين
والملك وابنه الثقلان لنا
أنت تعلم قدر منزلتنا
ولا يبلغها الفلك مهما علا
ذلك الميدان الذي تغزوه
الفلك الشبيه بالكرة مضطرب فيه
أنا الملك الذي تكون الشمس فص خاتمه
فأي مكان لملك آخر على وجه الأرض؟
لو أغضب، فالجحيم هناك
يصير ماءً ويصبح مثل الثلج هناك
لا تهلك نفسك، ولا تغضب خسرو
ولا تجعل إصفهان مثل كحل العين
إرسل لي غصن الياسمين تلك
واخشى قتال جيشي
نسلبك الاستقرار
ونلحق بك الدمار في أقل من لحظة

لما ختمت الرسالة بختم الملوك

أعطوها إلى الرسول، ومضى

مضى الرسول الحسن الوجه إلى إصفهان

وجاء إلى قصر الملك في الصباح

حرب القيصر وخسرو على مشارف إصفهان

لما كتب القلم على اللوح الصديء

كان درعًا ورفع سيفه العلم

دخل الرسول على الملك في الحال

ومنحه تلك الرسالة في مكان خال

لما قرأ الملك تلك الرسالة كاملة

اضطرب قلبه بسبب القيصر

قرأها الملك الرفيع الشأن بدون تعقل

وطرد الرسول من أمامه ذليلًا

قطع ذلك الرسول الحسن الوجه الطريق بسرعة

ودخل على خسرو مثل الريح

أخبره بظلم ذلك الملك

فقد حشد الملك العالم بسبب غضبه

هكذا جمع القيصر خلقًا

لا يكون مثل أولئك الخلق يوم الحشر

امتلأت الصحاري والفيافي كلها بالرجال

ولم تجد الإبرة مكانًا في الصحراء بسبب الخلق

عدد الجند أكثر من الحصى وأوراق الشجر

ويزداد المدد في كل لحظة في كل ناحية

لو كانت إبرة عيسى تقع من الفلك

لا أعلم أن الأرض تسمح لها بالوقوع

حرب خسرو مع ملك إصفهان ومقتل ملك إصفهان

انبعث صوت الطبل من باب الملك
فضجت بلد الملك مثل البحر
انتشر صوت الناي الذهبي في العالم
فخفق القلب بسبب صوت الناي
اختفت الدنيا تحت غبار الطريق
وصعد تراب الأرض كله إلى السماء
على هذا النحو، كان تاج الملوك
يقود الجند إلى إصفهان
لما علم الإصفهاني بالرومي
جمع جيشًا، وأدرك الأمر
علا غبار الجيشين
وكأنه كان سُلَّم السماء
علا صوت الطبول في الصحراء
كأن الطبل كان يُقبِّل الأرض
من رنين الأجراس ونفير البوق
كأنه ينفخ في الصور يوم القيامة
نثر علم القيصر الدُر في وقت السحر
وسط غبار العسكر
صارت رؤوس الحراب
مثل أشعة الشمس من انعكاس صورته
من صورة الجوشن ودق الطبول
ذهل العقل، وزاغ البصر

أشرق شمس الملوك في صحراء إصفهان

في وقت الظهر

أضاء مكانه في الحرب

كان قصره مثل شمس شعاعها القمر

لما غرب تاج الفلك

تزينت عروس السماء

اختفت الدنيا تحت الخيمة

وصارت الأرض على شاكلة خيمة مثل السماء

كان الليل الحالك في هذه الخيمة الفيروزية أسودًا

وكرته الذهبية القمر

لعل الثريا أدارت الأسطوانة الذهبية

على عرش نرد الفلك

صار الليل حالكًا في طريق المجرة

وأضاءت الشمس ذرة ذرة

عرض لوح الأفلاك الجدول

سكن الليل ليحله *إقليدس*(٣٥)

لم يستريحوا جميعًا في تلك الليلة في الصحراء

حتى رُفعت المظلة عن رأس الفلك

لما سطعت الشمس من ذيل العقرب

انبعث صوت الطبل في العالم

لما صارت الدنيا مثل بحر من الزئبق

استيقظ الجيشان من النوم

اصطف أولئك الأبطال في كل ناحية

ووقفا في مواجهة بعضهما البعض

علا صياح الناي إلى الفلك مثل صور إسرافيل

من فوق ظهر الفيل

لبس الفرسان الأقوياء الأشداء

الحديد من رؤوسهم إلى أقدامهم

غرق مئات الآلاف في الجواشن من أقدامهم
حتى رؤوسهم مثل السمك
أولًا: تقدم المشاة إلى الميدان
وقد غرقت أقدامهم في الحديد حتى رؤوسهم
أطلق بعضهم السهام على بعض
واشتبكوا في لحظة
اختفت الدنيا بسبب غبار الفرسان
وأظلم الهواء بسبب إطلاق السهام
هكذا انتشر الغُبار في الطريق
حتى صارت قبة القمر مثل قبة الطين
اختفت الشمس والقمر تحت الغبار
وضل الفلك العارف بالطريق الطريق
ملأوا العالم بالشظايا من الرماح
وجعلوا الأرض شقائقًا من دماء الناس
كل شخص أصيب برمح
حملت الدنيا الشقائق من دمه
صار الفلك مثل بحر من الدماء
وصارت الأرض مثل العمود من حوافر الجياد
إذا لم يكن طاس الفلك معلقًا
لكان يصير مثل طست تراب مملوء بالدم
جرى سيل الدم فرسخًا فرسخًا
وتخضبت رؤوس الرجال بالدماء مثل السرطان
ظهر مجرى دم في أوج الفلك
وكان الفلك يموج مثل بحر من الدم
صار هناك جبل من القتلى في ناحية من البلدة
وصارت الناحية الأخرى بحرًا من الدم
كانت المركبات بلا أشخاص بسبب القيظ
وكانت تنزف الدم بدلًا من اللعاب

لما أسقط السيف أمطارًا من دم العدو

صار السيف قلمًا في يد الفرسان

هكذا قامت القيامة في العالم

وأقام الشياطين فيه بسبب الخوف

كانت القيامة، لكن مات كثير من الخلق الأحياء

وطرح كثير منهم في كل ناحية

أدمى وجه الأقاليم السبعة من دماء العدو

مثل وجه التقويم

كان عمل الأرض كله سفك الدماء

وراقب الفلك نفسه من بعيد

لما اشتعل طاس النار في الفلك

سقط الجوهر من طست الفلك

لما غربت الشمس

خرج الزئبق من مسام الفلك

فصلت مجموعة، القتلى بعضهم عن بعض

وعالجت مجموعة أخرى المصابين

لما بسط طائر الصبح جناحه

تعلق القمر المضيء بالسمك

صار القمر صيدًا للسمك مثل يونس

وصعدت شمس يوسف من البئر

اصطف قادة الجُند في طريق آخر

نُفخ صوران متقابلان في الدنيا

تقدم خسرو الصفوف ومن ثم

بسط أطلس من الدم تحت حوافر الجياد

صار مثل الرعد، وصاح في الحال

كأن هذا العالم اختلط بذلك العالم

هاجم بالجواد في المرتفعات والمنخفضات تارة

وضربت يداه بالسيف في الأمام والخلف تارة أخرى

كان يسفك الدم ويضرب السيف في الغيم
كأنه ملك الغيم بالسيف
كان الأجل يقترن بسيفه
وكان القضاء يمضي على رأسه مثل القلم
كان سيفه يمضي مثل البرق، وكان يطيح
بكثير من رؤوس القادة بضربة واحدة
كان القتلى فوق الجبل مخضبين بالدم
من رؤوسهم حتى أقدامهم مثل الشقائق
كان الصياح يعلو إلى القمر من المعسكر
مرددًا بسم الله والحمد لله
امتلأت الدنيا نورًا من شعلة الشمس
وصار كل سيف في الكف مثل النار
صارت الأرض مدرًا من دماء الجنود
وبقيت الجياد المهاجمة عاجزة في المكان
كانت الأرض تغرق في الدم
حتى إن السمك كان يسبح في الأرض
في النهاية لحقت الهزيمة بقائد إصفهان
من شمس الملوك
لما دار هذا الاسطرلاب الذهبي
نثر الزئبق من هذه الألواح التسعة
فرّ القمر إلى الأفق من يد الليل
ومضى من المشرق إلى هذه السماء
صار الفلك عَالَمًا مملوءًا بالدر النفيس
واتخذت الآفاق عالمًا من السحاب الصافي
صار الليل مثل الضرير
وأصبح أكثر ظلمة من قبور الكافرين
استغرقت طليعة الجيش في النوم غافلة
وبقيت في طريق السيل بسبب الغفلة

ضرب شيخ أستاذ طيب مثلًا، و قال:

النوم سلطان ظالم

خرج خسرو في تلك الليلة المظلمة

وأغار، وهزم العدو

التف بجيشه حول جيش العدو

وقضى عليه

استيقظ الجند من النوم فجأة

ولم ير واحد منهم الجند ولا المَلِك

قالوا: الوقت وقت الفرار

فالليل مثل الفحم أيضًا

طرح خسرو الشجاع الجواد عن الملك

لم يكن له منزل، وأدهشه خسرو

طاف حول الملك الضخم، وترجل عن جواده

وتوجه إليه

ماذا أقول؟ الخلاصة قتل ملك إصفهان

في وقت الصبح ذليلًا

ليلة لم تكن طيبة في الحياة

فطابت ليلته بنوروز الشباب

أيتها الدنيا! إلى متى يُقتل الكثير بسببك

ألا تشبعين مع كل هذه الأشخاص التي قتلتيها

ما دمتِ تحتفظين بالكهل العاجز

فلماذا تضحين بالمواليد؟

ما أطيب الموت المتوالي، أي أمر هذا؟

ففي كل لحظة مائة ألف موت لا موت واحد!

إذا لم يكن موت الناس موتًا عامًا

فما أطيب الحسرة على الأيام!

ابق في هذا السجن مثل الشمع

واضحك، وأنت تحترق

الشخص الذي مات لو أنك تتروى

وتفكر، ترى موتك

لماذا تبكي كثيرًا على الموتى؟

ويجب أن تبكي على نفسك منتحبًا!

لو يموت لك شخص

فأنت ذلك الميت، ولتبكي على نفسك منتحبًا

الطريق طويل، لكن بعد موتك؛

لذا يجب عليك أن تحمل الزاد والمتاع من هنا

إذا كان الداء أو الدواء من هنا

فزاد الطريق الذي بلا نهاية من هنا

إنك لا تملك سر الرحيل هنا

ولا تملك سوى الأكل والنوم

ما دمت تتألم من وخز الشوك

فماذا تصنع لو تلقى في الجحيم؟

ما دمت تغضب من شوكة

فلا تجور على أية ورقة ورد

إذا لم يسء ملك إصفهان

لما أصيب بمائة جرح من كل سيف

حين جار على خوزستان كل هذا الجور

صفع ذلك القفا من القيصر في إصفهان

لما ظهر تاج ملك الأنجم

من هودج الفلك الرابع

نزل الملك في إصفهان مثل جمشيد

ونوَّر العالم مثل الشمس

فتح باب، كنز الجوهر

وبسط يديه بالعطاء من قبل

شَهَر الأكابر بالخِلَع

ورفع شأن إصفهان

ولكن كان خسرو متعبًا دائمًا

لأنه طلب جُل في كل روضة هناك

كثيرًا ما بحث عن أخبار تلك الحسناء ولم يجدها

وأكثر من البحث في كل لحظة، ولم يجدها

قالوا للملك: غرق ذلك القمر

ولا علم للسمك به ولا الماء

لم ييأس الملك عن طلب جُل مثقال ذرة

فالعاشق حيّ بالأمل الباقي

لم يخلو قلبه من محبة ذلك القمر

وتعلق خياله بصورة وجه ذلك القمر

بكى كثيرًا، وصار مثل المجنون

ولزم داره خجلًا من الناس

أطلق اللسان مثل البلبل وقال:

يا جُل! جعلتيني أدمي

لقد خرجتُ من الدار مثل النملة

وألقتني الريح في الدنيا مثل الشعرة

أنتِ المحبوبة، ولا أرى منك محبة

ولا أرى جسدي أيضًا بسبب النحول

أين ذهبتِ؟ فإن روحي بدونك

صارت مثل بحر من النار

جعلت عينيّ تدميان، ورحلتِ

وضعتيني في الدم، ورحلتِ

هكذا أصيبت روحي بجرح

فسال الدم من مسامي

هكذا صار حالي بسبب انعدام النوم

حتى إن العدو يبكي عليّ منتحبًا

أمطر دم القلب من العين طوال الليل

فكيف أحفظ خيالك في العين؟

كل سر حفظته في قلبي

نقشته بالدم على وجهي

تعالي وألقي نظرة على وجهي

واقرأي كل هذه الأسرار على وجهي

لما اندلعت تلك النار في قلبه في النهاية

نهض لرؤية جهان افروز

كان يدور في ذلك الإيوان مثل المجذوب

وكان يطوف مضطربًا من دار إلى دار

رأى عرشًا ذهبيًا داخل دار

ورأى فوقه مضطربًا

جسد مثل شذرات الذهب من الضعف

أصيب بمائة محنة وألم

يئس وصار لونه الوردي زعفرانيًا

بسبب الضعف

لما شاهد الملك جزءًا من وجهها

كان ذلك الوجه القمري وجه جهان افروز

تألم قلب خسرو لألمها

وعلت وجهه صفرة مثل الذهب

قال لتلك المتألمة: أيتها الحسناء كيف حالك؟

لماذا تنقلبين مثل الفلك؟

لماذا أنت متألمة وضعيفة هكذا؟

لعلك مريضة بسبب ألم الهجر

لعلك مصابة بداء العشق

الذي لا يمكن شرحه

عرفته جهان افروز

وكأن الله قد وهبها روحًا من جديد

حملقت، ونظرت إلى خسرو

وأذرفت الدمع الدامي من عينيها على الطريق

هكذا سد الطريق أمام عينيها بسبب الدم

فلم تستطع رؤية وجه الملك

كلٌ بصرها بسبب الدم

وسدت الطريق أمام الفلك بسبب الدم

بكى خسرو كثيرًا على رأسها

وبلل فراشها بدم عينيه

بكى أكثر منها

وعجز، واضطرب بسببها

لما ثابت جهان افروز إلى رشدها

اقتربت منه وهي تبكي

كانت ترى وجهه مثل القمر البهيج

وكانت ترى خطه على وجهه زينة للدنيا

خط مثل الزمرد حول القمر

وآلاف الحلقات في جديلته السوداء

لما رأت وجهه، استبشرت

واغترت بذلك الوجه الشبيه بالملك

لم تفكر في أحد في تلك اللحظة

ولم تنظر إلى الخلف أو الأمام

شخص كابد ألم فراق المحبوب

كثيرًا ما يحزن أثناء هجره

كيف يفكر في سهم الملامة

من رأى السلامة في العشق؟

اضطرب قلبها بسبب انعدام الصبر

فأمسكت بجديلته الممطرة للمسك

لما كانت ترى جديلة المحبوب في يديها

كانت ترى خلق العالم جميعهم سُكارى

وضعت وجهها على وجهه

ولم يبق عقلها ولا روحها اللطيفة

هكذا كانت روحها تحترق شوقًا إليه
حتى إنها كانت تؤثر في الأحبة
لما فقدت تلك المبهجة صوابها زمنًا
قالت لخسرو: أيها الشمع المحرق للعالم!
الماء في جدولي دم بدونك
فكيف يكون الماء في جدولك بدوني؟
متى تخلصني من هذا الألم؟
ومتى تحقق رغبتك؟
انظر كيف آذيتني!
وكيف ألهبت روحي!
أصبتني بمائة محنة
وبعثرتني مثل شعرك
أغمضتُ عيني عن العالم
وألفت الراحة
جعلتَ يدي على رأسي وقدمي في الطين مثل القدح
وجعلت حاصلي الحرقة والحرارة مثل الكأس
سلبتني القلب، وسكنت في صدري
حتى إنك خطفت القلب، وأقمت في الروح
لا تنصب الفخ لروحي وقلبي
واخش آهتي الملتهبة في النهاية
لقد كنت طبيبي، فعالجني
وانظر إلى ألمي، وداوي روحي
ما دمت أذكر طبيبي في كل لحظة
فإن دمعي يسيل على جانبيّ
عيناي ضريرتان بدون ذلك القمر
فكيف صارت مظلمة وهي مملوءة بالنجوم؟
لما أضرت قطعة القمر تلك عينيّ
خرجت النجوم من عينيّ

هكذا انشغلت بمحبوبي المبهج

حتى إنني لا أطيق نفسي بسبب عشقه

إذا لم يعالجني محبوبي

فأنا قتيلة هذا الزمان بسبب عشقه

الخلاصة تحدثت في كل شأن

وتوقعت الإجابة من خسرو

قال الملك في البداية: أيتها السرو الياسمينية الرائحة!

أخبريني عن قصة جُل

أخبريني هل هي في هذا الإيوان أم لا؟

أين هي؟ وهذا المكان خفي أم لا؟

كثيرًا ما أقسمت تلك الحسناء

أن جُل قد غرقت

لا خبر لأحد في الدنيا عنها

ولا علم لي أكثر من هذا

لما سمع خسرو هذا الخبر، علم

أن هذا هو كل ما ستقوله

فسقط في النار مرة أخرى

وحزن قلبه على تلك المحبوبة

وقال: ازداد ألمي

وسقطت بعض أشواك جُل في طريقي

قلت لقلبي: هل أرى وجه الرفيق؟

هل أرى جُل وردتي في إصفهان مرة أخرى؟

لما أحقق رغبتي نهارًا

وجعل وصل المحبوب ليلي طيبًا

لما يظهر لي وجه جُل حقًا

بحسن عملي

صفا لي الحال منذ البداية

وملّت روحي في النهاية

ما دمت على قيد الحياة

أتحدث عن جُل، وأبحث عن أثر لها

ما دام لا يمكن البقاء لحظة بدون الروح

فلا يمكنني البقاء بدون الحبيبة أيضًا

ما دامت قد دخلت القلب، فإنها لا تخرج منه

أقول بتركها، فلا تخرج من القلب

لما أعيدها مرة أخرى من القبر

لا تتعقبها نملة

كأن قلبي يمنحني الدليل على اضطراب حال

تلك المحبوبة

أبحث عنها، حتى أجد أثرًا لها

فالروح تفضل الحياة

ينهض هرمز بسرعة، ويجدها

من يستطيع أن يفعل هذا سواه؟

لا أهدأ في العالم زمنًا

حتى أجد أثرًا لتلك التي بلا أثر

ما دام دُر روحي قد اختفى في البحر

صارت عينايّ ناثرة للدُر مثل البحر

أبحر الآن

حتى استرد دُري من البحر

لما تصير عين هرمز بحرًا بسبب جُل

فإنه لا يحمل العين من البحر أبدًا

ما دامت محبوبتي قد غرقت في البحر

فإنني اضطرب مثل البحر

ينبغي البحث عنها في البحر

ولا ينبغي غسل قلبها في البحر

أحرق سمك البحر بآهاتي

وأرفع غبار البحر إلى القمر

أحضرها إلى شاطئ البحر مثل الدُرّ

إذا كانت في الصخر، أخرجها منه

الآن ألقي نظرة على البحر

وأعيد دُرّي إلى اليابس

الآن أريد أن أبحر

وأترك الفيافي والصحاري

أطلب جُل في هذا البحر

أو أصير أسيرًا مثل جُل

لمن أقول هذا الأمر الذي حدث لي؟

وقد خفق قلبي من هذا الحمل الذي حمله؟

أين اختفيتِ يا جُل؟

فقد ذهبتِ عن عيني، وبقيت في روحي

احتجبت وراء سبعة حجب مثل إنسان العين

تعالي! فقد حجبتك هذه الحجب بسبب إنسان

يأتي لي كل جاهل ببرهان

والشمس لا تختفي في الماء

وقد اختفت شمسي في الماء

لأن إنسان عينها مملوء بالماء

أظلمت الدنيا في عيني؛ لأن

إنسان عيني ضاع مني

لما سمعت جهان افروز المفتونة ذلك

صارت الصحراء كلها بحرًا من دمعها

قالت لخسرو: يا محبوبي القديم!

لقد صار طرفي بحرًا، كما ترى

لو أفشي سر قلبي

أجعل الدنيا بحرًا من دماء القلب

لا تتركني وحيدة في هذا البحر

ولا تترك قلبي في مثل هذا الهوس

أنت الشمس والقمر أيضًا في عينيّ

أنا رفيقتك في الصحراء وفي البحر أيضًا

كل مكان سوف تمضي إليه

لا تبعدني عنك فيه من أجل الله

اخش آهتي الشبيهة بالنار

وخلصني من العيش السيئ

سهل عليك هذا الأمر في النهاية

أنا أنشغل بك، فوافقني في النهاية

قنعتُ منك بالرُؤية

وأنت تعلم كيف تجرعت الدم بسببك!

لو ابتعدت عني بسبب هذا الغم

يصيبني الدمار في هذه اللحظة

إنني أحترق بنار العشق والشباب

وأنت تعلم، لو تدعوني، أو تطردني

لو تأمر، أنهض إليك دامية

وأنزف الدم على تراب الطريق

لو تسفك دمي بسيف العشق

فماذا سوف يظهر من دمي؟ وكم مقداره؟

لا تراوغني؛ فالقلب كان يموت مائة مرة

إذا لم يشتم رائحة وصالك

لا أعلم ماذا أفعل؟ مع أن الغيرة قتلتني

وإصبعي يشاور إلى خيمة وصالك

لما جاوزت حرقة ذلك القمر الحد

ذهبت الملك للقائها وضيافتها

إبحار خسرو طلبًا لجُل

الخلاصة خرج الملك من عندها
واقترب من أبيه، وقلبه محزون
بكى كثيرًا، وتكلم كثيرًا
وتحدث عن فراق شجرة السرو تلك
قال: لو يسمح لي الملك اليوم
أسأل عن أخبار ذلك القمر البهيج
أسلك الطريق إلى الصحراء بجوادي العربي
وأبحر، وأبحث عن القمر
أسرع في كل ناحية مثل ريح الصبح
لعلني أجد أثرًا للوردية الوجه
صرت مثل وردة مخضبة بالدم بدونها
أموت لو أحيا بدونها
قال الأب: هذا القول ليس قولك
الشخص الذي يعقل ليس صاحبك
ذلك العاقل الذي يقول هذه القصة
يدعوك مجنونًا بسبب أمر جُل
كيف تبحر في أثر جُل؟
فلو أنك تصير ريحًا، لا ترى جُل
تتعقبها في الماء، هذا هوس!
فمن تعقب الأثر في ماء البحر؟!
ما دام السمك قد التهم ذلك القمر في الماء
فكيف تطلب القمر من السمك؟

تملك الأرض حتى السماء
ويحرم عليك الحزن على تلك القمر وذلك السمك
تعال إلى الروم، واسأل عن أخبارها في كل ناحية
ولا تسافر ما دمت لا تعرف الطريق
لما سمع خسرو ذلك الكلام من الملك
خفق قلبه بسبب انعدام الصبر
أذرف الدمع بسبب ألم الفراق
ولم يبق له قلب ولا عقل ولا صبر
غاصت قدماه في الوحل بسبب دموع عينيه
واشتعلت النار في قلبه
هكذا تصاعدت تلك النار إلى أعلى
ولم تخمد بماء البحر أبدًا
قال للملك: بقيت مكتئبًا بسبب جُل
وظللت بلا عقل أو نصيب
قلبي طائر، وقد بقى مضطربًا
عُلِّق من حلقه، ووقع في الشباك
الآن من كثرة ما طار
حطم القفص، وحلق في الحال
لو يملك جسدًا ثابتًا لحظة
يثبت في شجاعة لحظة
لا يأتي من جسدي هذا ملكًا
ولا يأتي وقار صاحب العمامة من هذه الرأس
ينبغي تاج للرأس أولًا
وتنبغي مملكة للملك في البداية
ما دمت لا أرغب في المُلك بدون جُل
فلا علم لي بالمُلك قط
ما دامت جُل لا تأتِ إليّ؛
فلا تنشغل بي وبتاجي

جُل كانت قلبي، وغرقت جُل في الماء

كيف يأكل شخص بلا قلب وينام؟

إن قلبي يطلبها ما دمت حيًا

فلماذا أكون جديرًا بالملامة؟

لا أعلم أضاعت جُل مني أم ضاع قلبي؟

أم الاثنان واحد، هذه هي المشكلة!

ما دام الخمر قد انمحى في الزجاجة، وما دامت الزجاجة قد انمحت في الخمر

فكأن جُل صارت قلبي، وكأن قلبي صار جُل

ما دامت جُل ليست معي في هذا الوقت؛

فإنني أبحث عنها اليوم، وأنا جريح القلب

ما دمت موجودًا، فأنا أبحث عن مطلوبي

لو أهرول عمرًا في محلتي

لما سمع القيصر ذلك الكلام من ابنه

ذهب من الروم إلى دربند

قال لخسرو: لقد استحكم قيدك

ولا تجدي معك أية نصيحة

يدمي قلبي بسبب رحيلك

ولكن ليس هناك سبب لاضطرابك

أدميت بسبب هجرك

وهذا أفضل كثيرًا من أن تضطرب أنت

ماذا أقول؟ الخلاصة لما تحدثنا كثيرًا

وافق الملك الذكي على رحيله

ودعه الملك خسرو في الحال

وتعقبت جهان افروز الملك

اتجه القيصر إلى الروم أيضًا

وذهب خسرو إلى البحر في أثر القمر

كانت جهان افروز مع فرخ وفيروز

وعشرة رجال آخرين ماهرين مبهجين

لما انقضى نصف شهر على القمر

صار ظهر القمر مثل الدرع الفضي

ركب أولئك القادة جميعًا

وتجاوزوا النجوم في السير

قطعوا الصحراء معًا ليلًا ونهارًا

لما شاهدوا شاطئ البحر من بعيد

لعل الملك كان يُجلس فيروز في المقدمة

أو يجلسه على مقربة منه وسط الجمع

رفع منزلته في كل شأن

ومنحه الذهب مثل ماء الذهب

قال له: إن طريق البحر ممتد على ناحيتين

ناحية اليسار وناحية اليمين

ينبغي عليك الرحيل إلى المشرق من هذا الطريق

لعلك تجد خبرًا هناك عن ذلك القمر

حتى أعود أنا إلى المغرب

لعلني أصطحب رفيقتي

لما سمع فيروز ذلك الكلام من الملك

جلس في السفينة سعيدًا في اليوم التالي

لما افترق فيروز عن خسرو

بدأ الخيانة بسبب الغصة

ما دامت الطهارة لا تكون في طبع شخص

فإنه لا يخاف من إبليسه

لما أخذ ملك الروم فرخ معه

تبدل حال فيروز الكلب المشئوم

هكذا غضب من فرخ وخسرو

حتى إنه احتد في الكلام بسبب ذلك الحقد

اتجه إلى ناحية أ خرى

وارتدى الدرع لسبب آخر

كان يقول في نفسه: من يكون خسرو في الدنيا
حتى لا تمكن الحياة معه لحظة؟
أحزنني خسرو بسبب فرخ
ووضع رأسي تحت قدمه
إنني لست أقل من فرخ في شيء
ولست مقتنعًا بمثل هذا القول
إذا لم يكن فيروز منير الدنيا
كيف يمكن أن يصير فرخ فيروزًا
إن كان كل واحد منهما ملكًا
فأي شأن لي بهذين الخسيسين
الأفضل لي أن أسلك الطريق إلى المدينة
وإلا أموت قهرًا بهذا الغم
يجب علي الذهاب إلى نيسابور
والإبحار إلى نيسابور
في النهاية أبحر بالسفينة بسرعة
ووصل إلى شاطئ البحر في أقل من عشرة أيام
جاء إلى نيسابور من بعيد
والتحق بخدمة شاه شابور
دعاه الملك شابور إليه
ولما صافحه أجلسه على كرسي
سأله عن فرخ وأين ذهب؟
ماذا حدث له؟ ولماذا انفصل عنك؟
فقد مضى وقت طويل منذ ذهبا من أجل صورة جُل
ولم يحضرا تلك الصورة حتى الآن
أطلق قلبي على تلك الصورة قرينتي
ما أجملها من صورة حقًّا!
الآن فك القيد، وافش السر
وأخبرنا عن فرخ زاد وصورة جُل

قال فيروز السيئ الحظ
ليظفر خسرو في كل أمر
اعلم يا شمع الملك وتاج الملوك
تاجك ملاذ أصحاب العمائم
أنه لا يمكنني شرح حالي بهذه السرعة
فقد كان حالنا كذلك وهكذا
لما عقد خسرو العهد معنا
لم يغب عن جدنا وجهدنا
لما رأى فرخ شجاعته وجماله
نافقه بسبب قوته وثروته
ولكني لم أخلص له
وكنت أنافقه بالضرورة
لم أجد الفرصة، الآن وجدتها
والتحقت بخدمة ملكي
هربت من خسرو في النهاية
فأنا منتصر حين أهرب في الوقت المناسب
بعد ذلك كل شيء كان قد حدث في الطريق
وضحه للملك
قال للملك: الآن خسرو في البحر
يبحث عن أثر لجُل يسارًا ويمينًا
يجب عليك أن تبحث أنت أيضًا عن ذلك الأثر
هكذا أعلم أنك سوف تجدها في الدنيا
لما علم شابور بالأمور
أرسل الخلق في كل طريق
ما أطيبك يا عطار في بحر الحكاية
إنك تملك دُرّ معنى بلا نهاية
صار الكلام عزيز المعنى بسببك
وصارت الدار الدنيا جنة بسببك

هكذا جعلتَ القصة

أمطار ربيع البستان في المعنى

استئناف القصة

ألا أيها الطائرة المتروي الماهر

ما مقدار القش الذي سوف تحمله من الدنيا؟

مقبرة الدنيا ليست مكانك

وفباء التراب لا يناسب قدك

ما دمت تملك وردة متفتحة في البستان

وما دمت تملك دُرًا غير مصقول في البحر

احضر لي باقة من ذلك الورد

واجلب لي صفًا من ذلك الدُرّ الموزون

لو أنك من قاع البحر، صر عديم الأثر

ولو أنك موحد، انثر الدُرّ

كل روح استغرقت في التوحيد

إذا نظرت إلى البحر، صارت دُرًا

ما دمت تملك الدُرّ، اجعل اللسان ألماسًا

وقل للفلك أدر حجر الرحا على رؤوسنا

هكذا قال من كان قوله صائبًا

البليغ الذي كان عالمًا بحاله هذا

لما أبحر خسرو

كان معه جهاز افروز وعشرة رجال

كانوا يبحرون بالسفينة

مثل السهم، ولكن لا يبدو لهم الهدف

لم يعلم أحد اي تفكير كان هذا؟

أين سوف يذهبون؟ وأين المقصد؟

لم يعلم أحد شيئًا سوى أنهم
كانوا يتجهون صوب المغرب وكفا
كان خسرو يأمل أن
تكون شمسه قد اختبأت في المغرب
كان يمضي إلى المغرب مثل البائس
وكان يبحث عن الشمس المحتجبة
ركبوا البحر أسبوعين
وفي النهاية ظلوا جميعًا في البحر
هبت ريح عكسية
فيئس الخلق تمامًا
هكذا ساقت تلك الريح السفينة
حتى إنها طافت بشرق الدنيا وغربها
لعلها كانت تشبه البرق في السير
فقد كانت تذهب إلى الغرب والشرق في لحظة
كانت تتجاوز القمر في الارتفاع تارة
وكانت تمر تحت السمك تارة أخرى
كلما كانت تقع في الدوامة
كانت تلتف مثل اللبلاب
يئسوا من الحياة تمامًا
بسبب الدمع الشبيه بالأمطار
اضطرب ذلك الماء ثلاث ليالٍ وثلاثة أيام
في اليوم الرابع ولما أشرقت الشمس
اندلعت النار في الشمس فجأة
فأظلمت دائرة القمر بسبب تلك النار
لما ظهر وجه يوسف من تحت الخيمة
انقسم القمر بسيفه إلى قسمين
هدأ ماء البحر زمنًا
ولكن الطريق لم يتضح

انتحوا في ناحية من الدنيا
وانحرفت السفينة
بدا طوفان في الطريق
وعندئذ تصاعد منه دخان أزرق
عجز جهان افروز ورفاق هرمز
أمام ذلك الطوفان
هكذا كانت تفوح رائحة كريهة من الماء
وكأن شخصًا يحرق القطران في النار
لم يكن الربان يعلم في ذلك الطريق
أطريق البحر أمامه أم البرّ؟
في النهاية ظهرت جزيرة
في وسط الطريق المظلم
كانت أرضها كلها مزروعة بالسنبل
كان الزعفران حول سنبلها
تحتوي أشجار الجوز المعطرة الممشوقة
أشجار الرمان والتفاح
لما رأى الفتيان الرمان والتفاح
أكلوا منه، وأصيبوا بكثير من الضرر
أصيب الجميع بالرعشة والحمى
وبقوا يومين وليلة في ذلك المكان
ظهر جبل مرتفع
استقرت قمته في وسط الجوزاء
جاوز ارتفاعه الأثير
وسبق سفيه السهم
الأشجار التي كانت فوق قمته
كانت تحتجب وراء الغيم شهرًا بسببه
كل غصن كان يقع على قمته
كانت ثماره تسقط على الغيم شهرًا

ظل الجميع في حيرة بسبب الحزن
حتى اعتلوا ذلك الجبل
تشابكت الأشجار
واقتربت بعضها من بعض
في كل ناحية ينبوع مثل ماء الحياة
وقد فتح رضوان باب الجنة
أزهر البنفسج ونمت الخضرة
ومزق نسيم الصبح جيب الوردة
شدت طيور الربيع بمائة لحن
حول الأغصان
الدراج والسمان حول الجبل
والبقر الوحشي وحمر الوحش والماعز الجبلي والغزلان
لم تكن عين الملك قد رأت
مرعى أجمل من ذلك في الدنيا
سر أولئك القادة بذلك الجبل
وفرّ قطيعان من الخيل
قصد الجميع الأقواس والسهام
واصطادوا الغزلان والماعز الجبلي
مر وقت، فأشعلوا النار
وأعدوا من الصيد شواءً طيبًا
أكلوا كثيرًا، وناموا
وفرغوا من الحزن
لما ظهر علم مالك النجوم السبعة
في الفلك الرابع
كانت الشمس قد سلكت الطريق وسط النجوم المحتشدة
من أجل المشاهدة
ظهر حادي الفلك فجأة
لما فرغ القمر من المشاهدة

قال خسرو لأصحابه في ذلك المكان:

لا يكون مثل هذا القدر من الصيد في مكان أبدًا

ينبغي علينا أن نصطاد كثيرًا

حتى يكون الصيد زادًا مناسبًا لنا

هكذا فعل أصحابه، وفي الوقت ذاته

أسرعوا في ذلك الطريق للصيد

لما نزلوا من الجبل إلى الصحراء

كانت الأشجار كثيفة في تلك الصحراء

ظهر مرعى في كل ناحية

وجرى ينبوع تحت كل شجرة

عجز طائر القلب عن الطيران

بسبب تغريد الطيور الحسنة الصوت

اختفت الأرض تحت المروج

واستولى الفلك على أوراق الأغصان

في الينابيع الشبيهة بالكوثر

آلاف الأسماك الفضية

هكذا كانت تلك الينابيع تتلألأ

وكأنها عين الشمس

يمكن رؤية شموس كثيرة في السمك

ويمكن رؤية السمك العائم في الشمس

لما أمضوا عدة أيام هناك

وصلوا إلى أجمة

كانت الأجمة بأسرها مملوءة بالأسود

وقد اصطادت غزلان المرعى

لما كانوا يرون كثيرًا من الأسود

رشقوها بالحصى بسبب الخوف

قال الملك للأصحاب: كان هذا مقدرًا

ولا سبيل للعودة من هذا الطريق

لا حيلة لشخص مع المقدر

ولا يمكن اجتناب حكم مضى

ما دام الحكم قد نفذ، فاخضع للقضاء

وارض بكل حكم يقدره الحق

الآن نتعامل مع الشجعان

ونحرس الطريق من الأسود المفترسة

قال هذا، وأشعل نارًا

وأحرق بعض الأشجار في النار

اشتعلت الأشجار مثل المشاعل

وكانت النار تندلع فيها، فاحترقت

تعاون أولئك الشجعان معًا

ونزلوا أمام الأسود

نثرت كثير من الأشجار النار

وكأن الجحيم استعرت في تلك اللحظة

كانت تلك الأسود الثملة تقفز في الطريق

وهي تزئر خوفًا من تلك النار

ساروا كثيرًا حتى تجاوزوا ذلك الطريق

ولم يستريحوا حتى مرّ شهر

ظهر بستان على قارعة الطريق

طاولت أشجاره القمر

غطى وجه أرضه الدُرّ والمرجان

والصدف ملقى فيه، والسمك مشوي

أصبحت الأرض كلها روضة شقائق من المرجان

واختفى الدُرّ والجوهر تحت القش

صار غبارها أخضر بسبب الخضرة

وأحاط بها البحر من الأمام ومن الخلف

كانت تطل على البحر

لذلك لم ينقطع الجوهر عنها

طابت الجزيرة كثيرًا لخسرو
حتى إنه اندهش لجمالها
قال للأصحاب: إنني لم أر بستانًا نضرًا قط
في الربيع مثل هذا البستان
لم أر أبهى منه في حياتي
وقد ابتهجت مثل الوردة بسبب هذا البستان
كان الملك يتحدث حتى النهار، وقد أظلم وجه القمر
بسبب شعر الليل الحالك
كأن قلب فرعون فرّ من نهر النيل
وامتزج بلون الليل
ليل وجهه أكثر سوادًا من الفحم
والكواكب مثل الجمرات على ذلك الفحم
لما انقضى نصف تلك الليلة
انبعث الصياح والأنين من ذلك البحر
وصل الصراخ والأنين إلى الأجمة
وانشغل خسرو بالتفكير في ذلك
مرّ وقت، فخرجت بقرة مثل الجبل
من ذلك البحر مع مجموعة من الأبقار
كانت في فم كل واحدة منهن دُرّة
أكثر تلألؤًا من شمع الجمع
وضعت تلك الجواهر مثل السُرُج
وقد مضى النهار، وصار الليل مثل جناح الغراب
كانت الأبقار ترعى حول ذلك النور
ولم تبتعد عنه
تعجبت العين من نور ذلك الجوهر
كأن تلك الجزيرة هي الشمس
بلى كانت تشع تلك الشمس النور
وكان مركزها ينشر الضوء لمسافات بعيدة

لما أضاء وجه الهواء بالصبح

بدا وجه البحر مثل الجوشن

توجهت الأبقار كلها نحو البحر

وقد حملت الجوهر، وتركت الصحراء

خفق قلب ذلك القوم بسبب ذلك الجوهر

ورغب كل واحد منهم في ذلك الجوهر

لما رأى خسرو الأصحاب يرغبون في الجوهر

أمر، فجعلوا الطريق موحلًا

وضع المحظوظون الطين في الطريق

وقطعوا الطريق بأغصان الأشجار

استراحوا حتى حل الليل

وانقضى يوم من عمُر هذه الدنيا

وضعوا النقاب العنبري على الأرض

وعلقوا الجواهر على الأفلاك

ضل ذلك الليل ليلًا

وسكنت الطيور، واختفى القمر في تلك الليلة

أخفت عرائس الفلك العجيبة

وجوهها خلف حجاب الأسرار

لما مضى نصف الليل، خرجت الأبقار

من البحر وهي تحمل الجواهر

لما وضعت ذلك اللؤلؤ البراق

ألقى الأصحاب الطين من أعلى

لما التصق الجوهر بالطين هكذا

خافت تلك الأبقار

مضت الأبقار جميعها من تلك الصحراء المظلمة

ونزلت البحر مضطربة

لما استولى الفتيان على الجوهر

سلكوا طريق الصحراء من هناك

ظهرت صحراء في الطريق

القنافذ فيها مثل الخيام

نبتت القنافذ كلها الحصى

كان لون ذلك الحصى مثل لون السماء

عجز الأصحاب جميعًا في المكان

ولم يستطع أحد أن يرفع قدمه

ظهرت مئات الآلاف من الثعابين

بلون الدم من تحت الحصى

كان كل ثعبان يتلوى مثل الحبل

ولكنها لم تؤذ أحد

اختفت تحت الحصى تارة

والتف ثعبان على آخر تارة أخرى

عجزوا جميعًا بسبب تلك المحنة

وبكوا جميعًا منتحبين

لما مروا هناك بمشقة بالغة

عبروا إلى ماء ومرعى

تناطح جباله بعضها البعض

وارتفعت أغصانه إلى الفلك

لم يستريحوا في تلك الليلة حتى السحر

أية راحة والجمع حيران وضال!

لما اختفى القمر، وطلع الصبح

جعل الدم المسفوك هذا الميدان أزرق اللون

كل جوهر نظمه الليل في شعره

تصدع بسهم الصبح مثل الشعرة

بدت المظلة الذهبية من جبل كشمير

وألقت بالجنازير على رأسك الأفلاك

سار عندئذ الأصحاب في طريق

ومضوا مثل الثعابين

ظهر جبل مرتفع القمة

طوت قمته عشرة منازل

كانت حافة الفلك موضع قمته

وكان هدفها الجوزاء في الرفعة

نظروا إلى الصحراء من فوق ذلك الجبل

فكانت الدنيا مكتظة بالنمل

كان النمل مثل الأغنام في الارتفاع

وكان الفيل يتأذى منه

إن كان هناك غزال أو حمار وحشي أو أسد

أصابه الضرر منها

هكذا لم تكن للحربة وللسهم تلك القوة

التي كانت في مخالب النمل

لو امتلأت صحراء بالنمل

كانْ النمل يصير نملًا من النوق

كان حصى الأرض شذرات الذهب

وكان لسان البقرة غصن ذهبها

لم يكن هناك مجال للعودة من ذلك الطريق

ولم يكن هناك طريق للمرور بسبب ذلك النمل

قال خسرو للأصحاب: الآن

عليكم بقمة الجبل، ولا تمضوا في الصحراء

نعود إلى الأرض من قمة الجبل

حتى نقطع محيط الجبل

هكذا فعلوا، ومضوا إلى تلك الأرض الشائكة

مثلما يمضي القمر في الغيوم

لعل ذلك الجبل كان محكًا للكواكب

وكأنه كان جبل جبال الفلك

لما جاورت قمته الفلك

كأنها صارت لون السماء

كان الفلك الدوار غمد القمة
وصارت تلك القمة مرصعة بالجوهر من الأنجم
لما رأى هرمز تلك القمة المنحدرة
قطعها مترجلًا
مشى هرمز فوق قمة الجبل
من يقطع السيف بقدمه؟
هكذا صعدوا الجبل
حتى سلبوا الفلك النجوم
لو كانوا يصيحون من العجب
كانوا يسمعون الصدى من الفلك الدائر
كأنهم خرجوا من الأرض
وألقوا بالحجارة من برج الفلك
لما كانوا يجعلون الدنيا صيدًا لهم في كل يوم
كانوا يشوونها بالشمس المحرقة
انطلقوا مثل السهم النافذ
وكانوا يمضون ليلًا ونهارًا مثل ضوء القمر
لم يكن الليل- الذي لا يضيء فيه ضوء القمر الأفلاك-
وقت السير، بل كان وقت النوم
لما ألقوا قمريهم على الفلك
خرجوا بأنفسهم في النهاية
فجأة ظهر أمام ذلك الجبل الصلد
بحرًا عجيبًا
كأن الماء كان يجري في العالم بأسره
والدنيا تهتز مثل الزئبق
كان الموج يرتفع من البحر في كل لحظة
ويصعد إلى السماء مباشرة
لم يكن هرمز قد رأى مثل ذلك البحر
ولم ترَ عينٌ مثل ذلك البحر قط

أمر؛ فأعدوا سفينة

وعادوا إلى الخشب والألواح

عندئذ أعد الربان ابن الملك السفينة بسرعة

وأبحر بها

وضعوا صيدًا وفيرًا في السفينة

واحتاطوا من الريح

أبحروا أربعين يومًا

وقد بقى الملك في السفينة مضطربًا محترق القلب

ازداد اضطراب قلبه بسبب الحزن

وندم على فعله

بقى حائرًا بسبب ضلاله

وبقى مضطربًا وسط البحر

هكذا خضبت جُل قلبه بالدم

وصار قده وردي اللون في هذا البحر

كثيرًا ما أذرفت عيناه الضريرة الدمع

فبدا البحر وردي اللون بسبب ذلك

قال: هكذا اشتعلت النار في قلبي

ولو أتحدث، يكون الكلام مثل الغبار والريح

ذهل قلبي المسكين

وغلى البحر من حرقتي

كان ينوح طوال الليل، وينتحب

كانت جهان افروز تواسيه

المرأة التي عشقته

وكابدت الألم من أجله

كانت تسبق الرجال في الطريق

وكانت تثأر من نفسها لعشق المعشوق

لما رأت وجه خسرو

نسيت الطريق والشدة

أيصدق شخص هذا الحال!

أن تشارك المحبوب في عمل يومًا

لتفتدي جهاز افروز مائة روح؛

لأنها كانت تعطي عشق الحبيب حقه كاملًا

بقي الملك العاشق في تلك السفينة

وأبحر بالسفينة أربعين يومًا كذلك

ماذا كان يفعل الملك؟ إذا لم يقدم على ذلك السفر

فقد كان نصيبه ورزقه في الطريق

الخلاصة هبت ريح في اليوم الحادي والأربعين

على البحر في الصباح

أحاطت بالسفينة ريح عاتية

فادارت السفينة مثل النار

كانت السفينة تهوي مثل قارون تارة

وكانت ترتفع مثل نار النمرود تارة أخرى

انطلقت السفينة على وجه الماء

مثل السهم النافذ ثلاثة أيام وأربع ليالٍ

في النهاية رست السفينة على الشاطئ

وقال الفلك للملك: لقد نجوت

لما عبر ابن القيصر البحر

شكر الله العادل وحمده

وصول خسرو وجهان افروز والأصحاب إلى جبل «رخام» وملاقاتهم الشيخ الناصح

لما عبروا ذلك البحر السفاك للدماء

ظهر جبل عال

فوق الجبل حصن من الرخام

احتشدت الأشجار حوله

ذهب خسرو إلى ذلك الحصن المنيع

وتعقبه فتيانه

كان يرى صفة أمامه من بعيد

كانت مثل الشمع المضيء بسبب النور

كان بساط الصفة من البوص والحصير

وكان في ذلك المحراب شيخ هرم

جلس مثل طائر على قمة الجبل

وتحرر من المسرات والأحزان كلها

وقف أمام الصانع

وقد وضع يديه بعضهما على بعض، وثبت عينيه

نامت قطة على ثياب الشيخ

وهي تشبه الأسد تمامًا

لما لم يكن له رفيق

جعل القطة رفيقة له

لو أنك أسد حجاب الأسرار

أفد من الرجل والقطة

مع أن الإنسان يألف القط والكلب

إلا أن وفاءهما أكثر من الإنسان

توقفت الملك حتى انتهى الشيخ

وبدأه بالسلام

أطلق الشيخ المجرب اللسان

وقال له: يا من عانيت كثيرًا

اذهب، واجلس، لماذا تطوف في الدنيا

فالخلق يزداد في الزمان

ما دام ليس هناك رفيق؛ فإنك لا تجد رفيقًا

ما دمت لست محرمًا؛ فإنك لا تجد محرمًا

عش وحيدًا في الزمان

فالوحدة أفضل لك من الصحبة

كثيرًا ما طفت حول العالم

وبحثت عن رفيق، ولم أره في العاقبة

كظمت غيظي من الأخساء طوال العمر

وطلبت أليفًا من الحق طوال العمر

مع أنني رأيت الكثير في الدنيا

فإنني لم أر أية صلاحية لأحد

لماذا أكون غصة في حلق الناس

ولا أرى الإنسان سوى في العين

لعل جداري كان منخفضًا

ولم يكن في ملكي جدار ولا باب

الآن مضى عمر، وأنا وحيد في الزاوية

أحدث نفسي وقلبي

ماذا أقول؟ لمن أقول؟ كم أقول؟

ما دمت لم أفقد شيئًا، كيف أبحث عنه؟

تصيبني حيرة الكفر

في هذا السجن الكافر الغدار

لا أعلم من أنا؟ أو من أين أنا؟

ماذا أصنع؟ وأنا غريب عن الجسد والروح

لو تسقط في هذه الدوامة لحظة

تصير أكثر اضطرابًا مني

لما كان خسرو يرى الشيخ حكيمًا

سأله أسئلة كثيرة متنوعة

ولكن ذلك الشيخ لم تصعب عليه الإجابة

في كل شأن

قال لخسرو: قلما رأيت شابًا

أعذب منك قولًا في الدنيا

لم أر مثيلًا لك في العلم

ولم أر عارفًا مثلك في العالم

الحمد لله إنني لم أمت
ورأيت حيًا في الحياة فجأة

وداع هرمز للشيخ وذهابه إلى بلاد الروم

في النهاية طلب خسرو منه علامة الطريق
وودعه، وكان يتبع العلامة
الخلاصة خرجوا من هناك
ووصلوا إلى جبل وماء وجسر
كانت هناك قرية طيبة وسط الصحراء والجبال
مملوءة بالنعم، ومكتظة بالخلق
ذهب الملك إلى القرية مع الأصحاب
وطلب دليلًا من أهل القرية
حتى يرشده في الطريق
ويخبره بالحسن والسيئ
كانت الشمس مثل حجر الطاحونة المطلي بالذهب
وظهر الفلك من تحت الطاحونة
ملكت تلك الزرقاء اللون آلاف الحبات
وطحنها حجر الطاحونة ذلك مرة واحدة
أتعلم لماذا سطع النهار
لأنه غبر بغبار الطاحونة
في النهاية مضى الملك ومجموعة الأصحاب
مثلما تمر الأمطار من الغيوم
وفي اليوم التالي أضاء ذلك الإيوان ذي التسع طاقات
بنور شمع الآفاق

علم القيصر بمجيء خسرو

لما علم القيصر بقدوم خسرو
استعد لاستقباله
مهد القيصر الطريق بسرعة
وأرسل الجواد والخلعة للملك أيضًا
تدلل وجه الشمس بأشعته
وطلع الصبح مخضبًا بالدم بسبب الغيوم
وصل القيصر حيث كان خسرو
مع العديد من الجنود في الصباح الباكر
لما رأى القيصر خسرو من بعيد
لم يصبر، واقترب منه
احتضنه، وسالت دموعه
وكثيرًا ما ضحى بالروح في فراق الأحبة حقًّا
قال له: احترق قلبي مثل كبدي
وأشعل فراقك أيها الابن النار في روح أبيك
كثيرًا ما كابدت الحزن بسبب خسرو
الآن منحني حياة جديدة بحمد الله
ماذا أقول؟ ما دامت الروح رفيقتي
فالبحث عن أثر الأحبة هو الطريق
لما أفشى هذا السر، نفد صبره
وسأل شخص في كل ناحية عن الأخبار
لم يكن هناك خبر عن فيروز أو جُل
وازداد حاله سوءًا في كل وقت بسبب هذا الحزن

لما اشتدت معاناته

مرض ذلك المسكين في النهاية

لم يفده الدواء ولا ماء الورد

كان علاجه جُل، وغرقت جُل في الماء

كان أبوه ينصحه مساءً وعند السحر قائلًا:

اسعد أيها الفتى، وتناول الكأس

إنك تملك الشباب وأسباب الملك

فلا تجور على نفسك، وافعل ما تريد!

لا تأمن هذا الفرجار الدائر

هذا العمر لحظة، فخذ نصيبك من هذه اللحظة

اشرب الخمر مسرورًا اليوم ما دمت تستطيع

فلا أحد يضمن الغد

اختر رفيقة أخرى في هذه اللحظة

إذ كيف تفتقر إلى جليس؟

إن لك في كل مكان قمرًا محتجبًا

ولتتزوج إذا رغبت!

دعك من جُل، إذا سقطت الوردة من البرعمة

ولو أن الورد لا يخلو من الشوك

إن لك كثيرًا من الحسان في ملك الروم

وهن في الطاعة أكثر نعومة من الشمع

اختر محبوبة من المكان

إلى متى تضع الشوك في عينيك بسبب جُل

لو تريد، يسعى مائتا ملك مظفر

لمصاهرتك

حزنت بسببها

كأنها قالت لك: لا تفطر إلا على جُل

يلزمك مائة قمر بهيج

ربما لا يوجد وجه وردتك

إذا صارت جُل مائة ربيع بالنسبة إليك

ففي كل ربيع آلاف الأزهار على الأغصان

إذا صارت جُل عالمًا مملوءًا بالسكر

تطلب عوالمًا كثيرة، إن وجدت

شردت بسبب جُل ما بقيت

ومشيت على الشوك تارة، وعلى الحجر الصوان تارة أخرى

كنت تعد رمل الصحراء زمنًا

وتطوي الجبل والبحر زمنًا

كانت قدماك تغوص في الوحل زمنًا

وكنت تضع يديك على قلبك زمنًا

كنت تتذوق كل ألم زمنًا

وتكابد الحزن والذلة زمنًا

فكر في أن الوردة تؤذيك بكل هذا الشوك

مع كل هذه الأعباء

مادمت تقامر بنفسك

فماذا تصنع إذا كانت جُل أو لم تكن؟

مادمت قد مت؛ فالوردة والشوك سواء بالنسبة إليك

إن جُل تصلح لك في الحياة

من يعلم هل ماتت جُل أم لا؟

وهل عاشت في الدنيا بدونك أم لا؟

حزنت عليها زمنًا

وكابدت المحنة والبلاء

لقد ماتت، ولو أنها كانت حية

ليتها كانت تستحق هذا الحزن

فارق جُل، وانفصل عنها

فكيف يرافق شخص ميتًا

صار وجهه مثل الذهب بسبب كلام أبيه

وصمت بسبب الخجل

جلس؛ ليرى أي خداع سوف يخدعه به

هذا الفلك الأزرق؟

من يفك قيد القَدَر، ويعرف تقديره؟

ولماذا يدبر القضاء تدبيره؟

كل شخص ابتعد عن مراده

صار ضحية ضربة الصولجان

بقي الجميع في خوف وحيرة

كيف نقول كيف بقوا؟

استئناف القصة

ألا أيها الببغاء المقيم على طوبي، انهض

طوبى لك، فانثر السكر من طوبي لحظة

ما دمت قرة عين المعاني

وروح قوت القلوب وعين الشمس

ما دمت شمسًا في أصل فطرتك

فلتنجز العمل بسرعة وبدقة

لو تخرج الشمس من الغيم من أجل ذرة

فإنها تمتنع

لو تنشغل مثقال ذرة

تكون غول نفسك بسبب تلك الذرة

ما دام كل شيء موجودًا في العالمين

ذراتك، وهذا عيان

فاطرح الأجزاء كلها، وابحث عن طريق جُل

تعَلل لجُل، واشرح حالك

هكذا قال ذلك البليغ المبهج:

إن جُل قضت عشرة أيام في الصندوق

سقطت وسط ماء البحر
وهبطت إلى الثرى تارة، وارتفعت إلى الثريا تارة أخرى
كانت أسيرة الماء والصندوق
في قعر البحر تارة، وفي العبوق تارة أخرى
كانت تسقط في القاع مثل كنز قارون تارة
وتطفو مثل الفلك تارة أخرى
ما أطيب خداع الفلك العجيب!
كيف أطاح بجُل بعيدًا عن حجاب الدلال؟
بقيت جُل في ذلك الصندوق شهرًا
قمر سلك الطريق إلى القمر وإلى السمك
جاور القمر السمك
لم يكن بين القمر والسمك إصبعان
بقى القمر في الظلام
وجرى الماء من القمر إلى السمك
حملت الريح العاصفة تلك المحتضرة تلك إلى ***تركستان***(٣٦)
ظلمًا
لما عبرت ذلك البحر
ألقى بها ماء البحر إلى الشاطئ
كان رجل قد وقف على شاطئ البحر
وكان يصطاد السمك من البحر
الآن لم يكن صيده السمك بل كان القمر
كان مثل هذا القمر أفضل له من مائة سمكة
كان يرى صندوقًا في الماء
ينطلق مثل السهم النافذ
لما اقترب ذلك الصندوق منه
وقع في قبضته
أخرجه من ذلك البحر
ووضعه، فرأى قفلًا محكمًا على بابه

قال في نفسه: لا أعلم أي شيء هذا؟

ولكني أعلم أنه شيء نفيس للغاية

لو أن هذا الصندوق خزينة

فليسعد قلبي في صندوق الصدر

ينبغي عليّ حمله من البحر إلى الشاطئ

ويجب عليّ أخذه إلى المنزل

قال هذا، وحمله إلى المنزل

وهمّ، وحطم قفله

لما رفع الغطاء وجد فيه ميتًا

ورأى الدنيا مدبرة عنه

صار وجه جُل الشبيه بالقمر زعفرانيًّا

وصار الصدر الشبيه بالفضة مثل السيف

يبس الفم، وشحب الوجه

وانقطع النفس، وفتر

اختلط السواد بالبياض

وجفت شفتاها من العطش

من يعلم على أي نحو كانت من الألم؟

كانت مثل ورقة الزعفران بسبب انعدام الزاد!

انحنى ظهرها مثل الصولجان

وقيدت رأسها وقدماها معًا

امتزج وجهها القمري بالمسك الندي

وانحنى قدها مثل الهلال

سمعنا كثيرًا عن السرو والقمر

ولكننا لم نر سروًا مثل قمرها

كانت قد نجت من البحر ومن السمك

وكانت قد بحثت عن القمر في يد السمك

لما انتهت جُل من محنة البحر

خرجت من البحر مثل الحوت

تزينت الروح اللطيفة بزينة الدنيا
وثقل حمل الباب على أذنيها
بعد ذلك حطم ذلك الرجل ذلك الصندوق
لما وجد نسرًا ممدًا فيه
لما رفع تلك الجذابة من المكان
كان قيد قد وضع على قد تلك الحسناء
جاء الرجل وفي يديه حجر صلد
وحطم قيد الحسناء المحكم
سرعان ما حرّكت الرأس والقدم ببطء
من ألم فك القيد ذلك
هكذا سر الصياد بذلك القمر
وكأنه سلك الطريق من الأرض إلى القمر
ذهب، ووضع سمكة على النار
لما شويت، انبعثت منها رائحة زكية
حملها، ووضعها أمامها
وقد طأطأت الحسناء القمرية الوجه الرأس فاقدة الصواب
لما وضع المسك أمام مشامها
انفتحت مشامها من رائحته
عطست، وانتعشت
وفتحت عينيها الشبيهتين بالسراج
لما فتحت عينيها الساحرتين
أصابها الحزن بسبب القلب
رأت نفسها شبه حية في العالم
ووجدت نفسها في عش
تعجبت من منزل ذلك الصياد
وعانت من آلامها زمنًا
قالت لنفسها: لا أعلم أي مكان هذا؟
وأي زمن ابتلاء هذا؟

إذا لم تكن روحي هذه قوية

لما احتملتُ كل هذا البلاء

إذا لم أكن من الحجر الصلد

فكيف نجوت من البحر؟

إذا كان البحر يرى دُرّ دمعي

كان يهوي إلى قاعه غيرة مني!

وإذا كانت الأمطار ترى دموعي

كانت تخاصمني مثل البرق

لعلني أرى هذا المكان في النوم

فلا يمكن وضع القدم على الأرض!

لما أصاب الحزن قلبها التعيس

تذكرت مكر حُسنا

بكت بسبب تلك الكلبة

وعلمت يقينًا أن ما حدث لها كان بسببها

كانت تقول في نفسها: لا يعلم خسرو

بأمر حُسنا قط

من يعلم أية إساءة أساءتها إليّ

وقد تخلت عن العقل من أجل الشهوة

جعلت روحي تدمي بسبب الغيرة

من يستطيع البقاء وسط دم الروح هكذا؟

ولكن لما يجاوز الماء مفرقها

يجيب عليها الجحيم بجمرة من النار

الآن بقيت مضطربة مثل الطائر

وبحثت عن الحَب؛ فوقعت في الشباك

لو أرى وجه محبوبي لحظة

لا أحزن، وإن مت

أين أنت يا خسرو؟ حتى ترى الحبيب

تعال أيها الجاهل، حتى ترى الأمر

لو أنك محبوبي، فكن عونًا لي الآن
وكن وفيًّا لي الآن مثل الأحبة
مات لي ساق حسن الوفاء
فصفا لك القسم، وكان نصيبي الثمالة
لعل الإنصاف اتنسى تمامًا
فكان السم نصيبي، والعسل نصيبك
انتظرت الفائدة من عشقك
لكني بعت الدنيا من أجلك
هكذا صرت عاجزة خلف حجاب الحزن
وصرت خيطًا حول العناكب
لما رأى الأصحاب جسدي تحت ردائي
فروا مني
انتحى الأصحاب عني في ناحية
وتعلق حاجبي بذلك الطاق
عيناك ساحرتان مهجتان
يشغلان روحي بك هناك
ما داما يشغلاني بك في كل لحظة
فلماذا انفصلنا عن بعض محزونين؟
كيف يجعلاني أتعلق بك؟
والدم يسيل من قلبي بسبب ذلك الجرح
لما أفشى ذلك القمر المهجور بعض الأسرار
أسقط الدر المنثور على الوجه القمري
احتار الصياد بسبب ذلك الأمر
إذ لماذا تبكي تلك الحسناء منتحبة هكذا؟
لم يكن يعرف اللغة الفارسية
فكيف يمكنه فهم الكلام؟
كانت غصن الياسمين تتحدث التركية
وكثيرًا ما رأى منها العشاق المراوغة

هكذا تحدثت بالتركية

وألمت بالتركية والصينية والهندية

قالت لذلك الصياد: افش السر

كيف أتيت بي مقيدة إلى هذا المكان؟

أي بلد هذه؟ وما اسمها؟

من مَلك هذه البلد في هذا الإقليم؟

أجابها الصياد في الحال:

إن هذا المسكن منزل الصياد

وقد سرت إلى البحر في الصباح

فكان صندوق يأتي مثل الريح

لما جاء أمامي، أخذته من جيحون

وأحضرته، وأخرجتك منه

هذه البلاد بلاد الترك والصين

وجميعها بلاد تركستان

الفغفور ملك هذه الديار

والصين بأسرها مزدانة بعدله

الخلاصة لما اطلعت جُل على الأسرار

شعرت بالجوع

طلبت طعامًا، فنهض الرجل

وأحضر كثيرًا من السمك. وطلبت الزيادة

استعادت تلك الحسناء قوتها بتناول السمك

فكان وجهها أكثر إشراقًا من القمر

لم تخرج شمع الزمان تلك من باب منزل الصياد

بسبب المرض

في النهاية لما انقضت ستة وعشرون يومًا

صار شهد جُل مثل الشمع المحترق

كانت قرعًا بلا عسل بسبب الألم

كأن العسل ولى عهد القرع

صارت شفتاها الورديتين مثل العسل
وأصبحت هي لطيفة القد مثل الشمع
هكذا صارت حسنة ولطيفة ونضرة
مثل حلوى السكر المحشوة
اندلعت الفتنة بسبب وجهها مرة أخرى
ونهض الميت من القبر بسبب رائحتها
صارت غمزاتها مؤثرة مرة أخرى
وصار مسك ذؤابتها حارقًا للعالم
صارت ذؤابتها المسكية أفضل من مسك الصين
ولم يظهر في الصين مسك أطيب منها
لما وضعت تلك الحسناء الشص في الطريق
اصطادت الصياد مثل السمك
خفق قلبه بسبب عشق تلك المحبوبة
فنهض فجأة قاصدًا وصالها
تحركت النخوة في دماغه بسبب جُل
كان شابًا واشتعلت فيه نار الشهوة
خفق قلبه
وحمله على ارتكاب المعصية
لما رأت جُل ذلك، قفزت من المكان
وأمسكت بشريانه
هكذا ضغطت عليه؛ حتى زهقت روحه
وانتهت حياة ذلك الجاهل
لا يحسن عمل الجاهل أبدًا
فالجهل ليس له أي دواء
لما مات الصياد المقدام
وارت جسده الفضي في التراب
ظلت جُل مستيقظة في تلك الليلة حتى حل السحر
واختفى القمر

وصاح طائر الصبح
ونادى في السماء والأرض
عرك أذان الصلاة آذان النائمين
بسبب الألم والحاجة
لما فرغت جُل من أمر ذلك الصياد
شكرت الله، وصنعت حيلة
قالت في نفسها: لو أخرج وأنا على هذا النحو
يضيع أمري من يدي
لما يروني حسناء فضية الصدر
يطمع فيّ كل شخص
الأفضل لي أن أختال في الآفاق
على هيئة الغلمان
لما أجعل نفسي على شاكلة الرجال
من يظن أنني سيدة في النهاية!
أسير إلى كل مدينة وناحية
ويجوز أن أعود إلى بلاد الروم
حيث أجد لقلبي محرمًا مناسبًا
وأعالج كل هذه الآلام في لحظة
لقد سمعت من متحدث عن الطريق
أن الباحث عن الطريق يهتدي إليه
في النهاية ارتدت قباءً مثل الغلمان
ومضت كالسرو المختال
حطمت القلنسوة طوق القمر المسكي
وارتدت القباء على رأسها وجسدها الفضي
جعلت القلنسوة من اللباد مثل الأتراك
وأعدت قباءً وقميصًا مناسبين لها
من يعلم ما هذا الأمر؟ وما الوسيلة؟
لعله يجد قلنسوة من ذلك اللباد

صنعت ثوبًا واحدًا مثل الرجال

وجعلت نفسها تاجرًا

ارتدت القباء، وتركت القميص

وارتدى العقل القميص بسبب تلك الحسناء

خلعت الزينة والمشغولات الذهبية كلها

وتركت جوهرتين في أذنيها من ذلك كله

ضج جوهر الفلك؛

لأن الجوهر صار حلقة في أذن جُل

ربما يلزم تلك الحسناء الفضية القوام

أن تُثَنِّي جديلتيها

إذا كانت تبسط ثنايا ذؤابتها

كان يحل مكان كل ثنية مائة ثنية

في النهاية جعلت جديلتيها جديلة واحدة مملوءة بالثنايا

مثل الغلمان

لما مزجت الجديلتين معًا مثل الشص

لم تستوعبهما يداها بسبب كثافتهما

لما سقطت الجديلة على ظهرها

أشفقت عليها الدنيا

أين كان خسرو في ذلك الوقت حتى كان يرى

وجه تلك الشمس الشبيهة بالقمر فجأة

في النهاية انطلق السرو الفضي

مثل السهم الذي يتجه نحو الهدف

هكذا كانت تمضي تلك الحسناء بسرعة

كما يمضي القمر تحت الظلمة

لما تنفس الصبح الناري من الجبل

رفع وجه الشمس علمًا من النار

هبت الريح طيبة في وقت الصبح

ولما تنفس الصبح، اندلعت النار

أشرقت الشمس من الجبل فجأة
مثل النار في بيدر قش
لما طلع النهار، مشت تلك الحسناء المحترقة القلب
يومين وليلة، وفي اليوم الثالث
لما صاح طائر الصبح
أعد الفلك حيلة جديدة
ألقى العذاب نظرة عليها في الطريق
وابتلاها بابتلاء آخر في الحال
قدم لها الحزن أمرًا آخر
فجاءت إلى قبرها بقدميها
في وقت الصبح سلكت الطريق من ذلك المكان
وقطعت أربعين فرسخًا في يومين وليلة
لما حل وقت الزوال، كانت الأرض تضيء مثل
ذؤابة تلك الحسناء في ذلك الطريق
كان الضوء يتخلل العالم
وكانت الأرض تمتلأ بأغصان الزعفران
كانت هناك قرية بالقرب من ذلك الطريق
فمضت تلك الحسناء إلى تلك القرية مثل الريح
لم تكن هناك قرية أخرى مثل هذه القرية في الدنيا
ولم تكن هناك قرية أحسن منها في تركستان
الماء يجري في كل نواحيها ومحلاتها
وغطتها الخضرة
تطير آلاف الطيور المتنوعة
إلى الأعشاش فوق كل غصن
كان طائر ينوح منتحبًا؛ لأنه
كان قد ابتعد عن محبوبه مثل جُل
ظهرت محلة أمام القرية
يتوسطها الماء، والأشجار متقابلة فيها

نما النرجس على حافة الجدول

وغطى الندى الخضرة، وأدمت الشقائق

اندلعت شعلة نار من الشقائق

فأخمدها السحاب بقطرات الندى

كان هناك منظر أمام المحلة

كان فيه دكانان في كل ناحية

من شدة حرارة الطريق، وبسبب العجز

نامت تلك الحسناء الفاتنة في دكان

كأنها حورية نامت في الجنة

أو نورًا سكن في النرجس

لما استغرقت جُل في النوم من رائحة الروضة

اندلعت الفتنة بسبب وجهها في الحال

كان البستان بستان ملك الصين قضاء

وكان أبهى من وجه الأرض كله

كان لذلك الملك حسناء خلف الحجاب

لم يكن القمر يظهر أمام وجهها

كانت بلورية الساق، وفضية الجسد

كانت حسناء الصين، وشمس الختن

كانت تُخجل السرو بقدها

وكانت تمنح اللبن بسكر فمها لعجينة السكر

كان السكر وقفًا على شفتيها الورديتين

وقد ذهل العقل أمامها

لما كانت تفتح شفتيها الياقوتيتين الأرجوانيتين

كان السكر يتساقط من ذلك الفم الصغير

إذا عضت بأسنانها على شفتيها الياقوتيتين الضاحكتين

كان ياقوت الشفتين يعلق بالأسنان

لما كانت عيناها الساحرتين تذرفان الدم

كانت ذؤابتها تتعقبه

رأت ابنة الملك وجه جُل الشبيه بالشمس والقمر
من نافذةٍ تطل على الطريق
فاحتضرت بسبب ألم العشق
وولى نهارها، وابتعد ليلها
ألقت الياسمين في حلقة السنبل
وبعثرت رياح الصبا المسك الندي على الورد
لما رأت الابنة شعرها الشبيه بالمسك الخالص
أيقظت الوردة الندية من الشاطئ اليابس
كان وجهها مثل النهار، وكانت ذؤابتها مثل الليل
وكان لها من الحُسن ثلاثون نجمة خلف الشفة
كان وجه جُل نهارًا في الليل
وكانت تبدو نجمة في النهار
لما راقبت تلك الفتاة خفية ليلًا ونهارًا
طاب ليلها، وسُرَّت في نهارها
لما ظهرت جُل لها ليلًا ونهارًا
كأنها أقامت معها ليلًا ونهارًا
كانت تتصبب عرقًا من الشوق مثل الشمع
وكانت تسقط الندى مثل المطر بسبب الذوق
وقفت أمام الدكان
فطار قلب الفتاة
كانت جُل قد جعلت نفسها على شاكلة الرجال
وكانت قد ظهرت في هيئة أخرى
تصبب وجه تلك الفاتنة عرقًا
وعلق العرق بوجهها مثل اللؤلؤ
ذؤابتها مجعدة ولامعة
وشفتاها الياقوتيتين لطيفتان ونضرتان
كانت تقول مرة: إنه سلب روحي القوة!
وكانت تقول مرة أخرى: إنه سلب عيني الدمع!

هكذا صارت الفتاة من عشق ذلك القمر

وكأنها أرادت السقوط من المنظر إلى الطريق

صار قلبها بحر دم بسبب عشق جُل

وأصبحت ذليلة بسبب عشقها

صار وجهها وردي اللون بسبب دم القلب

وأصبح قلبها مثل الشقائق بسبب الدم

استدعت تلك الحسناء جارية، وقالت لها:

إن قلبي يخفق بسبب هذا النائم في الطريق

زهقت روحي بسبب هذا الفتى الوسيم

وأدمى قلبي، وسال الدم من أهدابي

لما رأيتُ ذؤابته الشبيهة بالثعبان المتحلق

لدغني الثعبان، وفاضت روحي

قيد ذؤابته المبهجة مثل المسك

وقد صار قلبي المسكين أسير ذلك القيد

لا خبر لي عن نفسي في عشقه

وليس هناك ولد أفضل منه في العالم

مع أن في الصين كثيرًا من المرغوبين

فهم تراب الطريق أمام هذا القمر

إذا لم يتحقق مراد القلب منه

لا يُسر قلبي مرة أخرى

إن قلبي يخفق بسبب فستقه (فمه)

لذلك تمطر عيناي الدمع

اجلسيني معه زمنًا

حتى أثأر للدنيا منه

لما سمعت الجارية الكلام، نهضت

وذهبت إلى جُل مثل الريح، وجلست

استيقظت الحسناء الفضية الصدر من النوم الهانئ

فرأت الجارية في الطريق إليها

قالت لها بالتركية: يا من الشمس غلامك الهندي!

أنت زنجي، ولكنكَ مثل جمشيد في الصين

امش مع خادمتك؛

لأن الخاتون تدعوك إليها

إذا أطعت الأمر؛ نجوت

وإلا فالسجن مكانك، والمشنقة نصيبك!

فإذا لم يطعها تركي

تذكره بلاد الهند مثل الفيل

لعلك محظوظ؛ حتى إن تلك الحسناء

تعيدك إلى الحياة بمحبة القلب

ليس هناك صدر فضي في الدنيا مثل الخاتون

وليس هناك بستان آخر في العالم مثل هذا البستان

هذا البستان والخاتون كلاهما لك

وأنت تعرف الاثنين معًا الآن

لما سمعت جُل هذا الكلام، عجزت

وفهمت الأمر، وانتظرت النهاية

قالت في نفسها: لم تكن هناك أية فائدة

في خروجي على شاكلة الغلمان

إذا كنتِ مثل النساء

كنتِ قد استرحت من هؤلاء النساء الأخريات

ولكن إذا كنتِ امرأة أو رجلًا

فمن المستحيل أن أبقى بلا ألم

وجدني الزمان بلا ألم، ولا يعلم

أنني في مأتم مستمر بسبب هذا الألم

الآن أحيا بحزني

وينبغي علي أن أسلك طريقًا آخر إليك

ضل قلبي المسكين الطريق

وخرج من الحيّ؛ فسقط في البئر

ما أطيب الفلك المستدير السيئ الفعل!

فقد أصابني بألم آخر

أيها الدنيا! إنك تحتالين في كل وقت

من يعلم ماذا تخبئين خلف الحجاب؟

لما سمعت جُل الكلام، خجلت من تلك الجارية

وضاقت بقولها

وقالت لها: يا من خضبتيني بالدم

وتجاوزتي الحد

لا تُشَّهري بخاتون العالم

والأفضل لك أن تكوني حلوة اللسان

من أنا حتى أكون رفيق الملكة!

إنني لست شمسًا، حتى أبقى مع القمر

إنني غريب هنا وكسير القلب

ماذا تريدين من المخضب بالدم هذا؟

قالت هذا، ونزفت دم القلب

من عينيها مثل الأمطار

لما سمعت الجارية الكلام من تلك الحسناء

جاءت إلى الخاتون في الوقت ذاته

شرحت الأحوال كلها للخاتون

وأرسلتها الخاتون ثلاث مرات أخرى

لما لم تفلح الجارية

جاءت هي نفسها إلى جُل مثل الحسناء

قالت لجُل: أيها السرو الياسميني الرائحة

إنك تملك كل شيء حسن سوى الطبع

إن قلبي يتعلق بك مثلما الذرة

حين تشرق الشمس

أنا فراشة تعلقت بك

وطافت حول شمع وجهك

ما دمتَ قد سلبتني القلب، فلتفكر في روحي

فإن لك مكانة المحبوب حقًا

صار قلبي عبد هواك

فالقلوب تحيا بالهوى

لما رأيتك على البساط عيانًا

جعلتني أطوف حول كعبتين معًا

لماذا لا تأتي إلى بستان ملك الصين؟

لماذا لا تأتي مثل خسرو إلى حضن شيرين؟

أنت شمع، وقلبي فراشتك

شرِّف لحظة؛ فهذا المنزل منزلك

صرت حاد الطبع مثل النار

لعلك ولدت من نسل الملوك!

تعال؛ حتى نسعد معًا دائمًا

وتنام تحت الورد تارة، وتثمل تارة أخرى

قالت جُل النضرة يلزمني ذلك

ولكن مع خسرو في الروم لا في الصين

لما تحدثت كثيرًا شجرة السرو الصينية تلك

بدا الغضب على جُل

قطبت تلك الحسناء حاجبيها من الغضب

وفرت من أمام عين ذلك القمر

لما لم تستجب لها جُل

لم يبق لها صبر في القلب ولا استقرار

حقدت على تلك الفاتنة

واضطربت بسبب تمردها

دخلت تلك الماكرة البستان

وخضبت الإزار بالدم هناك

علا صراخها في الدنيا

فثار الخلق

كانت تتأوه بقلب دام ووجه ندي، وتقول:

واألماه فقد افتضحت الفتاة!

تجمعت كثير من الجواري حول البستان

والخدم المشهورين الذين يشبهون العنبر

قفز الجميع من أماكنهم بسبب الصراخ

ونهضوا مثل المضطربين

كانت تلك الفتاة قد سقطت ذليلة

وهي تفور مثل الخمر، وتئن منتحبة مثل الناي

قالت لهم: كنت قد نمت في مكان

وكنت قد ذهبت إلى كوة

واستغرقت في النوم جاهلة عن العالم

فما الفرق بين الموت والنوم؟

فجاء غريب، وفعل معي هكذا

وفضحني، وسفك دمي

لما حقق مراده، فجأة

خرج من القصر قاصدًا الطريق

فأسرعوا، وأمسكوا به في ذلة

وألقوا به على الأرض، وهو ينوح

واحد كان يلكمه، وآخر كان يصفعه

وواحد كان يشد شعره بقبضته

لما حملوه إلى ابنة الملك

وقفت غصن الياسمين تلك على قارعة الطريق

لما رأت الفتاة وجه قمر الأرض ذلك

وجدت وجهه مثل الوردة وشفتيه مثل العسل

قالت لهم: اقبضوا عليه

واخفوا هذا السر عن الملك

حتى أفكر زمنًا في هذا الأمر

فقد وقع الأمر، ومت بسبب هذا العبء

فتحوا باب المنزل بسرعة
وقيدوه على شكل حلقة
بقيت جُل الندية وسط التراب والدم
وانقلبت تحت قدم المحنة
جعلت تراب المنزل مدرًا بسبب الدم
وأخجلت الغيم والبحر بأهدابها
أذرفت تلك المبهجة قدرًا من الدمع
لم تسقطه الأمطار في يوم وليلة
كانت تتأوه قائلة: أيها الفلك الدوار!
إنني تعيسة؛ ما دمت قد ألقيت بي في الدم
إلى متى تجعلني أسيرة جورك
في كل لحظة
عجزت، ولم أر سرورًا
واحتضر قلبي بسبب هذه الدنيا
قل: إلى متى تعرك أذنيّ؟
فقد ضقتُ بجورك
جعلت مني تاجرًا
فلماذا تطوف بي حول العالم؟
تارة تغرقني في البحر
وتهيم بي في الصحراء تارة أخرى
افعل ما تريد فعله معي
فقد بعثرت الطرف الطاهر بسببك
لما مضى نصف الليل، مثلت الفتاة
أمام جُل يابسة الشفة مبتلة الوجه
توجهت إلى ذلك المنزل
ووضعت الشمع أمام القمر
ثم خرجت، وأحضرت الخوان
والشراب والخبز والشواء

قالت لجُل: يا طيب الأصل!

إن وجهك الحسن زينتك

إن قلبي نار أعتابك المتوهجة

وعيناي نافورة تراب طريقك

استجار وجهك بالهلال

فغطى الصدأ نصفه

طلبت السكر من شفتيك الورديتين

فاطلب أنت أيضًا شيئًا مني في النهاية

ابق معي مسرورًا ليلًا ونهارًا

فأنت المحبوب، وأنا المبهجة

تناول الخمر معي دائمًا

كن لي، واتحد معي

احذر دماء عيني

ولا تطلب شخصًا آخر، ولا تسفك دمًا آخر

اجلس معي، لو أنك تعقل

ضعني في عينيك، لو أنك تنصت

لقد مزقت حجابي بيدي

وندمت على فعلي الآن

ولكن القلب عشق هكذا

والعشق لا يستقيم مع السمعة الحسنة

ما دمت لم أر بسببك يا فضي القوام

فقد ضحيت بالسمعة، واشتريت سوء السمعة

لا تترك عاشقك هذا عاجزًا

لعلك لم تعشق أبدًا!

لو أنك تتألم في العشق مثلي

عندئذ تعلم خبر العشق

ولكن ما دمتَ جاهلًا بالعشق

فكيف تشعر بحرقة العشاق؟

ماذا كانت تعلم تلك المخضبة بالدم؟

فقد خرجت جُل بسبب العشق!

ما أكثر ما قالت تلك المحزونة القلب

وملأت عينيها الشبيهتين بالنرجس بالدمع

لم تتحدث تلك الحسناء المحبوبة

فلن يأتي من جُل أمر آخر

لا تأتي الرجولة من امرأة أبدًا

ولكنها كانت تعيسة هنا

قالت لها جُل: يا من فقدتِ الصواب!

وبسطتِ ساعديك لسفك دمك

إنك تريدين أن تطويني مثل جديلتك السوداء

وهذه هي طريقتك

لو أنك مثل الشمس

فلا تتمردي عليّ مثقال ذرة

ولو أنك تحترقين بسبب رغبتك فيّ

فإنك لن تجدي نصيبك مني يومًا

ولو تسفكين دمي على التراب

أحلك بسبب قلبي الطاهر

ولو تهيلين التراب على رأسي بسبب عشقي

يضيع هذا كله هباء، وتمليني

الشخص الذي اعتاد الدلال والإعزاز

كيف يدلل شخصًا آخر

خرجت من أمام جُل مثل الغبار

وبكت كثيرًا مثل المطر، وهي متألمة

انتهت المرة الأولى مثل الغاز

ولكنها صارت مكشوفة الرأس كالشمع في النهاية

دخلت والتراب على رأسها، والدمع في عينيها

وخرجت وقلبها مملوء بالنار، وصدرها مفعم بالغضب

عِلْم خسرو بأمر جُل

لما تنفس الصبح المحتجب من خلف الحجاب

رفعت عروس عالم الغيب العلم

تنفس الصبح الطاهر بأنفاس عيسى؛ لأنه

وجد أثر عيسى ومريم

لما أضاءت الدنيا مثل السراج

بشمع هذه الروضة الفيروزية

كانا هناك خادمان عدوين لابنة الملك

وكانا قد وقعا في شدة بسببها

فذهبا إلى الملك، وأفشيا السر

وقصا أحوال الفتاة كلها

هكذا فعلت مع الشاب ابن الملك

ونزفت الدم على الأرض زمنًا بسببه

كانت المدينة كلها تتحدث في هذا الوقت، واليوم

وكان الجميع يبكون بسبب هذه الغصة وهذه الحرقة

لما علم ملك الترك بتلك القصة

ضج فجأة بسبب هذه الغصة

ثار الملك

وفقد الاستقرار والصبر

اضطرب قلبه مثل البحر

وفاض موج الدم من عينيه

لما أدمت عيناه بسبب ذلك الحزن

لم تستطع عيناه الرؤية بسبب ذلك الهم

أمر الملك المعظم في ذلك الوقت

بأن يقطعوا رأس ابنة الملك

لما سمع الأكابر هذا الكلام

تشفعوا لشجرة السرو تلك

فهذا القتل ليس دأب الملك!

وهذه الأميرة بريئة بلا شك!

أذنب ذلك الرجل المجهول

ونامت الفتاة، وهرب هو في البلاد

أقسم ملك الصين كثيرًا

ألا يرفع القيد عنها أبدًا بعد هذا

الشخص الذي يملك ابنة في المنزل

يملك جسدًا نحيفًا وقلبًا مجنونًا

هَمّ الفتاة مسماو طرفك.

وإنه مثل الطوق الناري حول رقبتك

عندئذ أمر وزيره الخاص

أن يفقأ عينيها

لما رأى الوزير الخاص الملك هكذا

عطف على تلك العاشقة

أخذ الفضية الصدر تلك، وأخفاها

ونثر لسانه الدُرّ أمام الفتاة، وقال:

إنني أفقأ عين السوء من أجلك

ولا كانت لي عين، لو أفقأ عينيك

أخفيك لأن ملك الصين

يعاديك مثلما يعادي القمر الشمس

لما يرضى قلب الملك عنك

عندئذ أقول لك ما ينبغي قوله

قال هذا، وذهب إلى ملك الصين

وقد تخضب كمه بدم عينيه

وقال: فقأت عينيها،

وصارت الدنيا أمام عينيها مثل الخرقة

ماذا أقول؟ ليبعد السوء عن عين الملك

فقد أظلم ينبوع النور ذلك

لما سمع الملك ذلك، قال: لا تخف ولا تحزن

ولتكن تلك المشئومة ترابًا

قال الملك هذا، وأمر في ذلك ا لوقت

بأن يشعلوا النار في الطريق

يشعلون النار بالوقود والحطب

ويحرقون جُل النضرة في النار

لما يشنقوها وهي عاجزة

يضعوها في النار ذليلة

كيف تحتمل جُل ذلك، ما أسعدها!

نشنق في البداية، وتحرق في النهاية!

لا يجب أن يكون في طريق العشق أقل من هذا

والعاشق لا يوفق، ما لا يحترق

ما دامت النار هي بوتقة السالكين

فيجب أن تحرق النار المخدع

العاشق يرغب في بلاء العشق

فقلبه يدمي، ويحترق

بلى يكابد العاشق الكثير من هذا

ويرى المشنقة سريره

الشخص الذي سمع عن عشقه

لم يكن هو من عشق

ألا أين أنتم أيها العارفون؟

احضروا في هذا المجلس زمنًا

اسقطوا الأمطار من غيم العين

واهتموا لهذا الغم، وامطروا الطوفان

لم يأت القليل إلى هذا الطريق بسبب سفك الدماء
فقد أدمت زهرة العالم في هذا الطريق
انتشر الخبر في أنحاء تلك البلاد
أن الشاب سوف يقتل
ذاع الخبر في أنحاء مدينة الصين
فسلك الناس الطريق إلى البوابة
هرعوا من البوابة إلى البستان
وأحضروا جُل المحترقة الكبد
كانوا ساخطين عليها
وكانوا يجرون تلك الفضية الصدر من جديلتها
كان وجه جُل مثل القشة، وكانت عيناها تدمعان
وقد جعلت التراب كله مدرًا بدمها
شفتاها تنثران السكر، وجديلتها لامعة
وجهها كالجوهر، وعيناها باكيتان
أصابها الهم، وافتضحت
وحملوها إلى المشنقة والنار
في النهاية لما عجزت جُل مثل الحيران
أسقطت من كل هدب مائة طوفان
قالت في نفسها: يجب أن أفشي السر
ما دمت قد احترقت، فماذا أصنع؟
ما دمت أملك روحًا ملتهبة وقلبًا مقيدًا
أفشي السر، إلى متى أخفيه؟
وقالت مرة أخرى: تفتضحين أيتها المرأة!
فاصبري لحظة؛ لو أنك رجل أيتها المرأة!
وقف كثير من الخلق في الطريق
وتعجبوا من جمال ذلك القمر
قامت القيامة بين الخلق
من جمال وجه ذلك السرو الشامخ

قال بعضهم لبعض: لم ير أحد في الدنيا
أحدًا أحسن من هذا الشاب
شخص بدا هكذا وهو محزون
فكيف كان وهو مسرور؟!
لم يظهر خطه المسكي حتى الآن
لم تخط له الدنيا خطًا بعد
الجرم جرم ابنة الملك
مع هذا الحُسن الذي يتمتع به هذا القمر الفضي الصدر
لما حملوا تلك الحسناء إلى المشنقة
علا النواح في البداية
ضج الخلق
كأنهم كانوا يحتضرون
لما انبعث الصياح، وأُذرف الدمع
عمّ ضجيج يوم القيامة
لما اتجه ذلك القمر اللطيف إلى المشنقة
تأوه آهة حزينة، وهو فان
كانت تقول لنفسها: إنني لا أخشى المشنقة
ولكني أخشى فراق المحبوب!
إذا كان خسرو معي الآن
كان هذا أفضل لي من التضحية بالروح
ما أطيب التضحية بالروح!
ولكن ليس بدون خسرو
يمكن التضحية بآلاف الأرواح والقلوب في سبيل المحبوب
سواء في النار، أو على المشنقة
لم يكن الوفاء أن أضحي بالروح بدونه
لعلني أضحي بالروح في سبيل الأحبة
أملك قلبًا لا دواء له
ولا يحزن مثل هذا القلب على الروح

لو يستقيم أمر الأحبة بالتضحية بالروح

أجيز ذلك، وإن فاضت روحي

تعال أيها الحبيب! حتى ترى احتراقي

إنني أريد أن تراني اليوم

قرأ قلبي مائة تعويذة على الموت

ولم يسمع أحد، وبقى من الروح رمق

أدمى قلبي من لهيب جسدي بسببك

واستحسنت لهيب القلب بسببك

كان يمنعني بيد الأعداء

وكان يحكم بناء المحبة

بقيت تحت المشنقة ذليلة

ليحرقوني بالنار عاجزة

لا خبر لك عن النار ولا عن المشنقة

إذا حان الوقت، أنزلني من فوق المشنقة

المشنقة أقل شيء لي في العشق

والعشق أسوأ من المشنقة والنار مائة ألف مرة

أيها القلب! إلى متى تجعلني أطوف في الدم؟

وهل تعلم أنك تحييني؟

أذللت نفسك بيديك

وفضحتني، وسقتني إلى المشنقة

لم يفعل أحد ما فعلته معي

ألم تكتف من العشق حتى الآن؟

تتحدث كثيرًا، ولكن بدون فائدة

ولم يتحسن حالك

الشخص الذي عانى بسبب محبوبه

ماذا يصنع مع مائة شخص؟

أمر العاشقين ليس لعوبة

والمشنقة أول أمورهم

لو تخفق، فأي شأن رروح

لست رجلًا ولا امرأة، إنك مخنث

لو تريد أن تصير من أهل النار

دعك من الروح، ولتطف حول المشنقة

لما قالت هذا، ضجت بشدة

وتهيأت للموت

صاحت صيحة من القلب مثل الرجال

ورفعت قدم القلب من الوحل بالصياح

قالت: إن هذه الفضيحة اليوم

أسوأ من القتل، ومن كثرة الاحتراق

ولكنني سقطت مع الأوراق المتساقطة

وأقول: الروح عزيزة أيها الأعزاء!

لو كنت أعلم قبل هذا

أين كانت حرقتي هذه وضلالي؟

الآن علمت فجأة

ما قالوه عني أنا المسكينة للملك

ألا أيها الخلق، إنني وقفت على المشنقة

والله يعلم أنني بريئة من هذا الأمر!

أطلب المعذرة منكم لسببين

فعندي دليلان هذه اللحظة

لا تظنوا أنني محتالة وماكرة

فلم يكن الرجل ناهد الصدر أبدًا

لا تظنوا أنني ساذجة

إن صدري دليلي

إنني متألمة، ولا علاج لألمي

إنني امرأة عاشقة، ولست رجلًا

إنكم ترون امرأة منتحبة ومضطربة

أنا لست رجلًا، انظروا أيها الرجال!

إنني المرأة التي شردها الدهر

أنا تلك المرأة التي أبعدت عن بلدها

لم يكن هناك أي تقصير من الرجولة

ما دامت الفضيحة قدري، فما التدبير؟

ربَّى هذا الفلك الشيوخ

وهو عجوز، لكنه خسيس

الآن ما دمت أنا امرأة، فكيف أصير رجلًا؟

وقد كابدت هذا العناء مع قلبي كالرجال

كثيرًا ما كان الفلك الدائر سخيفًا مع هذه المرأة

وكثيرًا ما أساء إليها

الآن إذا متم أيها الشجعان!

فلا تتخضبوا بالدم بسببِ هذه المرأة

ما دام موضع الرجولة هنا

فاشفعوا لهذه المرأة المتعبة

ساعدوا المرأة المبتلية

حتى تكونوا رجالًا

لما رأى رجال الدنيا ونساؤها ذلك

ورأوا طوفانًا جرى على الأرض بسبب تلك المرأة

ثملت النساء مثل الرجال في المحلة

ولطم الرجال والنساء جميعهم وجوههم

لما رفعت جُل القميص عن صدرها

وأخرجت ثدييها

ضج الناس

كأن النار قد اشتعلت في الأنجم

اندهش الجميع من ذلك الصدر

واحتاروا في شأن جُل

ألبسوها النقاب

وأخبروا الملك عن تلك الحسناء

لما علم ملك الصين بذلك الأمر

دعا جُل النضرة إليه من المشنقة

لما دخل السرو الفضي الصدر من الباب

خفق قلب خاقان الصين

خفق قلبه بنظرة واحدة

صار أسوأ حالًا من ابنته في عشقها

هكذا فتن بحبها

حتى إنه خجل من نفسه بسبب ذلك الفكر

قال في نفسه: مع مثل هذا الجمال الذي تتمتع به

تعلق قلب الفتاة بها بسبب جمالها!

ما دامت قد سلبتني القلب بمثل هذه السرعة!

ماذا أقول؟ إن ابنتي كانت على حق

مع مثل هذا الوجه الذي تحظى به هذه المحبوبة

كثيرًا ما تحزن الفتاة على هذه المحبوبة

لا عجب من أن يحترق شخص بسبب هذه الحسناء

وما دام الأب قد فتن؛ فلا عجب من الابنة!

أرسلها إلى الحمام معززة

فجعلت ذلك الشعر المسكي المجعد جديلتين

خرجت من الحمام بأمر الملك

وقد زينوها بالمسك والأطلس في الداخل

هكذا أحبها الملك حتى إن

قلبه لم يصبر لحظة عن ذلك القمر

كثيرًا ما سأل جُل عن حالها

ولم تكشف تلك الحسناء عن شخصيتها

قالت له: كان أبي تاجرًا

وكان عمله كله الطواف في البحر والمناجم

حملني معه ي كل مكان ذهب إليه

وفي النهاية مات مشغولًا بأمري

غرق في البحر، وسقطت أنا فجأة

من السفينة على قارعة الطريق

جعلت نفسي على شاكلة الرجال

خوفًا من الأخساء

لما توجهت إلى المنظر

وقعت في النار والسجن والمشنقة

بقيت في القيد بسبب جور ابنتك

وقضيت فترة في ذلك الهم

لم أقل لتلك المبهجة إنني امرأة

وخشيت الفضيحة اليوم

كانت تتحدث على هذا النحو، حتى حل الليل

واحتضر قمر الفلك

انقلبت النجوم مثل مظلة خسرو

وصار ساحل بحر الفلك جدول دم

خرج الحارس من القلعة، والقمر من البرج

مثل المرآة من الدرج تمامًا

كان ملك الصين قد وضع شمعًا في تلك الليلة

وجلس مع تلك الحورية

كلما كان يرى جُل أمامه

كان يرى نفسه قد حققت مرادها

كانت الحسناء نحيفة الوسط سمينة الفخذين

وكان وجهها مثل الوردة، وكانت شفتاها مثل العسل

لما رأى الملك ذلك العسل والورد معًا

رأى عقله في ثنية تلك الذؤابة

وضعت ذؤابة جُل قلبه في المصيدة

وصمت العقل هناك

كثيرًا ما احترز من وصل تلك الحسناء

ولقد جعل الخط والخال في يد قلب شخص

لما نفد صبره

طار قلبه من صدره مثلما يطير الطير من العش

ملك الملوك شاب، والقمر أمامه

كيف يصبر، فكر بنفسك

هاجمها، وبعثر شعرها

حتى سقطت القمرية الوجه على رأسها

صرخت جُل العاشقة

وجرى مائة سيل دم من قلبها إلى عينيها

كانت تبعثر الشعر الأسود زمنًا

وكانت تذرف الدمع الدامي على الأرض زمنًا

صعد زئير الأسد إلى الأنجم

وسد دمعها الطريق أمام الناس

كانت تتأوه زمنًا

وكان الدخان يتصاعد من نار قلبها زمنًا

قال لها الملك: أي ظلم هذا!

اعدلي، أي صياح هذا؟

إنك تعلمين أنني الملك المضيء للدنيا

في حدود العالم الأربعة اليوم

لو أطلب وصل قمر الفلك

يتفاخر، ما دمت أتحدث عن الأصل

قبل أن تتمردي على ملك مثلي

ألا تخشي أن تجدي جسدك بدون رأسك؟

الأفضل لك أن تحتسي الخمر معي الليلة

إذ كيف تنشغلين بما مضى الليلة؟

تهنأين معي بالخمر الليلة

فإنك جديرة بالطرب والخمر

اقض على حزن القلب بالطرب

واطلبي العرس، وتخلصي من الحزن

ضجت جُل بسبب قول ملك الصين

وطفح دم قلبها كله بسبب الحقد

قالت له: أيها المحتال، النصاب

الجائر الظالم الباحث عن الظلم

أنت محتال، ولست رفيقي

ما دمتَ أنا النار، فإنك لست بيدري

اتركني، وإلا أنزف الدم من جسدي

بسبب هذا الغم في الحال

أُخضِّب نفسي بدمي

وأعتزل العالم بعاري

لقد نجوت من يد ابنتك

فلماذا أطوف في دمي تحت قدميك الآن؟

أنا التي ماتت أمي عاجزة

وغرق أبي في الحزن

تسأل قلبي المحزون عن عرسي

يوم القيامة

تطلب وصالي بقوة السيف، واأسفاه!

لو تقتلني، أُقبِّل سيفك!

قيد الملك جُل؛ وظن أنها

سوف تخضع له، أي مجال كان ذلك!

لم يفد معها القيد ولا النصح

فتركها الملك الثمل

ولكنه كان يذهب إليها مثل الريح

وكان يرى وجهها كل صباح

كان يتحدث عن كل أمر وشأن

ولكن جُل لم تتكلم أبدًا

لم تكن تنظر إليه

وكانت تشعر بالخزي من هذا الملك

لم نكف عن النواح والأنين

وكانت تذرف الدمع على الشقائق وهي مسرورة

كانت تتأوه، وتقول: يا مالك الدنيا!

لقد ضقت بأمر الدنيا

اخرجني بفضلك من الدنيا

إلى متى أحيا؟ اقبض روحي

لا أعلم بأي حظ وفأل أحظى؟

وفي كل لحظة أقيد بقيد جديد محكم

بقيت عاشقة، ورحلت عاشقة

كثيرًا ما عجزت. ورحل المحبوب

ما دمت لا أملك أي محبوب خلف الحجاب

فإنني لا أملك شيئًا سوى النحيب

أنيني هذا حسن لي مثل الناي

وقد طابت لي حُمَّتي هذه وعلتي!

صارت الحمى أطيب لي من آهاتي الحزينة!

وخفق قلبي بسبب الضعف

قلبي ملتهب بسبب عشق هرمز

ولكن عينيّ لا تجفان أبدًا

أين أنت يا من سكنت الروح؟

هكذا ظهرت، وهكذا اختفيت!

مع أنني لا أرى وجهك في ناحية

ولكنني لا أرى شعرة بدون وجهك

هكذا استوليت عليّ، ثم تركتني تمامًا

فلا أتذكر شيئًا عن نفسي أبدًا

أحفظ وردة من عشقك في صدري

توخزني بالشوك؛ لو أتنفس

اضطرب قلبي في العشق

حتى إنه لو يعذب في السماء يحتمل ذلك

أذرفت العين سيلًا من الدم

منذ غاب عن نظري

الجواهر التي تخرج من قلبي

تبين لك غضب قلبي الشديد

أجعل في كل شعرة مائة برق من الدم

حتى أغرق بدونك في ذلك الدم

ماذا أقول عن سر القلب أكثر من هذا

أنت نفسك تعلمه، ففكر مرة أخرى

لا أستطيع البوح بأسرار القلب كلها

فإنه يلزمني يومًا مثل يوم القيامة

قالت تلك الحسناء هذا، وفقدت صوابها

حتى إنها احتمت

هكذا كان قلبها ينتظر

وكان عشق خسرو سلواها

كانت تتمنى

أن ترى وجه محبوبها يومًا

انتحبت مثل طير مكسور الجناح

وبقيت مذبوحة في الشباك

كانت تحيا بالأمل، وإلا

لم تعلم مثقال ذرة خبرًا عنها بسبب الضعف

قضت يومها وأوقاتها على هذا النحو

ولم يكن لها رفيق ولا معلم

كان خادم قبيح موكلًا بأمر جُل

كان اسمه كافور، وكان مثل الفحم

ولكنه كان حسن الطبع للغاية

وكان صدقه أزكى رائحة من المسك

كان حارسًا للدُرّ المتلألئ

وكان يشفق عليها ليلًا ونهارًا

كان يحكي لها الحكايات ليلًا؛ ليواسيها

وكان يرافقها ويجالسها نهارًا

كان ينصحها دائمًا في كل محنة قائلًا:

لا تثقلي على القلب بمثل هذا الحزن

لا تبكي كثيرًا، فتجحظ عيناكِ

وتظلم الدنيا أمام عينيك المبصرتين

كثيرًا ما كان يقسم في كل وقت

لو أنني أعلم بحالك

أدبر لك حيلة بسرعة

وأسعد طالعك

لو ينبغي عليّ التضحية بالروح من أجلك

لا أحزن

أقسم أنني طفت العالم

ولم أر محبوبة في حُسنك

أعلم يقينًا أنكِ من نسل الملوك

ولكنك وقعت في محنة فجأة

لا تخفي عني السر الذي تحفظيه

وارفعي صوتك من خلف الحجاب

ماذا لو لا يعينك الخادم؟

لا يثق به ذلك الساعد الفضي

ناحت غصن الياسمين تلك ليلًا ونهارًا

وكان كل يوم يمر عليها أسوأ من الآخر

ضجت النجوم في الفلك

بسبب نواح تلك الحسناء

واضطربت الثريا من دُرّ دموعها

وغارت بنات النعش منها

كان دم عينيها يلون الشفق

وكان الفلك يضيق بنورها

كان طائر الليل يحترق من آهاتها

وكان الكبد يتخضب بالدم من تلك الحرقة

إذا كان الصبح يتنفس من خلف الجبل

كان نَفَسه ينقطع في الحال بسبب الحزن

إذا كان القمر يحمل الخيمة إلى الأفلاك

كان يضع المتاع في الأرض بسبب ذلك الغم

إذا كانت الشمس ترى حرقتها

كانت تذهب إلى الليل، لما كانت ترى نهارها

كان قلب كافور يحترق عليها، لكن

جُل لم تخبره بذلك اللغز

لما مرت سنة على هذا الحال

تبدل حال تلك الحسناء

صمتت حزينة

فقد اغتم قلبها في الفترة الماضية

لما فقدت الصبر والاستقرار مرة واحدة

وجاوز أمرها الحد في تلك الشدة

كثيرًا ما فقدت طاقتها قبل ذلك

ولكنها لم تحتمل أكثر من ذلك

استدعت الخادم يومًا بعد أن

اطمأنت تلك المبهجة لقسمه

هكذا أكثر ذلك الوفي من القسم إلى حد

لا يصدقه أحد أبدًا

لما كان يقسم، قالت جُل في ذلك الوقت:

علَّقت قلبك بروحي

مع أنك خادم، فقد صرت مخدومًا

وأصبحت الأمين في حدود الروم الأربعة

الآن سوف تكون محرم أسراري في العالم

ما دمتُ على قيد الحياة

الخلاصة لما تحدثت كثيرًا

بدأت من البداية، ووصلت إلى النهاية

طفح قلبها، فكانت تحكي تلك الحكايات

ولم تهمل حرفًا

كانت تتحدث، وتذرف الدمع من عينيها

علنًا تارة، وخلسة تارة أخرى

كانت النار تندلع في مفرقها كالشمع

وكانت تغرق في الدم بسبب دمع عينيها

كانت تتألم من دم القلب تارة

وكانت تمطر النار بآهاتها تارة أخرى

لما شرحت له حالها

تناثرت النار من قلب كافور

هكذا اندهش كافور من تلك القصة

حتى جفت شفتاه مثل المسك بسبب جُل النضرة

اشتعلت النار في قلبه من قصتها

وبكى كثيرًا، وأذرف الدمع

قال لجُل: يا من أنت مبهجة مثل الوردة!

إذا كتبتِ رسالة اليوم

أوصل الرسالة إلى ذلك المكان مثل الريح

ولكن ما دمتُ قد ذهبت، أبقى هناك

فإنني لا أستطيع العودة إلى تركستان مرة أخرى؛

لأن ملك الصين سيغضب عليّ

لما يعلم خسرو بحالك

يصنع لكِ حيلة في الوقت ذاته

ويبحث عن الوسيلة في كل شيء يعرفه

ويخلصك أيتها الحسناء

الآن ما دام القلب المضطرب قد ضاع من اليد

فلا تتركي الزمام من يدك مرة أخرى

استردي قلبك، واستحضريه

وامسكي القلم، واحضري المحبرة والرسالة

لما رأت جُل استغناءه ذلك

خفق قلبها من السرور

عطفت على ذلك الخادم

لأنه جدير بالعطف حقًّا

أعد الخادم متاع الطريق من ناحية

وبدأت جُل الرسالة بالنحيب من ناحية أخرى

كتبت تلك الرسالة، وعبرت عن حبها

ومنحتها لكافور الأسود، وأرسلته

اسمع الآن حديث رسالة جُل

وانظر لحظة إلى جلبةِ جُل

فريد هو بحو معاني هذا الزمان

وقد اختتم نثر الجوهر به

من كثرة المعاني التي أملكها لا أعلم

كيف أصيغها معًا

غبار معنى الضمير مثل شَعْزي

لين في يدي مثل العجين

استنبط المعنى من الضمير

مثلما أخرج الشعرة من العجين

من كثرة المعاني التي أصلها معًا

تسقط على الصدر مثل جدائل الحسان

استحضرُ المعنى الدقيق مثل الشعرة

وأتمعن ذلك المعنى

لما أعبر عن المعنى

أعود إلى رسالة جُل

استئناف القصة

ألا يا هدهد العشق الذهبي الجناح
أنت رسول العشق والمشهور به
احمل هذه الرسالة، واقصد سبأ
وإلا فاخلع التاج، واترك المنصب
ماذا أقول؟ ما دام سليمان قد دعاك
لو تتولى منصبًا، يستقيم لك
طلبك سليمان من العالم
فقد غبت عنه زمنًا
ما دمت تملك مثل هذا الجاه خلف الحجاب
فلماذا تعود من الطريق دائمًا
أنت جبريل على بساط إدريس
لماذا تقصد عرش بلقيس
لو أنك رسول، كن مثل جبريل الأمين
وتوجه من السماء إلى الأرض في لحظة
انشر صيت العشق في الفلك
واسعد العالم برسالة جُل

بداية رسالة جُل إلى خسرو

بدأتُ الرسالة
وأمسكتُ القلم، وبسطت الورقة
كانت الرسالة تحترق من آهاتي النارية
وكانت اليد والقلم يحترقان من لهيب الرسالة

جرى طوفان في العالم من دمعي

واشتعلت نار روحي في الدنيا

كانت النار تصعد إلى الفلك تارة

وكان البحر يجري في الأرض من دمعي

خادمتك بين الماء والنار

فكيف تكتب رسالة لك؟

لكن إنسان عيني عفا الله عنه

أراد كتابة هذه الرسالة بدم القلب

مزج السواد بدم العين

وكتب الرسالة كلها بأطراف الأهداب

كلامها ثمين مثل ماء الذهب

وقد انعكس وجهي على صورتها

معانيها كلها مثل الدُرّ

لأن عينيّ نثرا الدُر عليها

عفا الله عن إنسان العين الذي

احتجب دائمًا بدون وجهك

إنه لا يخرج من خلف الحجاب

وارتدى السواد، وتخضب بالدم

لما سدت الشقائق الطريق على السواد

بقى وسط الدم والظلمة

قنع بالبقاء خلف الحجاب

وتجرع الدم والحساء

أخطأت لم يتجرع الحساء

ولم يمد يديه إليه بدونك

أعد قلبي مائة هوس في وعاء الرأس

حتى طهى الحساء بدون رفيق

ما دمت لم تحضر، فقد بقى حائرًا

وسكب الحساء كله على وجهي

لا يقبل تناول الحساء بدونك

وصار مثل السمكة في المقلاة بدونك

لا نظلمني، وانظر إلى جفائك

وشاهد الوفاء والمروءة في عينيّ

أمسكت بزمام القلب

فتعال إلى طاق إنسان العين في النهاية

حتى يقدم لك الحساء

ويتناوله أمامك

يكثر الملح في حسائي

بسبب اضطراب روحي يا قريني

لو تسرع إليّ

تضطرب من ذلك الحساء مثلي

أخطأت، إنك ملك الزمان

ولا تعرف سرّ حسائنا

لو يعد مسكين الحساء

كيف يكون ضيفه ملكًا؟

اترك الحساء إذا رغبت في ذلك

وأعد لك شواءً من قلبي المحزون

أنت فلذة الكبد، وتملك قلبًا ممزقًا

التهم القلب أيضًا؛ ما دمت تسفك الدماء

عفا الله عن إنسان عيني الذي

سكن كفّة الدم بدونك

ألا تعلم ماذا يساوي الغرق في الدم الآن

في كفة الدم هذه

من كثرة جداول دم القلب التي جرت في هذه الكفة

ازدادت آلاف الفروع الدامية

إنه الآن يعد الكفة والدم

ويلطخ الميزان بالدم

لما وجد هذا الميزان اللسان من القلب

لكان للعين مثل الحاجب دائمًا

ما دام يحفر العديد من ينابيع الدم

فماذا تساوي عنده، ما دام يحفرها؟

ما دمت أمطر من عينيّ آلاف الينابيع،

فإنني أغرس بذورك كلها في باطن الأرض

ينمو مائة غصن لي من ينبوع الدم هذا

ولا يجوز أن تسقط على الأرض

أزرع أرض القلب بذلك الينبوع

لو ينفد الماء، أمطر الدمع

لما ينمو زرعي، ويصل إلى البيدر

أتنهد تنهيدة حزينة

تسلك آلاف الحبوب الطريق إلى عيني

ويصلني القش من ذلك البيدر

يروي لك الراوية حكايتي

ويناسبني القش والحَب من هذا الزرع

سوف يكون لي دائمًا الحب والقش

من هذه الأرض وهذا الينبوع

ما دمت على رأس هذا المرعى

اسعد أنت، فإنني لا أملك القوة

عفا الله، عن إنسان عيني فقد سكن

بين أشواك الأهداب بدونك

لا يخرج من بين الأشواك

فقد أظلم المنزل، ونام في الدم

هكذا سكن الشوك والدم

لأن أوراق وردتك الحمراء مختفية عنه

ما دامت ليست هناك وردة في هذا الزمان تنسجم مع الشوك

وما دام ليس هناك سرور يتفق مع الحزن

كثيرًا ما أعددت ماء الورد رغبة فيك

من عيني، بدون أوراق ورد وجهك

جمعت الأزهار من إصيص نرجس عينيّ

وبدت الأهداب على الباب مثل الأنابيب

تصاعدت النيران من القلب

فتقطر ماء الورد من الأهداب على الذهب

يتساقط ماء الورد من عينيّ ملتهبًا

في أثر ضيف مبهج مثلك

ماذا لو تضيء الزاوية الخربة

حتى ينثر ماء الورد على وجهك

ويسقي طريقك بقدر من ماء العين

فلا تمكنك العجلة في هذا الطريق

عفا الله عن إنسان عيني الذي سكن

الماء دائمًا مثل النيلوفر

ما دام هو نيلوفر بدون شمس

فهو يبحث في الماء عن أثر الرفيق

لو يحصل على الضوء من الشمس

يطفو على الماء مثل النيلوفر

يندفع الماء من بحر الصدر

ويستقر في العين كأنها الزجاجة

يمكنك أن ترى الجن في الزجاجة كثيرًا

ويبحث هو عنك في ا لزجاجة مثل الجن

أنت دُرّ أم جن أيها الملاك الثمل؟

لأنه يبحث عنك في الماء دائمًا!

يحيا بدون أكل أو نوم مثل السمك

ولا يحيا لحظة بدون ماء

يطوف في عيني

ويبحث عن الدُرّ في بحر عيني

اختفيت أنت مثل دُرّ البحر

ولا تظهر من تحت الماء

تكيف أنت مع العالم فارغًا من أمري

واضطربت أنا غواص البحر

إذا لم تخرجني من قاع البحر هذا

أموت في هذا البحر عاجزة

عفا الله عن إنسان عيني الذي غاص في هذا

البحر مائة مرة يائسًا

كثيرًا ما يستمد إنسان العين القوة من القلب في هذا البحر

لأنه ماء في الماء

غاص في بحر الدم دائمًا

فسقط في الدم، ثم رفع رأسه

استخرج الجوهر من بحر قلبي

وأنا أذرفُ الدمع من العين، وأنتهي

نظم جوهره بأطراف الأهداب

وسقط دُرّه على الأرض مثل المطر

لما تلتحق بخدمتي

لا يعفرك غبار الطريق

عفا الله عن إنسان عيني الذي يبحث عن

الرفيق في البحر ليلًا ونهارًا، وهو يحترق

لما كان بحر قلبي يفيض بالموج

من يعلم كيف حاله في هذا البحر؟

رأى في هذا البحر عجائب كثيرة

أحصيها لك كلها، فانصت

لما غرق معشوقه في البحر

خرج من البحر إلى الشاطئ، لكن روحه هي التي خرجت

لما كان يقول يا رب كثيرًا في البحر

رأى اليابس من البحر، لكنه كان شفتيه

لما بحث عن الجوهر كثيرًا في البحر

فرغ من أمر البحر، لكنه افتضح

لما بحث في ذلك البحر عن الدُرّ

وجد مائة دُرَّة، لكن في العين

لما ضاع القلب اللطيف من الجسد في هذا البحر

خرج من البحر، لكن خرج القلب مني

لما كان يجد ذلك الدُر، وقد ظهر من الغيرة

جرى دُر الدمع من البحر إلى الصحراء

لما غرقت الشفة العطشة في هذا البحر

عبرت البحر، لكن فوق الماء

لما سقطت رفيقتك في البحر

لم ينجو من البحر إلا حزنك

عفا الله عن إنسان عيني الذي

يضع اليد على وجهي دائمًا بسبب الدم

ما دام وجهي لا يتلون بلون الورد

فإنه لا يحظى بوجهي بدون دم

حتى يجعل وجهي أحمر أمامك

غسله بدم عينيه، ولا أقول هذا

تعجبت من إنسان عيني

لأنني أجريت مائة ينبوع دم

كيف يحيا في هذه الحرقة

ونَزْف الدم شغله ليلًا ونهارًا

ما دام يفعل مثل هذا الأمر من القلب

كثيرًا ما كان يجعل ترابي مدرًا بالدم

لعلك تأتي إلى المحلة، حتى يمكنك

أن تضع قدميك في الطين زمنًا

عفا الله عن إنسان عيني الذي

يجعل الدم مطرقة بالاحتيال

لما سفك دم القلب، وفارق الروح

سالت آلاف القطرات من الدم

كان يتفاءل بالمطرقة ربما

يخرج من الشوك بترك البحر

لو تحظى مائة مطرقة بهذا الفأل

تنهال جميعها على وجهي في الحال

لو يقامر

لا يبدو لحظة بدون حزن وألم عليه

لما صار قلب الملك محرمًا لعشقك

عفا الله عن إنسان عيني عفا الله

ما دمت حارسًا فوق سطح الحرم

يدق الطبل بالأهداب في كل وقت

لما يدق الهندي الطبل

فلا عجب لأن الهندي حارس!

ارتدى السواد مثل حاجبك

بلى يكون أسودًا مثل عبدك الهندي

أصيب بالهوس

فجاء أسود الوجه من المطبخ إلى الباب

صار أسودًا؛ لأنه ذل بدونك

وسال الدم على وجهه بدونك

صار أسودًا؛ لأنه نظر بدونك

واسوَّد وجهه بسبب هذا الخجل

ارتدى ثياب المأتم

لأن العالم أسود في عينيه بدون وجهك

صار أسودًا؛ لما حملق بدونك

واكتوى قلبي بسبب هذه الغصة

لما فسد حالي بسبب دمعه

أشعلت فيه النار؛ فاسوّد

سقطت عليه شعلة من نار القلب

فاسوّد، لما غاب النهار عنه

كأنه خليفة البحار الهائجة

لذلك ارتدى السواد

تصاعدت النار من القلب، وسقط الدمع من العين

ولما وضعته في النار، اسوّد

ما دام لا سبيل له إلى نور وجهك

هكذا اسوّد

من كثرة الدم الذي جلبه، وأسقطه

اسوّد كأن الدم تجمد فيه

لا عجب أن يقيم السواد فيه

فإنني أرى لون ردائه أسودا

اسوَّد؛ لأن عينيه نثرت الدُرّ

وكأن الدُرّ اقترن بالمرجان الأسود

هكذا هو مضطرب في هذا المأتم

وقد ألقى البلاء على رأسه بدونك

مكانه أسود، وهو محزون؛ لأن قدمه

علقت في القير بدونك

اسوَّد لأنه احترق بنار الهجر المستعرة

مثل المسكين، نعم لهذا هو أسود

لو أن دمعه ليس ماء الحياة

فلماذا اختبأ في السواد

إنه يرتدي السواد الآن مثل العسس

ربما يمضي في الليل، ولكن الذي يمضي هو الدم منه

جاوزت شجاعته الحد مثل العسس

ولكنه استمد شجاعته من القتل

اسوَّد من بلاء العشق المهلك

لأن قلبي يحترق مثل الشمس ليلًا ونهارًا

لما تصاعد الدخان من القلب إلى أعلى
اختفى سواد القلب بسبب الدخان
لما صار السواد طبع تلك العين
كتب رسالة إلى ذؤابتك السوداء

في وصف الشَّعْر

ألا أيها الشعر المَسكي!
لقد صرتُ شعرًا، ولستُ حجرًا
ألا أيها الشعر المسكي!
لقد سقطتُ مثل الشعر على الوجه
أنا مثل الشعر، وسكنتَ أنت في ثناياه
عقدتَ أنت الشعر، وأنت ترتدي الثياب الرومي
لو أصل إليك أيها الحبيب مثل شعرة
أخرج إليك من الجلد مثل الشعرة
لما كان شعرك يمطر المسك، فسافر
ومُرّ على رياح الصبا في السحر
أخبر شعرة مني عن حالك
وأسعد ريح السحر بشعرك
أخبرني عن نفسك مثقال طرف شعرة
فقد سقطت في الطريق مثل شعرك
بدا لعيني مثقال شعرة من الفراق
إن طاقي مثل شعر حاجبيك دائمًا
أنا مثل شعرة حزنًا على ذلك الشعر المسكي
ولا يساوي هذا شعرة عندك
سقطت مثل الشعرة على ظهري
فلا تتمرد مثل شعرك

لو أرى شعرة منك في ناحية

أعود إليك مثل الشعرة

لو أشرح مثقال شعرة من ألمي

تخطفني التنهيدات مثل الشعرة

لا أساوي في عينيك شعرة؛

لأنني أبدو في عينيك مثل شعرة

صرت مثل الشعرة وأية شعرة!

إنني أقل من شعرة، فما سبب هذا؟

مع أن جسدي يبدو كالشعرة

ولكنه لا يساوي شعرة عندك

صار جسدي مثل الشعرة من الضعف

ولا أجد منك عونًا مثقال شعرة

إذا كنت تعينني مثقال شعرة

فكيف كنت أنقلب مثل شعرك؟

بادل هذا الفاني الحب مثقال شعرة؛

حتى يقوى هذا الحبل بالشعرة

لو تُغيثني مثقال شعرة

تخرجني مثل الشعرة من العجين

لقد وقعت ذليلة مثل شعرك

يليق بك أن تربت عليّ مثقال شعرة

أنا شعرة أسيرة جبل من الحزن

فانظر إلى مثل هذه الشعرة المثقلة بالأحمال

متى سوف ألحق بك مثل شعرك

فالشعرة لا تستطيع حمل جبل

لا أحظى بالقوة مثقال شعرة بسبب الضعف

فأنا شعرة معقودة الوسط مثل النملة

طريق عشقك دقيق مثل الشعرة

وقد جعلتُ وجهي شعرة مثل الشعرة

لن أعلم عنك مثقال شعرة

فكيف تعثر شعرة على شعرة

لو تقيد قيد قيدي بشعرة

فإنني لا أقدر على جذب الشعرة

لو أن جسدي لا يكون أقل من شعرة

فقد كانت لي قوة شعرة

لما صار جسدي شعرة من العجز

فكيف تعلم شيئًا عن هذه الشعرة؟

لو تملك طرف شعرة على الكتف

فأنا تلك الشعرة، فاحفظها، أو لا تحفظها

جعلتُ الجسد بدونك مثل الشعرة

وإنني أنثني مثل شعرك بسببك

تتمرد عليّ دائمًا مثل الشعرة

وتقيدني بشعرة

لا أملك سبيلًا لهذا العمل مثل الشعرة

ولا أحظى بقوة ساعد الشعرة

بقيت الآن مثل شعرة من الضعف

وبعثرتُ شعري

لو أبدو مثل شعرة في الجسد

أبدو مثل شعرة من تحت القميص

لو أقع على القميص مثل الشعرة

أتأذى من كل شعرة

أنا حزينة ومغمومة بدونك مثل الشعرة

وقد تعلقت بك مثلما تتعلق الشعرة بالقيد

لا يعصاك قلبي مثقال شعرة

وإنني أجذبه من شعره إلى بابك

إن قلبي ليس في يدي مثل شعرك

ولا يتحول هذا القلب الثمل عنك مثقال شعرة

ما دام قلبي مضطربًا من شعرة

فقد خرجت عيناي من رأسي كالشعرة

بلى، لو أنني مقيدة مثل شعرك

أضع رأسي على تراب محلتك كالشعرة

لو تقطع رأسي مثل الشعرة بدون سبب

لا أعصيك مثقال شعرة

لا أشيح بوجهي عنك

فقد تعلق القلب بك بشعرة

لو بتمرد القلب عليك مثل الشعرة

يكون حاصله منك القيد مثل الشعرة

لا أملك رأسي، مثلما لا أملك شعرك

لأنني أسقط في كل مكان مثل شعرك

لو تثنيني مثل الشعرة

لا أتمرد مثل الشعرة بسبب الحرارة والثني

لو تطرحني على الوجه مثل شعرك

لا أتمرد مثل الشعر

لما كانت شعرة منك أفضل من العالمين

فإنني لا أستطيع رؤية أقل شعرة من رأسك

لا تأسرني مثل الشعرة بدون سبب

إذ كيف أتمرد عليك مثل الشعرة؟

لو تضطرب بسببي مثل الشعرة

لا تبقى لك شعرة بعدي

من تكون أنت؟ ما دمت أنا مثل شعرة مقيدة

وليست لك صلة بأحد مثل الشعرة

ماذا يحدث لو تأتي وتراني مثل الشعرة؟

وتسكن عينيّ مثل الأهداب

لا تنقص شعرة منك لو تمر عليّ

مثقال شعرة

لقد بقيتُ في السواد مثل الشعرة
أنثر الدم من شعر الأهداب
كن حادًّا مثل شعر الأهداب
واسفك الدم بشعرة في النهاية
أريد أن أقابلك أنا المضطربة مثل الشعر
وجهًا لوجه مثل شعر الأهداب
أمسك بشعرك، وأثمل
وأضم شفتيّ مثل شعر الأهداب
منذ ضاع ذلك الشعر الشبيه بالشص من يدي
أعقد يديّ مثل شعر الأهداب
إذا بقيت شعرة من العالم
نرتبط معًا في النهاية مثل شعر الأهداب
أصنع آلاف الحيل مثل الشعر
لعل شعرة منك تطل عليّ
أصير على مفرقك مثل الشعرة
وأغرق في الدم مثل الشعرة
أنا التي بقيتُ بدون ذلك الوجه مثل الشعرة
وظللت أكثر اضطرابًا من الشعرة
أنا بعيدة عن وجهك مثل شعرك
أنا شعرك في الاضطراب
إلى متى أنا أسيرة ثنية شعرك
ضعني على الأرض مثل شعرك
لو أطوف، حولك مثل الشعر
انقلب على رأسي من السرور مثل الشعر
أنا التي صرت شعرة بسبب عشق وجهك
وأنت الذي طرحتني مثل شعرك
ما دمت قد طرحتني على قدمك مثل الشعر
فاحضر ذلك الشعر حتى أنهض من المكان

لو ينعلق شعرك بيدي

يحتد هذا القلب المتعب مثل الشعر

أنا شعرة بائسة

أكابد البلاء بكل شعرة بسببك

سقطت في الفخ بدون وجهك مثل الشعر

وبقيت مضطربة وذليلة مثل الشعرة

جسدي بدونك مثل الشعرة

وأمري مضطرب مثل الشعر

يهجرني مثل الشعر

ويواجهني بالسيف

لما أبتعد عن شعرك المجعد

أبقى محني الظهر مثل شعرك

ما دام أحد لا يحزن على الشعر

فلا رأس لحزني مثل شعرك

عالمي أسود بدونك مثل الشعر

كأن لي حزن في كل شعرة بسببك

الشعر مجتمع على وجهك

لذلك أنا مضطربة بدونك مثل شعرك

لقد سقطت على الوجه دائمًا مثل الشعر

فلا تمد شعرة منك لي اليد

لو يصير قميصك شعرة

لا أعلم هل كانت شعرة على جسدك

كم تطوف في دمي مثل الشعرة

ولا تسأل مثل شعرة كيف حالي!

منذ مزقتَ قلبي مثل الشعرة

تمردتَ عليّ مثل الشعر

كم تملك جسدي مثل الشعرة

وإلى متى تقيدني مثل الشعرة؟

جعلتني مثل الشعرة، وسفكت دمي

ولكنك لم تكف عن الجور على شعرة

لقد صرت مثل الشعرة، فأظهر وجهك

فقد كان هذا الحزن بالنسبة إليك أقل من شعرة

أنا شعرة، سلكت الطريق إلى العالم

وأنت لا تعبأ بشعرة من العالم

لما بقيت بدون شعرك أيها المتمرد

ظلت قدماي في النار مثل شعرك

بيني والموت شعرة

انظر إلى جسدي، فإنه تلك الشعرة

مع أنني عاجزة مثل الشعرة

فأنا لقمة ثقيلة على عينك مثل الشعر

كيف أنقلب على الرأس مثل شعرك

ما دمت تضعني على الأرض مثل الشعر

مع أنه لا سبيل لي إلى شعرة

فأنا أقل من شعرة بسبب ظلمك

تبعد النوم عن هذا العاشق بشعرة

ونقضت عهد الوفاء مثل شعرك

لا يأتي الوفاء من الثمل مثقال شعرة

ولا ينمو الشعر في كف اليد

أنا الشعرة التي أبكي دمًا بسبب الغيرة عليك

ولم تبتل شعرة لك بدمعك

لماذا لم تقل شيئًا مثل الشعرة؟

إلى متى أنت كثير التثني مثل شعرك؟

أنا ضعيفة معك مثل الشعرة

فضعني على الأرض ذليلة مثل الشعرة

شعرك المجعد مثل الثعبان أيها اللطيف!

وقد جرحت قلبي بشعرة

صرت مثل الشعرة من ألم جرحك

كيف يعرف الشعر الألم والراحة

أتسمت لي، ليتك أوفيت مثقال شعرة

حتى أحزن مثل شعرك الأسود

لو أجد السبيل إلى شعرك الأسود

احتضنك سعيدة مسرورة مثل شعر الثعلب

إذا أصبح نهاري الأبيض مثل الشعر

بقى أملي فيك مثقال شعرة

اجعل رأسي كرة يا شعري المسكي!

وأقول: كثيرًا ما كان شعرك صولجان

لو أنني في البئر، وشعرك على القمر

يكفيني شعرك حبلًا يا يوسف البئر

ولو أنني على القمر، وشعرك على التراب

يكفيك الشعر وهقًا يا عيسى الطاهر

لا وجه للحديث عن الشعر أكثر من هذا

فإن طرف شعرة منك لا تتحرك

لما تمرد شعرك عليّ كالشعر

شق قلبي الشعر في شرح شعرك

إذا كان لي لسان في كل شعرة

لما كفّت شعرة عن الصراخ أبدًا

أشق الشعر في كل بيت

لأنني أجدل الشعر في كل بيت

لما كان شعري سداة دقيقة

فإنني أقول كلامًا أدق من الشعرة

بجري الحديث عن الشعرة بمائة طريقة

فتعال، لو ترى الشِعْر في الشَعْر

لما صرت شعرة في سن القلم

اضطرب خط الرسالة مثل الشعرة

لما لم تكن شعرة نصيبي منك

طالت قصتي هذه مثل شعرك

إذا لم يكن عندي أمل طرف شعرة

لم يكن لي في تلك الرأس مثل شعر هذه الرأس

إن جسدي مثل الشعرة دائمًا على أمل وصالك

لا يترك طرف شعرة من يده

لو بقيت بيننا شعرة

بقى لهذا الأمر مائة طريقة مثل الشعرة

كيف يُقطع هذا الشعر

ولا يملك هذا الشعر أي سبب

هناك شعرة بيننا

وسطك تلك الشعرة أيها الفريد

الفلك يساوي شعرة عندنا

ولو يصير شعرة، فإنه لا يستوعب تلك الشعرة

كل من لا يضطرب مثل شعرك

لا خبر له مثقال شعرة عن سره هذا

كم تكلم عن الشعرة أكثر من هذا

لا يأتي من الشعرة شيئًا أكثر من هذا

كثيرًا ما تحدثت عن الشعرة أيها القمر!

الآن أشق الطريق مثل شعرك

كثيرًا ما تحدثت عن شعرك الممطر للمسك

لتكن مائة روح فداء شعرة منك.

وصول رسالة جُل إلى خسرو

ألا يا عندليب غصن البصيرة
وساق روضة الخلق
لو أنك في إصفهان أو العراق
تحدث بالتركية بدون نفاق
ما دمت تحظى بألف صوت في حلقك
وتملك أسرارًا بالتركية وبالعربية
ونملك وردة أسيرة في تركستان
يليق بك الحديث بالتركية
ماذا أقول؟ تحدث بالفارسية
فقد خطفت الكرة من الفلك في الفارسية
شد الوسط، واحكم الرسالة
واحملها إلى خسرو العاشق من المعشوق
هكذا قال من حمل كرة الكلام
لما ختمت جُل رسالة خسرو
عندئذ ذهب الخادم إلى ملك الصين
وطلب منه السماح بالسفر
قال للملك: إن لي شريك
ظننته أمينًا على مالي
فرّ مني، وأسرعت في إثره كثيرًا
ولو يتعقبه الخادم، فهذا هو الصواب
الخلاصة لما أعد كل شيء
أوكل خادمًا بأمر جُل أيضًا
ثم سلك الطريق من الصين مثل الريح
وطوى طريق شهرين في شهر

سار حتى حدود بلاد الروم
وعرف طريق قصر القيصر
دخل، فأنزله حاجب
وأخذه إلى الملك معززًا
شكر الملك، وأثنى عليه
وقبَّل الأرض أمامه
قال لخسرو: ليبقى خسرو خالدًا
وليكن مثل كيخسرو
لا أصابك الزمان بضرر
وليخلد لك كمال الملك.
عندئذ قال: أيها الملك الوفي!
لماذا تجافي جُل مثل هذا الجفاء
وقد خضبت جُل بالدم
وابتعدت أنت عن هذا الغم مسرورًا
زهقت روح جُل بسببك
وفرغت أنت
ألقيتَ شوكة في الطريق للوردة
وطرحتَ فراشك على القمر بدونها
لا يجوز أن تخون عاشقًا
بعد كل هذا الفراق
وإن جاز لك هذا الأمر
لا يسميك أحد وفيًّا قط
لما سمع ذلك الملك الثمل اسم جُل
صار مثل الأسد الثمل، ونهض من المكان
قال للخادم: ماذا تعرف عن جُل؟
لقد متُّ؛ فاحذر، وقل أيها الحيّ!
لما رأى الخادم ألمه هذا وحرقته
وقلبه الدامي بسبب عشق مهجته

أخرج الرسالة من تلابيبه بسرعة

وضعها أمامه على الأرض بسرعة

لما قرأ خسرو رسالة المحبوبة

عجز في النار المشتعلة مثل جُل

أذرف الدمع الدامي غزيرًا بسبب كل حرف

وخضَّب تلك الرسالة بالدم

كثيرًا ما كان يتمعن كل كلمة

وكان يجعل السواد أحمر اللون بالدم

من كثرة الدم الذي سال من عين خسرو شاه

صارت رسالة جُل في لون الشقائق

الدمع الذي سال على طرفه

لا يمكن حصره حتى يوم القيامة

أذرف ذلك المحزون الدمع

الذي لم يكن قد شوهد من قبل أبدًا

تناثر الدر من عينيه

حتى إن مائة بحر جرى من عينيه

كأن الرسالة مثل مستجير

كان يصرخ في كل خط، ويتأوه

تظلم كل خط من بلاد الصين

لأن قميصه كان من الورق

كانت تلك الرسالة ترمز إلى الألم

كأنها كانت تكشف الأسرار تحت سن الرمح

كل حرف بدا في تلك الرسالة

وكأن الحزن قد أصابه

صرخ خسرو وصاح

كيف ذكر الفلك نفسه بذلك؟

اندلعت النار في صدره

وتجدد حزنه القديم

مزق القلنسوة على رأسه، والقباء على جسده
وشق قميصه
لما صار الشمع من الحرقة مثل الفراشة
صار أكثر ولهًا من المجنون
من كثرة ما بكى على نفسه
صرخ الخلق من أجله
رأى قلبه الدامي يحتضر
ولامه كل من رآه هكذا
اندلعت جلبة القيامة في الدنيا
فمن يلوم العاشق في النهاية؟
زادت الملامة ناري اشتعالًا
وهي إذا كانت سيئة، فقد جعلت حالي أكثر سوءًا
متى يليق بي هذا الدمع الدامي والنار المشتعلة
سوى اليوم
لما ثاب الملك العاشق إلى رشده
تألم كثيرًا
قال لفرخ: تدبر الأمر؟
فقد زهقت روحي، ونفد صبري
قل: ما تدبير أمري هذا
فلا يحيا جسدي بدون روحي
أطلق فرخ اللسان، وقال: أيها الملك!
أطلب مني مثل هذا الأمر باليد اليسرى
إنني سوف أذهب في الصباح مثل الريح
فالريح يمكن أن تحمل الوردة بسهولة
أحضر محبوبتك المبهجة بسرعة
وأضيء قصرك بسرعة
أعيد القمر إلى الفلك
وأجلب السكر للشهد

أسر قلب الملك بتلك الرقيقة

ولتدم سعادة ملك الدنيا

لا تكن أنت مثل النار، وانفض الدخان عن قلبك؛

حتى يفرغ قلبك بسرعة من هذه الغصة

ما دامت قد فقدت في الصين، فقد ظهرت في النهاية

هكذا اختفت، وهكذا ظهرت

ما دامت قد ظهرت، فلماذا يكون الملك حزينًا؟

وإذا ظفر بها، فلا عجب!

وصول فرخ إلى تركستان للبحث عن جُل

قال هذا ونهض من أمام الملك

وودعه، وقام من أجل الطريق

في النهاية لما وصل إلى تركستان

رأى بلاط ملك الصين وقصره

كثيرًا ما نظر إلى ذلك المنظر

وجعل ذلك المكان علامة المكان الذي أراده

مضى ذلك اليوم، ولما حل الليل

أضاءت الكواكب، وأظلم الليل

كانت ليلة أكثر هولًا من يوم القيامة

والنجوم أوتاد نقطة الأرض القطبية

وقف الليل ثملًا مثل الزنجي

وعقد يديه حتى القيامة

تنفس الليل في الدنيا مثل الدخان

ووصل الزيت إلى سراج النهار

لم ينقشع الليل عن الدنيا

ولم يعد النهار الذي مضى

في تلك الليلة خرج فرخ من الخيمة
وجال مع الكلاب في الطريق مائة مرة
لما جاء إلى المنظر لم ير أحدًا
وحقق مراد قلبه بالوحدة
جعل المنظر علامة مكان الرحيل
وتوكل على رب العالم
في النهاية لما ألقى النظر على الباب
طرح وهقًا على كل حائط
اعتلى السطح متصعلكًا
وعندئذ توجه من السطح إلى الباب خفية
كان هناك حارس تركي أعلى القصر
اختبأ فرخ خلفه بسرعة
وقبض بيديه على شريانه
فمات ذلك التركي، وقبضت روحه
لعله كان قد سأل الخادم في ذلك الوقت
عن ذلك المكان الذي كانت فيه تلك الحسناء
سار أمام ذلك السطح
حيث كان ذلك المكان مكان جُل ومقرها
لم تكن تلك الحسناء قد نامت بسبب تلك المحنة
أينام الغريب العاشق في ذلك الوقت!
كانت قد بقيت لمشاهدة الفلك
ووجهها مثل النجمة بسبب اليقظة
كان الدم يسيل من عينيها في الحضرة
وكان النواح يصعد من روحها إلى القمر
كانت تصيح قائلة: يا خسرو ما أطيبك حبيب!
كثيرًا ما أحسنت العمل، فما أطيب صنعك!
إنني محمومة بسببك سواء في الليل أو النهار
ونهاري ليلي بسببك

صرخت بسببك

وهكذا تحررت أنت من هذا القيد

أنا أسيرة الألم والمرض

وجسدي أسير الشدة والذلة

كثيرًا ما غاص قلبي في الدم

والآن غرق في الحزن بسببك

افتضحت

وسعيت لتحقيق رغبتي بدمي

كانت رغبتك هي الاستيلاء على القلب

وقد حققت مراد قلبك

سلبتني القلب، وزهقت الروح

ويلزمك أن يظهر ذلك عليّ

نزف قلبي، ولا أملك القلب

وليس لي حاصل من القلب سوى دم القلب

كثيرًا ما كنت أبحث عن أثر القلب

والآن زهقت الروح. حتى تعلم

يقولون لي: اطلبي الذهب من الملك؛

لأن مثل ذلك الحبيب؛ لا يدرك بدون ذهب

لا أملك الذهب، ولا أستطيع الحصول عليه يومًا

لعلني أحقق الأمنية بالحرقة

ألا أيها السحاب البائس المملوء بالدمع

أمطر ألمي على العالم بأسره

أدرك دمعي زمنًا

وإلا احترقت غيرة على الهمة

لما سمع فرخ صوت جُل من السطح

ضج بسبب انعدام الصبر ألمًا على جُل

لما انخفض صوتها وصياحها زمنًا

صفَّر لها فرخ من ناحية السطح

تصعلك

وألقى حجرًا تجاه تلك الفضية الصدر

لما سمعت جُل صفيره

فقدت صوابها من السرور؛ لما علمت الخبر

هكذا فقدت صوابها، وانقلبت

حتى إنها لم تعلم كيف صارت من السرور

قالت لفرخ: إن قدميّ مقيدتان

وإلا أتيت إليك

فقال لها فرخ: لا تخافي

وألقى لها مبردًا مثل الألماس

أنجزت الياسمينية الصدر تلك عملها في لحظة

وأسرعت من الحضرة إلى المنظر

قالت لفرخ: انتبه، واشرح الحال، وقص الخبر

وحدثني عن خسرو الظالم

قال لها: ليست هذه ساعة الأمان

ماذا أقول في مثل هذا المكان؟ فلا مجال لذلك!

اعلم يقينًا أن خسرو مطمئن

فانهضي الآن، لو تستطيعين

عزمت جُل على الرحيل من السرور

فقبضت على الوهق مثلما تقبض على جديلتها

نزلت من فوق ذلك السطح بسهولة

وتحرر ذلك الطير الذهبي الجناح من تلك المصيدة

ماذا إذا لم تبق لها قوة في أي مكان؟

فلا يمكنها الوقوف على القدم أبدًا

ولكن لما وجدت أثر خسرو

صارت الظلمة بأسرها ماء الحياة

كثيرًا ما بقى الثعلب عاجزًا

وصار صياد الأسود على أثر الوصل

ما أطيب معرفة أخبار الحبيب!

إذا لم تدركه أبدًا

لما علمت جُل بأخبار خسرو، صارت

وكأنها كانت عجوزًا، فصارت شابة من جديد

لما نزل فرخ من فوق السطح

وضع قلنسوة على مفرق جُل

أحكما وضع القلنسوة على الرأس والقباء

وسرا كلاهما معًا مطمئنين

لما أسقطت هذه العنقاء الطائرة الذُرة

من برج الحمام في وقت الصبح

قيد الفلك عنقاء الليل

وخرج زال زر من جبل كشمير

لما ظهر وجه زال زر في اللبن

أمسكت الدنيا بالسيف مثل رستم

قصدا الاثنان الطريق في الصباح الباكر

واتجها من البلدة إلى الصحراء

عزم فرخ على أن

يقضي عدة أيام في نيسابور بسبب طول الطريق

كان يقول في نفسه أرى الأقارب

خفية عن الملك

اختفيا في جبل عشرة أيام

حتى لا ينقلب الخصم فيروز على جُل

بعد عشرة أيام، سلكا طريقًا طويلًا

ووصلا إلى نيسابور في مدة وجيزة

علم شابور بقدوم فرخ وجُل وأسره جُل وفرار فرخ

نزل فرخ عند أقاربه خفية في الليل

مثل مسافر في قافلة

ربما كان يمضي في السوق يومًا

فوقعت عيناه على طلعة فيروز

تعجب فرخ، وذهب إليه

واحتضنه، وقال:

كيف جئت إلى هنا، اشرح الحال

خبرني عن الملك وعن البحر

كذب عليه فيروز كثيرًا

من كان يعلم مكر ذلك المنحوس؟

عندئذ أطلق اللسان أمام فرخ

وسأله عن أحوال جُل

كيف يعلم فرخ بمكره

وقد قص له القصص قصة قصة

لما علم فيروز الكلب بتلك القصة

سر كثيرًا، ومضى عندئذ

إنني مضيت حتى أعد عتاد الطريق

فإنني رفيقك في كل مكان

ذهب، وأخبر شابور بالحال قائلًا:

لقد أثمر غصن سعادتك في هذه اللحظة

إن فرخ زاد و جُل مختفيان في المكان الفلاني

أنا قلت، وأنت تعلم

صار الملك شابور من ذلك القول وكأنه

أسلم الروح شوقًا إلى جُل

ضج بسبب محبة جُل

وضاع قلبه من يده مثل الريح بسبب انعدام الصبر

طفح قلبه حقدًا على فرخ

ودعا عشرة أشخاص قائلًا:

اقبضوا على فرخ بسرعة في هذا الوقت

فقد أساء إليّ، وهذا هو الظن

عندئذ اطرحوه في الأرض ذليلًا

وعلى هذا النحو تؤدون الحق لي

عندئذ أمر الخدم محتدًّا

بأن يقبضوا على جُل على حين غرة

الخلاصة مضوا مثل الريح

إلى فرخ وجُل في الصباح

لما وقع نظر فرخ عليهم

أدرك ذلك الحال المضطرب

تفز من فوق السطح، واختفى

كأنه ترك الدنيا في لحظة

ولكنهم أسروا جُل عاجزة

وقبضوا على تلك العزيزة بتلك الذلة

لم تخرج جُل العاشقة من الباب

ولم تطع الخصم

سحبوها ذليلة إلى البلاط

فسقطت الياسمينية الصدر تلك عاجزة في الطريق

لما وقفت الفضية الصدر أمام الباب

سقط البلور من الصدر خجلًا منها

أخذت تذرف الدمع

وأخذ القمر يشاهد الثريا

في النهاية حملوها ذليلة إلى الملك
وكان الملك ينتظرها على قارعة الطريق
أضاءت عينا الملك بذلك النور
ورأى قصره جنة بسبب تلك الحورية
رأى جمال وجهها قد فاق الحد
ماذا أقول فلا يمكن قول ما رأى!
كان يرى قمرًا الشمس طليعته
وبسببه أدمت مائة روح وقلب مرة واحدة
لها ذؤابة كالدرع من كثرة الثنايا والتجاعيد
وقد قطبت حاجبيها بسبب الحقد
سقطت آلاف الثنايا من ذؤابتها على جبينها
وكانت تأتي من الصين، هكذا كانت في تلك اللحظة
وصفت الدنيا جمال وجهها
وامتلأ العالمان بالسكر من قول لها
وضع التمر وجهه على الطريق أمام وجهها
واتجهت إلى الملك غاضبة
جعلت شفتيها قند الخلوة
وقصَّرت يد الدنيا عنه
رأى الملك صدرها فضة خام من بعيد
ورأى نفسه بلا نور مثل الحجر
كان يتعلم السحر من عينيها
وكانت تلقي السهام بالأهداب، وتطلب الفضة
الشخص الذي رأى جديلة ذلك الشمع
رأى طريقًا إلى القلب من شعرها شعرة شعرة
إذا لم يكن حاجبها طاقًا
فكيف اندلعت هذه الفتنة في الآفاق
هكذا صار شابور عاشقًا لها
من نظرة ألقاها عليها

عقد الوسط في عشق تلك المحبوبة كالناي

وعلق القلب في ذلك الفم السكري بمائة قلب

لما فاضت عينا الملك بالنور من وجهها

قال في نفسه، لتبعد عين السوء عن وجهك

من كان يعلم أن هذه المحبوبة على هذا النحو

هي فتنة وجه الأرض بلا شك!

كل شيء عرفته عن الحُسن، تبدل

كنت أنحني للنجم، فكان القمر

يمكن القول: إنه ليس هناك أحد في الزمان

مثل جُل؛ فهي فريدة في الحُسن!

قال هذا، وأرسلها إلى الإيوان

أرسلها إلى مخدعه مثل السرو

في النهاية لما انطفأ ينبوع النور

ذهب شابور إلى جُل في العشاء

قال لجُل: يا من كويتي قلبي!

وجعلتْ عيناكِ العقل غافلًا

غبار حبِّك أفضل من التوتياء

ذرَّة من وصلك أكثر تأثيرًا من الكيمياء

بقى القمر في السواد بسبب ذؤابتك

وسطع الضوء في الأرض والسماء من وجهك

احتار القمر بسبب طَلعتك

فظهر تارة، واختفى تارة أخرى

أسرع اللَيل خجلًا من ذؤابتك

فكان يأتي تارة، وكان يمضي تارة أخرى

أنت أيتها الحسناء مبهجة للروح، وقمرية الوجه

ماذا أقول؟ أنت شمس سوداء الشعر!

أنت التي منحت القمر النور من وجهك

يا قمر الجنة، والحورية الحسناء!

الدنيا مجمع السحرة بسبب عينيك الثملتين
والفلك محب لسحرك
اعلمي أيتها الحسناء! إنني أردت
القدوم إلى الحضرة اليوم
الآن ما دام ليس هناك ذباب حول هذا السكر
فلا رفيق لكِ الليلة سواي
ما دام الذباب قد انصرف، يجب تذوق السكر
وينبغي شراء قطعة السكر بمائة روح
قال هذا، وذهب إلى قارورة السكر
فقد كان يريد البقاء مع جُل هذه الليلة
لطمت تلك الحسناء وجهها كالريح
فقد قفزت النار من عين ذلك الملك
هكذا تأوهت آهة من حرقة القلب
فقد انقضى نصف النهار مع شابور
هكذا ألح ذلك الحسود في الطلب
كالأعمى في بحر مملوء بالدم
ماذا لو طُعن شابور، واحتمل؟
فكثيرًا ما آذت جُل نفسها بدونه
مع أن الملك العاشق قد أحبها
ولكنه صبر
عندئذ أمر شابور مزهوًا
فبحثوا عن فرخ كثيرًا
بحثوا كثيرًا، ولم يبدو له أثر
ولم يرد خبر عن ذلك المختفي
سألوا الأقارب عنه كثيرًا
ولم يعترف أحد منهم
ولكنهم أرشدوا فرخ عن الطريق
وجعلوه يقفز من البئر ليلًا

فقد اختفى في بئر عشرة أيام
وسار مثل الريح بعد عشرة أيام
اقترب ذلك الرسول الحسن الوجه من خسرو
في زمن وجيز
لما رأى خسرو فرخ متألمًا هكذا
تعجب من كثرة ألمه
وقال له: ماذا حدث لك؟ أخبرني
تحدث، واشرح أحوال السفر
ماذا حدث لك حتى صرت عاجزًا هكذا؟
كأنك كنت موجودًا، وانعدمت!
أجابه فرخ بما حدث
واستغاث من فيروز الظالم
كان يحكي عن سوء مسلكه
وكان يبكي بسبب ذلك الحزن، ويفشي السر
غلا قلب خسرو بسبب فيروز
وأصاب سهم الحزن على جُل كبده
قال لفرخ: أظْهَرَ ذلك الخسيس السيئ السمعة
الأصل الوضيع في النهاية
أية إساءة أسأتها إلى ذلك الغادر؟
حتى قبل هذه الخيانة
رفعت رأسه من التراب فوق الأفلاك
فليسقط التراب على رأسه من الأفلاك
لما كان ذلك الكلب طريد الفلك بدون شك
فكيف يعرف حق العيش والملح؟
لو يمهلني الفلك الدائر
أعطيه ما يستحق مثل الرجال
قال هذا، واستدعى كاتبًا
وأسهب في الكلام في كل شأن

أمر بكتابة رسالة إلى شابور الظالم؛
فأمسك كاتبه بالقلم في الحال
أحضر الخازن الحرير إلى كاتبه؛
فكتب اسم الحق على حريره

رسالة خسرو إلى شابور

باسم من ليس للروح دليل على وجوده
وليس للعقل قدرة على إدراكه
قل: ماذا يساوي العقل أمامه؟
وكيف يدرك العقل مثل تلك الذات؟
لأنه خلق العقل؛
لم يدركه العقل مثقال شعرة
مهما كان العقل عالمًا وفصيحًا
فإنه لا يعلم كنه شعرة في الحقيقة
ما دام العقل عاجزًا عن إدراك شعرة
فكيف يدرك ماهية الحق؟
لما كانت ذاته أسمى من كل شيء نعرفه
كيف نستطيع شرحها؟
ما دمنا عاجزين جميعًا عن إدراك قشة
فلا سبيل لنا بعد العجز
إله جدير بالألوهية
. رسوله عيسى شمس الأسرار
بعد ذلك قال: يا شابور الضال!
لقد عاديت الملك
وتمردت على ملك الدين
وحدت عن طريق الدين

سرقتَ امرأة ملك الأرض

الآن استمر في هذا لو أنك رجل

من فعل هذا الفعل في الزمان؟

رأيتك فريدًا في سوء الفعل

أنت تعلم لو أنني أريد العداء

فإنك لا تقدر على مقاومة جيشي

إذا جردت الجيش على بلدك

لا تبقى البلد ولا الجند

وإذا أصابك رمح

تقع على الأرض مثل النملة، لو أنك فيل

وإذا توجه إليك رجل

يقف شعرك من الجُبن

ما دمت لا تستطيع أن تحاربني

فإنك لا تملك حيلة سوى التملق

إذا سلكت معي سبيل الغلظة

حققت رغبة أعدائك

كن عاقلًا مع جُل وإلا

تغرق في الدم في النهاية يائسًا مثل جُل

لا تستهين بأوامر الملوك

ولا تضع الشوك في طريقك بسبب جُل

لو تطع الأمر، تنجو بروحك

وإلا فسرعان ما يلحق بك الضرر

لقد تحدثتُ عن الحزن والسرور والموت والحياة

والسلام، وأنت تعلم الآن

لما كتب القلم الرسالة

دخل الرسول، وحملها في الحال

كان يمضي في الطريق مثل الريح

حتى اقترب من شابور

أعطاه الرسالة، وقرأها شابور

فطرد ذلك الرسول في الحال بسبب الغضب

مضى ذلك الرسول المسكين في الطريق

ووصل في النهاية إلى البلاط في مدة وجيزة

ذهب إلى خسرو، وأطلعه على ذلك الأمر

وحدثه عن سيرة ذلك الملك

وأنه مزق تلك الرسالة، وطردني

وأطلق عليك سيئ الفعل المنحوس المتكبر

لما سمع الملك ذلك، نهض من المكان

واستعد، ولم يقعد

جمع جيشًا مثل البحر

فاضت الدنيا بأمواجه

منح الجيش الجواشن والسيوف والدروع

وأعطاه ثيابًا وفضة وذهبًا تكفيه ثلاثة أشهر

كان الجيش مثل النمل والجراد حتى إنه

لم يدع ممرًا ولا طريقًا لأحد

لم تخل الأرض من الرجال

حتى إن الغبار كان يتصاعد منها في الحال

من كثرة ما نهض الرجال من المكان

لم يستطع الغبار الصعود من المكان

علا نفير البوق من بلاط الملك

وكان الغبار يتصاعد من تحت الأقدام إلى سطح القمر

سار الجيش إلى خراسان

ففزع قلب شابور من ذلك الغم

كيف يعلم أن تلك الآفة يعقبها

الندم والهلاك؟

حرب خسرو مع شابور

في نهاية الأمر، بدأ الحرب

وشق طرف العلم

نصب جيشه الخيمة في الصحراء

ولطخوا السيوف بالدم مثل الشقائق

هكذا انتشر الجيش في الصحراء والجبال

حتى إن وجه العالم كله اسوَّد بسببه

لما نُفِخَ صور الصبح في الدنيا

كان النائمون ينفرون من الفراش

لما طلع الصبح، أخذ الديك في الصياح

منذ الصباح الباكر

لما وضع المغرب حلقة القمر في أذنه

أشرقت الشمس

لما وضعت تلك العمامة المنقوشة بالذهب

على مفرق الفلك

ضج الجيشان

وصاحا

من كثرة الجند؛ لم يسقط ضوء ذرة من الشمس

في الأفلاك على الأرض

كأن اسم الأرض انمحى من الدنيا

وصار ظهر الأرض جبلًا ناريًا

كأن الغبار هو الفلك

وأسنة السيوف والرماح كالكواكب فيه

هكذا كانت الصحراء كلها من التلألؤ
وكأن السماء نثرت النار عليها
أضاءت أشعة النار وانعكاس صور السيوف والدروع
المشرق والمغرب
صار أولئك الشجعان مثل الفولاذ
حتى إن الحديد لان لهم
اختالوا بأجسادهم الشبيهة بالجبال الحديدية
وطرحوا جبل الحديد أرضًا بالحديد
من كثرة السهام التي انطلقت من الشص
سُدَّ الطريق على السهام من الناحيتين
كأن الهواء أمطر البَرَد من الحراب
وكأن الأرض روضة شقائق من كثرة الدم
الدروع مثل الغيم، وكان الفرسان يمطرون
الأمطار من الشص على الغيم
اختفى النهار المضيء مثل النجم
من انعكاس صورة سيف الملك ذي السبعة أجزاء
هكذا أمطرت السهام على الأعداء
مثلما يسقط البَرَد من الغيم أثناء الربيع
كان الصوت يرتد من السماوات السبع
بسبب الدروع والصياح والصراخ وصدى الصوت
طَنَّت السماوات التسع
من دق الطبل وصليل السيوف
هكذا علا دق الطبول والجلبة
حتى إن الفلك أحكم وضع القطن في الأذن
لما انبعث صوت الطبل في الصحراء
كانت الأرض تدور مثل الفلك
صارت الأرض مخيفة بسبب الدم
وتعفر برج الفلك بالغبار

صار الغبار تحت الحصن
مثل الكحل في عين النجم
لما كان كل سيف وسط بحر دم
فكيف كان وسط السيف في بحر الدم؟
صار وجه الأرض كله بحر دم
وانقلب الفلك عليه مثل الطسْت
لما جاوز بحر الدم حد العالم
سار الفلك مثل السفينة على الدم
لما كانت أمواج الدم تتجاوز الرؤوس
ألقوا سفينة في ذلك البحر
سارت السفينة على اليابس إلى الأجل
لأنها رأت البحر مملوءً بالتماسيح المفترسة
التقى الجيشان مرة واحدة
واقتتلا
غربت الشمس من غبار الجيش
واسودَّ القمر مثل خال العاشق
تصاعدت طبقة من غبار الأرض
فأصبح الفلك طبقة من الغبار
امتلأت الدنيا بأسرها بالغبار
وتساوت الأرض بالسماء
لم ير الجند بعضهم البعض؛
فطرحوا هذه السيوف وتلك الدروع
من كثرة ما تصاعد الغبار والتراب
انبعث الصياح من الدنيا .
لما تخضب وجه الأرض بالدم
حملت دم الرأس إلى ظهر السمك
سقط دم الجند على السمك
وارتفع نداء الله أكبر إلى السماء

كان يهاجم أحد السفاكين
ويسوق الآخر إلى ميدان الدم
ألقيت في الصحراء كلها أجساد بلا رؤوس
ورؤوس بلا أجساد سواء أكانت للأحرار أأمو العبيد
كان خسرو الشبيه بالجبل
يصول بسيفه الفتاك
في يده خنجر سام
وفي جعبته وهق متين
دماء الملوك مثل الجداول بسبب رمحه
ورؤوس المتمردين مثل الكرات بسبب سيفه
في النهاية صاح خسرو على جيشه
وأمامه مائة فيل
لما جمع الأفيال والجيش في النهاية
هاجم الجبل كالجبل
اقتلع جيش الخصم من المكان
وتفرق الجند
اضطرب الجند
كأن النار قد اشتعلت في البلاد
ماذا أقول؟ لما حارب ذلك الجيش
ضاقت الصحراء بالقتلى
اصطف المقاتلون جميعًا
وقد حمل كل واحد رأس رجل في كفه
في النهاية، لحقت الهزيمة بشابور فجأة
ليلًا بسبب القضاء السيئ
لم يهدأ ذلك الخيل، ولا الحشم
ونُكِّس العلم
كان العلم مختالًا
فتخلى عن غروره؛ لما انقلب

فرّ الملك شابور ثملًا

وجاء إلى المدينة خفية، وأغلق البوابة

كان يعد للرحيل طوال الليل

وكان يُحَمِّل الجمال بأحمال الفضة والذهب

حمل جُل النصرة ليلًا مع الجيش

إلى ترمذ(٣٧) من طريق سرِّي

لما حصل هذا الميدان على الخاتم الأزرق

وأشرقت عروس السماوات السبع على الأرض

كانت ألسنة اللهب تندلع من أنحاء وجه الزمان

مثل النار من نور وجهها

لما أضاءت الدنيا بعد أن كانت مظلمة

عجز الخلق، واحتاروا

خرجوا مثل المذنبين

وطلبوا الأمان من الملك التقي

قالوا: أمهلنا في البقاء على الأرض

وبحق الروح، امنح الأمان لخلق العالم

تَهِم الدنيا لمساعدتك مخلصة

لو تهب الحياة لخلق الدنيا

لم ينتقم خسرو من أحد من الخلق قط

فالغضنفر لا يصطاد الصيد الهزيل

أحسن إليهم الملك

وأشفق عليهم كثيرًا

مضى أسبوعان، وسار من هناك صباحًا

إلى ترمذ مع جيش

الجيش الذي جاوز عدده الحد

كان أكثر عددًا من الحصى وأوراق الشجر والكواكب

في النهاية لما وصلوا إلى ترمذ

اصطفوا حول قلعتها

هكذا كان خندقها مملوءًا بالماء

حتى إن السمك كان يسبح على أرضه

هكذا كان برجها يطاول القمر

حتى إنه سد طريق الخروج على القمر

لعل قمر الفلك سطع على برجها

لأنه وجد أوج ارتفاعه في برجها

ارتفاعها إلى القمر، وانخفاضها إلى السمك

ماذا أقول؟ كيف كان جيشها

لم يكن هناك جسر ولا قنطرة فوق مائها

وكانت لها قمة وقاعدة

في النهاية لما رفع شمع الأنجم العلم

علا صياح جمع الناس إل الفلك

قصد الجيش القلعة

وحارب بالسهام والحجارة زمنًا

مال كل شخص من الجيشين للقتال

ولم يستقم الأمر لأحد من أية ناحية

في النهاية ظلوا على هذا النحو شهرًا

وعجز ذلك الجيش

دخل فرخ على خسرو ذات ليلة

لعل ذلك الليل ينجلي بالحيلة والمكر

قال لخسرو: لا تدبير لهذا الأمر

سوى الحصول عليها بالحيلة

فإنني لو أترصدها مائة سنة

أعلم يقينًا أنني لن أرى وجهها

خطرت لي فكرة الآن

أقولها، فماذا يقول لي الملك الآن؟

يأتي رجل قوي في كل ليلة

يرفع الماء من الخندق

ينزح الماء من الخندق هكذا

حتى يفرغ الخندق

إنني أنتوي أن أمضي بالزورق ذات ليلة

إلى ذلك الخندق متمهلًا

لما يأتي الرجل بالدلو

أجلس فيه

ما دمت قد مضيت، ولو يحالفني الحظ

أسفك دمه في ذلة

وبعد ذلك عدَّ أنت مائة زورق

واطلب مني الإشارة

لما تحصل على تلك الإشارة

تُجلس مائة شخص في الزوارق

أسحبهم أنا إلى أعلى واحدًا واحدًا

ولو أن الرجل منهم فيل، أسحبه أنا بمفردي!

لما يصل المائة رجل أعلى القلعة، عندئذ

افتح باب تلك القلعة للملك

نعلق جسرًا لتلك القلعة فوق الماء

ونشغل الأعداء باللهو

الدنيا تحقق رغبة الشجعان

لو يعاونهم هذا الفلك الدائر

هكذا طاب كلامه للملك

حتى إنه انفعل به مرة واحدة

أثنى عليه الملك كثيرًا قائلًا:

ليكن عبدك ملكًا أمام العبيد

رأيك وتدبيرك صائبان للغاية

وقلبك صافي، ورأيك شمس

حسن تفكيرك هذا

فانهض الآن حتى تربط الزورق

لما أعد الزورق في النهاية
ذهب فرخ في الليلة التالية إلى الخندق
كانت ليلة تشبه اليوم الذي
يفارق فيه القلب محبوبه من السواد
أظلمت الدنيا من المشرق إلى المغرب.
وزاغت عيون الأنجم بسبب الظلام
جلس ذلك الرجل المكار في الزورق
وسار هكذا إلى أسفل الجدار
لما ألقى الرجل ذلك الدلو من أعلى
ألقى الجندي نفسه منفردًا
سحبه الرجل إلى أعلى بسرعة
فمزق فرخ كبده
كانت الليلة حالكة، وكان الرجل غافلًا
فأصابته طعنة في قلبه على يد الخصم
كانت الإشارة أن يضرب ذلك الدلو على الماء
عشر مرات أمام خسرو.
لما فعل فرخ ذلك بالدلو
أرسل الملك الزوارق بسرعة
الخلاصة طرح فرخ ذلك الحبل
وسحب ستين شخصًا إلى أعلى
سحب الأصحاب الآخرون المائة شخص
واستلوا الخناجر
مضوا من هناك إلى البوابة
وذهبوا خفية بدون صياح أو صوت
كان عشرة أشخاص قد ناموا خلف البوابة
لا أعلم هل كانوا قد نطقوا الشهادة؟
قُتل الأشخاص العشرة هناك عاجزين
وخُضبوا بدماء قلوبهم

عندئذ فتحوا الباب سرًا

وضعوا جسرًا على ماء الخندق

لما وضعوا الجسر، دخل الجيش

وعلا ضجيجه مرة واحدة

لما علم الملك شابور بالأمر

عجز الجيش والمعسكر عن القتال

هكذا اندلعت فتنة في العالم في تلك الليلة

لا تكون هناك فتنة أشد منها يوم القيامة

ليلة مثل يوم القيامة

فرت فيها كل مجموعة إلى ناحية

كان صياح ذلك الجيش يرتفع إلى القمر

الشخص الذي كان يسمع ذلك الصياح، كان يضل الطريق

هكذا سفك جيش هرمز الدماء في تلك الليلة

وكأن السماء أمطرت أمطار الربيع

لما وضعوا الجسر، لم يجري الدم عليه؛

لأن الدم غمر الجسر

لما تنفس الصبح، الطيب النفس، النفس الطيب

دق جرس الليل الجرس برهة

صار الهواء باردًا؛ بسبب الصبح

واصفرت الأرض من صفرة الشمس

دخل الملك شابور مع فيروز الشقي

على الملك بالسيف والكرباس

قبَّل الأرض، وتضرع كثيرًا قائلًا:

ما دام الملك قد قتل كثيرًا من هؤلاء الجند

فإنه لو يقتلني أنا أيضًا، فهو نافذ الأمر

ولو أقول يعفو عني، فإنه الملك

إذا أضلني إبليس المكار

فقد ظلمت نفسي

ولو يعفو عني الملك، فهو اللطف العظيم

فالقلب عُرضة للخوف والرجاء

من الذي يسفك دمي في التراب

إن ترابي يزن منين، فماذا يظهر من دمي

طاب قول شابور للملك؛

فأرسله ملكًا على نيسابور

بعد ذلك ذهب فيروز إلى فرخ

ووجهه مملوء بالدمع الدامي، وصدره مملوء بالحرقة

دار على رأسه في التراب

وجرى بحر جوهر من عينيه

قال لفرخ: لقد أسأتُ كثيرًا

ولكن إلى نفسي، لا إلى شخص آخر

في النهاية مع أنني كنت سيئ الفعال

ولكني كنت صاحبًا لك في البداية

لو أنني تركت حق الصحبة

أدِ أنت حقها لي

ترى عينيّ السيئ حسنًا

ويعفو الملك عني؛ إذا حدثته أنت

لما جرى نهر دم من بكائه

خرج فرخ لمساعدته

أمسك بيده، وأحضره إلى الملك

كانت شفتاه يابستين، وكانت وجنتاه كالقش

قال لخسرو: تخضب هذا بالدم

ونجا. فلا تذكر الماضي

مع أن جرمه كان كبيرًا

ولكن له على الملك حقوقًا كثيرة

كن كريمًا معه؛ لأن ملوك الزمان

أكرموني على الدوام

هكذا فعل الملك من أجل فرخ

فالإحسان لا يضر أبدًا

ما دام ليس لك شوك في هذا الطريق و لا روضة

فلا يؤذيك أحد، ولا تؤذي أحدًا

وصول خسرو وجُل معًا وذهابهما إلى بلاد الروم

مضى زمنًا، فذهبت جُل إلى الملك

بالكرباس والسيف مثل القمر في الغيم

قالت: اسفك دمي الآن، وأنا مكتوية

فكيف أحيا بدونك يومًا؟

قالت هذا، وأذرفت الدمع الدامي الغزير على الوجه القمري

وخضبت الوجه بالدم

لما وقع نظر خسرو على حبيبته

جرى الدم في عروقه من السرور

قفز من المكان، واحتضنها

وابتهج مثل الوردة بسبب جُل

قال لجُل: لا تبكي، وتحدثي

وقالت له جُل: تحدث أنت أيها الملك!

كيف أتحدث معك؟

وقد عقدت دموعي لساني

وتحجر فمي مثل المسك بسبب الغيرة

فكيف تجفف الوردة النضرة الوجه من الدمع؟

قلبي هو الدم، وعيناي ناثرتان للدم

وطرفي مملوء بالدُّر

استحضرت قلبي في النهاية

واجتنبت حزن القلب

لو أترك القلب الطاهر لك

يسقط الدم من الحجر الصلد على الأرض

قالت هذا، وسقطت تلك الياسمينية الصدر

وعلا صياحها في المنظر

صار الملك العاشق أكثر ضعفًا منها

وذاع خبره بين المقربين

نثروا ماء الورد والمسك عليهما

واحتاروا في أمرهما

لما ثابا العاشقان إلى رشدهما

كان واحد يقول: أيها الروح، والآخر يقول: أيها القلب

شرحا جفاء الفلك معًا

وأفشيا كثيرًا من الأسرار في كل شأن

كانت جُل تخبر الملك بأحوالها؛

فتعجب الملك من أمر رفيقته

في النهاية منح الملك كل شيء وجده في ذلك المكان

إلى فرخ زاد والجيش بسرعة

من كثرة ما حصل فرخ على الفضة والذهب

كأن الدنيا وجدت قارون آخر

ماذا إذا ملك فرخ كثيرًا من الفضة والذهب؟

وإن كانت هناك ثروة أخرى، ملكها أيضًا!

الذهب المختوم هو الشمس

وتلك القلوب مكتوية بمثقال ذرة ذهب منها

لما يُستخرج الذهب من المنجم بمهارة

كثيرًا ما يضحكون بالروح بسببه غافلين

عندئذ يحملونه إلى كل مدينة في فخر

ويزنوه في كل لحظة يا للعجب!

تتداوله مائة يد في كل يوم

واحد يحزن بسببه وآخر يبتهج

لو يسلكون به مائة طريق من العز

لا ينقص مثقال ذرة، ولا يزيد أبدًا

انتثلت الدنيا من أجله

ولكن لم يبعد أحد عنه

انتقل من يد إلى يد

وتبدل في اليد التي أدمت

لو أن نصيب الخلق منه الموت والمشنقة

ولكنه فارغ ومطمئن

ما دمت قد وضعت الذهب تحت الأرض

فسرعان ما يجعلك الذهب تحت الأرض

سفكت الدماء حتى حصلت على مثقال ذرة

من ذلك الذهب

يهرول بك من الدنيا إلى النار

ابتلِ الروح يا من ساءت عيشتك

إن ذهبك وفضتك هما كيّ جانبك

وأعمالك السيئة والحسنة تواجهك

ما دام طريق القافلة لم يكن آمنًا

فلا يمكن أن يكون المتاع أفضل من العِريّ

ما دمت قد تركت الفضة و الذهب مرة واحدة

فعدَّ الدنيا بأسرها ذهبك وفضتك

اذهب واسلك طريق القناعة والتسليم

فالصحبة لا تأتي بالذهب والفضة

الدنيا مملوءة بذهب الغافلين وفضتهم

وقصور الراحلين وبساتينهم وبلادهم

ما دمت لا تضعف أمامها أيها الرجل

فكيف تبقى معك؟

لو تملك مائة كنز، لما تموت

تساوي حبة شعير، فلماذا لا تعتبر؟

إذا كان هناك نور في عين النرجس

لكان يبتعد عن الفضة وعن الذهب أيضًا

ما دام الإنسان لا يفني عمره في جمع المال

بسبب اضطراب الحال

لما جمع كثيرًا من المال بالتدريج

أخذه الفلك مع روحه مرة واحدة

لو تستقيم الدنيا بأسرها لشخص

تكن كلبًا إذا حسدته عليها

كل شيء لا يبقى

لا يساوي طرف شعرة أو شوكة

لو تتوافر النعمة يومًا أو يومين أو ثلاثة

فهي في الحقيقة قيد في قيد

إنهم يَدّعون

ويبسطون ريش الغرور وجناحه

دعك من ذلك، ولا تستمع إلى ذلك الكلام

فسرعان ما يصير هذا الجديد مثل ذلك القديم

لما يبلى القديم، يصير جديدًا أيضًا

والأشياء تهلك بلا شك

الدنيا دار الحزن، وهي المال والوبال أيضًا

خمرها حب الجاه وحب المال

الشخص الذي انشغل بالجاه

وقع في البئر من أوج الفلك

الشخص الذي يثمل من هذين الكأسين

لا ترى عيناه الوجه الحسن

انظر إلى الغني، وابق فقيرًا

فقد سعى الجميع إلى كسب الجاه

ما دام كل شيء ترتديه يصير حسنًا هكذا

ويحترق في النار في النهاية

ولكن في نهاية الأمر، يصير ذلك المحترق الطاهر
رمادًا وترابًا ذليلًا
الرداء الذي ارتديته يصير مثل الرماد
وما أكلته سوف يصبح نجاسة
نبحث عن الجاه بالمأكل والملبس
فهذا رماد، وتلك نجاسة
ما دمت تنشغل بمأكلك وملبسك
فإنك تطأطئ رأسك من العار
أنت عاقل ما دمت؛ تملك ما يكفيك
ويكفيك ذلك، لماذا تكثر من الحزن؟
ولو تسعى إلى الميراث
تموت ذليلًا بسبب هذا التفكير
ما دامت منفعة الدنيا هي قيد الروح
فيكفي قلبك الابتهاج بالضرر
ما دام الضرر أفضل من المنفعة في الدنيا
فعدمها أفضل من وجودها كثيرًا
لا تمتلئ حافظة المقصود
بالحُسن والخداع والتكبر
لو تطمع في سفرة الخبز هذه
فلتجعل المحاسن مفرشها
ما دامت الدنيا أقل من جناح بعوضة
في اللوح الذي نقش عليه كل نقش
لو يصلك مائة شيء من جناح البعوضة
فأي كبر هذا الذي اعتراك مثل النمرود؟
لا تتكبر، وكن عادلًا ومنصفًا
واعدل، وتحرر
لماذا تزيد أحمالك
دعك من نفسك، وافنى عنها

اعتزل الخلق

وافرغ من أمر الدنيا

اسلك طريق اليقين في الدنيا مثل العطار

واذهب، واسلك طريق الدين لو أنك عارف

الدنيا ريح؛ فلا تنشغل بها

ولا تذكر شيئًا سوى الله

عودة إلى بداية القصة

ألا يا رسول الطريق الذي بلا نهاية

ليس- لسلوكك- حد ولا غاية

ما دمت تسلك طريقًا بلا نهاية

لماذا تنزل القلب في مقامك؟

اخط في الطريق، فلماذا الوقوف؟

وسافر، فلماذا القعود؟

اذهب؛ ما دمت قد صرت محبوبًا

ويسقط السلوك؛ ما دمت قد صرت مجذوبًا

تعال، واصنع عملًا آخر

وتعلل بالقصة مرة أخرى

هكذا قال الشيخ البليغ:

مكث الملك مع جُل شهرًا

لما أقام في ترمذ شهرًا

أعد عدة الطريق بعد شهر

حمل الخيمة والعتاد من ترمذ

ونظَّم الجيش، وسلك الطريق

ركبت جُل النضرة الكميت

وقد جعلت النجوم الشمس نثارها

ما أطيب تلك الحسناء من فارسة ماهرة!

فقد كانت علمًا وسط ذلك الجيش من السرعة

إنها وردة، وجلبت الحُسن إلى الحور

وابتعدت عين السوء عن تلك الحسناء

هكذا كانت تلك الحسناء فارسة لطيفة

حتى إن السماء أخطأت الطريق من فتنتها

صاح الملك قائلًا: ماذا تريدين من الروح؟

أطلقي العنان، فماذا تريدين من الميدان؟

إذا لم يطب لك جوادك

تسحب الشمس الجنيبة لكِ

لما سار خسرو مع الياسمينية الصدر

تصاعد الغبار من وجه الزمان

اقترنا العاشقان كلاهما مثل الشمس والقمر

وسط غبار الطريق

في النهاية، لما جاء ملك الروم إلى بلاد الروم

انبعث الصياح من معسكر الروم

خرج الملك مع الجيش كله

لاستقبال الابن العزيز

اضطربت صحراء البلد وهضابها وجبالها

مثل البحر بسبب الجيش

هكذا كانت تلك البلاد من الزينة

وكأنها كانت مثل جنات الخلد الخالدة

كان كل سوق وكل محلة كالجنة

وكانت أنهار اللبن والخمر تجري في كل ناحية

أنجبت الجنة الحور للدنيا

ووهبت الدنيا النور للجنة

أية مدينة، إنها مثل الجنة، وقد جلست فيها

الحسان ذات الشعر المجعد

في النهاية لما انتهى احتفال البلدة
حان وقت شمس العسكر تلك
طلبت جُل حُسنا من الملك في ذلك الوقت
فأحضروها إلى الملك من البئر
كان لها جسد مثل الناي من الضعف
ومثل الخلال من الذبول والنحافة
اصفرَّت الدنيا من وجهها
وتنهد الفلك من آهاتها
لما رأت جُل، فقدت صوابها
من الخجل؛ لو تسأل لماذا؟
فقد اندلعت النار في قلبها خجلًا من جُل
وابتَلَّت وتصبب العرق منها
وقفت منتحبة أمام الفضية الصدر تلك
حتى إن النار اشتعلت من حرارتها
قالت لجُل: يا من لم تري أسوأ مني
ولم تري شخصًا سيئ الفعل مثلي
مع أنه ليس هناك شخص له سوء فعلي
فليس لي مغيث سواكِ
إذا أسأت بسبب الجهل
فإنك تعلمين أنني أسأت إلى نفسي
لا تعاقبيني بعقابين
فإنني معذبة منذ رحلتِ
ما دمت قد رأيت الملك مرة أخرى
ورأيت جماله في عظمة ودلال
أطلقي هذه الكلبة شكرًا على ذلك
دعيني واتركي الأمر لله
الخلاصة لما رأتها كل عاجزة ضعيفة هكذا
تشفعت لها عند الملك

بعد ذلك منح خسرو حُسنا لفيروز؛

من أجل محبوبته المبهجة

وقال لجُل: إن حُسنا مكارة

وهكذا انتصرت سيئة الفعل

الأفضل أن ينسجما معًا

في السرور والحزن

ليخلو الزمان من هذين الشخصين

قولي أيهما أفضل: العصا أم السوط؟

عندئذ استدعى جهان افروز

ومنحها لفرخ زاد وقرأ الخطبة

أرسلهما إلى إصفهان

ومنحهما الملك، واحتفا بهما

بعدئذ عقد عقد جُل

واستحضر قلبه لحظة في النهاية

هكذا عقد عقد الفضية الصدر تلك

وساوى تراب الطريق بالذهب

على هذا النحو عقد العقد، كأن قصره كله

كان جنة من الحُسن

لما نفد سُكّر جُل

انتهى صراعها

أعدوا عرس جُل النضرة

وطلبوا حور الجنة

لما دخلت جُل من باب الإيوان

احتضرت الدنيا رغبة فيها

أحضروا عرشًا ذهبيًا في ذلك الوقت

فذهبت تلك الحسناء إلى العرش الذهبي

على رأسها تاج مرصع بالياقوت

وقد هلكت آلاف القلوب بسبب تلك الجوهرة النادرة

على رأسها ظل أخضر كالشمس

وعلى قدها حرير أخضر مثل الحور

إنها ليست مثل القمر الذي يخرج من الإيوان

أو السرو الذي ينمو في البستان

أمطر الهواء الجوهر على تلك المعشوقة

فتلألأت الأرض من كثرة الجواهر

من حُسن ذلك السرو المحبوب

لم تحتج إلى ماشطة أو زينة

ملكت الحُسن واللطف في ذلك الحفل

ولم تبعد عنها فيه سوى عين الحسود

وصف المطربون أصحاب الأصوات الحسنة

جُل على ألحان الصنج

أنشدوا «دوبيت» عن حال جُل منتحبين

وباحوا بأسرار عشقها عن طريق الرمز

في النهاية لما دخل خسرو من الباب

كرروا ما قالوه

جعلوا النغمات نثار خسرو

واعترضوا طريقه بالجواهر

لم يكن نثاره من الجوهر

ما يمكن حصره في عام

لما سلك الملك السروي القامة الطريق

أراد كل قلب القيامة بسببه

لما اقترب ابن الملك من تلك الحورية

اغرورقت عين الفلك من بعيد

لما وضع شفتاه على شفتيّ ذلك الياقوت الضاحك

عض الفلك شفتيه بأسنانه

لما تناول السكر قبّل فاها

وضع الفلك يده على رأسه بسبب الحيرة

كان صوت المطربين يصعد إلى القمر

وكان القلب يضل الطريق بسبب الصنج

كان بخار العود يُبعد العناء

ويُسكِر العقل من رائحته الذكية

كان نفير الأرغول يتراءى إلى الأذن

فكان العقل يفقد صوابه تمامًا

كان نداء صلاة السقاة ينبعث

فتجيبه قلوب السكارى

هكذا كان ضوء الشمع ينتشر

فيضيء فرسخًا من كل ناحية

ما أطيب سرور خسرو في تلك الليلة!

وأي حزن يعتري شخص يتعقب القمر!

ما أطيب لذة جُل في تلك الليلة!

فقد ابتهجت كثيرًا

في النهاية لما مضى منتصف الليل

سطع القمر المضيء من أوج الخيمة

هكذا كانت خلوة خسرو

كأنها جنة الفردوس

جلست جُل النضرة مثل الشمس

وكانت جديلتاها أنضر من السنبل الندي

لما رأى خسرو جُل مثل القمر

جلس خاليًا، والمكان طيب

جلس خسرو أمامها؛

لأنه كان يريد تحقيق رغبة قلبه منها

كان ملك الملوك والشراب والشمع والليل

وكانت الحسناء قصب السكر، وكانت شفتاها الشهد

امتزج نور وجهيهما معًا

وكأنك رأيت شمسين قد اقترنا

لم ير أحد قمرًا في السماء مثل جُل

أو طلعة ملك على الأرض مثل طلعة خسرو

أمضيا وقتًا في سعادة

لعبا تارة، وتدللا تارة أخرى

تبادلا الأحضان والقبلات زمنًا

وأفشيا الأسرار زمنًا، وسمعاها

لما ازدادت المحبة، ونفد الصبر

دخلا الخلوة معًا

بدأ ملك الملوك عملًا آخر

فلم تمكنه جُل على سبيل الدلال

لما حاول الملك خسرو كثيرًا

حقق رغبته من جُل في النهاية

لما وضع خسرو الخاتم في الإصبع

صار وصله لجُل أمرًا مسلمًا كتوليه المُلك

ما أكثر الحُب الذي زاده على حبها!

وقد كان حبه مختومًا بالختم الإلهي

بعد كل هذا الاضطراب والمحنة

ومكابدة آلام اليأس والغربة

والبعد عن الأهل والوطن والملك

والانتقال من يد هذا إلى يد ذاك

كل وردة لم تتفتح

اختبأت في البرعمة بسبب الأخساء

لم توخز الأشواك أوراقها

مهما عصفت بها العواصف

هكذا يليق خسرو بجُل

ولا يناسبها أي خسيس

كان قلبها قد تعلق به، وتقيدت روحها به أيضًا

وكثيرًا ما بادلته المحبة أيضًا

سعدا شهرًا، على هذا النحو
ولم يضيعا وقتًا بدون خمر أو سكينة
مع أن جُل كانت تبدو مسرورة في الظاهر
لكنها لم تخل من حزن في الباطن
قال خسرو لجُل ذات يوم وهو مسرور:
ابعدي الحزن عن قلبك
لا يجوز أن تتذكري الحزن بعد هذا
ويجب عليك أن تسعدي بهذا دائمًا
هكذا قال المشايخ العقلاء:
الذين يتعلمون منهم العلم والحكمة
لو ترجو حُسن الحظ
وتطلب دوام السعادة
اسعد في وقت السعادة
وتخلص من الحزن والغم
قالت له جُل: يا ملك الدنيا!
تليق بنا السعادة الآن
ولكن هناك ألمًا في قلبي
لا يغفل قلبي عنه لحظة
لم يفرغ قلبي لحظة من البلاء والمحنة والغم
جميعها
إنني افكر في أقاربي
وقلبي مجروح دائمًا حزنًا عليهم
لا أعلم كيف حال أبي؟
وكيف حال أخي؟ وما أخبارهما؟
هل وصلا إلى ملكهما مرة أخرى؟
ولم يخفقا في النهاية
إذا وضعتَ هذا الحمل عن قلبي
لم يحزن بعد هذا

فقد أنصفتَ روحي بالسرور
ولم أحزن بعد ذلك مرة أخرى
قال الملك لجُل: هذا أمر يسير
سأرفع هذا الحمل عن قلبك بسرعة
وعزم السفر في ذلك اليوم
وأخبر جنوده جنديًا جنديًا
خرج ملك الروم قاصدًا الطريق
فارتعدت الأرض بأسرها من جيشه
تهيأت الدنيا مثل جيشه
واختفى الفلك بسبب غبار طريقه
كان هودج جُل في قلب الجيش
يتلألأ بهما مثل الشمس
قال الملك لجُل: اسعدي هنا!
فإننا سوف نمضي مثل الريح مسرورين
لما تجاوزوا منزلًا على قارعة الطريق
ودعها، ومضى بلاد الروم
كان ملك الملوك يقود ذلك الجيش بسرعة
كأنه كان يطوي الطريق
كان يقطع تلك المسافة كالريح
في الجبال والصحراوات سواء أكانت خربة أم معمورة
وصلوا إلى خوزستان بعد شهر
ولم يروا قرية معمورة في البلدة
كانت البلدة كلها خالية من الرجال والنساء
إذ كان العدو يهاجمها كل أسبوع
أسلم ملك خوزستان الروح من الغصة
وتولى بهرام الملك
افتخر به أهل البلاد
فهو ولي عهد أبي جُل، وأخوها

فرّ بهرام أيضًا بسبب العدو

وهو محاصر في قلعة مثل السجن

لما رأى خسرو خوزستان على ذلك الحال

وأن البلدة بأسرها قد خربت

وقد أصبح السكر حنظلًا، وصار الورد شوكًا

وليس هناك خلق في القرية، ولا ديار في الدار

ولا أثر لبلدته أو بستانه

ولا خبر عن الأحبة القدامى

بكى كثيرًا، وتذكر الحال

عندئذ أرسل رجلًا إلى القلعة

لما جاء الملك بهرام عن طريق البحر

رآه، وأجزل له الأنعام

لما عزاه في أبيه بلطف

هنأه بالخلاص من ذلك البلاء

لما اطلع على الأسرار مرة واحدة

أرسل الجند إلى الأطراف كلها

هاجموا الأعداء فجأة

ولم يستمعوا إلى نصحهم وخداعهم

دمروا العدو بقليل من السعي

في فترة وجيزة

خضعت خوزستان مرة أخرى

ولم ير أحد أذى من العدو مرة أخرى

كل من يحالفه الحظ

كيف يصعب عليه أمر؟

بعد ذلك فكر في العودة

والحق كان الوقت وقت العودة

ففوضه واليًا على الولاية

لأنه كان مطلعًا على أمر الولاية

سرعان ما عمرت الدنيا على يديه

وكانت أفضل مما كانت عليه سابقًا

جاء إلى بلاد الروم هو وبهرام معًا

ليبتهجا عدة أيام

كان بهرام في طليعة الجيش

وتعقبه ذلك الملك الحسن السمعة

خرج القيصر لاستقباله

فقبل بهرام الشجاع الأرض أمامه

جاءت جُل في لباس العزاء

وجلست مثل الشمس في الهودج

لما رأت وجه أخيها

كأن النار قد اشتعلت في رأسها

كثيرًا ما انتحبا عاجزين

لموت ملك خوزستان ذليلًا

أشفق القيصر عليهما

وطرح ثياب العزاء عن جُل

لو يرى خسرو هذه الثياب عليها

يضيق في الحال، مضطرًا

بعدئذ ذهبت جُل بثياب جديدة إلى الملك خسرو

وهي مسرورة مبتهجة

فاحتضنها، وضحك مسرورًا

وقبلها من رأسها إلى قدميها

جاء خسرو إلى القيصر

وقبّل الأرض، وسأله عن الطريق

زُينت الروم بأسرها

كأن الروم أصبحت محفل العين

لم تطل غيبة الملك عن الروم كثيرًا

وظلت ما يقرب من ستة أشهر

عندئذ منح القيصر ابنته إلى بهرام الشجاع
وفقًا لقول خسرو
كانت فتاة في مثل عمر جُل
وكان وجهها كالقمر، وقدها كالسرو الممشوق
إنها شقيقة خسرو
وتشبه أخاها في الثقافة والعقل
كان الملك بهرام مسرورًا للغاية
فقد كانت تلك رغبته من العالم بأسره
أرسل إليه ملك الروم وجُل وخسرو
كثيرًا من الأموال في ذلك الوقت
نثروا الدُرَّ والجواهر التي لا تحصى
عند عقد العقد
لما هيأ له القيصر الأمر
أعد له قصرًا
أحب صهره محبة
لا يمكن شرحها في مائة سنة
بعد عام
أرسله ملكًا على خوزستان ذات يوم
في الوقت الذي كان يمضي فيه القيصر
أمام الفتاتين على سبيل المحبة
عرض خسرو على بهرام
الذي صار ملكًا جديدًا على الملك القديم
أن تنضم الروم إلى خوزستان
وهكذا اتحدت البلدتان معًا
فالأفضل أن تسعد هاتان الفتاتان و الصهران
معًا
كانت شمس وقمر هاتين البلدتين
مثل الفتاة والأخ

يقضون في كل مملكة سنة

وتتجدد سعادتهم في كل سنة

هكذا تعاهدوا على تنفيذ قوله

وعلى ألا ينقضوا هذا العهد حتى النهاية

عندئذ خرج جيش من بلاد الروم

ومضى بهرام إلى ملك أبيه

ذهب، وحمل شمسًا من الروم

وحمل السكر هدية إلى خوزستان

لما فرغت جُل من هذا التفكير

ولم يبق في قلبها شيء منه

قالت لخسرو: لنسعد بعد هذا

ونتخلص من الحزن والغم

جلسا وفرغا منْ الغم

وكانا سعيدين مسرورين معًا

هكذا قال من كان عمله الإنشاء

لما أملى هذه القصة

لما عاد الملك من مدينة جُل

رأى غصن جُل النضر مثمرًا

لما مضت تسعة اشهر على يوم العرس

أثمرت شجرة جُل فجأة

وضعت تلك الحسناء هلالًا

يشبه خسرو في الطلعة والصورة

سماه ملك الملوك جهانجير

حتى يكون فاتح العالم في ركابه

اختار مربية لائقة به

يوافقه لبنها

أعد حفلًا جديدًا لابنه

لا يمكن وصفه

لم يكف عن الخمر والعطاء أربعين يومًا

وكانت البلدة بأسرها مسرورة

بعد ذلك، لما بلغ جهانجير العامين من عمره

قال الملك: لا ترضعوه مرة أخرى

هكذا كانت جُل ترعاه

فلم تؤذه ورقة ورد

أجلسته في الكتاب وهو في الخامسة من عمره

فتعلم آدابًا من كل نوع

لما بلغ العاشرة من عمره تعلم الرماية

وارتداء الدرع، ورمي الرماح

كان يتعلم رسوم الرياسة والكرة والصولجان

والشطرنج والنرد والشعر والألحان

لما صار شابًا

لم يكن له مثيل في العالم

صار ابن الملك ذلك جديرًا بالملك

إذ ينبغي أن يكون ملكًا

كل قياصرة الروم بعده

كانوا جميعًا من نسله

كان الإسكندر من نسل جهانجير

لذلك صار فاتحًا للعالم مثل جده

عاشت جُل وخسرو ثلاثين سنة معًا

في سعادة ورفاهية، وفي أفضل حال

ولكن ما دام الفلك لا يكون وفيًا لشخص قط

فقد غدر بهما في النهاية، ولا دواء لغدره هذا

برندي لباس العزاء بسببه

من لا يصمد

استئناف القصة

ألا أيها الترجمان المتحدث عن النفس

أنت الذي لا يخفى المبدأ عليك

تملي أسرار الروح تارة

وتخفي أسرارها تارة أخرى

أنت حارس الروح، وأنت في القلب أيضًا

وإنك قرين القلب على وجه الحقيقة

ترتدي لباس اللطف في أداء المعنى

ولا تسعى إلى شخص قط في الدنيا بأسرها

تغوص تارة، وتمطر الجوهر تارة أخرى

وتجلب السم تارة، وتمطر السكر تارة أخرى

لا يبقى في الزمان شيء قط

سوى آثارك

يبقى البشر بسببك

لتكن آلاف البركات على روحك

الآن قص قصة خسرو

واشرح نهاية أمره

انتهاء أمر خسرو

هكذا قال عنه من نظم الرواية

والرجل الذي روى الحكاية

لما استراح خسرو من الحزن والغم

كان مسرورًا سعيدًا دائمًا

لم يكف عن العزف على العود والصيد

واحتساء الخمر والعزف

على هذا النحو أمضى كثيرًا من سنوات عمره

ولم يصب كماله أي نقصان

بعد ذلك كان عند جُل ذات ليلة

وكان سعيدًا مسرورًا في فراش جُل

رأى قلبه المبصر منامًا مخيفًا

ارتعد فزعًا منه مثل الصفصاف

خرج في اليوم التالي للصيد

لعل التدبير السيئ يتحول عنه

مضى الأقارب والندماء والغلمان

في ركابه مزهوين

اختار مائة فارس

ماهرين في الصيد ومحنكين

كان الرجال المفتخرون يحملون الشواهين

والكلاب والصقور والفهود

أطلقوها في نواحي الصحراء كلها

لصيد الطيور والغزلان

اصطادوا كثيرًا من
الغزلان والقطا
ظهرت آثار كثيرة لحُمر الوحش
فتعقبوها
تعقبوها في الصحراء
وأسرعوا بالجياد مثل الشياطين
لم يبدو لهم أي من تلك الحُمر قط
فتركوها
لما مضى نصف اليوم على هذا النحو
سطعت الشمس المضيئة للدنيا في الفلك
بسبب لهيب الشمس والحرارة والعطش
أصابتهم الحيرة والاضطراب
كانوا يجرون إلى كل ناحية
ويبحثون في الجبال كلها والصحراوات
لما مضوا كثيرًا في كل جانب
يئسوا
شاهدوا خضرة نضرة قضاء
فأسرعوا متعجلين إلى ذلك الجانب
كان في ذلك المكان ينبوع قليل الماء
وابتلت الأرض قليلًا
تحلقوا حول الينبوع
وشربوا منه واحدًا واحدًا
قال الملك المشهور للأصحاب:
إنني تعبت اليوم كثيرًا
لا أحتمل الشمس
وينبغي لي النوم أمام ينبوع الماء
لما قال الملك هذا، حملوه إلى الحضرة في الحال
وتجمع جيشه حوله

طرحوا الفراش الملكي حول الينبوع

للملك المنزوي

وخل الملك، ولم يدعو أحدًا، ولم يتحدث

تجرع ماء الورد وهو مستاء، ونام هانئًا

من كثرة السرور الذي حظى به قلبه في المنام

سرعان ما رأى له شيخ الفلك منامًا

هكذا رأى المنام له، و احتال

ولأنه سلبه الروح، فلم يوقظه

كانت أفعى تجيء كل يوم في النور

إلى ينبوع الماء بسبب القيظ

عادت في ذلك اليوم في وقتها

وكان الملك المبهج قد نام في ذلك المكان

لما كان الملك نائمًا، والمكان خال

لدغته، وجعلته يابسًا في الحال

لما قتلت الملك، مضت على التراب الندي

وتحلقت في ذلك المكان، ونامت هانئة

أسلم الملك العاشق الروح قهرًا

وامتلأت شفتاه الشبيهتين بالعسل سُمًا

جعله الفلك مضطربًا مثل الكرة

وهبه الروح، وعندئذ سلبها منه

أسلم رجل مثل الجبل الروح فانيًا عاجزًا

بمثقال ذرة من السُمِّ

هكذا رحل خسرو الشجاع في لحظة

تساوي مائة سنة

واأسفاه! لقد خرج الملك للصيد

وعلى هذا النحو صار هو الصيد فجأة واأسفاه!

لهس العالم بأسره قمرًا أو غيمًا

ولكنه بحر مملوء بموج الحسرة

لو تفصل الذرات بعضها عن بعض

تتحسر في البداية والنهاية

ما دام كل من ولد يموت بعد ذلك

فما الحديث عنه؟ إنه: إنا لله وكفا

ما دام الطفل قد قصد الدنيا من خلف الحجاب

وما دام قد ولد؛ فقد أقام مأتمه في ذلك الوقت

وقد بكى لما ولد؛

لأنه أقام في مأتمه

ماذا لو سقط طائر محبوب

تبكي كثيرًا عليه؛ لأنه كان يسقط في الشباك

ما دام الميلاد قد جاء من أجل الموت

فلمن ملئت هذه الحياة بالعتاد؟

ما دمت تموت في لحظة ذليلًا عاجزًا

لا تحيا في لحظة أخرى أبدًا

لماذا تقضي العمر في الشباك؟

فيجب على الرجل اليأس في كل لحظة

هذه الحياة ظاهرة لك

والموت خفي

فاذهب، واختر عمرًا أفضل مما تملكه

والأفضل أن تدع المهمل

لما رأى السُكارى عيوب العمر

فضلوا الشهادة لا جرم

ماذا سوف تفعل في مكان

لم يستطع فيه أحد ألا يبقى عاجزًا

جعلت من الريح طلسمًا على القدم

كيف يثبت الطلسم في مكانه مع الريح؟

لماذا لا تمل العالم وتمل نفسك؟

فكيانك نَفَس واحد ليس إلا

اللحظة التي يصعد فيها ذلك النفس الطاهر

انقضى فيها يومك، وكفاك التراب

كم تقول أنا وأنا وتتثنى!

فأنا منهما تراب والأخرى لا شيء

الأنية تراب، وقولك أنا أنا ماذا يعني؟

أنت لا شيء، فما اضطرابك هذا كله؟

كم تقول أنا وأنا وأنيتك هذه لحظة

وهي نفسها عدو لك

الطلسم هو ما بقى عن النفس الحار

ما دام ذلك النفس قد فتر؛ سقطت

ما دام ذلك النفس قد صعد، لا يبقى أبدًا

فلا تتحدث، واعرف نفسك فحسب

ولكن ما داموا لا يعيدون إليك ذلك النفس

لا يعلم شخص في ذلك العالم خبرًا عنك مرة أخرى

تعودت التمتع بهذه اللحظة

وإنك تعتاد على أمر مجازي

ضع القدم في هذا البحر الذي لا قاع له

وسوف يبقى منك الاسم، فافتخر

جَنبَتك الدنيا الحرص والحاجة

في الرغد والشدة

لا تحزن الدنيا لحزنك أبدًا

ولا تقل سعادتها بسعادتك

لو تحزن أو تسعد

فالأمر سواء حتى تتحرر

لو يموت مائة مثلك في كل يوم

تدور الأرض، ولا يحترق الفلك

لا تحمل أيها الغافل كثيرًا من الأحمال على رقبتك

ففي عاتقك كثير من الأمور

لو تحمل على ظهرك آلاف الأحمال

فكأنك ترفعها على أصبع

في النهاية لما حلت صلاة العصر

لم يأت الملك، ولم يستيقظ

ذهب الجيش، ورأى الملك نائمًا

وشاهدوا أفعى متحلقة بجواره

أغرقت الملك في السم

وتحلقت من رأسها إلى قدمها

صار جسد الملك أكثر ظلمة من المسك

وتيبس من البزودة مثل الكافور

لا رآه الأصحاب والأقارب هكذا

ماذا أقول؟ كيف صاروا؟

جعلوا من ذلك الينبوع جيحونًا

وأغرقوا تلك الأفعى في الدم رميًا بالحجارة

أية فائدة من الأفعى؟

وقد فعلت تلك المشئومة فعلتها!

لما فرغوا من أمر ذلك السُم السيئ

عادوا إلى قتيلهم

أخبروا الشيخ الهرم

أن خسرو قد قتل، فأرسل التابوت

وأخبر جُل بموت محبوبها

وتوِّج جهانجير ملكًا على الدنيا

قامت القيامة في هذا المأتم

ولم تبق الملامة في مثل هذا المكان

سرعان ما جاء الرسول السيئ بالخبر

قص الخبر؛ فعلم الملك

هبت ريح عاصفة مدمرة

واضطربت الدنيا مثل يوم القيامة

أدمى الكبد من تلك الريح التي هبت
ما أطيب الصراخ والصياح الذي انبعث!
عم الصياح بلاد الروم؛
فقد وقع خسرو فريسة صيد مشئوم
كانت البلدة تضج مثل البحر
الشخص الذي كان يسمع صوتها، كان يفقد الصواب
خرج جهانجير خلف القيصر
الآن انظر كيف وقعت المصيبة
لما طلع صباح اليوم التالي
تجمع خلق الدنيا في البلاد
أخبر شخص جُل فجأة
أن حبيبك قد أسلم الروح للعدل
هكذا حدث، واستمعي لشرح حاله
واأسفاه على خسرو وحسنه ووسامته
انهضي من المكان، واسلكي الطريق
فقد أحضروا المتاع للملك
ماذا أقول؟ وكيف صارت جُل بسبب هذا الحال
سقطت في النار، وغرقت في الدم
خرجت شمع الحسان تلك من الباب
فكانت النساء تضربن بأياديهن على أرجلهن
ألقت الرداء على الوجه المتعب
وعقدت حبلًا على رأسها بدلًا من الشعر
مزقت الرداء
وسقطت عاجزة فوق الأرض
اقتلعت شعرها الممطر للعنبر من رأسها
وخلعت الرداء المنسوج بالذهب
سال طوفان من الدمع على الأرض
فتألم السوق كله لألمها

جعلت الفضة زرقاء اللون بأظافرها
وجعلت الجسد مثل النيلة بالحيلة
لم يبق القلب في الصدر، ولا العقل في مكانه
ولا الحجاب على الرأس، ولا النعل في القدم
اكتوى قلبها حرقة على محبوبها؛
فبكى خلق العالم على جُل
كان صوتها يصعد من حلقها إلى الفلك
وكانت تمضي إلى قتيلها
صعد صراخ جُل حتى العيوق
لأن العاشق يبدو أفضل بهذا عند المعشوق
لم أبق، ما دمت قد افترقت عنك
أين ذهبت، وأين أبحث عنك؟
لماذا عزمت على الصيد هكذا،
حتى صرت صيد الزمان
لما كانت جُل مفتونة على هذا النحو
كانت تمضي فجأة، وتسبق الغير
إنني مثل الأفعى المتحلقة حزنًا عليك
فكيف أسلمت الروح متألمًا بسبب الأفعى؟
لا أريد البقاء على وجه الأرض
إذ كيف أراك في النهاية على هذا النحو؟
كان ذلك الشيخ الهرم يمضي إلى التابوت
حافي القدم لرؤية ابنه
وقد مزق القميص، وطرح الخيل والحشم
وقلب المظلة، ونكس العلم
أطاح بأعناق آلاف الجياد وذيولها
ومزق لُجُمها وسروجها
لطمت آلاف الحسان وجوهها
وسلخت- بالمرجان- الوجه الشبيه بزهر الرمان

نثرن تراب الأرض كله على رؤوسهن
وامتلأت الدنيا بالتراب والرماد
لما ظهر التابوت من البوابة
سقط الياقوت على أرض الروم
نثروا التراب في كل مكان
حتى إن ذرة تراب لم تبق على قدم أحد
أُذرف الدمع في كل ناحية
حتى تحول التراب مدرًا في المحلَة
هكذا كانت الحرقة والنحيب في ذلك اليوم
حتى إنه يمكن القول: إنها تكفي مائة عام
كانت جُل تمضي خلف التابوت مثل السُكارى
وكانت تلطم الوجه تارة، وتخمش الصدر تارة أخرى
كانت تضرب رأسها في التابوت تارة
وكانت تذرف الدمع الشبيه بالياقوت على الأرض تارة أخرى
كانت تصرخ تارة
وتتأوه تارة أخرى
كانت تسقط زمنًا، وتفقد الصواب
وكانت تضطرب زمنًا
هكذا كانت تصرخ بسبب القلب المهموم
فكان الدم يصير حجرًا من بكائها
كانت تذكر عهد وفائه ذلك
فكان كل عرق من عروقها يصيح مثل الصنج
ضجت الجواري حولها
وارتدت الملابس الخشنة
إنك لو تكدرين الدنيا بالمأتم
لا يرجع العالم عن فعله
لما حملوها من الخارج إلى القصر
غسلوا جسدها من الدم

نوّموا جُل على السرير الذهبي

فلم تفرغ من الحديث مع وسادتها

كانت ترفع الحجاب عن وجهها زمنًا

وكانت تضع وجهها على وسادتها زمنًا

كانت تنثر الدمع على وجهها زمنًا

وكانت تجري سيلًا على وجهها زمنًا

لم تتركهم تلك الياسمينية الصدر يواروا

ذلك الجسد الطاهر التراب من فوق السرير الذهبي

تركوها على ذلك السرير ليلًا ونهارًا

ماذا أقول؟ وماذا فعلت تلك العاشقة؟

ماذا يحدث إذا اختبأ خسرو تحت الكافور؟

ولكن فاض جسده الياسميني بالنور

فسدت لوزتاه من اللطف

وسقط في حفرة الضعف مثل الجوز

سرعان ما صارت شفتاه الياقوتيتين النضرتين

مثل النيلة من شدة الزرقة

سرعان ما انزوت ذؤابته التي كانت مصيدة الروح والقلب

تحت الطين

ملأوا فمه الذي كان ينبوع نور

بالكافور

في النهاية لما ارتدى خسرو الكفن

شيعته جُل إلى القبر

لما حدث هذا لملك الأرض

ارتدى الكفن، ووري التراب بسرعة

ارتدت تلك الحسناء ملابس الحداد؛

لأن يومها أظلم بدون طلعة الملك

لما ارتدت جُل ملابس الحداد؛

سرعان ما توارى القمر خلف الزرقة خجلًا منها

لما دفن الملك في القبر

جاورت جُل عتبته

كثيرًا ما حدثوا جُل، ولم تقل حرقتها

ولم تخرج من ذلك القبر ليلًا أو نهارًا

كانت تذرف الدمع من العين الندية

وكانت تكنس التراب من الأرض بجديلتها المسكية

لما حفظت جُل تلك المحبة في قلبها

لم يكن لها شغل سوى البكاء نهارًا وليلًا

لما كانت تلك العاشقة تذرف الدم منتحبة

كانت تتفوق على غيم الربيع في ذلك

مع كل دمعة كانت تذرفها في ذلك المأتم

كان قلبها يذوب، وكانت أنفاسها تنحبس

ضاقت الدنيا عليها مرة واحدة

وأصبحت مثل الفم الصغير

كانت تئن، وتقول: أيها المحبوب المبهج!

أين أبحث عنك في العالم اليوم؟

لماذا تخفي سرك عن جُل؟

وتفارق المقربين إليك!

لما رأيت العرش خاليًا منك أيها الحبيب

مت بسبب موتك أيها الحبيب!

لا أريد الروح اللطيفة في الشباب

بسبب موتك المرير يا حياتي

خمش الحجر بالظفر سهل!

ولا يمكن الصبر عن وجهك!

لو يفصلون رأسي عن جسدي مثل الظفر

تنفصل الرأس عني طواعية

أين ذهبت بهذه السرعة أيها الحبيب؟

ما أطيب الحسرة! وأسفاه على معاناتنا!

أنا روح مضطربة حتى إنها
لا يمكن أن تقوى مثل هذه القوة
كنت تصلني ليلًا ونهارًا
وكنت معي مثل الفص في الخاتم
الآن خرجت من الحلقة
وواريت التراب، وجعلتني أدمي
كثيرًا ما أمضيت الليل مغتمة حتى النهار
الآن كان القلب يحترق مثل الشمع
إن قلبي يحترق بسبب هذا الحزن
وأنا أعلم يقينًا أن النار تندلع منه
أستطيع أن أحرق الفلك بآهة
وإنهم ليخمدون نار آهتي في شهر
لكني أخشى لو أتأوه آهة
فأمهد طريق الفرار للخلق
أنا روح مضطربة؛ حتى إنها لا يمكن
أن تقوى مثل هذه القوة
ما أطيب محنة قلبي بسببك!
وما أطيب حسرتي عليك!
ماذا أقول عن هذه المحنة وهذه الحسرة؟
أصابتني الحيرة، فماذا أقول؟
وعلى هذا النحو كانت تلك الحسناء في النهاية
يمكنها البقاء هكذا بسبب مثل ذلك الملك
لم تكن تتناول الخبز، ولم تنم ليلًا
وكانت تشرب شربة من ماء الورد كل يوم
هكذا صارت تلك الياسمينية الصدر ضعيفة!
حتى إنهم كانوا يذرفون عليها الدم منتحبين.
كان جهانجير يمضي إليها في كل لحظة
وكان يقبلها من قدميها إلى رأسها

كثيرًا ما كان يرجوها، وينتحب

فقد كان يحبها، ويواسيها

ولكن جُل لم تطاوعه قط

لأن داءها ليس له دواء

في النهاية لما ا نقضى شهر ونصف

غرب قمر شمس الإقليم تلك

كانت بمفردها في وقت الصبح

وكانت تحدث خسرو بقلبها

لا يعلم حالها سوى الحق

قلبها عالم، ولسانها عاجز

اندلعت النار في روحها

وسال من عينيها سيل دم

وضعت تلك الحسناء وجهها الدامي على التراب

فصعدت صيحة من قلبها الطاهر

قالت منتحبة: يا خسرو! ها أنا

لا أعلم أين الروح؟ لكن ها هو الجسد

الآن أجيء إليك؛ لو تدعوني

وإلا أمضي؛ لو تطردني

آلاف الأرواح الطاهرة

فداء رفيقي القديم

كان لي عزيز في الدنيا، ما دام قد رحل عن الدنيا؛

زهقت روح جُل الساذجة

الحمد لله إنني انصرفت عن الدنيا

وتوجهت بالروح إلى الأحبة

الآن أسلم الروح بسبب نفاد الصبر

فالموت أفضل كثيرًا من البعد عنك

قالت هذا، وودعت هذه الدنيا

وأسلمت الروح للحبيب منتحبة

وصمت لسانها الذي فتن السكر

في لحظة

أدارها الخادم الذي كان يخدمها

نحو القبلة بسرعة

أعانها الحق؛ فتخلصت من العناء

وتخلصت من مائة نوع من البلاء في لحظة

أمر رب الدنيا؛

فأسلمت جُل الروح، ووجنتاها على التراب

لما تبعث جُل من التراب في هذا البستان

تسقط على الأرض بفعل الريح العاصفة

سقطت جُل على الأرض بسبب جور الأيام

والأفضل من ذلك أنها لن ترى دورة الأيام

ماذا سوف ترى من هذا الفلك الدوار؟

فسوف تصبح أسير شباكه

لم يبق أي شخص بسبب هذا الفلك الدوار

لا جُل ولا خسرو

هبت ريح عاصفة من الأطراف

فحملت الاثنان مثل الغبار

ما النتيجة، مع أنهما كابدا العناء طوال عمرهما

إلا أنهما افترقا، لما اقتربا

لما مضيا صامدين من هذا الخراب

استغرقا في النوم مسرورين في حسرة

لم أر سفاحًا مثل الفلك الهرم

ولم أر له عملًا سوى سفك الدماء

ينبغي عليك أن تستمع إلى النصح؛

لأنك تموت في محنة

إنك شديد الغفلة إلى حد أنك

لو ترى مائة موت تعدها لا شيء

ما دام كثير من البلاء يصيبك
فإنك لست عاقلًا، لو تطمئن نفسك
ما دام البلاء يحيط بك من كل ناحية
فلا عجب لو يذلك الموت
أعجب لأنك لا تعلم!
كيف تحيا مع مثل هذا البلاء؟
خمر طينتك بيديه في البداية
ومنحت للشيطان في النهاية
ما أطيب هوان الإنسان! فإنه ينتقل من مثل تلك اليد
إلى يد الشيطان غافلًا ثملًا
الشخص الذي يتباهى في يد الشياطين
لا يدرك الحبيب في العاقبة
لا أعلم أيكون الإنسان في تلك الحرقة غدًا
بهذه الصورة التي هو عليها الآن؟
أيها القلب! لقد غفلت
إذ لماذا تبقى طول الوقت في هذا الوادي الذي لا نهاية له؟
أي بحر هذا البحر السفاك للدماء!
الذي لا يظهر فيه شخص قط
سوف تبقى الكثير من الأفلاك، ولا تبقى أنت
وسيوارى جسدك التراب
لو تستطيع أن تتواضع في الحياة على الأرض
وفي الأفلاك، تصل هناك طاهرًا
ولو يقيداك هذان القيدان
يجعلاك في مأتم دائمًا
أنت سعيد؛ لو تبقى في الأفلاك
وشقي؛ لو تبقى في الأرض
وإذا تجاوزتهما مثل الرجال
تتحرر من الأرض والفلك الدائر

اتجه من هذه الخرابة إلى المنزل

لماذا تبقى؟ اجعل من الهمة سلمًا

لو تطير من هذه الشباك مثل جعفر الطيار

تصير طائرًا محبوبًا

لو تفكر في هذا السفر مثل جعفر

تفنى عن نفسك

اترك روحك في هذا الطريق مثل الفراشة

وسافر بدون رأس أو قدم مثل السماء

لماذا أنت قتيل النفس والهوى؟

كن ذبيح الله، إذا كنت عارفًا

في الطريق ثلاثة سدود منيعة

أحدها الخبز، والثاني المال، والثالث الجاه

لما يتجاوز هذه السدود الثلاثة من كان أهلًا لذلك

يسهل عليه ترك الكونين

إذا أردت المرور طاهرًا

لا تتدنس بهذه الثلاثة في الأرض

مات جسدك، وأنت تملك القلب

وإنك لا تملك المتاع، وتسلك الطريق

لماذا لا تعد للطريق متاعه؟

فإنك لا تملك قشة من متاع الطريق

كأنك مت في تلك الساعة التي ولدت فيها

وقد حل الليل على باب ذلك الصباح

قيدت بالجسد

فاخش الموت يا عزيزي!

هكذا يفر الفلك من الموت

وتهاجمه الأرض؛ حتى تسفك دمه

لا يفيد الندم في التراب

ما دام السم قد قتلك، فأية فائدة للترياق؟

لو أن لك في الدنيا التي هي مكان الألم والعناء

مائة عمل، فلا عمل لك

يعترضك بئر عميق في الطريق

إنه الدنيا، والفلك يملك ذلك البئر

ما دام الفلك يسقط في البئر

فلماذا يكون هذا الفلك فوق القمر؟

ولكن ما دام أمر الدنيا مقلوبًا

فلماذا تسأل كيف يكون هذا الفلك؟

الفلك دخان، والأرض غبار، وأنت حائر

كيف تتنفس في هذين المظلمين

ما دام الإنصاف ليس حرفتك

فأنت البئر الذي يختنق دائمًا

لو تملك نعلًا قديمًا أو باليًا

ولو تملك خبزًا ملقى على الأرض

لماذا لا تمنحه للفقير من أجل الحق؟

ولتعلم يقينًا أنك سوف تأخذ أكثر منه

لو تتعلق بالدنيا مثقال شعرة

ما دمت قد مت، فإنك تغتم دائمًا

وإذا لم يكن شعرة، يكون جبلًا

لا تفكر بعدئذ يوجد الحزن؟

في النهاية لما طلع الصبح البهيّ

لم تظهر جُل في الدنيا ولا خسرو

لما لفظت جُل أنفاسها، تنفس الصبح

وطوى البياض سواد الليل

لما تحرك هذا الطست الناري

صاحت الطيور العذبة الأصوات

ذهب جهانجير في فجر اليوم التالي إلى جُل

وتجرع تلك الحرقة مرة أخرى

هكذا رأى أمه في التراب
ورأى الوردة أكثر صفرة من الزعفران
أسلمت الروح على قبر خسرو
وسقطت عاجزة حزنًا على الحبيب
لما خجلت الروح بدون طلعة الحبيب
سرعان ما أسلمت تلك المهمومة الروح خجلًا
كان هذا شأن المرأة في الوفاء
فكن مثلها لو أنك وفيّ
لو تقدم العون، افعل هكذا مرة
وأوف للأعزاء هكذا
أقاموا العزاء مرة أخرى
وصرخوا، وانتحبوا مرة أخرى
كان الابن يقول: أين أنتِ يا أمي؟
كيف قيد هذا الفراق يديّ؟
جئتِ مثل النار، وذهبتِ مثل الدخان
وتعجلت لقاء الأب
مضيتِ إلى خسرو بسرعة مثل الريح
أحسنت أيتها الوفية الماهرة!
في النهاية دفنت جُل الفضية الصدر في التراب بسرعة
ليكن هذا التراب دمًا
لما كان التراب جديرًا بذلك الكنز
أهال التراب على رأسه من الألم
جُل التي كانت تفر من ذرة غبار
امتزجت الآن بتراب الطريق

في وفاة القيصر وتولي جهانجير المُلك

هكذا قال من كان قبلة المشايخ
ناظم هذه القصة
لما مرت ست سنوات على وفاة جُل
لعل حال اعترى القيصر
ضاق به الحال في وقت السحر.
وانطفأت نجمة عمره
صار ظهره كالقوس بسبب الشيخوخة
فقد ولى الشباب، وصار شيخًا
استدعى جهانجير في ذلك الوقت
وأجلس ذلك الشاب على عرشه
قال له: يا من أنت أعز عليّ من روحي
سوف تخطفني الدنيا من الدنيا
سلبتني الدنيا غرور الشباب
وأخذت ابني من حضني متطفلة
الآن عقدت الدنيا متاعي
وذهبتُ إلى التراب خالي اليد
واأسفاه! لقد جاوز عمري السبعين
جاء مثل الغبار، وذهب مثل الريح
حدثت لي أمور شديدة العجب
وهي سبيلي إلى هذا البحر العميق
الآن لم يبق لي شأن في الحياة
ولم يبق الكثير بيني والموت

هذا الأمر لك يا بني اليوم

ولتضيء العالم مثل الشمس

لو تعدل مثل الشمس

سوف يخلد عمرك في الدنيا

لو أنك مختال مثل سليمان

لا تتطاول على نملة مثقال شعرة

قال هذا، ولفظ أنفاسه، وفاضت روحه

ورحل عن الدنيا الباقية في لحظة

لما رحل، خمد بالماء مثل النار

وانطفأ سراج عمره رويدًا رويدًا

لما قامت قيامة القيصر

انتهى عمره

انفصلت أوصاله كلها بعضها عن بعض

وفاضت الروح، وغرق القلب في الدم

غربت شمسه عن الإيوان

فعلا النواح من الإيوان إلى السماء السابعة

الملك الذي كان يضرب بالسيف الشبيه بالألماس

أخفوه في الكرباس

وأغلقوا فمه فجأة

فاعلم أن أمر الدنيا كله هين

لما وُضع القطن في ينبوع العسل ذلك

حمل ذلك الظالم القطن من الأذن

لما وضعوه في التراب، سلبه المجد

ولت العظمة، وحلله التراب

أعد كثيرًا من الأماكن، وكان مكانه التراب

كثيرًا ما هاجم، وكانت هذه نهايته

انظر الأعزاء الذين ذلوا تحت التراب

وتطهروا من الذلة والرفعة

ما دمت ترى كثيرًا من الرؤوس والأقدام

فإنك لا تعلم الرأس من القدم في ذلك المكان

لو أنك من الحديد، تتفتت

ولو أنك حجر، تصير مثل الصفصاف

لو أنك قمري الوجه مثل الشمس

يسوِّد وجهك كالشمس في النهاية

الطريق بين الإنسان والإنسان ليس طويلًا

إذا مات لك أحد، فليس هناك أحد الآن

الشخص الذي يتحدث كثيرًا عن نفسه

ما دام قد مات، عرف نفسه

ليست هناك نهاية واضحة للحيرة

ومن يعثر على إبرة في البحر؟

إنه الطريق، وهذا الطريق لا حد له ولا غاية

وليست له بداية ولا نهاية

لم تظهر له بداية في الأول

ولم تبدو له نهاية في الآخر

لما رأى الفلك هذا الطريق بدون بداية أو نهاية

دارت رأسه، وضل الطريق

أنت أيضًا تطوف كثيرًا

ماذا أقول؟ إنك معاند

لو ينهدم العالم

تبنيه كله في لحظة

كيف سر قلبك بالعالم

وقد أسس كله على مأتم؟

لماذا تتشبث بالعالم؟

قل، ماذا تعد للنفس الأخير؟

لا يملك لك العالم البقاء

فلا تنشغل أنت أيضًا بالعالم، وتحرر من الغم

لماذا تتعلق بالعالم؟

وأنت تحزن دائمًا بسببه

يصيبك الألم والبلاء في كل لحظة

حتى إنك لم تحصل على حبة شعير منه

كدحت، ومت

ما دمت قدمت، تحسرت الحسرة الخالدة

لماذا حرصك هذا على جمع المال

فهو وبال إن كان هنا أو هناك

تبدو الدنيا بأسرها سرابًا

وتبدو مثل منام مزعِج

ما دامت قد بقيت لك عدة أيام، فاعقد المتاع

وضع قلبك على اللوح، وارفعه من فوق السرير

لو تدوم سعادتك مائة سنة

تضيع هباء مثل التراب

مع أن الشخص ليس له قيمة في الدنيا

إلا أن المهووسين بهذا الهوس كُثّر

مع أن الكثير عجز بسببها

فإنني لا أرى أحدًا خرج منها

إذا كانت الأرض كلها ملكك

فلا تغتر، فإنه ملك لا يدوم

في تلك اللحظة التي ولدت فيها

وقعت في الشدة، وعانيت العذاب

ما دمت قد عانيت العذاب في المصيدة

فلا تطلق على معاناة العذاب حياة

لا تفتخر كل هذا الفخر، فإنك

ستنقلب في البئر عاجزًا فجأة

ما دامت الدنيا لا تسعك

فكيف يسعك اللحد، فكر في هذا!

تتكبر وأنت لا تعلم

إنك مزبلة، لكنك عابر

لو يسلخ هذا الجلد عنك

ماذا يبقى؟ إنها المزبلة أيها الصديق!

كل نعمة على وجه الأرض

تصبح نجاسة بسببك على وجه اليقين

مع أن الذهب يليق بك مثل الروح

فما النجاسة؟ إنها ذهبك

لماذا تبحث عن الذهب والنعمة والجاه

وكلها نجاسة في العقبى

ما أطيب طوفان الدنيا الممطر للنار!

ما أطيب غفلة المضطربين في الدنيا!

لو يوقظوك من هذه الغفلة

يمنحوك مائة روح في لحظة على سبيل المواساة

لو تغفل في الدنيا

تضطرب يوم القيامة

تغربل التراب طوال الليل على ضوء السراج

حتى تألف الأنف الدخان والتراب

هب أنك رجل مغربل للتراب

فلماذا لا تقوم ليلة لله؟

ليس لك أحد في العالم

فلماذا لا تبكي على نفسك كثيرًا؟

لو أن لك مائة من المعارف في الدار

لما تموت، يصبحون غرباء عنك

لا يدخل أحد معك القبر قط

سوى بعض الذباب أو النمل

إذا فعلت أفعالًا سيئة أو حسنة

تحرقك الحرارة أو البرودة

ما استحوذت عليه في شهر وسنة

سرقه النمل منك في مثل هذا الحال

لم تغرس سوى بذور البطالة

ولا تملك شيئًا سوى العناد

ألمك دائم بسبب الغرور والأنية

وقد استراح كل من تخلص من الأنية

يجب أن تنزل في قصر لا أولًا

إذا أردت أن تتجاوز إلا

لو تمنع شعرة من الوجود

تمنع العالم عن عبادة الأصنام

لا يمنحوك هذا الحزن بسهولة

ولا يعطون الجَبل لقشة

لو ينبغي لك مثقال ذرة من هذا الحزن

يلزمك صفاء البحر وصبر الجبل

لو تموت قبل الأجل بلحظة

تستحوذ على العالم بأسره في تلك اللحظة

إن انتظار الموت ليس أمرًا سهلًا

وكل من انتظر الموت، مات

لو تعلم أيها الرجل المطرود

كيف بقيت بعيدًا هكذا بعد القرب؟

تكوي جانبك بالحسرة

وتضع الرأس على الركبة خجلًا

ما دمت لا تفنى في هذا الحزن، لا تنهض

وتهرب من نفسك مثلما يهرب الشيطان من الناس

ما دمت قد تفوقت على كثير من الشياطين

فإنك لا تؤدي حق عشقك

إلى متى تغتر بنفسك أكثر من هذا؟

وإلى متى تذل نفسك هذه الذلة؟

لو أنك جدير بطريق الله

فافقأ عين الهوى تمامًا

لما تصبح عين الهوى ضريرة

تبصر العين المبصرة لله في الحقيقة

تعتقد أنك مطيع لله

وأنت عابد لهواك دائمًا

اخرج لحظة من بئر الدنيا

وفكر في العقبى

متى علمت بقرة القصاب تلك

أنه سوف يسفك دمها في الطريق؟

إذا علمت البقرة بذلك الأمر

عجزت بسبب ذلك العبء مثل العصفور

إنك أكثر غفلة من تلك البقرة المقيدة

لأنك تعلم، وتجلس فارغًا هكذا!

لم يبق لي عبء من هذا الحزن

ولم تبق مشكلة أكثر تعقيدًا من مشكلتي هذه

يقولون لي: إنك سوف تصير ترابًا

فقد هلك كل شخص قبلك

ومع أنه لا يطيب لي أن أكون ترابًا

لكني رضيت طالما لا أكون نارًا

يقول في خاتمة الكتاب

ألا يا صقر ساعد الملك

ما عمامتك؟ إنها ممتدة من الأرض إلى السماء

أنت باز وطية عمامتك

طية السماء

إذا أطحت بالعمامة عن رأسك

لا تعترض طريقك أية عقبة

الآن تخل عن كل شيء تملكه

ما دمت قد جئت فارغًا؛ فادخل عندئذ

إذا جئت فارغًا من كل شيء

تكون مثلي لا شيء، وكل شيء أيضًا

ما أطيبك يا عطار! إنك تستطيع أن تفتح

مائة نافجة من مسك المعاني

لا تجعل لسانك الناثر للدُرّ

ينثر إلا الدُرّ

ظِل الكلام في العرش المجيد

وقد خلق مثل الشمس المشرقة

لا يمكن أن يكون هناك كلام أسمى من هذا

وينكره الشخص الذي لا يحيا

إن كتابي منتزه الروح

وحجة الدنيا الباقية

صارت هذه المعاني نزهة العقل

فتفرج على ماء الحياة

تمعن هذه القصة جيدًا

وشاهد ورد هذا البستان

كثيرًا ما تحدث الأدباء

ولكن ليس بأسلوب العطار

لم تر الدنيا أديبًا مثلي

ولم تجد أثرًا آخر للشعر

تفشي الأسرار في شعري

لأن الرائحة تفوح من دكان العطار

ما دمت عطارًا، فقد ملأت الدنيا بالمسك

ونظمت الشعر البديع بهذا اللباد الخشن

تناولت كاس جم من يد الروح

ونظمت الكلام في كل نوع

تحدثت عن كل شيء، وأسهبت الحديث

ونظمت الشعر مهمومًا تحت سن الرمح

إن شعري شعر في المعنى، وإنه قمر

خطه مثل البرقع، وشعره أسود

الشخص الذي يرى الشعر من الظاهر

كيف يدرك قاع بحر شعري

أدرك الأسرار القديمة في الكلام

واقرأ زبور الفارسية في هذا الكلام

لو تتدبره

يطيب لك كل بيت فيه

انظر هل يستطيع ساحر أن يأتي بأفضل منه

لذا يمكن الثناء علي وإنصافي

الشخص الذي ينتقد مثلي

ويقول إنه ثرثار

ولكن ما دمت أملك الكثير من المعاني

فإنني سأتحدث كثيرًا، ولا تستمع أنت لو تستطيع

الجوهر يُقيم بالنظر

ومثل هذا القول يقيم بالسماع

اذهب، واقرأه، وما دمت قد قرأته، أُدْعُ

ولا تتقصى عيوب هذا المسكين زمنًا

الدنيا مملوءة بالعيوب، والخلق يتتبع العيوب

من بلا عيب! الله عالم الغيب

ما دمت أنا قد نظمتها، فاقرأها أنت كلها

وهي تذكار لي حتى القيامة

مع أن القصة سرًّا مهمًا

ولكن مقصودي كان شيئًا آخر

إنني لا أطمع في المدح والثناء

ولكني أتطلع للدعاء

أنت أيها القلب كم تحدثت وكم خفقت

حان لك الآن وقت الصمت

الجفاء الذي رأيته من الفلك

اجمعه واحدًا واحدًا

واكتبه كله على ورقة

وألق الورقة في الماء بعد ذلك

إنك لست محظوظًا في الحياة

ويلزمك أن تبقى خالدًا

ما دمت لن تبقى بعد هذا

وإذا لم تكن أبدًا، فلا تغتم

سقط من الناس في هذا الوادي- الكثير الآبار- ما فاق الحصر

ولم يطلع أحد

الطريق بعيد، والمنزل خفي

وقد ضل العقل، وضاع القلب

انقسم قلبي نصفين بسبب الهيبة

لأنني أعلم أن هذا أمرًا عظيم

كثيرًا ما بحثت عن طرف هذا الأمر

وكثيرًا ما بحثت عن بداية نقطة الفرجار

لم تحل حيرتي هذه العقدة

ولم أر الطريق، وبقيت عاجزًا

لقد جلبت إلى هذا العالم- الذي اتجهت إليه-

عالمين بشعرتين

لما يحل يوم موتي، ينقطع نفسي

وتنفصل هاتان الشعرتان عن بعضهما

إنني أريد من هذا العشق الذي بلا دليل

أن يمحو اسمي إلى الأبد

لو يرد اسمي في الديوان

أين أضع الجسد، لو تفيض الروح

ضاع الجسد، لما غلبته الروح

صرت مغلوبًا لما كانت الروح غالبة

أَخرُجُ من هذا الخرابة

ولا أعلم متى أرحل؟

ما دام هناك موت، فلماذا يكون المولد؟

وما دام هناك رحيل، فلماذا البقاء؟

لماذا تشارك الروح الجسد

ما دامت تعود إلى ذلك المكان متحسرة

الشخص الذي أصبح طائر مصيدة الماء والكلأ

كتب عليه الشقاء

انظر إلى خلق الدنيا، وقد استاءوا

واستغاث الجميع من أنفسهم

إذا أردنا اليسر دائمًا

أقمنا في العسر محرومين

نستظل بالظل دائمًا

ونفنى جميعًا

أيها القلب! لا تخفق هكذا، ما دام الأمر قد وقع
وكثيرًا ما وقع لمثلك
فاذهب، واختر زاوية، واتجه للطريق
وغص في المجهول، واسلك، الطريق
الأشخاص الذين أدركوا آفة الشهوة
اشتروا مجهولهم بالذهب
يملك الشخص الكسب في العالم
وهو لا يملك أي أمر في الحقيقة
افرغ؛ حتى تسعد لحظة
وتترك العالم مسرورًا في يسر
ما دمت ترى الضد في الضد في البداية
تَعْلَم قدر جسمك
الأفضل من أن يفرغ شخص من العالم
أن يكون أكثر انشغالًا بالحق
يعرف الشخص قدر المشاهدة في هذا الطريق
ومن كان ضريرًا، ينزوي في زاوية
كما ترى، يمطر هذا الطاس المقلوب
أنواعًا كثيرة من البلاء دائمًا
لو تقضي الليل أيها النمل في الطاس متمتعًا بالعافية
فاعرف قدر النهار
إلهي جنِّب هذا المضطرب الحائر
بلاء الفلك الدائر
إلهي! تحدثت كثيرًا بدون جدوى
وكثيرًا ما قلت كان ولم يكن
مع أن ذنوب العاصي كثيرة
ولكن ذرة من فضلك أكثر منها
ما دمنا لا نقصر إلا في الطاعة
لماذا تساوي حفنة قليلة البضاعة

ما دام هذا الأمر قد وقع لنا بسببنا

فلا تتركنا يا إلهي لأنفسنا

اعف عن عبادك

وأدرك حاجة المفلسين المبتلين

إنك رحيم، فاعصم الخلق

ولا تحرمهم من لطفك

إلهي! لو أننا أناس في الصورة

فلا علم لنا، إننا شرذمة أعجمية

ما دمنا شرذمة حديثة العهد بالإسلام

ولم نتعمق في الإيمان

الشخص الذي غاب عنك زمنًا

هو كافر في تلك اللحظة، لكن في الخفاء

لو يكون غائبًا دائمًا

يغلق باب الإسلام أمامه

أنعم عليّ بالحضور يا إلهي!

فإنني لا أطيق الغيبة

إنك تستطيع أن تجنبني الخلق

ما دام أمري بيدك، وأنت تعلم

إلهي! إنني أسلك الطريق، فكن مرشدي

واكشف الحقيقة لروحي المحزونة

ما دمت قد قصصت قصتك

فقد مت، وقلبي مفتون بك

لو أنني طفل، تكفيني هذه البلاغة

وقد فرغت من العالم بأسره

إذا كان لي أنس في الزمان

فقد كان أنسي بأمي، وقد رحلت

إذا كانت رابعة تساوي مائة رجل شجاع

ولكن أمي تلي تلك المرأة الشجاعة

هكذا كانت تلك الضعيفة سندًا قويًا
فوجه الخليفة ظهير الشرع
مع أن العنكبوت ضعيف
ولكنه حارس الفيل بالنسبة إليّ
هكذا روحي محزونة بسببها
حتى إنها لا تستطيع أن تقيم مأتمًا لها مطلقًا
تعالي! فإنني لا أحتمل آهة هذا الغم
إنني أكابد غمها، ولا أطيقه لحظة
ما دام ليس هناك محرم لي؛ فلمن أشكو هذا الغم
فقد كانت محرمًا لي، فلمن أتحدث؟
إذا لم تساعدني في المجيء إلى هنا
لا يبقى لي عمر، ويكون الرحيل هنا
لو ألحق بها، أشرح لها
الحزن الذي أصابني بسبب موتها
لم تكن امرأة، بل كانت رجلًا معنويًا
وكثر دعاؤها في وقت السحر
كانت آهاتها في السحر عجيبة
وكان الطريق إلى الحق يتجلى في كل آهة لها
لما تجاوزت العشرين الآن
ولم تعتاد ارتداء العباءة والحذاء
فرغت من أمر الدنيا، واختارت السعادة
وانزوت، واعتزلت
أتوجه إليك أيها الهادي!
كثيرًا ما طرقت الباب، فافتحه
إنك تعلم كيف حاله (العطار) في الألم
فقد كان وجهه مملوءًا بالدمع الدامي في السحر
كثيرًا ما بكى، واضطرب
ودعاك منتحبًا ليلًا ونهارًا

سعى عمرًا بعونك

ويئس بسبب الشوق إليك

كنت ضرورته من العالمين

فخذ بيده بفضلك يا معينه

امنح جسده النوم الهانئ في سلامة

وأيقظ قلبه حتى يوم القيامة

انر شمعة له في القبر

لا تنطفئ ليلًا ولا نهارًا

افتح له بابًا في قبره على تلك الجنة الخالدة

وإنك تستطيع

لو أن التراب هو نصيبه من الدنيا

فاغسله بأمطار الرحمة

ناجاك كثيرًا، وسمعت

فاسمعه نداءك بسرعة

اجعل كفنه حرير الخلد

واجعل اللحد روضة لجسده وروحه

ما دام قلبه قد أوفى لك كثيرًا، وأخلص لك

فحقق رجاءه فقد حفظك

الشخص الذي يتذكره بالدعاء

ليحفظه الله في كل وقت

* * *

الحواشي والتعليقات

(١) ***الأبدال:*** اسم يطلق على سبعة من أولياء الله، يحافظ كل واحد منهم على إقليم من أقاليم الأرض السبعة، ويرى البعض أنه بتوسلهم وشفاعتهم يتنزل المطر، ويُجلب النصر على العدو، وتتقى النكبات العامة. وقيل أربع من أخلاق الأبدال: استقصاء الورع، وتصحيح الإرادة، وسلامة الصدر للخلق، والنصيحة لهم. وقد سموا بالأبدال؛ لأن البدل إذا ما فارق مكانه خلفه شخص آخر على صورته، ولا يشك الرائي أنه البدل.

انظر: د. سيد جعفر سجادي: فرهنگ لغات واصطلاحات وتعبيرات عرفاني، چاپ دوم، تهران ١٣٥٤ هـ.ش، (ص٩، ٤٧).

، د. حسن الشرقاوي: معجم ألفاظ الصوفية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٧م، (ص٢٢).

(٢) ***اليرقان الأسود:*** اليرقان مرض فسيولوجي يصيب النبات، فيصفر. وحالة مرضية تمنع الصفراء من بلوغ المعى بسهولة، فتختلط بالدم؛ فتصفر بسبب ذلك أنسجة الحيوان.

المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، (ص٦٨٥).

(٣) ***لولاك:*** «لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك» ذكره العجلوني في «كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس» وقال: قال الصنعاني: إنه موضوع، ثم قال: وأقول: لكنه معناه صحيح، وإن لم يكن حديثًا. والحديث باطل لفظًا ومعنى؛ لأنه لم يثبت حديث عن النبي ﷺ يدل على أن الخلق خلقوا من أجله ولا الأفلاك ولا غيرها. ahl al hadeeth.com

(٤) ***كنت نبيًا:*** جاء من حديث ميسرة الفجر، وأبي هريرة وابن عباس. فأما حديث ميسرة الفجر، أخرجه الطبراني في الكبير، وأحمد في المسند، وابن أبي عاصم في السنة، والغرياني في القدر، والأجري في الشريعة، كلهم عن طريق بديل بن ميسرة، عن عبد الله بن شفيق، عن ميسرة الفجر، قال: يا رسول الله متى كتبت نبيًا؟ قال: وآدم بين الروح

والجسد. وأخرجه الحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد.

(٥) *طير أبابيل:* إشارة إلى سورة الفيل، الآية ٣.

(٦) قل إن كنتم تحبون: سورة آل عمران، الآية ٣١.

(٧) *إياز:* هو أبو النجم إياز أويماق م٤٤٩هـ. الغلام التركي، والأمير المقرب للسلطان محمود الغزنوي م٤٢١هـ، كان يتسم بالذكاء، والفراسة والوسامة، وكان ماهرًا في القتال، وتولى إمارة «قصدار» «ومكران» في عهد السلطان مسعود الغزنوي.

انظر: دكتر محمد معين: فرهنگ فارسي، مؤسسة انتشارات امير كبير، تهران ١٣٧٥، جلد پنجم، اعلام (آ-ع)، (ص٢٠٤).

(٨) *هما: طائر البَلح:* اسم طائر خرافي كل من يظله، يصير ملكًا.

د. إبراهيم الدسوقي شتا: المعجم الفارسي الكبير، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، المجلد الثالث گ - ى، (ص٣١٩٩).

(٩) *لو يوزن إيمان الصديق:* تضمين للحديث الذي رواه عبد الله بن عبد العزيز بن أبي رواد، وقال: أخبرني أبي، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح». وهذا الحديث من الأحاديث الضعيفة.

(١٠) *حيدر باب مدينة العلم:* تضمين للحديث: «أنا مدينة العلم وعلي بابها». رواه الحاكم في المستدرك، والطبراني في الكبير، وأبو الشيخ في السنة عن ابن عباس مرفوعًا مع زيادة: «فمن أتى العلم، فليأت الباب». وهذا الحديث من الأحاديث الضعيفة.

(١١) *سعد الدين أبو الفضل:* هو سعد الدين محمد بن مؤيد بن أبي بكر حسن بن محمد بن حمويه الحموي الجويني. ولد في سنة ٥٤٢هـ لأسرة متدينة؛ فقد كان جده أبو عبد الله محمد بن حمويه فقيهًا عارفًا، وشيخًا لصوفية خراسان. سافر سعد الدين في شبابه لطلب العلم، وأقام مدة في دمشق، ثم عاد إلى خراسان. كان سعد الدين عالمًا بالأصول، ومدركًا لأسرار القرآن، ونظم الشعر بالفارسية وبالعربية. ويعد من تلاميذ الشيخ نجم الدين كبرى، ومن كبار عارفي القرن السادس الهجري. ومن مؤلفاته: سجنجل الأرواح ونقوش الألواح، ومحبوب المحبين ومطلوب الواصلين في الآداب والأخلاق. وتوفي

في سنة ٦٥٠ هـ.

انظر: إدوارد برون: تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، نقله إلى العربية إبراهيم أمين الشواربي، القاهرة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م، (ص٦٣٠).

، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، القاهرة ١٣٥٠ هـ، جـ٤، (ص٩٥).

، حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تصحيح وتعليق وطبع: محمد شرف الدين يالتقا، عني بتصحيحه وتعليق حواشيه ثم بترتيب الذيول عليه المعلم رفعت بيلكه انكليسي، وكالة المعارف، ١٩٤١ - ١٣٦٠هـ المجلد الثاني، عمود ٩٨٠.

، سعيد نفيسي: جستجو در احوال وآثار تاريخي فريد الدين عطار نيشابوري، تهران ١٣٢٠ هـ.ش، (ص م، ما).

(١٢) ***إبراهيم بن أدهم:*** من أهل بلخ، كان من أبناء الملوك، وقد خرج يومًا للصيد، فهتف به هاتف: يا إبراهيم! ألهذا خلقت أم بهذا أمرت. فاستيقظ من غفلته، وسلك طريق الزهد والورع. صحب سفيان الثوري والفضيل بن عياض، ودخل الشام ومات بها في سنة ١٦١ أو ١٦٢هـ.

للمزيد من المعلومات عنه انظر ترجمته في: تذكرة الأولياء فريد الدين العطار النيسابوري، ترجمة وتقديم وتعليق د. منال اليمني عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٦م، المجلد الأول، (ص٢٩١: ٣١٤).

(١٣) ***الأوتاد:*** هم الرجال الأربعة الذين على منازل الجهات الأربع من العالم، أي الشرق والغرب والشمال والجنوب. بهم يحفظ الله تعالى تلك الجهات لكونهم مجال نظره تعالى.

د. أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، مراجعة د. جورج متري عبد المسيح، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى، لبنان ١٩٩٣م، (ص٥٠).

(١٤) ***يوسف:*** أنجب سيدنا يعقوب بن إسحق بن إبراهيم اثنى عشر ولدًا من الذكور؛ لكنه آثر ابنه يوسف على إخوته؛ فحقد عليه إخوته، ودبروا مؤامرة للتخلص منه، وأقنعوا أباهم بأن يصطحبوا يوسف أثناء خروجهم للرعي، وأخذوه، وألقوا به في البئر، وادعوا أن الذئب قد أكله. وحدث أن مرت قافلة، وذهب واردهم ليحضر الماء من البئر، فتعلق يوسف بالدلو، فأخذوه وباعوه في مصر بثمن بخس. عمل يوسف في بيت العزيز، ولما كان حسن الخلق، شديد الجمال؛ فتنت به زليخا امرأة العزيز وراودته عن نفسها، إلا أنه

أبي. وعصمه الله تعالى عن الوقوع في المعصية.

(١٥) *الأهواز:* سبع كور بين البصرة وفارس، لكل كورة منها اسم، ويجمعهن الأهواز. وقيل: إن أول من بنى الأهواز أردشير،و كانت تسمى هرمز أردشير، وسميت خوزستان أيضًا وقد أطلق عليها العرب الأهواز.

انظر: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، المجلد الأول، (ص٢٨٤).

(١٦) *خوزستان:* ولاية في جنوب غرب إيران، تحدها من الشمال لرستان وبشتكوه، ومن الشرق بختياري وفارس، ومن الجنوب الخليج العربي، ومدنها هي: الأهواز، شوشتر، دزفول، خرمشهر، رامهرمز، سوسنگرد، دشت ميشان. وأهلها يتكلمون الفارسية والعربية والخوزية.

انظر: د. محمد معين: فرهنگ فارسي، جلد پنجم، (ص٤٩٠).

، ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد الثاني، (ص٤٠٥).

(١٧) *بهرام:* اسم العديد من ملوك إيران وقوادها.

انظر: د. إبراهيم الدسوقي شتا: المعجم الفارسي الكبير، المجلد الأول آ-ژ، (ص٤٢٢).

(١٨) *ماني:* مؤسس المذهب المانوي، تعلم في شبابه العلوم والحكمة، وادعى النبوة وهو في الرابعة والعشرين من عمره، وسعى لنشر مذهبه في إيران في عهد شابور الأول، وقدم له أحد كتبه ألا وهو كتاب «شابورگان». لكن شابور نفاه من إيران بعد ذلك؛ فسافر إلى الهند والتبت والصين، ثم عاد إلى إيران بعد وفاة شابور في سنة ٢٧٢م فأكرم هرمز خليفة شابور وفادته، وسمح له بنشر مذهبه، لكن قتله بهرام الأول في سنة ٢٧٦م. ألف ماني كتبًا كثيرة منها: شابورگان باللغة البهلوية، وأرژنگ أو ارتنگ. وكان يزود كتبه بالصور الجميلة؛ ولهذا السبب سموه ماني النقاش.

انظر: د. محمد معين: فرهنگ فارسي، جلد ششم، (ص١٨٨٩).

(١٩) *إصفهان:* أكبر مدن إيران بعد تهران وأكثرها كثافة، شيدت بها مبان كثيرة في عهد الصفويين حتى إنهم أطلقوا عليها نصف الدنيا. وكانت مركز الصناعات الجديدة في عهد رضا شاه بهلوي، وهي الآن من أشهر مدن إيران من حيث الآثار التاريخية.

انظر: د. محمد معين: فرهنگ فارسي، جلد پنجم آ- ع (ص ١٥٤).

(٢٠) ***جبل قاف:*** جبل أسطوري من الزبرجد الأخضر يحيط بالأرض، وهو أصل جبال الأرض كلها. ويقال إن المسافة بينه والسماء مقدار قامة، ويقال أيضًا إن السماء مطبقة عليه. ويظن البعض أن خلفه عوالم وخلائق لا يعلم عددها سوى الله تعالى، والشمس تشرق من هذا الجبل وتغرب إليه. وسماه القدماء البرز.

انظر: د. محمد معين: فرهنگ فارسي، جلد ششم غ-ى، (ص١٤٣٢).

(٢١) ***جمشيد:*** اسم ملك فارسي من العصر الأسطوري، ويعد أهم ملوك الأسرة البيشدادية.

د. إبراهيم الدسوقي شتا: المعجم الفارسي الكبير، المجلد الأول آ- ژ، (ص٨٤٦).

(٢٢) ***أفريدون:*** ملك من ملوك الأسرة البيشدادية الأسطورية، كان له ثلاثة أبناء قسم بينهم ممالكه الواسعة هم: سلم، تور، إيرج. وحارب الضحاك وانتصر عليه.

انظر: د. محمد معين: فرهنگ فارسي، جلد ششم غ- ى، (ص١٣٦٠).

(٢٣) ***مدينة جاج (شاش):*** مدينة في بلاد ما وراء النهر، تقع على نهر سيحون، وتسمى الآن طاشقند، وهي عاصمة جمهورية أوزبكستان.

انظر: د. محمد معين: فرهنگ فارسي، جلد پنجم آ-ع، (ص٤٣٦).

(٢٤) ***شبديز:*** جواد خسرو برويز الذي ارتبط به كثيرًا. وكانوا يطلقون عليه شبديز للونه الأسود.

انظر: السابق ، (ص٨٨٥).

(٢٥) ***رستم:*** هو رستم بن زال، بطل إيراني من زابلستان، خدم عدة ملوك من الأسرة الكيانية، قتل الشيطان الأبيض، وأطاح بمجموعة من الشياطين الآخرين. وكان جواده رخش يلازمه في كل مكان يذهب إليه.

انظر: السابق ، (ص٥٨٩).

(٢٦) ***كيخسرو:*** اسم ثلاثة ملوك من ملوك السلاجقة، الأول: غياث الدين بن عز الدين قلج أرسلان، وحكم من سنة ٥٨٨هـ إلى سنة ٥٩٧هـ. والثاني: غياث الدين بن علاء الدين كيقباد، وحكم من سنة ٦٣٤هـ إلى سنة ٦٤٣هـ. والثالث: غياث الدين بن ركن الدين سليمان شاه المقتول في سنة ٦٨٢هـ.

انظر: د. محمد معين: فرهنگ فارسي، جلد ششم غ-ى، (ص١٦٣٩).

(٢٧) ***شوشتر:*** مدينة في خوزستان.

انظر: د. محد معين: فرهنگ فارسي، جلد پنجم آ-ع، (ص٩٣٢).

(٢٨) ***السيمرغ:*** طائر خرافي يعيش في جبل خرافي اسمه قاف.

د. إبراهيم الدسوقي شتا: المعجم الفارسي الكبير، المجلد الثاني، س-گ، (ص١٦٦٢).

(٢٩) ***رخش:*** جواد رستم زال المشهور، لونه مزيج من القرمزي والأصفر والأبيض.

انظر: د. محمد معين: فرهنگ فارسي، جلد پنجم آ-ع، (ص٥٨٦).

(٣٠) ***بدخشان:*** ولاية في شرق أفغانستان، تشتهر بياقوتها البدخشاني.

انظر: السابق، (ص٢٤٧).

(٣١) ***زال:*** بطل إيراني، وهو ابن سام وأبو رستم.

انظر: السابق، (ص٦٤٤).

(٣٢) ***يلان:*** اسم بطل توراني قتل على يد بيژن.

د. إبراهيم الدسوقي شتا: المعجم الفارسي الكبير، المجلد الثالث گ-ى، (ص٣٢٧٦).

(٣٣) ***طامات:*** عند الصوفية يطلقونها على المعارف التي تجري على لسان السالك أثناء السلوك، وأيضًا يطلقونها على خرق العادة والكرامة.

د. أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية (ص١١٢).

(٣٤) ***الإسكندر:*** الإسكندر المقدوني بن فيليب ٣٣٦- ٦٢٣ ق. م. تولى عرش السلطنة المقدونية- بعد موت أبيه- وهو في العشرين من عمره. انتصر على الفرس، وسيطر على ممتلكات الإمبراطورية الفارسية، وأطاح بداريوش الثالث، ثم ذهب إلى بلاد الهند، لكنه اضطر إلى العودة إلى إيران بسبب تمرد الجيش. وسيطر على سورية ومصر. ولعب دورًا مهمًا في نشر الحضارة واللغة اليونانية في الشرق، وبنى أكثر من ستين مدينة باسم الإسكندرية في أنحاء مختلفة من العالم.

انظر: د. محمد معين: فرهنگ فارسي، جلد پنجم آ-ع، (ص١٤٤).

(٣٥) ***إقليدس:*** عالم رياضي يوناني ٣٠٢- ٢٨٣ ق.م. دَرَّس في الإسكندرية في عهد سلطنة بطليموس، وألف كتاب الأصول في الهندسة. وشرح نصير الدين الطوسي هذا الكتاب.

انظر: السابق، (ص١٦٥).

(٣٦) ***تركستان:*** ناحية في آسيا، يحدها من الشمال سيبيريا، ومن الغرب بحر الخزر، ومن الجنوب أفغانستان والهند والتبت، ومن الشرق مغولستان. وقسمت بين الاتحاد

السوفييتي والصين.

انظر: السابق، (ص٣٨٦).

(٣٧) *ترمذ*: مدينة في بلاد ما وراء النهر، بالقرب من ساحل نهر جيحون، واليوم هي ضمن جمهورية تاجيكستان.

انظر: د. محمد معين: فرهنگ فارسي، جلد پنجم آ-ع، (ص٣٩٠).

المراجع

أولًا: المراجع العربية:

١ - إدوارد برون: تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، نقله إلى العربية إبراهيم أمين الشواربي، القاهرة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

٢ - حاجي خليفة وآخرون: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، وكالة المعارف ١٩٤١م - ١٣٦٠هـ. المجلد الثاني.

٣ - عبد الحي بن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، القاهرة ١٣٥٠هـ، الجزء الرابع.

٤ - فريد الدين العطار: تذكرة الأولياء، ترجمة وتقديم وتعليق د. منال اليمني عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٦م، المجلد الأول.

٥ - ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، المجلد الأول.

ثانيًا: المرجعان الفارسيان:

١ - سعيد نفيسي: جستجو در احوال وآثار تاريخي فريد الدين عطار نيشابوري، تهران ١٣٢٠ هـ.ش.

٢ - فريد الدين عطار: خسرو نامه، بتصحيح واهتمام احمد سهيلي خوانساري، تهران.

ثالثًا: المعاجم العربية:

١ - د. إبراهيم الدسوقي شتا: المعجم الفارسي الكبير، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، المجلدان الأول والثالث.

٢ - د. أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، مراجعة د. جورج متري عبد السميح، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى، لبنان ١٩٩٣م.

٣ - د. حسن الشرقاوي: معجم ألفاظ الصوفية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٧م.

٤ - المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

رابعًا: المعجمان الفارسيان:

١ - د. سيد جعفر سجادي: فرهنگ لغات واصطلاحات وتعبيرات عرفاني، چاپ دوم، تهران ١٣٥٤ هـ. ش.

٢ - د. محمد معين: فرهنگ فارسي، مؤسسة انتشارات امير كبير، تهران ١٣٧٥، جلد پنجم، جلد ششم.

خامسًا: شبكة المعلومات العالمية.

ahl al hadeeth.com

fatwa.islamweb.net

mawdoo3.com

أطلق فريد الدين العطار النيسابوري على منظومته هذه "زبور الفارسية"، وعدها السحر الحلال، والتذكار الذي سوف يبقى عنه حتى يوم القيامة. وتحكي القصة سيرة عشق خسرو برويز بن كسرى أنوشيروان لشيرين. ووصف لنا فريد الدين العطار - أثناء سرده لأحداث القصة - المعارك وساحات القتال، وآلات الحرب وتنظيم الجيوش. وصور لنا مجالس اللهو والطرب، ورحلات الصيد. وتنقل بنا بين البساتين والخمائل والغابات. ومضى بنا وسط البحار والصحارى والجبال. وجال بنا في القلاع والحصون والقصور. والقصة - في مجملها - ترمز إلى العشق عند الصوفية، وتصف أحوال العاشق، وتشرح ما يعانيه من آلام العشق، وتباريح الهوى، وتبين العقبات التي تصادفه، والأهوال التي تواجهه، وتوضح مدى إصراره على مجابهتها واجتيازها في سبيل إدراك معشوقه. كما أن القصة تزخر بالرموز والأفكار والمفاهيم الصوفية. وتشتمل على الكثير من النصائح والمواعظ، والحكم والأمثال. لذا ينبه العطار القارئ إلى ضرورة تدبر معانيها، وكشف أسرارها، وفهم رموزها. وقد أشاد العطار في هذه المنظومة ببراعته في نظم الشعر، وبمهارته في سرد أحداث القصة، وبتفرده في إضفاء الطابع الصوفي عليها. ودعا الله تعالى أن يحفظها من عبث العابثين، ويجعلها نورا في عيون أهل البصيرة.



تصميم الغلاف: د. هند سمير


ISBN 978-977-765-085-4
9789777650854